

الجزء الرابع من ... سلسلة إلياذة العاشقين
193
وإني قتيلك ..
يا حائرة
كاردينيا 73
وإني قتيلك يا حائرة (193) بقلم الكاتبة كاردينيا73
تتحركين يمينا
ثم تتلكئين شمالا
وعيناي تلاحقان
خطواتك رغماً
عني فأين المفر ؛
من قال ان الدموع
سلاح الانثى ؟!
هل رأيتم الحيرة
عندما ترسم خطواتها
و تحدد ملامحها؟
فكيف بالله
عليكم لاتخطف
القلب قبل البصر ؟
تصميم كاردينيا73
www.rewity.com
روايتي



تصميم كاردينيا73
تتحركين يمينا
ثم تتلكئين شمالا
وعيناي تلاحقان
خطواتك رغماً
عني فأين المفر !
من قال ان الدموع
سلاح الانثى !؟
هل رأيتم الحيرة
عندما ترسم خطواتها
و تحدد ملامحها؟
فكيف بالله
عليكم لاتخطف
القلب قبل البصر ؟
كاردينيا73
وإني قتيلك ..
يا حائرة
الجزء الرابع من ... سلسلة إبادة العاشقين
www.rewity.com
روايتي

واني قتيلكِ يا حائرة

الجزء الرابع والاخير من سلسلة

بقلم الكاتبة كاردينيا73

حصرياً على شبكة روايتي الثقافية

www.rewity.com

(نزل اعلانها بتاريخ 23-09-2014)

ابتدأت بتاريخ 11-09-2015

انتهت بتاريخ 09-02-2016

تنقيح الرواية : كاردينيا73

تصميم الغلاف الرسمي و الفواصل ووسام التفاعل المميز والبنر الاعلاني : كاردينيا73

تصميم تواقيع الابطال : كاردينيا73

تصميم قالب الصفحات الداخلية : كاردينيا73

المقدمة

نزل من سيارة الاجرة بملامح لاتعبر عن دواخله ، نقّد السائق أجرته ثم استدار ليواجهة بوابة بيته ....

كان الفجر يوشك على الانبلاج وانعكست الوان خافته متعددة على البوابة الذهبية المهيبة ..

تحرك نحو تلك البوابة وقبل ان يصلها كانت تُفتح امامه ليطل وجهيّ الحارسين الامنيين وقد بديا منفعلين بتأثر حزين وهما يقولان بتتابع

" الحمد لله على السلامة سيد ماهر .."

" البقاء للّه سيدي .."

رد ماهر بتمتمة هادئة بينما يتقدم بخطى ثابتة عابراً البوابة ...

قدماه حادتا يسارا نحو البيت الثاني بدلا من بيته الاساسي في الواجهة ...

كان يعلم انها ستكون .. هناك ..

ضغط على الجرس وانتظر لدقائق طويلة حتى التقطت اذناه صوت خطوات متعجلة نزولا على الدرج ...

لحظات وفتحت الباب ليستقبله وجه عمته نجلاء وقد شابه الحزن الثقيل وحالما رأته رمت نفسها على صدره تحتضنه بقوة ..

تبكي شاهقة كطفلة وتهذر بالكلمات الملتاعة الفائضة بشعور الذنب

" انا السبب ... انا ... ألححت وألححت .. حتى تخرج سيرا على الاقدام متحديه رهابها من مواجهة الناس هنا .. انا من دفعتها لقدرها المحتوم يا ماهر .. يا الهي .. تلك المسكينة.."

تحامل ماهر على مشاعره فتماسك وهو يهدئ عمته ويقول بحشرجة

" ترفقي بنفسك عمتي .. انت تعلمين يقينا انه فقط قدرها ان تخرج وتتعرض لذلك الحادث .. ليس ذنبك بل ذنب من دهسها وهو تحت تأثير الخمر ..."

علا بكاء نجلاء وهي تحوقل بينما سكنت ملامح ماهر فيسأل بهدوء ظاهري

" اين صفية ؟ "

ابتعدت عنه نجلاء قليلا تأخذ انفاسها بعد هذا البكاء وقبل ان ترد عليه سبقها صوت وقع خطوات متسارعة على الدرج يخالطها صوت الشهقات ثم اطلت هيئتها بشعرها الذي بات يشابه اوراق الخريف بلونه يتطاير بعنف حول وجهها الرقيق الباكي ...

بصمت فتح ماهر ذراعيه ليستقبل بين احضانه الصغيرة التي بلغت للتو عامها الثامن عشر هامسا باسمها

" توته .. "

وعلى اخر درجتيّ السلم وقفت الاخرى بشعرها القصير ذو القصة الولادية المستفزة تدّعي السيطرة والتحكم بينما هي لاتريد الا ان تنهار كاختها وعلى صدر ماهر تحديدا...

انه العنفوان وربما العناد الذي يجعلها تقاوم ان تكون كتابا مفتوحا امام اي انسان فتخجل ربما مما سيقرؤه فيه ..

وماهر يقرؤها دوما ويغيظها بفهمه لكل اختلاجاتها ...

كم تتمنى في هذه اللحظات ان تكون منفتحة العاطفة سهلة بالتعبير عنها كأختها فاطمة ...

ناداها ماهر برقة حانية نادرة وعيناه تلمعان بالدعوة الرقيقة

" تعالي يا وجه العبوس ..."

لم يحتج لاكثر من مناداتها بهذا اللقب لتنهار تلك الجدران الورقية الواهية الشفافة التي تتشبث بالاحتماء خلفها فتركض نحوه بعنف فوضوي وتلتصق به كما تفعل اختها فيحاوطهما ماهر معا وهو يسأل بهدوء يحسد عليه

" اين طه ؟"

ردت نجلاء بصوتها الباكي " اخذته نادية لبيتها .. لقد انهار هذا الفتى الحبيب يبكي بهستيرية تقطع نياط القلب..."

تعالى تهدج فاطمة الباكي بينما غمرت زينب وجهها اكثر في صدر ماهر وكأنها تمنع نفسها من الاعتراف بدموعها الجارية على خديها ...

سكنت تعابير ماهر وعيناه تتطلعان ناحية الدرج ... فرفعت نجلاء يدها تربت على كتفه وتقول بتحشرج

" اذهب لصفية يا ماهر .. انها في غرفة .. المرحوو..."

لم تستطع نجلاء اتمام جملتها وقد خنقتها الغصّة بينما يشتد ذراعا ماهر حول الفتاتين ..

دخل ماهر غرفة حماته التي رحلت في لحظة مفجعة خاطفة ..

دخل وعيناه تبحثان عن غازية قلبه ...

توجع ذلك القلب كما لايتوجع لاحد ..

توجع وهو يراها مستلقية على السرير بشعرها الداكن المنثور تلبس ثوبا من اثواب امها المطرزة المبهرجة الالوان وجسدها متكوّر داخل ذلك الثوب الفضفاض وكأنه يبحث عن حضن الام فيه..

عيناه استقرتا على بطنها حيث تحمل طفلهما الاول في شهوره الاولى ...

لقد أجلا الانجاب طوال هذه السنوات حتى تتم دراستها الجامعية في فن العمارة كما حلمت صفية دوما...

لا فرحة تأخذ كمال كل اجزائها !

ابتلع ماهر ريقه ثم ناداها بهمس وهو يقترب

" صفية ..."

في لحظة هبّت على قدميها بشراسة وشعرها يتناثر حولها بعنف حركة جسدها الذي تحفز في لحظة وكأنه يستعد لقتال عنيف ..

لم يفاجئه الامر بل كان يتوقع المزيد ..

اقترب ماهر وعيناه تبحثان عن عينيها وسط خصل شعرها التي غطت معظم صفحة وجهها فيقول بهدوء

" تعالي صفية ..."

صرخت وهي ترتد للخلف حتى ارتطمت بحافة السرير خلفها

" لاتقترب .. لااريدك .. اذهب لأمك ... لابد انها تحتفل الآن لانها تخلصت اخيرا من مصدر ازعاج واحراج دائمين !"

لم يبال .. انه يعرف ..

يعرف انها تنتظره .. تحتاجه بطريقة لم تحتجه مثلها من قبل ...

انها تنتفض بشعور الضعف من هول الخسارة الفادحة ..

امها لم تكن امها حقا ..

امها كانت... ابنتها ...

عاود الهمس وهو يقف قبالتها تماما يكاد يمس جسدها الغارق ببهرجة الثوب الفضفاض مثيرا في نفسه مزيدا من الألم ..

" انا رهن اللحظة التي تقررين فيها رمي كل شيء يحرقك ... في وجهي ..."

وكأنه اشعل فتيلها فانفجرت ..

تركها تضربه عشوائيا بقبضتيها على صدره ... كتفيه ، تركها ترتطم به بعنف جسدها الثائر مرارا وتكرارا ...

طاقة من الحزن الاهوج والهستيريا للفقد تدفقت كالسيول الهادرة ..

تضربه وتصرخ فيه بكلمات غير مفهومة ..

التصقت خصلات شعرها بوجهها والدموع تجري وتجري وتجري دون توقف على خديها..

انهار جسدها فوقعت على صدره وتلقفتها ذراعاه...

تقاومه وهي تئن ثم تنهار المقاومة لتطلق صرخة وجع شقّت قلبه قبل ان تشق روحها..

علا نداء الألم المبرح من فمها

" امااااااه .."



في نفس اللحظة التي وجدت نفسها فيه محمولة على صدره .. صدره هو الذي يحتوي كل صرخات الوجع دون شكوى ...

يقف محمود امام الشباك ناظرا لساعة يده وهو يتمتم

" لابد ان اخبر خالي عن وصول ماهر ..."

التفت لأخيه فرآه كما هو ..

على سجادة الصلاة والمسبحة في يده عيناه تطرقان النظر للاسفل ولا يبدي حركة واضحة الا تحريك تلك الخرزات متتابعة وبطريقة تستفزه بثباتها ..

عاود محمود النظر عبر الشباك المطل على الممر المؤدي لبيت عائلة صفية ..

تنهيدة خافته خانته وانطلقت من صدره ..

ها قد عاد ماهر ..

لقد كان بانتظاره بفارغ الصبر ..

هو الوحيد القادر على لملمة اشلاء تمزقت بهول الفاجعة الصادمة ...

هو الوحيد القادر على منح القوة اللازمة للصغير طه ...

هو الوحيد الذي له تأثيرا مطمئنا لرهافة قلب فاطمة ...



هو الوحيد ... الوحيد .. الذي سيجعل تلك الغبية المستفزة المغيظة الولادية الشعر .. تنهار على صدره فتعترف انها اشد تمزقا من الجميع لوفاة امها بهذه الطريقة ...

اخرج هاتفه من جيبه واتصل ...

" مساء الخير خالي ..."

صوت آسر الغازي جاء ثابتا غامضا مع لمحة استفزاز خاصة به تميزه

" فجر الخير يا فتى ... ألم تنم ؟! "

لم يشعر محمود بالغيظ المعتاد للفظة (فتى) التي يستفزه بها خاله ، فعيناه تشاغلان تركيز عقله وهما تتركزان بالنظر لشباك محدد امامه ...

قال محمود وعيناه تلتقطان خيالها النحيل عبر الستائر الشفافة

" لقد عاد ماهر .. اظنهم الان سيكونون افضل حالا بوجوده .. انت تعرف كم هم متعلقين به ويطمئنون بوجوده "

رنة خرزة ارتطمت بخرزة اخرى في مسبحة تحملها يد محمد ..

رنة اظهرت توترا وبعض التشنج ..

بعدها ... توقفت اصابع محمد عن التسبيح وخيالاته تصور له فاطمة بجسدها الشديد الرقة تغمر نفسها في صدر ماهر .. تبكي على كتفه بينما تطوقانها ذراعيه ...

ليست المرة الاولى ولن تكون الاخيرة ...

وهو لم يتقبل هذا يوما ..

ولن يتقبله ابدا ...

وكل يوم تفاجئه فاطمة بمزيد مما لايتقبله منها على الاطلاق ...

الفتاة الشقراء التي عرفها لاول مرة وهي في الثانية عشرة لم تعد هي نفسها ..

وقلبها ..

اه من قلبها الذي لايعرف استقرارا ...!

" ايها الفتى .. اين سرحت ؟!"

تلاشى الخيال النحيل امام ناظري محمود بينما يرد على خاله بصوت يخفي الكثير

" لم اسرح .. تصورت ان ماهر غادر البيت للتو "

ابتسامة جانبية صغيرة تراقصت على فم آسر الغازي بينما يرفع حاجبا واحدا وهو يقول بمشاكسة لم يستطع ان مقاومتها

" لم اعرفك هائما في ابن خالك هكذا يا فتى ! امممممممم .. اتخيلك ما زلت عند الشباك تناظر .. الطريق .. بحثا عن طيف .. ضال .. ام ربما انا مخطئ ؟"

توترت يد محمود حول هاتفه النقال عندما عاود خيال تلك (الصبيانية) يتراءى له من خلف تلك الستائر الشفافة اللعينة للشباك المقابل ...

زينب ... العابسة دوما ... الرافضة لكل شيء واي شيء .. لايفهمها وتقتله فضولا ورغبة لفهمها ...!

ترفض بشموخ وترفع اي اشارة لانتمائها للطبقة الراقية ..

كما ترفض بعنف كل اشارة لماض قديم حيث كانت تعيش في حي فقير ...

تنهد محمود رغما عنه ..

تنهيدة وصلت لمسامع خاله مما جعل عينا آسر تلتمعان بمكر مستمتع فسأل بسلاسة

" واين اخاك ؟هل يراقب من الشباك هو الاخر ؟"

احمر وجه محمود وهو يرد ببعض الاندفاع الخشن المرتبك

" محمد لايفارق سجادة الصلاة .. اشعر بالضيق والملل من جو الصمت الحزين المخيم هنا ... اتمنى لو افعل امرا يثير الزوابع في هذا السكون ..."

فيرد آسر ممعنا في مشاكسته

" لم يجبرك احد على البقاء في بيت ماهر (الساكن) .. نجلاء كانت كفيلة بأن تهتم بالفتيات "

فتح محمود فمه ليرد بتهور كعادته عندما اضاف آسر بنبرة متلاعبة

" لا انت ولا اخوك الذي يدعي الآن انه لايفارق سجادته حزنا كنتما مجبرين .. لكنه خياركما .. فتحملا دون شكوى يا من تحملان دماء الغوازي "

رد محمود هذه المرة بعنفوان

" انا من آل الناجي ..."

اتسعت ابتسامة آسر وهو يقول

" تحمل الاسم في الهوية وتفضحك عيناك بهوية اخرى ..."

تمتم محمود ببعض العتب

" خالي ؟ .."

تجاهل آسر اعتراضه ليقول بنبرة ثابته

" اعطني محمد لاكلمه ..."

بعبوس شديد يخفي ارتباكا وتشوشا نادى محمود على توأمه ..

حالما تكلم محمد عبر الهاتف قال له آسر بجدية

" تفرغ لاخيك قليلا ولا تدعه ينشغل منفردا بافكاره .. انه نزق متضجر .. وربما سيُتحفنا كعادته بتصرف طائش متهور ونحن في هذا الظرف الصعب .."

تمتم محمد وهو يناظر توأمه الذي لايستقر في موضعه " لاتقلق خالي .. انا معه .."

بنبرة متسلية خافته رد آسر

" ربما يجب ان اقلق لانك معه هناك...؟ "

اسبل محمد اهدابه فتختفي خضرة عينيه خلفها ليقول بثبات يثير اعجاب واهتمام آسر على حد السواء

" ربما يحق لك القلق في ظروف اخرى خالي.."

في انارة خافتة في غرفة مكتبه الفخمة يتأرجح آسر بكرسيه الجلدي تداعب رأسه افكار خاصة عن توأميّ صغيرته نجلاء..

ما زالا يافعين لم يتعديا الحادية والعشرين لكنهما يثيران اهتمامه ويراقبهما بتمهل وعن بعد ..

مراقبتهما تسليه وتبعث في نفسه استرخاء لذيذا خاصة وهو يراهما يسيران في طريقين متوازيين يثير في نفسيهما الكثير من التساؤلات ...

حادت عينا آسر نحو صورة ضخمة معلقة على الحائط تضم كل من يهمه في هذه الدنيا ..

صورة لم يمض عليها الا بضعة أشهر ...

عيناه تركزتا على الفتاتين ..

اختيّ صفية.. زينب وفاطمة ..

زينب التي قصت شعرها الطويل في تمرد جديد عشوائي منها عدا ملابسها المخزية المثيرة للنفور احيانا ...





و فاطمة الشديدة النعومة وربما نعومتها

اكثر مما يجب ... فتجذب اليها وتنجذب !

الناعمة جدا انهت خطبتها العاطفية

السريعة.. سريعا!

الفتاتان دخلتا حلقة اهتمامه الخاص منذ

ابدى التوأمان اهتماما ملفتا بهما ..

تمتم آسر وعيناه تلمعان بافكاره الخاصة

" الكبرى حائرة في انتمائها...

والصغرى حائرة في .... قلبها ...! "

الفصل الاول

بعد شهرين ..

راقبت نهى ولدها ماهر يغادر بسيارته عبر بوابة بيت آل الغازي الكبير ..

ماهر - كعادته - يقوم بما يفترض ومتوقع منه .. يزورها كل صباح .. يعتني بسؤاله عنها وينصت بصبر واهتمام لأي شكوى منها ثم يبتسم ويبتدع سحرا خاصا به فيجعل كل الامور المعقدة ايسر وابسط !

هذا ماهر في ظاهره معها .. لكن..

ماذا عن دواخله ؟!

بمرور السنوات فتاها الصغير يزداد غموضا فلم تعد تعرف بماذا وكيف يفكر ...

لقد رفض مرة اخرى تلبية دعوتها لعشاء عائلي مع صفية واخوتها ...

يتحجج ...! .. في كل مرة يتحجج بكلمات غامضة مبهمة لاتحمل اي مشاعر واضحة..

مرة ان صفية ما زالت تعيش الحداد ولاتكاد تغادر البيت ومرة ان الفتاتين ليستا بوضع عاطفي متزن .. ومرة ان طه يحتاج لمساحة من الخصوصية بعيدا عن اهتمامات العائلة ليستوعب خسارته لامه ...

حسن .. هل ماهر لايعلم ام يدعي انه لايعلم بأن طه تقريبا كل يوم مع نادية ؟!

ارخت نهى يدها لتعيد الستارة لمكانها بينما تتحرك باناقة خطواتها المعهودة تكتم في داخلها شعورا من الضيق ممزوجا بشعور اقوى من الذنب الخالص !

شعور عجيب وغير متوقع بقوته تكنه ناحية امرأة كانت تعتبرها دوما دخيلة مفروضة عليها.. وفجأة .. هذه الدخيلة غادرتهم الى غير رجعة .. تاركة خلفها فراغا غريبا !

في حركة ارتباك ترفع اناملها لتربت على شعرها العسلي وقد ربطته للخلف بتصفيفة منحتها هيئة اكثر رقة وهشاشة فلاءمت بشكل كبير الان نظراتها التي تفيض بالضعف والعجز عن تصحيح ما لايمكن تصحيحه ...!

توقفت قدماها امام المرآة الضخمة المزخرفة الاطار والتي تأخذ حيزا واسعا من عرض الحائط حيث ترافق المرآة منضدة مرمرية تناسبها بزخرفتها ومثبته على الحائط اسفل المرآة مباشرة فتعطي اناقة تليق بفخامة المكان ..

عينا نهى تثبتتا على الهاتف الذهبي تحديدا دون باقي الخزفيات الموضوعة على السطح المرمري فتحدق ببعض العبوس وقد انتابتها حالة تمرد وقتي على اوامر ماهر (المشددة) التي غلفها بهيئة باهتة من (الرجاء) ...

لكنها كانت اوامر في جوهرها تنص على ان لاتحاول امه الاتصال بصفية في هذه الفترة وذلك (لصالح الجميع) كما عبر بلسانه ..

تقدمت نهى خطوة واحدة تمد يدها لترفع في لحظة سماعة الهاتف تضعها على اذنها بينما ترتفع يدها الاخرى في محاولة للضغط على الازرار ...

لكن اناملها تتردد بين حركة اقدام وتراجع .. لتختار في النهاية ان .. تتراجع..

صوت ضحكات تعرفها قادمة من غرفة الجلوس العائلية ..

انها سلسبيل تلاعب آسر الصغير ..

اعادت سماعة الهاتف لمكانها وهي تتجه متنهدة ناحية غرفة الجلوس ..

عند باب الغرفة تطلعت ببعض الاحباط لكنّتها الاولى ...

ترتدي ثوبا بوهيميا لايمكن وصفه الا بثوب بالٍ تطلخت الوانه الفجة على خلفية بيضاء فبدى الفستان القصير نسبيا والواسع جدا وكأنه قطعة قماش رماها رسام فاشل ارضا لتلتقطها المجنونة سلسبيل وتخيطها لنفسها في فستان مريع !

وما زاد الامر سوءا بطنها الكبيرة الثقيلة بحمل توأمين توشك على ولادتهما ..



ابتسمت نهى عفويا وهي ترى وجه اسر الصغير الضاحك وهو يطل من مخبئه خلف احدى الارائك بينما امه تلملم اطراف فستانها المريع تحت بطنها الكبيرة تدعي انها لاتراه وتبحث عنه بضراوة حتى تلتهمه التهاما كحبة فراولة ..

اسر الصغير ..يشبه مهدي الى حد كبير في صغره..

دوما تخيلت نهى انها ستكون لحظة مرعبة عندما تحصل على لقب (جدة) ..

لكن شعورا عاطفيا عارما داهمها حالما حملت حفيدها الاول بين ذراعيها لاول مرة بعد ولادته مباشرة وهمسات شاهر تداعب اذنها بالقول الهامس

(" انه يشبهك ومن يراكما يظنه ولدك انت يا قارور العسل ")

كانت ممتنة له لهمسه بجملة كهذه تعرف اسبابها ودوافعها ..

شاهر دوما رقيق مع عاطفة المرأة ويتفهم احتياج انوثتها للدعم ..

" هل انت بخير خالتي ؟"

اجفلت نهى قليلا وهي ترى سلسبيل بشعرها المشعث من اللعب مع صغيرها الذي التصق بساقيها المكشوفتين تنهت بينما تحدق فيها بنظرة ذكاء اكثر منها تفهم !

كم تشبه والدها آسر الغازي ..

دوما ظنت ان سلسلبيل نسخة من امها نادية ببساطة متطلباتها واهتماماتها وعشقها المخيف للسباحة في البحر لكن بعد معاشرتها خلال السنوات القليلة الماضية ادركت نهى ان هذه الفتاة التي لاتهتم بنوعية ملابسها في العادة كما لا تعير ادنى اهتمام للاوساط الراقية .. ما هي الا النسخة الاوضح انعكاسا لروح ابيها المتحايلة لتحصل على ما تريد والمتمردة على كل ما هو مألوف في وسطهم فتضرب بعرض الحائط اي انتقادات بل وتتحداها لتحقق ما يسعدها فقط ...

لقد صفعت سلسبيل تلك الاوساط باختيارها لمجال العمل ..

الكل كان يتوقع انضمامها لمجموعة (الغازي – الناجي) العملاقة حال تخرجها من الجامعة ، لكنها وبكل بساطة رفضت وفاجأت الجميع بافتتاحها مع صديقة لها من الجامعة محلا متواضعا في سوق شبه شعبي لبيع الاكسسوارات الرخيصة الملونة والمصنوعة يدويا!

حتى ان سلسلبيل بنفسها تشارك بصنع بعض القطع..

وما يغيظ نهى ان مهدي يتركها تفعل كل ما تريد ولايعارضها الا بموضوع ذهابها وايابها بمفردها لذلك السوق واجبرها على القبول بوضع حراسة خاصة..

" خالتي ان كان حديث ماهر ما يجعلك ساهمة هكذا فخذي برأيي ولاتفكري كثيرا .. احيانا بعض الامور تحتاج ان نتركها ونتقبلها كما هي لتمر بسلاسة .. "

نظرت في عيني الفتاة فادركت انه تعليق مزدوج المعنى ثنائي الاتجاه ..

ابنة آسر بامتياز ......

تحصل على ما تريد بطريقة متلاعبة ..

كما اقنعت الجميع انها اختارت اسم (آسر) لولدها الاول لانها تركت اسم (شاهر) لابن ماهر وصفية المرتقب في يوم ما ...

ردت نهى بهدوء ارستقراطي تلجأ اليه عندما تشعر بحاجة للاختباء من نقاط ضعفها

" احترم رغبة ماهر لكن الا ترين ان صفية تكاد تقاطعني تماما منذ وفاة والدتها ؟ الا ترين انها تحتاج لنوع من المواجهة ؟ ان اواجهها انا بنفسي واعبر لها عن محبتي وتأثري الحقيقي بوفاة والدتها ومساندتي لها ولاخوتها ؟ "



بنظرات مبهمة ظلت سلسبيل تحدق في خالتها نهى بينما الصغير آسر ابتدأ باظهار تضجره ورغبته بالعودة للعب وهو يجرجر بطارف فستان امه القصير ...

لامست سلسبيل رأس صغيرها تلاعب خصلات شعره العسلية بينما عيناها ما تزالان تواجهان حماتها لتقول اخيرا بملامح جدية اوحت لنهى انها لن تسمع ما يعجبها

" قد يصمت عمي شاهر ويكتفي مهدي باعطائك نظرة مشجعة هادئة ويدعي ماهر انه لايسمع محاولاتك المفاجئة للتقرب لكن انا ... ساخبرك بالحقائق كما هي .. اعتقد يجب ان نواجهها كما نريد لصفية ان تواجه خسارتها لامها .."

اتسعت عينا نهى في ترقب جذر بينما تضيف سلسبيل بنبرة باردة اكثر جدية

" الحقائق يا خالتي تقول .. ان لن تجد محاولاتك الآن صدى وقبولا لدى صفية .. لانك باختصار لم تحبيها يوما ولم تحبي امها ولا اختيها ولا اخاها طه .. كلنا نعرف هذا.. لم تحبيهم ولم تتقبلي وجودهم في العائلة حتى بعد ست سنوات من ارتباط ماهر بصفية .. لذلك لاتجبري نفسك عل اعطاء مشاعر لاتشعرينها حقا "

ابتلعت نهى ريقها بصعوبة وهي تشعر بضيق شديد لترد على كنتها بالقول المتوتر " انا لست شريرة يا سلسبيل ولم احب اسلوبك في الكلام معي الآن.."

ردت سلسبيل بابتسامة معتذرة بدت لنهى غير صادقة

" اعتذر خالتي انا لم اقصد الاساءة اليك بالعكس .. صدقيني انا افهمك اكثر مما تظنين .. واقدر انك كأم كنت تتمنين لماهر نسبا مختلفا يليق به من وجهة نظرك .. ولم تستطيعي تغيير شعورك هذا حتى الآن ... وصفية ايضا تفهم مشاعرك وتعرف عن يقين انك لم تغيريها نحوها ، لذلك اي محاولة منك الان لاظهار عكس ما تشعرين به سيؤدي لانفجارات عاطفية من جهة صفية .. انفجارات قد لانستطيع التعامل معها او تدارك عواقبها.."

زمت نهى شفتيها وتصلب فكاها بتوتر متزايد فحاولت سلسبيل تخفيف وطأة الكلام بالقول

" ستمر الامور خالتي .. لكن فقط دعيها تمر كما يريدها ماهر .. ستهدأ جراح الفقد في قلب صفية وربما عندها .. ربما فقط .. قد تبدآن بعلاقة اكثر قربا .. لاجل ماهر على الاقل خاصة وهي ستنجب طفله الاول بعد اشهر قليلة .."

كان هذا اقصى ما يمكن لسلسبيل قوله لتدير وجهها نحو الاسفل وهي تبتسم لوجه صغيرها وتقول ببشاشة

" تعال آسري.. لنتسابق حتى الدرج .."

هرولت سلسبيل دون اكتراث لحمل بطنها الكبيرة لتغادر غرفة الجلوس مع صغيرها الضاحك بينما نهى تقف مكانها تبحث عن مخرج لنفسها من هذا الشعور البغيض الذي يكتنفها رغما عن قناعات العقل التي تأبى التغير !

اجل .. تعترف ... هي لاتطيق صفية حتى بعد هذه السنوات .. لاتطيق انها زوجة لشاب مميز بل شديد التميز كماهر .. لاتطيق عائلتها ولا خلفيتهم الشعبية التي ما زالت تحكم ميولهم وتصرفاتهم وطريقة كلامهم ..

لكن .. هذا لايمنع انها تتعاطف معهم ..

لايمنع انها تشعر حقا بالأسى لخسارتهم ..

لايمنع انها تشعر بالذنب لانها عاملت والدة صفية ببعض التعالي والجفاء ..

المرأة ماتت فجأة وها هي نهى تشعر بالذنب نحوها .. وتشعر انها تحتاج ان تفعل شيئا لاسترضاء ضميرها الذي يؤنبها ..

انها لاتريد ان تتسبب بالمشاكل لماهر ..

لكن في نفس الوقت تريد ان تفعل اي شيء ليخفف عنها وطأة هذه المشاعر الخانقة ..

يا الهي لم تشعر يوما بالذنب ناحية انسان كما شعرت ناحية ام صفية بعد وفاتها ..



بعد هذا الصراع الداخلي رفعت نهى وجهها بملامحه الانثوية المميزة بينما تتمتم

" سلسبيل على حق .. يجب ان اترك الامور تسير كما يريدها ماهر .. لكن .. ليس لوقت طويل .."

في بيت بلال الناجي ..

بتعابير متوترة وتورد خجل كانت زينب تقاوم يد نجلاء التي تأسر معصمها وتجرها جرا خلفها لتدخلها رغما عنه عبر الباب الرئيسي لبيت بلال الناجي ...

اخذت زينب تعترض

" لا داعي خالتي .. كنت اشعر بالضيق فخرجت للتمشي في شوارع الحي .."

لكن نجلاء لم تأبه لاعتراضاتها بينما تواصل سحبها حتى المطبخ وهي تقول بحزم امومي غاضب

" لاتخرجي وحدك مرة اخرى وانت بهذه الحالة .. كادت السيارة ان تدهسك امام ناظري وانت تهيمين على وجهك ولا تنتبهين اثناء عبورك الشارع ..."

اغمضت زينب عينيها تحتمل انعصار قلبها وهي تفكر كيف كان شعور امها وسيارة بسائق مخمور ارعن يدهسها ...

تمتمت بوجع وجسدها يختض للفكرة المروعة التي لاتفارق حتى احلامها

" ساعود للبيت خالتي نجلاء.. أأأ ... اعدك اني ساعود .. مباشرة وسأنتبه للطريق "

التفتت اليها نجلاء فتكتم احساس الألم الذي انتقل اليها من هذه الصغيرة لتقول بادعاء الحزم هذه المرة

" هذا ايضا (بيت) تعودين اليه .. فلا تعانديني يا فتاة "

ادارت زينب وجهها جانبا تخفي عن عيني خالتها نجلاء دموعا تعصر قلبها كما تعصر جفنيها ...

تنهدت نجلاء وهي تُجلس زينب على احد كراسي المطبخ فتناظر رأس زينب بنظرات غير راضية !

تطالع خصل شعرها القصيرة جدا فتطلق تنهيدة حسرة على الشعر البني الطويل الذي ضاع في لحظة مجنونة قررت فيها هذه الفتاة قصه كالاولاد ...

تمتمت نجلاء مضيفة بغيظ

" مع انك بشعرك الصبياني هذا عار على جنس الفتيات !"

احمرت زينب وهي ترفع وجهها لترد بعنفوان

" انا احبه هكذا .. لايهمني جنس الفتيات ماذا يحببن .."

كزّت نجلاء على اسنانها وهي تطالع عيني زينب الواسعتين فتقول من بين اسنانها المطبقة

" اخخخخخخخخ منكما يا اختا صفية .."

ثم تركتها وابتعدت وهي تخلع الحجاب عن رأسها وتفتح البراد لتخرج قنينة الحليب وتصب بعضا منه في كأس زجاجي شفاف ..

قدمته لزينب وهي تقول لها بنبرة أمر لايقبل التفاوض

" اشربي هذا .. انت تحبينه فلا تنكري امامي لتزيدي غيظي "

عقدت زينب حاجبيها بتمرد وفتحت فمها لتسارع نجلاء لوضع اصبعها على فم الفتاة وهي تقول بحنان دافئ

" اشربيه حبيبتي .. سأذهب لاغير ملابسي واعود اليك لنتسامر بالكلام .. اشعر بالملل هنا وحدي واحتاج لصحبة فتاة حيوية مثلك .."

عضت زينب شفتها السفلى وهي تحني رأسها تهربا .. فتسقط خصلة قصيرة من شعرها على جبينها ..

تأسفت نجلاء لحال الفتاة ومقاومتها الشرسة لكل من يقترب منها ويؤثر في مشاعرها..

ربتت على كتفها وتركتها وحيدة في جلستها المنحنية هذه بينما تحركت نجلاء بخطواتها عبر باب المطبخ متوجهة ناحية السلم ...

بعد دقائق هبط محمود درجات السلم وهو يبتسم بجذل يملؤه غرور يافع بينما يطرب اذنيه صوت فتاته الجديدة دلال التي تتفنن في ارضائه ..

واخر ما فعلته لاجله انها غيرت لون شعرها الكستنائي للون الاشقر ...

بدت خلابة حقا باللون الاشقر ..

كم يحب الفتيات الشقراوات ..

ضحك بخفوت عند اخر درجة من السلم وهو يهمس لها ببحة رجولية يعرف تأثيرها على الفتيات

" هل ساراك اليوم ؟"

فابدت دلال ميوعة لم تخفي تأثرها به وهي تقول

" اذا شئت انت .."

عاد ليضحك وهو يقول لها

" اراك بعد ساعة في النادي .."

اغلق الهاتف وهو ما يزال منشرحا بالحديث الشيق الذي تبادله مع دلال ...

الفتاة حقا تعجبه ..

تحرك ناحية المطبخ بخطوات متمهلة متبخترة لتنحسر ابتسامته شيئا فشيئا وهو يلمح ذاك الرأس العنيد بالشعر الصبياني !

كل خلية بجسده دخلت في حالة استنفارات قصوى ..

قدماه اللتان كانتا تتبختران قبل لحظات حثتا خطاها بعزم وتلهف للوصول اليها ..

عند باب المطبخ اجبر قدميه على التوقف.. فتنحنح قليلا قبل يتحرك بسلاسة مدروسة وهو يقول بلا مبالاة ظاهرية

" مرحبا زينب .."

انتفضت زينب كالمسعورة لتواجهه بتحفز يشع نفورا منه ! شد على فكيه وسرعان ما افلت لسانه بالحماقات

" لوهلة ظننتك شابا غريبا في المطبخ ! "

احمق احمق احمق ...

هذا ما كان يردده في نفسه حالما افلتت منه تلك العبارة السمجة الدنيئة ..

انه ليس دنيئا ولا لئيما لكن هذه الفتاة منذ التقاها تجعله يجن ويفقد زمام اعصابه فيلجأ لاغاظتها بأي شيء يخطر بباله ...

اقتربت منه تتحداه بعينيها لتقول بهمس مشحون لاهث

" لولا اني في بيتك يا محمود لكنت رأيت مني ما لايعجبك .."

شعر بالغضب يتأجج في داخله ..

لم يكن بسبب ما قالت .. لم يكن بسبب قصة شعرها المريعة .. ولم يكن بسبب اي شيء احمق ومنطقي !

انه فقط يشعر بالغضب منها ...

هدر فيها دون وعيه

" كونك في حالة حزن على والدتك ليس تصريحا حكوميا يجبر الاخرين على منحك معاملة خاصة "

ارتفعت امواج الغضب في عينيها وقبل ان يتآكله مزيدا من الندم حركت ذراعها لتضرب بكفها كأسا من الحليب كان امامها على المائدة ..

وقع الكأس بعنف على ارضية المطبخ فتكسر وتناثرت في كل جهة شظاياه الزجاجية الشفافة مع محتواه من الحليب ...

تمتم بذهول وهمس متحشرج يفيض ندما

" زينب .. انا .. آســ..."

لكنها صرخت فيه بجنون وبكلمات لم يفهم منها شيئا ثم تركته لتخرج راكضة تسابق الريح خطواتها ...

مرت لحظات حتى استوعب ما حصل

ليركض خلفها بينما يسمع صوت امها تهبط

درجات السلم وهي تناديهما بقلق ...

لم يلتفت لامه بينما يواصل ملاحقته

للمجنونة التي تثير جنونه وبينما يرى من

بعيد زينب تغادر بوابة البيت الخارجية

كان محمد يدخل بسيارته فيركض

محمود ناحيته ويفتح الباب المجاور للسيارة

ومحمد يتساءل بعجب

" ماذا يحصل ؟ لماذا زينب تخرج راكضة

هكذا ؟"

رد محمود وهو يلهث من شدة انفعاله

" فقط تحرك والحق بها ..."

بعد ما يقارب الساعة ...

قال محمود بنزق وهو يتلفت يمينا وشمالا

" اين ذهبت ؟ اين ؟!"

ثم استدار ناحية محمد ليلومه دون وجه

حق " كيف اضعت سيارة الاجرة التي

كانت تستقلها تلك المجنونة ؟"

بنظرة جانبية رد محمد بهدوء

" يبدو انك نسيت اني اضعت السيارة لانك

كنت تشتتني في كل الاتجاهات "

سحق محمود فكيه فوق بعضهما البعض

وهو يضرب بقبضته على حافة الباب ..

سأله محمد بنفس الهدوء

" هلا اخبرتني بما قلته لها حقيقة لتثير غضبها لهذه الدرجة ؟"

رد محمود وهو يدير وجهه جانبا

" لقد سمعتَ حواري مع امي قبل قليل عبر الهاتف .. فلا داعي لأكرر لك ايضا .."

ابتسامة صغيرة لاحت على شفتيّ محمد قبل ان يقول " صحيح ان زينب مجنونة لكنها ليست مجنونة الى درجة تغضب وتوقع كأس الحليب ارضا بعنف لمجرد انك مازحتها ببراءة حول تسريحة شعرها"

تأفف محمود ولم يرد على اخيه ثم فجأة تحفز واخذ يصرخ بحماسة

" ها هي .. ها هي .. انها تتجه ناحية البحر.. ألحق بها محمد .. اياك ان تفقد اثرها .."

عند البحر والشمس تقترب من المغيب ... صوت موجة تلحقها موجة تصل اذنيها عبر خصل شعرها المتطايرة ...

برد الشتاء اقترب ونسائم البحر تستلذ بتسللها القاهر حتى العظام فتعتصرها...

وعلى هذا الشاطئ المهجور تجلس وحيدة تضم ساقيها لصدرها تخفي شفتيها المرتعشتين خلف ركبتيها ..

لاتفعل شيئا منذ جلوسها هنا الا ان تحدق في الرمال فتلمع عيناها الخضراوتان كحجرين كريمين ...

سواد الحداد لا ءمها وابرز جمال ألوانها الطبيعية التي حباها اللّه بها .. بدت مشرقة بشكل سافر يتنافر مع حالة الذهول الحزين التي تسيطر عليها ..

فجأة .. صوت ضحكات تردد صداها في اذنيها.. رفعت وجهها بعنف المفاجئة تحرك رأسها يمينا وشمالا تبحث بعينيها عن صورة محددة فبهتت الاصوات وهفتت دعابات الفرح وضحكات خالية البال قادمة من ماض يبدو بعيدا الان ...

تمتمت فاطمة بحشرجة والدموع تتسلل لعينيها

" لا احد ... انت وحدك هنا يا فاطمة .. انها خيالاتك فقط عن ماض ولى وانتهى .. عن اب رحل باكرا وام لحقته سريعا و ... فجأة و.... دون وداع ... "

سالت الدموع فاغمضت فاطمة عينيها تعود لتلك الذكريات على البحر ..

ذكريات نسيتها خلال السنوات الاخيرة الفائته وهي تدخل عالما جديدا مبهرا ...

عالم آل الغازي ...

وكأنها رحلة من ألف ليلة وليلة كما كان والدهم يرويها لهم ...

رحلة مسحورة .. مبهرة .. حيث تتحقق كل الاماني بفرقعة اصبع !

تتحقق فتخدعك وتنسيك ... من انت...

وما انت .. !

تنسيك انك مجرد مخلوق ضئيل امام جبروت الخالق ...

مجرد ... بشر ضعيف... تستهويه بهرجات الدنيا خاصة وانك كنت محروما حتى من الحلم بمثيلاتها ...

لقد كانت كعلاء الدين الذي اجبر على دخول المغارة المسحورة ليحضر الفانوس فصعقته رؤية الياقوت والذهب والمرجان ..

اذهلت عقله .. بهرت بصيرته.. الى درجة نسي كل شيء تركه خلفه قبل ان تطأ قدماه المكان وتاه في تلك المغارة التي تخطف العقول مع الابصار ولم يعد يذكر من تاريخه السابق شيء !

بعزم وتمرد فتحت فاطمة عينيها على وسعهما ثم رفعت يدها لتمسح دموعها بارتعاش حنق مجهول ...

ثم .. وبنفس العزم والتمرد انحنت بجذعها اكثر وهي تمد كلتي يديها نحو كاحليها لتبدأ بكفكفة حافة بنطالها الاسود وترفعه في طيات حتى ما فوق ركبتيها ..

كانت تلهث ..!

لم يكن لهاث تعب وانما لهاث حنق وتمرد وقد حزمت امرها لتخرج بذاكرتها من عمق مغارة الحاضر فتعود لماض تركته ونسيته وربما تناسته عند باب تلك المغارة ...

ما ان انهت ما تفعله حتى هبّت بجذعها لتستقيم بجسدها على ركبتيها !

عبّت من نسيم البحر البارد رئتيها شعرها اخذ يتطاير اكثر واكثر وكأنه تأهب لتأهب حواسها ..

وفي لحظة تخيلت زينب بجانبها وقد كفكفت هي الاخرى بنطالها وابتدأ السباق ...

تضحك وتبكي وهي تسابق زينب في مخيلتها بينما تتحرك على ركبتيها باقصى سرعة تقدر عليها والرمال تنتثر على ساقيها المكشوفين وتغمر ركبتيها العاريتين ...

صوت زينب يغيظها وهو يعلو بالسخرية من ضعفها البدني وضآلة حجمها التي لاتساعدها لمنحها بعض امتيازات القوة الجسدية بينما تعلو صوت ضحكات والدهما ثم امهما وهي تنادي ان تتوقفا خوفا عليهما من وجود بقايا زجاج مكسور رماها احد المهملين على شاطئ البحر فتجرحهما ...



اما صفية المراهقة فتشجعهما بحماسة شديدة وهي تحمل بين ذراعيها اخاهم الرضيع طه...

انهارت فاطمة وهي تنحني بجذعها للامام مستندة على الرمال بكفيها ...

انفاسها تشق صدرها كما تشق الدموع خديها ...

تجهش في بكاء مرير لاتعرف هل هو حزن على امها ام حزن على ذكريات نسيتها ..

" فاطمة ..."

انحسر ت عوالم الحزن وتهدمت جدران عزلتها بينما يخترقها صوته الرجولي المبحوح بعاطفة صاحبه ....

رفعت رأسها لتقف على قدميها بحركة واحدة يشوبها العنف جعل خصلات شعرها تتناثر بحركة هجومية حولها لتقول بنبرة مختنقة تفيض غضبا

" ماذا تفعل هنا يا خالد ..؟ "

اقترب خالد وداخله يغلي بالشوق كما يغلي بالعشق لهذه الصغيرة التي احكمت سيطرتها على قلبه مذ رآها لاول مرة وهي عائدة من مدرستها مشيا على الاقدام مع اختها زينب ...

همس وجسده يكاد يلمس جسدها

" ما زلت تتألمين لفراق والدتك.. اليس كذلك حبيبتي ؟ "



تسيطر عليها طاقات الغضب وقودها حزن لفقد الكثير مما لاتستطيع حتى تفسيره وتحديده ... هدرت " ارحل خالد ..."

لم يتحرك قيد انملة بل تسارعت انفاسه وهو يهمس بحرقة

" دعيني أكون بجانبك .. انا خطيبك .."

تحركت يداه بارتعاش لتحاوطا ساعديها فنفرت منه بعنف لتنفضهما عنها وهي تصرخ في وجهه بقسوة غريبة عنها

" انت ... (لم تعد) ..."

اشتعلت عينا خالد بجنون الغيرة .. غيرة حمقاء متهورة كانت السبب بفقدانه لها ..

صرخ بها هو الآخر معاودا امساك ساعديها باصرار وتشبث

" لولا ماهر الغازي لكنتُ .. (ما زلت) .."

هذه المرة لم تبعد كفيه القاسيتين بل ردت عليه ببرود صاعق تنغزه بكل كلمة

" لولا ماهر ... لما كان هناك خطبة بيننا من الاساس .. انت تعرف عن يقين انه هو من اقنع اختي صفية لقبول خطبة مبدئية بيننا .. لكنك تواصل نكران هذا بجحود لايضاهى "

اتسعت عينا خالد البنيتان .. تملء نظراته الغيرة وكثير من الشكوك التي قتلته وما زالت تقتله .. !

قربها منه وهو يهمس بوحشية من بين اسنانه " جحود؟! تقولين جحود يا فاطمة ؟ انا لم اكن بحاجة اليه ولتدخله .. لقد حشر انفه عنوة ليظهر امامك انه هو من اقنع اختك الكبرى بقبول الخطبة .. خطبة كان هو ايضا من سارع لانهائها بنفسه .. انه ماكر ...مخادع ...حقير ... والكل يعرف باساليبه المتخفية الملتوية الشبيهة باساليب عمه الثعلب العجوز .."

اصابعه كانت تنغرز عميقا في ساعديها دون ان يشعر بينما فاطمة تتخبط بين أسر ذراعيه وهي تهدر بالقول " لاتتكلم هكذا عن ماهر وعمي آسر .. اياك ان تمس ايا من اهلي بحقد كلماتك "

اخذ يهزها بعنف هادرا هو الاخر

" انهم ليسوا اهلك ولايرتبطون معك بصلة دم ... متى ستفهمين هذا ؟"

تخبطها ازداد عنفا وهستيرية وهي تصرخ بـ(لا) ... خصل شعرها تتحرك بعنف حركات جسدها فتجلد وجهه بسوط نعومتها وعبق عطرها المألوف لديه فيهتاج الشوق والحنين اكثر واكثر ليتأوه وهو يقترب بشفتيه من خدها هامسا

" تعالي معي حبيبتي .. تعاااالي .. سنتزوج واخذك معي لانكلترا حيث اكمل دراستي العليا بينما تدخلين هناك ارقى الجامعات .. "



التفت ذراعاه حول جسدها يضمها اليه عنوة يعتصرها بارتعاش وقد اخذه الوله فلم يع انها تدفعه بكل قوتها بينما يهمس قرب اذنها " سأعتني بك .. سأحبك .. آآآآه كم احبك فاطمتي..."

صراخها علا " دعني .. اتركني ..."

ضربة موجعة على رأس خالد من الخلف جعلته يوشك على فقدان توازنه ..

ثم عاجلته ضربات متتالية عشوائية على رأسه وكتفيه تصاحبها صرخات عنيفة بالشتائم أصمّت اذنيه !

وبينما يناضل ليحافظ على توازنه دون ان يفلت فاطمة الثائرة من تطويقه التفت برأسه ليتعرف على مهاجمه .. او .. مهاجمته!

رأى وجه اختها زينب بتعابير شرسة مقاتلة وقبل ان ينطق بحرف كانت زينب تعاجله بضربة جديدة منتصف وجهه وهي تصرخ فيه " اترك اختي ايها النذل !! "

قبل دقائق .....

بدأ الصداع يتسلل لرأس محمد بينما محمود يوتره وهو يصرخ كل بضع لحظات

" من هنا .. لا لا .. انها هناك .. ستذهب للناحية الاخرى من البحر ... آآه .. اين اختفت الان ؟!! "

زفر محمد بقوة وهو يقول مؤنبا

" لماذا لاتكف عن افعالك الحمقاء هذه؟! لقد تاهت عن ناظرينا مرة اخرى فاتركها لشأنها "

اخذ محمود يضرب بقوة على حافة الباب وهو يصرخ بحنق

" مزعجة ولاتطاق .."

ارتفع حاجبا محمد ليتساءل بتندر

" ما دامت مزعجة فلم تواصل ازعاج نفسك بأمرها ؟!"

هدر محمود مغتاظا " لاتبدأ يا محمد ! "

حرك محمد رأسه يمينا وشمالا وكأنه يقول (لافائدة منك) ثم أدار مقود السيارة وهو يقول

" سنلف لفتين فقط ونعود ادراجنا ..."

عاود محمود صراخه الفجائي

" ها هي ... وجدتها .. لقد ترجلت من سيارة الاجرة ... يا الهي ! المجنونة انها تعبر السور كأي صبي احمق! "

اوقف محمد السيارة على الطريق المطل على البحر ليقول لمحمود المتأهب للنزول حتى يلحق بزينب " دعها وشأنها محمود .. مؤكد تريد الاختلاء بنفسها "



لكن محمود لم يستجب لأخيه فيترجل محمد هو الاخر لاحقا بزينب التي اختفت تماما خلف السور الذي يؤدي لانحدار طويل حتى شاطئ البحر ..

عبر محمود السور يلحقه محمد لتتوقف خطوات الشقيقين بينما يتمتم محمود بعبوس " اليست تلك ... توته ؟ ومعها .. خالد !! "

برقت عينا محمد وهو يرى زينب تهاجم خالد بقبضتيها ليقول بصوت مبحوح

" هذا السافل ... ألن يتركها وشأنها ؟"

لم يشعر الاثنان الا وهما راكضين ناحية الاشتباك الدائر امامهما ومحمود يصرخ متوعدا مهددا بينما تسبقه خطوات محمد الذي ما ان وصل المكان حتى عاجل خالد بلكمة على وجهه طرحته ارضا ...ثم ابتدأ عراك عنيف بين الاثنين على الرمال..

للحظة تسمر محمود مذهولا في مكانه وهو يرى توأمه فاقدا لسيطرته بطريقة وحشية لم يسبق ان رآه فيها ..

صرخت به زينب وهي تحاوط كتفي اختها فاطمة التي تختض في ارتعاشها

" فض العراك بينهما يا غبي ! هل ستبقى متفرجا تفتح فمك كالابله بينما هما يتقاتلان ؟"

استعاد محمود تركيزه ليسارع في فض هذا الاشتباك فيسحب اخاه محمد من فوق خالد ليقف خالد هو الآخر ويوشك العراك ان يندلع مرة اخرى والشتائم متبادلة بينهما ، حشر محمود جسده بين الشابين ليفرقهما عن بعض وهو يصرخ فيهما ان يتوقفا لانهما اثارا فزع فاطمة ..

ابتعد الاثنان عن بعض وهما لاهثين مثقلة ملابسهما باثار حبات الرمال ...

اخذ خالد يصرخ بينما محمود ما زال يقف حاجزا بينهما

" لم افعل شيئا ! كنت اكلم فاطمة فقط واطمئن عليها عندما هاجمتني تلك المجنونة اختها "

لم يشعر محمود الا وهو يلتفت ليلكم خالد على فكه ويطرحه ارضا فيستسلم الاخير لارهاق جسده مستلقيا بظهره على الرمال بعد موجات العراك المستمر هذا ..

التفت محمود ناحية اخيه فوجده يحدق في فاطمة بنظرات مبهمة لاتخلو من غضب دفين ...!

تمتم محمود وهو يكلم الفتاتين

" هيا نعد للبيت .."

هدرت زينب وهي تشد على كتفيّ اختها

" لانحتاج اليكما .... سنعود بمفردنا .."

اقترب محمود ليقول بتعقل نادر منه

" زينب ... انظري لفاطمة .. انها شاحبة وترتعش ... "

عاندت زينب لتقول بتحد

" انا سأعتني بها وحدي .."

زم محمود شفتيه قائلا وهو يشير لفاطمة

" سيغمى عليها بين ايدينا الان .. فلاتكوني عنيدة وبلهاء ! "

رفعت سبابتها وعيناها تقدحان شررا

" انت بالذات لاتتدخل ..."

وبينما الاثنان يتجادلان كانت عينا فاطمة في عيني محمد الغاضب في صمت .. لتهمس فاطمة اخيرا " زينب ...خذيني من هنا ..."

استدارت زينب مع اختها تسندها تتحركان معا بخطوات بطيئة على الرمال الناعمة ..

غادر التوأمان بصمت تاركين خالد خلفهما ينفض الرمال عنه ليغادر هو الآخر وقلبه يعده بالعودة ..

العودة لفاطمته ... فاطمته هو وحده ..

وسحقا لكل من يعتقد خلاف هذا !

ليلا ...

تتقلب زينب في سريرها ..

تأبى النوم وتأبى اطاعة روحها التي تناشدها الذهاب لاختها في غرفتها ..

كم مضى منذ اخر مرة نامتا معا على سرير واحد ؟!!

يا الهي كم سنة مرت ؟!

اربع .. خمس سنوات ؟!

كيف تغير بهما الحال هكذا ولم تعودا متقاربتين مثلما كانتا سابقا ...

منذ انتقلوا للعيش تحت كنف آل الغازي والحياة تغير وجهها باستمرار فتلبس في كل فترة وجها جديدا ..

اختها فاطمة لم تعد هي الرقيقة المبتسمة التي تبحث عن راحة الجميع ..

لقد اصبحت اقل اهتماما بالاخرين واكثر اهتماما بنفسها !

تمتمت زينب وهو تلوم ذاتها ايضا

" وماذا عنك يا زينب ؟ انشغلتِ بنفسك انت الاخرى وفضلتِ ان تعيشي في دواماتك تصارعينها وتصارعك !"

حركات خفيفة تقترب من باب غرفتها جعلت زينب تصمت وتغمض عينيها مدعية النوم ..

ربما هي صفية في عادتها الجديدة منذ وفاة والدتهم .. تحوم حولهم ليلا تطمئن عليهم.. وربما هي تبحث عن دفء الام الذي ترك هذا البيت باردا .. باردا جدا ..

صفية يقتلها الذنب .. لن تتغير .. دوما تحمل نفسها ما لاتطيق ...

اختها الكبرى صامته .. تتكلم بلسانها لكن مشاعرها واختلاجاتها الحقيقة صامته ..

فقط ماهر قادر على التعامل معها فتستكين اليه وكأنه بالنسبة لها استراحة محاربة ..

فتلتقط انفاسها في محيط قوته ثم تعود .. لتحمل راياتها الخاصة ومسؤولياتها الجسيمة التي اختارت منذ صغرها ان تتكفل بها ...

حتى طه .. العبقري الصغير ..

يلتزم صمتا مطبقا ويعتكف اغلب الاحيان في غرفته مع كتبه وابحاثه الغريبة التي لاتجد صدى واهتماما الا عند الخالة نادية التي تكاد تلازمه ..

فتحت باب غرفتها وعطر الورد الخاص يخبرها ان القادمة ليست صفية وانما .. من كانت روحها تناشدها قبل دقائق

انها من كانت يوما توأم روحها ... فاطمة ...

" زينب ..."

نادتها لكن العناد ألجم لسان زينب فلم ترد..

لتعاود فاطمة نداءها المتحشرج

" زينب .. انا .. انا .."

تقطعت الكلمات وقطّعت قلب اختها معها..

فتحت زينب عينيها وهي تهمس

" ما بك عزيزتي ؟ هل انت بخير ؟"

ردت فاطمة وشعرها المنساب على وجهها يغطي تعابير الألم ودمعات الحزن الذي يسكن القلب ...

" احتاجك .. اختي .."

ترقرقت عينا زينب بالدموع بينما ترفع بيدها الغطاء وهي تزيح جسدها للخلف وتهمس

" تعالي توته .. انا ايضا اشعر بالوحدة الليلة..."

بخطى متلهفة لدفء بعطر قديم انضمت فاطمة لاختها .. يد تتشبث بيد ..

تزفر فاطمة بعمق وكأنها تطرد عنوة اشباح توترها وتشتت مشاعرها بينما تغلق زينب عينيها وهي تضم كف اختها لصدرها فتعود بالزمن للوراء .. لبضع سنين مضت .. حين كان قلة الاسرّة نعمة كما هي نقمة..!

نعمة دفء التقارب ونقمة الفقر المدقع ..

فكان يضمها مع اختها وتوأم روحها فاطمة.. سرير متهالك واحد ... ويتحلفان بغطاء ممزق في بعض اطرافه المهترئة ...

لكن السرير والغطاء كان يكفياهما لتناما قريرتيّ العينين كما تفعلان الان ...

في الجناح الخاص بالتوأمين

يجلس متحفزا على حافة الاريكة المريحة الملونة المفضلة لديه وسط الصالة الصغيرة التي تفصل غرفته عن غرفة توأمه ..

ينظر محمود بعبوس لاخيه ولسبب مجهول يشعر بالغيظ منه !

يراه كيف يعد كوبا من الشاي في المطبخ الصغير المفتوح على الصالة فتتنقل يده بحركات سلسلة مدروسة تثير الحنق ببرودها ...



هذا البرود والصمت اسلوب توأمه الامثل حين يقرر ان يخفي انفعالاته الداخلية ، وحاليا محمود لايحتمل صمت اخيه المغيظ هذا لانه هو الاخر بحاجة لان يتكلم .. يتكلم بأي شيء ..

هبّ محمود فجأة على قدميه ليقول بحاجبين كثيفين معقودين

" ماذا يحصل معك يا محمد ؟"

ارتشف محمد قليلا من كوبه ليشير اخيه متجاهلا سؤاله

" هل ترغب ببعض الشاي الاخضر ؟ "

كز محمود على اسنانه وهو يتقدم منه ويقول باسلوب مباشر مهاجم

" كف عن ادعاء اللامبالاة .. لن تمثل هذا الدور معي .. انت غاضب بل تكاد تنفجر من شدة الغضب .. لاتنكر ان الغيرة تعذبك لرؤيتها معه ..."

اتسعت عينا محمد قليلا وتوهجت خضرتهما بالغضب الداخلي المستعر ليتمتم بتصلب

" لاتقل المزيد يا محمود .. ليس هذا اوان احدى نوبات حماقاتك الكلامية .."

ملامح محمود كستها الجدية وهو يقترب اكثر ليواجه اخاه ويقول بنبرة ثابتة

" ليس خطأ توته ان لحقها خالد على البحر.."



اختفى التوهج تماما من عيني محمد واجتاحت نظراته مشاعر غريبة وهو يرد على اخيه

" خطأها انها رضيت ان يلعب في حياتها دورا من الاساس .."

عاود محمود العبوس وتقبضت يده اليمنى كعادته عندما ينفعل في الكلام ليقول مدافعا

" لقد ظنت انها احبته .. انها ما زالت صغيرة وماهر تصرف بحكمة مع حمى العشق المؤقته التي انتابتها نحو خالد.. "

الصقيع حل فتتصلب ملامح محمد وهو يتمتم من بين اسنانه

" مؤقته ؟! هل تخدع نفسك يا محمود ؟ انها ليست المرة الاولى التي تنتابها هذه الحمى ! "

للحظة لم يفهم محمود مقصد اخيه فسأله ببعض الشك " ماذا تقصد ؟!! "

وضع محمد كوب الشاي بعنف على السطح الرخامي امامه وهو يهدر مذكرا اياه

" هل نسيت حازم ؟ ام تظن اني لااعرف لمجرد انك لم تخبرني .."

ضيق محمود عينيه وهو يتساءل بتوجس

" تقصد رفيقي في نادي الملاكمة الذي هاجر لامريكا ؟"

فرد محمد وسيطرته على مشاعره المكبوته توشك على الانفلات " ومن غيره .. ألم تصبها حمى نحوه هو الآخر ؟"

رد محمود بمراوغة متعمدة

" لاتكن ظلوما يا محمد .. في الواقع حازم هو من كان معجبا بها ولم يصارحها حتى بمشاعره .. الامر كله كان من جانبه فقط ودون ان يفصح لاحد حتى انا .."

رفع محمد ذقنه والتمعت الفطنة في عينيه ليستعيد هدوء ملامحه وهو يقول ببرود

" وانت لاتكن كاذبا محمود .. تعلم انها بادلته نفس الاعجاب وان اقتصر الامر على النظرات المتبادلة بينهما "

تضايق محمود من الحديث برمته .. لم يتكلم يوما مع احد عدا ماهر حول هذا الموضوع ..

اجل .. لقد شعر ان فاطمة تبادل حازم الاعجاب لكنها كانت صغيرة ..

فقط صغيرة وجميلة ...

فوجد محمود يعبر عما يختلج بسريرته

" لقد كانت صغيرة جدا .. في السادسة عشرة لاغير .. صغيرة لتستوعب وتتعامل مع كل هذا الاعجاب الذي يحيطها به معظم الذكور ممن يرونها ويتأثرون برقة انوثتها.."

عندها قال محمد ببرود ساخر غريب عن طبعه

" وها هي تدخل الجامعة الان ومع (رقة انوثتها) التي تصفها واعتنائها الخاص باظهار هذه (الرقة) سترى مزيدا من (خالد) و (حازم) .."

تطلع محمود لعيني محمد تصيبه الدهشة من سخرية نظراتهما فيعاتبه بالقول

" محمد .. توته لاتستحق منك هذا .."

عندها اسبل محمد اهدابه وكأنه ندم على سخافة كلماته بحق فاطمة .. لكنه مجروح .. مجروح جدا منها .. وجرحه ينزف بغزارة دون ان يشكو لاحد ..

سيحتاج ان يبتعد ليوقف ذاك النزيف ويداوي الجرح .. بل ويعالج حتى أثره حتى يختفي الى الابد.. فلا يتذكره !...

تحرك محمد ليترك موقع المطبخ الصغير متوجها لغرفته وهو يقول بهمس أجش

" تصبح على خير .. انا مرهق .."

تنهد محمود وهو يمرر يده في خصلات شعره الاسود الداكن ..

تمتم بغيظ

" ما هذا اليوم الكريه العصيب ؟!"

تحرك ليعود لاريكته يرمي بجسده فوقها يزفر وهو يحدق للاعلى في السقف الابيض اخذ يستعيد احداث هذا اليوم وهو يعبس تدريجيا .. ثم فجأة اخذ يضحك بخفة وهو يحدث نفسه

" تلك المجنونة قالت لي (ايها الغبي) .."

ارتفع صوت ضحكاته وبرزت غمازات في خديه ثم فجأة تلاشت رغبته بالضحك ليلتقط هاتفه من جيبه موشكا على الاتصال بها ...

لكن اصبعه لم يطعه ليضغط زر الاتصال وبدلا من ذلك وجد نفسه يفتح رسالة نصية جديدة يرسلها اليها فيكتب فيها

كلاما كثيرا مسترسلا ليتوقف على حين غرة ويراجع ما كتب فيتأفف بغير رضا متمتما

" كلام احمق يا محمود .."

مسح كل الكلام ثم كتب جملة واحدة لا غير ... (" انا آسف زينب ... كنت غبيا حقا منذ اول النهار ..")

انتظر وانتظر .. يحدق في شاشة الهاتف بعبوس وهو ينتظر ..

ثم تثاقل جفناه وهو ينتظر ..





واخيرا اغلق عينيه وعبوسه يشتد من انتظار لا أمل فيه ، يقاوم سلطان النوم وهو يتمتم

" انا الغبي... الذي تركت موعدي مع دلال.. لأجلك ..."

تلألأ ضوء خافت من هاتفها النقال الذي يجاور رأسها .. رسالة نصية وصلت لكن من (ارسلت اليها) غارقة في نوم عميق تحتضن كف اختها التي تنام جوارها ..

الفصل الثاني

يتلألأ هاتف زينب باضاءته الخافته فتغفل عنه في سباتها كما تغفل عن وقوف اختها الكبرى صفية عند باب الغرفة..

تقف صفية هناك تخنقها العبرات وتحجب حدقتيها ستارة شفافة من الدموع..

تضع يدها على فمها تكبت شهقة بكاء ضاق بها صدرها ، لقد مضى زمن طويل افتقدت ان تراهما نائمتين جوار بعضهما كما كانتا تفعلان دوما في صغرهما ..

لقد تاهت عنهما وهي تراهما تتباعدان دون ان تصل لسبب واضح خلف هذا التباعد ..

لم تستطع تفسيره الا باختلاف ميولهما وقناعاتهما حول الوضع الاجتماعي والمادي الجديد الذي قلب كل الموزاين ..

لكن .. ها هما الصغيرتان تعودان لاحضان بعض بعد فراق ..

ها هما تبحثان عن بعض من دفء الام التي فجعتهم برحيلها ويتمتهم كما لم يفعل الاب بوفاته ...

انسحبت صفية وهي تغلق الباب خلفها دون ان تصدر صوتا ..

مشتته هائمة الافكار مزعزعة الثقة تائهة الخطوات تبغي ملجأ لمكنونات صدرها التي تحتدم فيما بين خلجاتها ..

بابتسامة جانبية مائلة قال ماهر عبر الهاتف

" اذن حققت اخيرا مرادك عماه .."

رد آسر بنبرة تفيض بالمشاكسة

" اخيرا ؟!!! انها كلمة ليست في قاموسي يا ايها الفتى الفضي... اقصد .. الذهبي ... دعني اتذكر .. هل سمعت الغزالة تناديك بالفتى الفضي ام الذهبي ؟ .."

اتسعت ابتسامة ماهر فيرد على مشاكسات عمه ممعنا برد الاغاظة والمشاكسة له

" لاتنكر انك لم تستطع مفاتحة ظافر قبل الآن .. "

ضحكة خافته سبقت صوت آسر وهو يقول

" مغرور وغبي من يعتقد انه يستطيع تحقيق كل ما يشاء وقتما يشاء .."

ثم تفكه بنبرة صوته وهو يكمل كلامه قائلا

" امممم ... ربما اكون مغرورا بعض الشيء لكني لم اصل لمرحلة الغباء .. انا ببساطة اجيد اختيار الوقت المناسب لاحقق ما اصبو اليه .. لذلك قلت لك .. كلمة (اخيرا) ليست في قاموسي.."

اسبل ماهر اهدابه مستمتعا بحديث عمه ..

دوما عمه آسر لديه اسلوبه الخاص بالوصول لما يريد ...



هو ايضا لديه اسلوب خاص في ادارة امور عائلتهم الكبيرة حتى وهم لايشعرون ..

انه دائما خلفهم .. طيف غير مرئي يحوم حولهم لحمايتهم مما قد لايرونه..

يلعب ادواره في الخفاء وبتكتم شديد بينما يتصدر ظافر ومهدي واجهة ال الغازي الشابة البراقة امام المجتمع ..

لذلك عمه آسر يتكل عليه في الكثير مما لايعلمه احد غيرهما...

تمتم ماهر بصوته المبحوح وبنبرة عملية

" غدا صباحا سأرسل لك الاشخاص المناسبين لاعداد الملحق .."

رد آسر بنبرة رضا " جيد ... "

ثم ودعا بعض ليغلق آسر هاتفه ويتحرك ناحية خزانة ملابسه مدعيا انه لم ينتبه لوقوف نادية عند باب حمامهما الخاص منذ بعض البعض خلال مكالمته لماهر ..

بدت لذيذة وهي تقف هناك عاقدة الحاجبين وبخصلات شعر مبللة تقطر بالماء على مبذلها العنابي وكل طاقات جسدها النشطة حولها تخبره وعن بعد انها في حالة تأهب وتحفز ...

ابتسم وهو يعلق سترته ويشعر بها تتحرك لتقف خلفه مباشرة ...



تعمد مشاكستها وهو يعتني اكثر مما يجب بتعليق سترته ليطيل انتظارها ويثير غيظها اكثر ..

فما كان منها الا ان هدرت باسلوبها المباشر

" هل انت جاد بموضوع انتقال ظافر وعائلته للسكن معنا بشكل نهائي ؟ لااصدق انك فعلتها حقا ! لقد ظننت الامر مجرد اقتراح عابر صبياني منك .."

التفت اليها وهو يفك ربطة عنقه ببطء ينقل نظراته على ملامح وجهها التي تشع قوة وثقة .. رفع حاجبا واحدا وهو يمعن في استفزازها بالقول الذي يتصنع التأثر

" كنت اتوقع ان تقولي بانتصار (فعلتها اخيرا) كابن شاهر الذهبي .. لكن نبرة صوتك فيها اتهام يجرح احساسي .. على نحو ما! .."

تحدق في عينيه بتحد.. تتحداه ان يستطيع الهاءها عن الكلام الجدي حول هذا الموضوع لتقول بثبات " آسر انها ليست لعبة من الاعيبك .. ظافر وحوراء لهما حياتهما الخاصة فلا تفرض عليهما ولأي سبب رغباتك الفجائية الانانية "

تعلقت عيناه بخصل شعرها المبلل .. يبدو انها صبغته للتو بنيا غامقا كما عادتها منذ سنوات لتخفي الشيب .. تختار بالضبط نفس درجة لون شعرها الاصلي..

سألها بخفة

" لما لاتصبغينه احمرا المرة القادمة ؟!

احمرا ناريا ..."

ضيّقت عينيها بنظرة تحذير بينما يتمادى ليقول بابتسامة مستفزة

" قبل أيام التقيت بامرأة تجاوزت السبعين .. جميلة و ما زالت تحتفظ برونقها الجذاب واناقتها ورغم ارتدائها للحجاب الا ان خصلة حريرية حمراء افلتت من الحجاب .. عن عمد او غير عمد.. اللّه اعلم ... لكني حقا لم اتوقف عن تخيلك تصبغين شعرك بنفس اللون خاصة وانت تملكين لون بشرتها الحنطي.."

اقتربت بوجهها منه وببطء ارادته حازما بينما رآه هو مثيرا قالت له

" انت محتال مراوغ كما لم أر انسانا في حياتي قط..! كل ما قلته عن صباغ شعر النساء ونظراتك الجريئة الفضولية التي توزعها هنا وهناك لن يحرك شعرة مني او يسرق الاضواء من افكاري .. "

ابتسم لها وعيناه تشع فخرا متجددا بها ..

هذه هي .. نادية .. فيها قوة ذهن تأسره ..

اكملت وما زال وجهها قريبا من وجهه تتحداه ان ينكر اتهاماتها

" الا تخجل ان تستغل خوف ظافر المرضي على حوراء فانتهزت خبر حملها بطفلهما الثاني لتغذي مخاوفه التي تلغي ذكاءه وفطنته فتدفعه حتى يتخذ بتسرع قرار السكن والاستقرار معنا بشكل نهائي .."

رفع يده يلامس خصلة مبللة من شعرها يعتصرها فيستمتع بقطرتين تسيلان على اصبعه وتصل راحة كفه وهو يرد ببساطة

" لايستطيع الاعتناء بها بمفرده وهو يسافر كثيرا هنا وهناك لاجل العمل خاصة مع وجود الصغير فارس ، ونجلاء مشغولة دوما مع التوأمين المشاغبين فلا قِبَل لها للاعتناء بحوراء وطفليها .. "

ما زالت تحدق في عينيه تخبره بالنظرات انه لم يخدعها ولا للحظة فيتمتم آسر بصوت أجش متلاعب " ثم ان فارس متعلق بك ويشتاقك دوما .. "

تضيّق عينيها بينما يرفع آسر حاجبيه قليلا مدعيا البراءة وهو يميل برأسه ويقول برقة مصطنعة " الا يناديك (نانا) وكأنه ينادي معشوقته ؟ الا يحق لي ك(جد بار) ان احقق له مبتغاه متنازلا عن بعض حقوقي الحصرية فيكِ؟"

زمت شفتيها حنقا من اساليبه لتسأله بسخرية وهي تكتف ذراعيها فوق صدرها



" هل حقا ارضاء فارس هو مبتغاك يا جد فارس ؟"

ابتسم ... ابتسامة نادرة يخص بها امرأته فقط ثم يرد عليها بصوت أجش وذكاء متوقد

" بل ارضاء جدة فارس وتحقيق امانيها هي مبتغاي الاول يا (نانا).."

ارتبكت .. رمشة عينيها فضحتها ...

ارتخت ذراعاها في تكتفهما دون ان تشعر..

تحركت خلجاته من ارتباكها هذا ..

هل تظن انه لايعرف ؟

لا ... انه يعرف .. منذ اول يوم اخبرهم به ظافر قبل اتمامه زواجه بحوراء انه يبحث عن بيت منفصل لهما ..

لن تخدعه باسلوب تفكيرها العملي والبحث عما هو الصواب لنفعله ..

يكفي ان يرى تعلقها بـ(طه) وكيف تراعيه وتهتم بكل شؤونه وكأنها تبحث عن امومتها التي تراجع دورها بزواج ظافر وسلسبيل ومغادرتهما المنزل ...

تنحنحت وهي تحيد بنظراتها وتقول

" انا لم اطلب ..انا .."

قاطعها وهو يرفع اصابعه ليضعها فوق شفتيها ثم يمسك ذقنها يعيد وجهها اليه فيغمزها وعيناه تشعان ببريق وقح قائلا

" يكفيكِ ان تشعري وانا انفذ .. لاداعي لتنكري الامر امام نفسك ..ارتاحي وانت تعترفين به وتستلذي بتحقيقه بخبث ودهاء.. كوني انانية وخذي من الحياة كل ما تريدين ما دمت لاتسببي ضررا حقيقيا.. "

للحظات تطلعت في عينيه تشعر بالسخف من حقيقة مشاعرها ويغيظها ان يفهمها هذا الرجل المزعج لهذه الدرجة ..

يغيظها وهو يرفع من شأن رغباتها مهما كانت ليكون تحقيقها من اولى اهتماماته.. المزعج الاستفزازي المشاكس .. لقد جعلها تشعر انها طفلة انانية مثله وتفرح رغما عنه بخططه الخبيثة ..

تنهدت باستسلام وهي تفكر ان الانانية احيانا تجلب السعادة !

اضاف آسر بتحيز سافر

" كما لن اسمح بأن تحظى نهى بتربية ابناء مهدي في بيتها بينما انت تنكرين حتى حاجتك لقرب احفادك منك .."

ردت نادية بحيادية " لكن يا آسر بيت شاهر هو بيت عائلة الغازي منذ اجيال متعاقبة وكلنا نعرف ان هناك من سيخلف شاهر فيه بعد عمر طويل ان شاء الله "

مط آسر شفتيه وهو يقول بلا مبالاة

" لاتهمني العائلة حاليا ولا اجيالها .. ما يهمني فقط .. كما ان آسر الصغير يتربى في حجر نهى وهناك المزيد قادم قريبا جدا في الطريق فأنت في المقابل ستربين اولاد ظافر في حجرك وتحت سقف بيتك.. ابتداء من فارس ومن سيأتي بعده.."

فتحت فمها لمزيد من الاعتراض فقاطعها قائلا بشكل حاسم

" الامر انتهى نادية .. ظافر وحوراء وافقا بل رحبا بالفكرة .. فلا تتعبي نفسك بمزيد من الاعتراضات لان الكل راض .. اتفقت مع ماهر وسيرسل غدا فريقا كاملا ليبدأ



بتجهيز البيت الجديد الملحق ببيتنا . واعتقد هذا يعطيهما الخصوصية اكثر مما تحظى به ابنتي في بيت شاهر .."

هل تستطيع ان تنكر ان كل ما قاله صحيح ؟ هل تستطيع ان تنكر ان قلبها رفرف في اعماقها حالما علمت ان احفادها سيكونون قريبا جدا منها ...؟

هل يمكنها كبت احساسها المتفاقم بالسعادة وان حياتها تتلون من جديد ..

ان حملا ثقيلا كئيبا انزاح عن صدرها وتشعر برغبة عارمة بالضحك !

ابتسمت نادية وهي تهز رأسها يمينا وشمالا وتقول



" انت مجنون ..استبدادي ..ومغرور .... غامض غريب وصبياني التفكير رغم الشيب الذي يملأ شعرك ... "

تتسع ابتسامته دون ان يرد بشيء فتضيف نادية وهي تستعيد تركيزها وفطنتها لتلوح بسبابتها في وجهه " ولاتظن انك خدعتني بدور المتفهم والمراعي لرغباتي.. انا اعرف انك تريد ان تسحبني بخبثك المعهود من عملي في المشغل الذي يثير غيرتك منذ افتتحته مع نجلاء ونهى.. تريديني دوما متواجدة هنا اذا تواجدت انت.."

دون اي شعور بالخجل رد وهو يهز كتفيه

" وان يكن .. انا قلت انك مبتغاي الاول ولم اقل الوحيد .. وفي النهاية كل ما سيحدث يصب في مصلحة الجميع ... والمشغل بات يؤدي الغرض من معنى اسمه ! فيشغلك عني كثيرا .. ما فائدة الذكاء ان لم استخدمه في تحقيق مآربي .."

ضربته على كتفه وهي تقول بغيظ محبب " ألم اقل انك مغرور متحايل بالفطرة ! واتساءل الان .. رجل لايطاق بغروره مثلك فلماذا رفضت بشكل قطعي ان تسمي ابن ظافر الاول على اسمك .. بينما لم تمانع عندما فعلتها مدللتك سلسبيل .."

رفع كفيه ليمسك ساعديها بينما يشرح لها بنبرة متباطئة



" اولا اسم فارس يليق بنبل ملامحه التي شعت منذ الولادة .. انه يشبه جده بلال .. والاهم من هذا.. من يكون من ذريتي واسمه ينتهي باسمي يجب ان يكون له اسمه الخاص الذي يعبر عن شخصه .. انا امنحه فرصة ذهبية منذ الولادة ليكون (هو) لا نسخة مصغرة من (آسر) .. جدي منحني هذا الامتياز وبنيت اسما خاصا بي وسأفعل المثل لمن ينحدر من صلبي ..."

سألته وهو تبتسم بانشراح متزايد

" بما ان المغفلين ظافر وحوراء تركا لك حرية تسمية ابنائهما .. فهل في بالك اسم محدد للطفل الثاني ؟ "

عض شفته السفلى ورفع حاجبا واحدا للاعلى وهو يمط الكلمات عامدا

" ان كااااان ...ذكرا فـ..نعم"

رفعت حاجبا واحدا كما يفعل وهي تتساءل

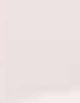
" اثرت فضولي .. ما هو ؟"

رد وهو يرقص حاجبيه

" دعيه مفاجأة من النوع الآسري !"

ارتد رأس نادية للخلف وهي تضحك من قلبها فينحني آسر ليقبل اسفل عنقها وهو يهمس

" هل علمتِ لماذا سعيت لاحضارهم .. فعلتها لاجل ضحكاتك هذه .."



راسه مستريح للخلف على ظهر كرسيه الجلدي وعيناه نصف مغمضتين بينما يراقب بصمت خطاها الهائمة من بعيد عبر باب مكتبه المفتوح ..

ما زالت ترتدي ثياب الحداد .. قميصها الاسود الفضفاض علا بنطالها الاسود المخصص للحمل ..

تنهد بخفوت ... انه يشتاقها .. يقدر حزنها وحجم خسارتها لكنه يشتاقها .. يشتاقها بشكل يوجع صبره ...

رآها تقف عند مقدمة السلم لاتحرى شيئا ..

تمسك بطارف يدها حافة الدربازين دون ان تطيعها قدمها لتعتلي الدرجة الاولى ..

انتظرها وانتظرها .. تطرق براسها للارض وتبدو في حال اغرب من المعتاد ..

تنهد وهو ما زال على نفس وضعية الجلوس هامسا باسمها " صفية ..."

شد على فكيه وهو يرى قدمها اليسرى ترتفع واوشكت ان تعتلي الدرجة الاولى عندما التفتت فجأة فتصعقه سحرا بنظرة عينيها المثبتتين تجاهه ..

ابتسم .. ابتسامة تفيض بلهيب فؤاده دون ان تفضح عن مكنونات الاشتياق في صدره ..

استدارت بكل جسدها تاركة درجات السلم لتتقدم نحو باب مكتبه المفتوح تناظره وفي عينيها نداء له ...



غزالته تناديه ...

اخيرا تناديه بعد طول صمت ...

تحرك من كرسيه ملبيا ذاك النداء ..

لقد حدث امر ما جعلها مختلفة الليلة ..

يمد ذراعيه نحوها فتتسارع خطواتها وتتلهف عيناها اليه لتمتد ذراعاها نحوه وخطواتها تكاد تتعثر ...

ابتلع ريقه يبتلع تاثره وهي ترمي بجسدها عليه .. شعور دغدغه بينما تلتصق به بطنها غدت بارزة بشكل ملحوظ وهي تدخل شهرها الخامس...

همست اسمه باحتياج اضناه اكثر مما اضناها ...

يميل بوجهه يغرقه بين طيات شعرها الداكن يهمس لها بصوته المبحوح

" هل انت بخير ؟"

ردت بهمس يقطر تأثرا موجعا وذراعاها المرتعشتان تتعلقان بكتفيه

" انهما نائمتان جوار بعض .."

سألها بادراك

" الفتاتان ؟"

ارتد رأسها للخلف وهي ترفع وجهها اليه ، تتغرغر الدموع في عينيها فتهمس بنبرة تفيض فرحا وجزعا بنفس الوقت

" نعم .. انهما .. جوار بعض .. يا الهي ماهر .. كيف سهيت عنهما خلال السنوات التي مضت .. كيف اهملتهما .. انشغلت بنفسي ودراستي واحلامي .."

ارتعشت عضلة في خده وهو يرد عليها

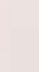
" كم تظلمين قلبك الذي يفيض حبا ووفاء وتبخسين حق روحك التي تعلمت القتال باكرا جدا ولاجلهم فقط .."

اخذت تهز راسها برفض عنيف وهي تقول بتقطع

" لا ماهر .. لا .. لقد انشغلت .. تقاعست .. حتى طه ...اقنعت نفسي ان ..الخالة نادية ترعاه كما يجب .. والبنتان .. يا الهي .. ظننت انهما ستكونان بخير وهما مع بعضهما .. ظننت ان الامور ستكون بخير دون تدخل مباشر مني .. لكن .. ماحصل.. انهما ابتعدتا عن بعض وابتعدتا حتى عن .. عن امي .. لقد .. ابتعدنا كلنا عن امنا وتركناها تائهة وحيدة لاتجيد التخاطب معنا .. الفتاتان وانا و .. و طه ... "

تخنقها شهقات البكاء مع كل كلمة وقد فقدت كل رغبة لادعاء التماسك والقوة.. لم تعد تحتمل كتمان مشاعرها اكثر .. انها تعاني .. تعاني في صميم وجدانها ..

وهو سيجن ان لم يستطع اخراجها من حلقة الألم هذه ..

قال وهو يمسح خديها بكفيه

" ان كنت تنتظرين مني تأكيدا لهذرك الانفعالي غير المنصف هذا فستنتظرين كثيرا دون ان تحصلي عليه ..."

تتكالب عليها المواجع والبكاء يقهرها بمرارته بينما جسدها يهن بين ذراعيه ضعفا فيسنده ماهر اكثر وهو يهمس لها

" دعينا نكون منصفين ونذكر ما حصل فعلا وبالتفصيل ... ما حصل انك كنت رائعة وانت تدفعين امك لتجد عملا يدويا بسيطا يلائمها لتشارك به في مشغل الخالة نادية فيملأ فراغها ويشعرها انها منتجة .. وتذكري كم كانت سعيدة بأول عمل يدوي أنجزته واحتفلتِ به معها ..."

يضم جسدها الحبيب اليه اكثر وهو يمسد شعرها ويضيف

" ما حصل .. انك اجدت الاهتمام بطه وكنت حكيمة كما عهدتك وتركت الخالة نادية تمنحه ما لاتستطيعين بقلة خبرتك منحه اياه .."

ثم مد كفه ليحيط بخدها ويرفع وجهها الباكي اليه فيغرق في حزن عينيها فلا يملك الا ان يقبل تلكما العينين ليكمل بعدها بهمس مبحوح

" ما حصل ايضا .. انك تنسين ان المراهقة تلعب ادوراها المختلفة مع الجميع .. وان التغييرات الكبيرة المتتابعة في حياة البنتين وقد حصلت في وقت قصير نسبيا كانت اكبر من استيعابهما وتحتاجان لفترة من الترنح والتذبذب حتى تقفان على قدميها بثبات .."

يميل فيطعم شوقه بعض الفتات وهو يقبل خدها النضر ثم جانب فمها ويواصل همسه الذي يقتحم ببطء غمائم الحزن في روحها

" توته احتاجت تجربة خالد لتتعلم ان القلب لايمنح بسهولة .. انها عاطفية وجميلة جدا وفيها جاذبية رقيقة تجذب الجنس الخشن لها فكانت تتخبط بمشاعر طبيعية احبت ان تعيشها دون ان تفهمها حقا.. وزينب .. فتاة صعبة المراس متمردة .. كانت ترفض كل هذه التغييرات على طريقتها .. لقد تمردت حتى على تغير فاطمة او ما ظنته تغيرا فيها فتباعدت عنها... لكنها فتاة ذو طاقات خلاقة ستجيد استخدامها بشكل صحيح عندما تنضج .."

تنهدت وهي تغلق عينيها وتهمس بحشرجة

" كيف تعرف كل هذا عنهم ؟!"

رد وهو يحرك ابهامه مداعبا فوق خدها

" عندما اهتم يجب ان اعرف .. "

فتحت عينيها فارتعش قلبه للمعانهما الذي يعشق فيؤكد كلامه اكثر وهو يبتسم بدفء مشاكس

" قلتها لك مرارا .. انا اجيد الاعتناء بمن اهتم لهم يا غزالة .."

لم ترحل غمائم الحزن بعد بل فاضت روحها باعتراف نادر هامسة

" انا .. خائفة .."

عقد حاجبيه بقوة ليحرك يده من خدها فيحتوي فكها السفلي وهو يقول باصرار وعيناه تشعان بالطاقة

" اياك ان تعيديها .. مثلك لايعترف بالخوف حتى وان داهمه الخوف بجيش جرار في عقر داره .."

ينظر اليها تذوب ضعفا امامه .. ضعفا يحتاج ان يحتويه ليجعلها تستعيد شموخها ..

في لحظة قرر ..

انها تحتاجه كما يحتاجها..

انزل اصابعه تعبث بازرار قميصها فتسأله همسا مختنقا وقد داهمتها الدهشة

" ماذا .. تفعل ؟!"

ارتعشت شفتاه وهو يهمس قرب شفتيها

" اعتني بك .. "



انتفضت انوثتها باستجابة فورية صدمتها لتتمتم باسمه

" ماهر ..."

لم تتوقف يداه عن فتح باقي الازرار بينما يهمس لها بشوق مستعر هائج

" يا روح ماهر .. انسي كل شيء الليلة و اتركي نفسك تماما لي .."

مسبحته في يده يجلس على كرسيه المعتاد يراقب بهدوء وصبر دخولها الصاخب..

ترفع حاجة لتعيدها لمكانها .. تطوي ثيابا لتعيد فردها وتعليقها !

تبعثر زجاجات العطور على منضدة الزينة لتعيد ترتيبها بنفس النسق الاولي !

كل هذا تفعله وهي تهذر بالكلام العشوائي الاتجاه .. تشتكي من الخدم .. تلوم نهى على سخافة كلمات وجهتها لاحدى العاملات في المشغل .. تتدلل وهي تشتكي من اهمال آسر الاتصال بها كل يوم كما وعدها مؤخرا .. واخيرا تشكو من حوراء لانها تتعب ظافر بمعاندته في كل شيء !

تبسم وهو يسبل اهدابه ويجمع مسبحته براحة كفه وهو يفكر (انها تشتكي الجميع وتهمل عن عمد مصدر شكواها الصاخب هذا ..التوأمان.. و .. هو)

تذكر عيد ميلاده السبعين قبل اشهر ..

لاتهمه هذه المناسبات قدر اهتمامه

باسعادها وهي تعد كل ما تستطيع لتحتفل

به وتشع روحها رضا وسعادة لوجوده معها ..

لكن الاوان قد آن لحديث خاص بينه وبين

صغيرته و ايضا .. حديث من نوع اخر لـ...

تفكير مستقبلي بولديهما محمد ومحمود..

سأل بنبرة ثابته

" ماذا حصل صباح اليوم ؟"

توقفت حركة يدها وهي تعيد زجاجة

عطر لمكانها ببطء بينما تتلاعب

المحتالة بتعابير وجهها حتى لاتظهر

ارتباكا امامه وبنفس الوقت تتصرف

بذكاء فلا تلف وتدور في فهم سبب سؤاله..

قالت بتأن وهي تتقدم ناحيته

" لاشيء .. كانت زينب متضايقة بعض

الشيء وخرجت بمفردها فـ.. لحقها الولدان

واعاداها مع فاطمة للبيت .."

جالت الافكار في عقله بينما يتطلع

لعينيها النجلاوين فيخفي تلك الافكار

ويقرر تأجيلها ليبتسم لها وهو يقول بلطف

" لقد باتا اكبر من ان تناديهما بالولدين.."

ارتاحت لان بلال اختار ان لايلح للحصول

على تفاصيل ما حدث فانطلقت تتحدث

بعاطفة امومية مشبوبة بالتملك

" انهما صغيراي .. وسيظلان صغيريّ .."

ابتسامة ناعسة وجهها لها وهو يميل برأسه جانبا يتأملها بنظرة رجولية فيمنحها فرحا لايعادله فرح..

تغمرها اللهفة اليه وتجزع من خشيتها عليه فتسارع لتسأله بقلق فجائي

" هل اخذت دواءك ؟"

لقد حان موعد الحديث الخاص ..

ما زال على نفس الابتسامة وهو يمد كفه اليها يناديها بعذوبة

" تعالي يا صغيرتي انا .."

تمد يدها تلقائيا لتحط على راحة كفه فتنعم بدفئه بينما تنثني ركبتاها لتجلس على الارض قربه وتسند ذقنها على حجره تتطلع اليه عاليا ولاتشبع منه ..

منذ اشهر وتصيبها حمى النظر اليه على الدوام حتى وهو نائم غافل عن تحديقها فيه ...

رفع يدها لفمه يلثمها وهو يقول برقة متفهما نظرة القلق التي باتت تسكن مقلتيها على الدوام

" لاتحتاجين لهذه العناية المركزة بصحتي .. انا بخير والحمد للّه .. لااريدك ان تبالغي بالامر "

هبت لاهثة وكأنه مس وترا حساسا لديها

" ابالغ ؟!!! كيف تقول هذا .. الوعكة الصحية التي اصابتك العام الماضي كان الطبيب واضحا بضرورة الانتظام في اخذ دواء الضغط .. "

ما زال يحتفظ بيدها في يده بينما يناقشها بهدوء وطول بال

" انا منتظم ... لكنك اصبحت موسوسة اكثر مما يجب .. "

توقف للحظة قبل ان يضيف بجدية وعيناه ترقبان كل خلجاتها

" نجلاء .. تذكري ان الاعمار بيد الله وانت مؤمنة .."

ترقرقت دموع في عينيها رغما عن ارادتها بينما تهمس باختناق حانق

" لاتقل هذا ... لا احب هذا .. الكلام .."

تبسم بحنان وهو يميل بجذعه ليصل لخدها بشفتيه يقبله وهو يهمس بحرارة

" ما زلت صغيرة معشوقتي .."

ترفع ذراعيها فتطوقان عنقه تتشبث به تمنعه الاعتدال بجذعه مرة اخرى بينما تهمس اسمه بخوف " بلال ..."

تركها تفعل ما تشاء لتنفس عن توترها الذي ينبع من عمق مخاوفها..



تسحبه اليها اكثر .. تقبل جبينه .. خديه .. عينيه .. وحتى شفتيه .. تفعل كل شيء بحمى احتياجها للطمأنينة .. وهو للاسف لايملك ان يمنحها طمأنينة كهذه ..

لكن يستطيع ان يمنحها طمأنينة اكبر واعمق ومن نوع مختلف اكثر ضمانا وقوة ..

فارق العمر الكبير بينهما كان هاجسه الاكبر .. لايحتمل ان تتألم يوما لفراقه ..

لقد وعد والدها يوما عندما اخذها عروسا مراهقة في الثامنة عشرة .. وعده انه سيعلمها كل ما يعرف وكل ما يستطيع حتى تكون اقوى ..

هدأت حمتها العاطفية التي تركتها لاهثة الانفاس وهي تعلق نظراتها بعينيه اللتين تبثانها عشقا لايقل عن عشقها له ...

همس لها وهو يقاوم قليلا احتضانها

" اريدك ان تسمعيني حتى انتهي من الكلام صغيرتي ... في يوم ما يشاؤه اللّه لن اكون امام ناظريك ... فلا تبتئسي ولا تجزعي واحمدي اللّه لانه عوضك مسبقا .. عوضك حين شاء ان يزرع جزءا مني في التوأمين ، فعندما تشتاقين حناني وقوتي ستجدينهما في ربوع قلب محمد ، وعندما تشتاقين دفئي و تدليلي لك سيغدقهما عليك محمود دون حساب .. انها عطايا الخالق فلا تنكريها مهما حصل ...

وستجدين عندها ابواب الله دوما مفتوحة ليغدق عليك بمزيد من الرضا والقناعة .."

لاتطرف عيناها وهما تحدقان في عينيه لاتحيدان بعيدا عنهما بينما يرتفع وينخفض صدرها بتأثر لايوصف ، فيمد يديه ليفك وثاق ذراعيها برفق من حول رقبته ثم يحاوط وجهها بكفيه يسألها وعدا صريحا " عديني صغيرتي انك ستكونين قوية وتتذكرين كلامي .."

صمتت للحظات طويلة بينما تتجمع الدموع في عينيها دون ان تغادر رمشيها لتتمتم اخيرا بشجاعة " اعدك .."

وقبل ان يتنهد براحة عاجلته بطلب

" وانت عدني .."

ارتفع حاجباه قليلا وهو يسألها

" بماذا صغيرتي ..؟ "

عبست بتعابير طفولية تتعمدها وتناقضها في ذات الوقت وهي تقول بحزم امومي

" ان تأخذ دواءك الآن وتكف عن التهرب منه كما كان يفعل التوأمان وهما في سن السادسة .."

ضحك من قلبه وهو يرفعها ويشدها اليه لتجلس على حجره وتتوسد رحابة صدره تبحث عن دفء انفاسه وحرارة عشقه ..

وهو اغدق ... واغدق... لها ... من كل عطايا العشق والهوى ..

في اليوم التالي

هبّ الفتى ذو الاربعة عشر ربيعا واقفا على قدميه ما ان رآى الخالة نادية مع زوجها الذي يخشاه بشكل غريب !

ابتسمت نادية في وجهه وهي تقترب منه قائلة بترحاب

" صباح الخير طه..."

رد طه وعيناه مستقرتان بارتباك على العم آسر الصامت

"صباح الخير خالتي .."

ليضيف بتلكؤ " صباح الخير عمي .."

ابتسامة جانبية من آسر وهو يرفع حاجبه رادا تحية الصغير

" صباح الخير لمن يوقظنا كل نهار على زقزقته ! "

احمر وجه طه واخذ يعدل من وضعية نظارته ليتمتم بحرج وخجل فظيعين

" اسف عمي لانني .. اتيت بوقت .. باكر .. اقصد ... خالتي قالت لي .. ان ...آتي.."

حدجت نادية زوجها بنظرة توبيخ بينما تحيط كتفي طه بذراعها وهي تجره معها ليتجاوزا وقفة آسر المتراخية وهي تقول لطه بنبرة تآمرية تصل بوضوح لمسامع اسر

" لاتدعه يضطهدك وتعلم ان لا تعتذر لاحد دون داع .. انا من اعطيتك الاذن لتأتي بهذه الساعة من النهار .. وهو يعرف .. انه مشاكس بما فيه الكفاية فلا تجعل من نفسك ضحية لتلاعبه "

ثم التفتت لزوجها بتحد فرأته ما زال مبتسما يقف بنفس المكان يضع يده في جيبه وعيناه تتركزان بشقاوة متعمدة على.. على اماكن معينة من جسدها من الخلف!

حركت شفتيها بكلمة واحدة دون ان تصدر صوتا " وقح ! "

يغمزها وهو يضحك بينما يعلو صوته وهو يتحرك نحو غرفة مكتبه الخاص في البيت

" احتاجك ببعض العمل في مكتبي .. بعد نصف ساعة ارجو ان تكوني انتهيت من مشاغلك لتتفرغي لي "

عضعض طه شفتيه وهو يتطلع لنادية باعتذار فربتت نادية بحنان على خده وهي تجلسه على احد كراسي مائدة مدورة زجاجية وهي تهمس له بشقاوة

" لاتبالي بما يقول .. انه غيور لانك فتى مميز .. هذا اسلوبه ليظهر اهتمامه بك .."



احنى طه رأسه لتطالعه نادية بطارف عينيها وهي تجلس على كرسي جواره ..

للحظات طالت لم يرفع الفتى رأسه بينما خصل شعره الطويلة نسبيا من الامام تغطي جبينه ..

ابتسمت نادية بلطف بينما تسأله

" اذن .. اين مخططاتك يا عبقري ؟"

لم يرفع وجهه وهو يتمتم بنبرة مخنوقة

" لم .. افعل شيئا .. اعتذر لاني .. مؤكد خيبت ظنك .. بي "

مدت نادية نحو ذقنه يدها لترفع وجهه اليها وتطالع عينيه شبه الباكيتين من خلف زجاج نظارته فتسأله بنبرة حنان وتشجيع

" ماذا يحصل معك صغيري ؟ اخبرني بما يوقف عبقريتك عن الانتاج ؟"

بدى بحالة مؤلمة من التشتت وهو يردد

" انا كنت ... كنت .. اقصد انا مشوش ..

انا احتاج .. احتاج .. احتاج ..."

نظراته التي ما زالت تحمل عبق الطفولة تتوسل اليها التفهم والمساعدة ..

تطلعت اليه نادية تحاول التركيز بحالته دون الاستغراق بالتعاطف معه ..

السنوات علمتها كيف تفصل بين جانبها العاطفي والعملي لتحقق المطلوب ..



سألت بابتسامة هادئة ونبرة ثابته

" تحتاج ماذا ؟ افصح .. انا اسمعك بكل انتباه واهتمام .."

انفاسه تسارعت وشفتاه ابيضتا دفعة واحدة فادركت من خبرتها معه انه يوشك على البكاء ..

تماسكت نادية وهي ترفع اصابعها بخفة لتزيح بعض خصل شعره عن جبينه بينما تقول

" تذكر اننا اتفقنا على ان الحزن لايجب ان يأخذ حجما اكبر من حجمه .. لابأس ان نبكي احيانا لكن .. لانجعل الحزن يتوهنا عن حياتنا التي تمضي قدما .."

يقاوم الدموع وهو ينهار قائلا لها بتأثر ونبرة متقطعة

" لااستطيع التوقف عن .. التفكير .. بها ...لقد كانت.. كانت تصنع لي الشاي وقت الفجر تعرفني اصحو باكرا لأعمل على ابحاثي .. فتخبز كيكا بالبرتقال تعرفني اعشقه وتأتيني بقطعتين كبيرتين .. دوما تخصني بقطعتين .. ثم تنظر الي بفرح وانا آكلهما وحالما انتهي تتغير نظراتها وتتحول لشيء اخر لاافهمه جيدا لكنها تبدو مرتبكة ولاتعرف ماذا يفترض ان تقول او تفعل فتسارع لتضمني لصدرها قبل ان تتباعد وهي تقول بخجل انها ستتركني لعملي المهم..."



لم يدرك طه ان دموعه تسيل على خديه بينما تراقبه نادية بأسى ولوعة تخفيهما عنه فتدعه يقول كل ما يؤرقه ..

ليضيف طه ودموعه تعلق باسفل خده وتتقاطر على قميصه

" الان .. انا اعاني.. الأرق بالليل .. لا أكف عن التحديق في الباب وكأني انتظر قدومها في اي لحظة ومعها قطعتي الكيك خاصتي وكوبا من الشاي .. يقتلني هذا الانتظار وانا اعرف انه لن تأتي ابدا .. انا اشعر .. ان عقلي فارغ .. فاعاني بثقل في صدري وصعوبة بالتنفس واعجز عن النوم.."

اخيرا شعر بدموعه فخجل منها وهو يرفع نظارته قليلا ليمسح خديه وهو يتمتم ببعض الشعور بالخزي

" في غرفتي حيث لايراني احد .. دوما .. ابكي كطفل صغير .. فاخنق بكائي بوسادتي .. انا خجل من نفسي .. خجل وانا اعترف بكل هذا امامك خالتي.. لكني ما زلت ابكيها كل ليلة .."

قاومت نادية بشق الانفس ان تشاركه بكاءه ..

قاومت ماض قديم واحساسها المريع عندما فقدت من احبت خاصة .. فقدان والدها ...

وآآآآآه من فقدها لذلك الاب الرائع ...

تغلبت على مشاعرها وهي تبتسم للفتى وتقول " طه انت فتى ذكي جدا .. بل ربما اذكى فتى قابلته في حياتي .. سيكون لك شأنا كبيرا عندما تكبر ان شاء اللّه.. ولأنك ذكي وعقلك يسع اكبر من عمرك فسأكلمك كشاب راشد.."

اخذ طه يتطلع اليها وكأنه يرجوها لحل معضلة كبيرة تقف بوجهه فاضافت بحنان امومي تشعره بقوة نحو هذا الفتى المميز

" كل ما تعانيه بني هو افتقاد شديد لحضن امك رحمها اللّه .. تفتقد رائحتها .. كلماتها .. افعالها البسيطة اليومية المعتادة والتي كانت جزءا من تفاصيل يومك .. عالمك تغير فجاة باختفاء هذه التفاصيل .. وربما يخالجك ايضا شعور ببعض الذنب .. هذا يحدث عندما نودع اشخاص نحبهم بشدة فيرحلون فجأة ونظل نشعر بالذنب نحوهم اننا ربما خذلناهم بأي طريقة .."

اعترف طه باختناق

" انا ...اهملتها ...وانشغلت باب..حاثي.."

تركز اهتمام نادية على ما اعترف به للتو فقالت بهدوء توضح له بعض الامور من وجهة نظر اخرى يغفل عنها

" انت مجتهد طه وكنت تشغل عقلك لتنتج .. كل الامهات والاباء يكونون فخورين باولادهم المنتجين خاصة بعمر





مبكر... ومؤكد والدتك كانت تضج بمشاعر الفخر نحوك .."

رد طه لاهثا بمشاعره المنفعلة

" لكنها لم تكن تفهم اهمية ما افعل .. لذلك لا اظن أنها كانت تشعر بالفخر .. انها فقط.. كانت حزينة لاني ابتعدت عنها.. ولم أعد انام بحضنها كما كنت افعل صغيرا "

قالت نادية بهدوء وهي تنظر مباشرة لعينيه

" لماذا لاتقول انها كانت حزينة لانها لم تكن تفهم ما تصنع لتساعدك به وتشاركك اهتمامك..؟"

بدا الفتى تفاجأ بمنطق كلامها ثم شعرت نادية ببعض الراحة لانها تراه يفكر بعمق بما قالت ...

فاضافت المزيد قائلة

" هل تذكر عندما قلت لي يوما انك لاتفهم شيئا في الخياطة لكنك تحب حقا القمصان المبهرجة التي تخيطها لك والدتك فترتديها بفخر ولاتهتم لمن يعايرك لانها ليست بالطراز الحديث.. كنت فقط فخورا بها لانجازها وتشجعها "

تورد طه قليلا وهو يهمس بالسؤال

" هل تظنين انها .. كانت تعلم بأني .. ارتديها .. لاجلها فقط ؟"

ردت ببهجة من القلب

" مؤكد كانت تعلم .. وانا دوما كنت احسدها لانك تظهر لها كل هذه المحبة يا صغيري .."

بطفولية بحته تتجاوز عمره المراهق هب بانفعال ليحتضن نادية بقوة بين ذراعيه وهو يقول بتأثر بالغ

" انا احبك خالتي .. احبك جدا .."

كانت تربت على ظهره تخنقها عبرة تأثر مماثل لتأثره بينما تهمس له

" وانا احبك ايها العبقري "

اجفل الاثنان من نبرة صوت مرتفعة اكثر مما يجب وصوت آسر وهو يقول

" ألم تنتهي هذه الزقزقة ؟! "

ضحكت نادية من قلبها وهي تتشبث بالفتى تمنعه الابتعاد عنها وهو يشعر بالخجل من اسر ..

عيناها ما زالتا دامعتين ناضحتين بالتأثر وهي تناظر زوجها بتحد رقيق من فوق كتف الفتى ..

اما آسر فيبادل نظرتها تلك بنظرة مفعمة بتحد من نوع آخر ...

وكأنه يتحداها ان تنكر حاجتها للشعور بامومتها من جديد..



وسط المطبخ تحتسي كوبا من العصير دون ان تشعر بمذاقه .. تتلاعب بخصل شعرها دون وعيها .. لقد كانت تهيم بعيدا غارقة مستغرقة في ست سنوات مضت من حياتها ..

ليلة الامس وهي تنام جوار زينب استعادت وضوحا بالبصيرة ... فاستيقظت صباحا بصفاء ذهني مميز لتنسحب من جوار زينب المستغرقة بالنوم وتغادر السرير بخفة بعد ان طبعت قبلة على رأس اختها ..

الآن تسترجع كل التخبطات التي عاشتها وحالة الرومانسية الفجة التي سيطرت عليها من بضع سنوات ..

تعترف .. لقد هالها وصعقها ان تجذب كل هؤلاء الشباب من اعالي المجتمع المخملي الذي انتمت اليه فجأة ..

يركضون خلفها يتمنون منها الرضا ..

حالة من الصدمة انتباتها عندما بلغت الرابعة عشرة ليصارحها احدهم مباشرة وبعينين لامعتين انه هائم بحبها ..

لازالت تذكر قميصه الحريري الاسود وتلك السلسلة الذهبية التي تلألأت حول عنقه ...

انها لم تعد تذكر ماذا كان اسمه ولا تذكر حتى شكله ..



كل ما تذكره ذاك القميص المترف

وتلك السلسلة ..

لتتوالى بعدها اعترافات بالعشق من هذا

وذاك .. وجوه تمر عليها .. وجوه بتعابير

بعضها هائمة وبعضها طامعة وبعضها ..

شرهة ...!

في البداية كانت تخشاهم وتهاب

مشاعرهم المتطرفة احيانا نحوها ..

بعدها .. بعدها ماذا حصل ؟!

عقدت فاطمة حاجبيها بتفكير ثم وضعت

كاس العصير جانبا بينما تتمتم

باكتشاف تواجه به ذاتها لاول مرة !

" حصل ان اعجبك الامر .. حصل ان أردت

المزيد من هذه العاطفة .. اردت ان تتبادليها

مع احدهم .. اردتِ ان تعيشي حكاية حب

كحكاية صفية وماهر السحرية ..

سندريلا والامير الفاتن .. "

ارتعشت يدها وهي ترتفع طواعية لفمها

بينما تغرق بهمسها الداخلي وكانها تخجل

ان تبوح به على لسانها .. فتعترف بالمزيد

(و ...حصل ... انك اردت المزيد ممن

يظنونك من ال الغازي فيرفعون شأنك

عاليا .. اردت هذا التميز الجديد ممن

لايعرف من اي وسط فقير بل مدقع بالفقر

أتيتِ !

لذلك اصريتِ على الارتباط الاحمق بخالد.. تاخذك عاطفة مثيرة هوجاء احاطك بها هذا الشاب العشريني ..

شاب ينحدر من ارقى العائلات توله بحبك ففتنك فتونا!.. شاب اتضح انه ليس باكثر من مهووس .. مهووس بغيرته العمياء وشكوكه المرضية .. لقد كان اولى الصفعات لك يا فاطمة .. صفعة لتوقظك من غيبوبة الانغماس في الدوامات ..)

اقشعر جلدها وهي تتذكر تهجمه السافر عليها البارحة.. ثم .. تلاشت ذكرى خالد وما فعله لتهاجمها ذكرى نظرات عينين خضراوين غاضبتين تنضحان بالاتهامات !

اجل .. عينا محمد بالامس عند البحر طعنتها بالخناجر ...

لقد اشعرها بالنقص كما لم تشعر من قبل..

لقد شعرت .. شعرت وكأنه يقول لها تستحقين ما حصل لك مع خالد !

وكأنها انزلت من قيمة نفسها عن ادراك..

يا الهي .. دوما محمد يجعلها تشعر انها لن ترقى يوما لمستوى ال الناجي وال الغازي ..

لا .. في الواقع لم يكن دوما هكذا ..

في البادئ عندما تزوجت صفية بماهر كان محمد شديد اللطف كثير الاهتمام بها ولو على نحو غامض ..



لقد احبتهما معا هو ومحمود .. ومحبتهما تسببت بشرخ في علاقتها مع زينب التي كانت شديدة الغيرة منهما.. شديدة النفور من كل اجواء الثراء حولهم ...

تصرفات زينب خنقتها وشعرتها كقيود تقيد استمتاعها بتجربة مثيرة ابهرت بصيرتها ..

لذلك فعلت ما فعلته .. وتندم عليه اليوم..

تباعدت عن زينب ..!

اغمضت فاطمة عينيها بألم !

كيف فعلت هذا ؟! كيف ؟

كيف ابعدت عنها زينب تحديدا دونا عن العالم اجمع ...

ومنذ ان ابتعدت عن اختها تغير كل شيء في حياتها ...

فماذا عن محمد ؟

هل هذا سبب تعامله الجاف معها ؟

ام انه ببساطة كبر وادرك الفروق الشاسعة بين اصولهما العائلية والطبقية ؟

هل هذه هي حقيقة ما يجري ام انها باتت تتوهم ؟!

لكنه لاينظر لزينب نفس النظرة الغاضبة الباردة التي يوجهها لها ..!

تصلبت ملامح فاطمة وهي تضع يدها على جانب خدها وتهمس " لم اعد افهم شيئا ! "





" اين طه ؟! "

اجفلت فاطمة بقوة وهي تستدير بحركة واحدة تناظر اختها صفية التي طرحت سؤالا باغت خلوتها مع نفسها ..

بدت صفية شديدة الشحوب وهي تعاود تكرار نفس السؤال

" اين طه ؟! لماذا لااجده في سريره ؟"

ردت فاطمة وهي ترمش توجسا من انفعال صفية

" لقد ذهب للخالة نادية .. قال انه استأذنك منذ البارحة ؟ ألم يفعل ؟! "

للحظة بدت صفية في حالة صدمة ثم شيئا فشيئا تراجع شحوبها وعادت الدماء

لوجهها وقد اكتست ملامحها بتعابير الارتباك والتشوش وهي تهمس بصوت أجش

" نعم .. صحيح .. اخبرني لكني .. نسيت "

باشفاق رقيق تقدمت منها فاطمة لتقول

" لابأس اختي ..كلنا اصبحنا ننسى هذه الايام ... "

اخذت صفية تهز رأسها فبدت لفاطمة وكأنها متوترة !

متوترة على نحو غريب ..

همست فاطمة تسألها

" هل انت بخير صفية ؟ "

ردت صفية متمتمة

" نعم .. نعم .."

ارتفع صوت ماهر من عند باب المطبخ وهو يقول ببشاشة حيوية افتقدتها فاطمة منذ فترة

" صباح الخير يا فتيات .. لماذا تتركون باب البيت مفتوحا ؟ "

ردت فاطمة تحيته ببشاشة دون ان تنتبه لذلك الانكماش من صفية وهي تسبل اهدابها و ترد على تساؤل زوجها بهمس

" اسفة لم انتبه لاغلاقه عندما دخلت.. "

تبسمت فاطمة بينما يضيف ماهر متسائلا وهو يقترب من صفية

" اين وجه العبوس ؟"

التفت ذراع ماهر عنوة حول خصر زوجته ليسحبها اليه يطبع قبلة حارة على خدها بينما تزداد صفية انكماشا وفاطمة ترد عليه

" اظن انها ما زالت نائمة .."

علق ماهر غير غافل عن محاولات صفية الواهية للتحرر

" اذا كانت كذلك وهو المتوقع منها نهار الجمعة فربما يجب ان تسبقيها لبيت ظافر يا توته .. حوراء اتصلت وهي تحتاج لمعونتكما في حزم الاغراض استعدادا للانتقال لبيت عمي آسر .. "

ردت فاطمة بلطف وهي تتحرك لتغادر المطبخ

" حسن .. سأجهز نفسي في الحال .. لاتقلق ماهر .."

ما ان غادرت توته وقبل ان تفعل صفية اي حركة للتحرر بخشونة كما توقعها ماهر فاجأها وهو يلفها بقوة لتواجهه يحيطها بذراعيه يلصقها بصدره وفي لحظة واحدة كانت شفتاه تحطمان تمنع شفتيها ..

مقاومتها الجسدية باهته ..

لكنها ما زالت تقاوم داخليا !

تمتم بحرارة متوهجة وهو يبتعد قليلا بشفتيه

" لم اعهدك تهربين يا غازية !"

رفعت جفنيها لتطل نظرات عينيها الشرسة بينما تهمس من بين اسنانها

" انا لااهرب ابدا .. لكن .. احتاج لفسحة "

ابتسم ابتسامة ذائبة وعيناه تتقدان بالذكاء وهو يهمس لها بالمقابل

" فسحة ؟ ام ركن العقاب ؟"

ذابت الشراسة وبدت اشد تشوشا وارتباكا وهي تهمس بحشرجة

" عن اي عقاب تتحدث ؟"

تراجع للخلف وهو يسحبها معه ليجلس على كرسي خشبي ويتشبث بخصرها يمنعها الابتعاد ، يرفع رأسه لينظر لوجهها يبتسم لها تلك الابتسامة الغامضة الجذابة ثم يغمز بخفة وهو يحرك حاجبيه ويقول بخفوت

" تعاقبين نفسك لانك بادلت زوجك عواطف هادرة بالشوق طوال ساعات ليلة الامس.."

احمر خداها وهي تديره وجهها جانبا بعيدا عن تفحص نظراته الذكية ليميل ماهر براسه ويطبع قبلة عاطفية على بطنها ويتساءل بنبرة متسلية في ظاهرها

" اذن .. ما المشكلة يا ام شاهر ؟"

بدت متوترة .. يشعر بكل خلية فيها متوترة ... انتظرها تفصح ويعلم انها ستفصح .. لم تكن يوما ممن لايواجهون الحقائق من حولهم ..

تمتمت بخجل من الذات هذه المرة

" لم .. يفترض ان .. يحصل بيننا .. أأ .. انا في .. حداد .."

ارتفع حاجبا ماهر قليلا وهو يهمس

" لقد مر شهران يا روح ماهر .."

اخذت تحرك كفها الايمن باضطراب لتستقر به على كتف ماهر دون ان تشعر بينما تقول بارتباك فتنه



" لكن .. انا تربيت بشكل مختلف .. نحن من بيئة يستمر الحداد لاشهر طويلة.."

رد ماهر بفطنة وسلاسة

" اذن لم اخطئ في وصفك رغم اني لم اتبين اسبابك بوضوح .. انت تعاقبين نفسك وتعاقبينني يا غزالة؟ هربت من السرير باكرا لانك لم تحتملي اخلاءك بما تؤمنين به من عقائد .."

تضايقت اكثر من مصارحته وحاولت اطلاق سراح جسدها من بين كفيه فوقف على قدميه يجرها اليه جرا يميل بوجهه اليها ويهمس قرب خدها باغاظة عاطفية

" لاتهربي .. استطيع تعقبك وامساكك متى ما اشاء .. لكني احتاج ان اشعرك حولي وفي محيط هوائي وبارادتك انت "

اوشك ان يصل بشفتيه لفمها مرة اخرى عندما تعالى صوت فاطمة من عند الدرج وهي تنادي

" ماهر هل ستوصلني بنفسك ام اخذ سيارة اجرة ؟.."

ابتسم ماهر لعيني صفية الحانقتين من افعاله الجريئة بينما يرد على فاطمة بصوت مرتفع

" بل انا من سيوصلك عزيزتي .."

فترد فاطمة وهي تعاود صعود الدرج

" حسن ... سأرى زينب ... ربما استيقظت.."

اخذت صفية تبعد يديه عنها وهي تهمس له بتوبيخ

" ابتعد ماهر .. الفتاة ستنزل بأي لحظة .."

ضحك ماهر عاليا وهو يدفعها بخشونة ثم قال متحديا بنعومة وهو يعاود الجلوس على كرسيه " اذهبي واعدي لنا فطورا دسما .. شهيتي اصبحت مفتوحة .. جدا .. صفصف "

كزت صفية على اسنانها بينما يلتقط ماهر كأس عصير متروك ليشربه دفعة واحدة وعيناه على صفية فتشع نظراته نحوها ...

دخلت فاطمة على استعجال لغرفة اختها تتوقعها نائمة كعادتها يوم الجمعة لتتكلم فاطمة مباشرة مع فتحها الباب

" زينب ... استيقظي .. هل تأ...؟"

توقفت كلمات فاطمة وهي ترى اختها بشعر مشعث من النوم تحدق بعبوس شديد ونظرات متحفزة في شاشة هاتفها ..

تمتمت فاطمة وهي تقترب منها

" ما بك ؟ لماذا تعبسين هكذا.. هل جاءتك رسالة مزعجة ؟"

زمت زينب فمها قبل ان ترمي الهاتف جانبا وهي تتمتم " رسالة حمقاء .."

غادرت زينب سريرها بحركات حادة وهي ترمي الغطاء جانبا بعنف بينما تهادنها فاطمة بالقول الرقيق

" هل تأتين معي ؟ احتاج ان تكوني معي .."

نظرت اليها زينب بفضول وهي تسأل

" الى اين ؟ "

ابتسمت فاطمة بحلاوة مترجية بينما توضح قائلة

" ساذهب لمساعدة حوراء في حزم بعض الاغراض.. يبدو انهم سينتقلون باكرا للعيش في بيت عمي اسر .."

للحظة ارتفع مستوى التحفز لدى زينب وهي تقول بشراسة " ولماذا انت تذهبين لحزم الاغراض لها ؟ اليس لديهم خدم ؟ "

تلاشت ابتسامة فاطمة شيئا فشيئا لتقول بهدوء " انا ذاهبة لاساعدها زينب .. حوراء دوما ساعدتنا وكانت لطيفة معنا هي ووالديها .. اقل ما يجب ان نرد لهم المساعدة اذا احتاجوها منا "

احمر وجه زينب وهي تشيح بوجهها بقوة ..

اشفقت عليها فاطمة .. حقا اشفقت على معاركها الداخلية وخوفها المرضي ان تتم اهانتها بأي طريقة ..

اقتربت فاطمة من اختها لتسألها بهمس

" لماذا لاتستطيعين تقبلهم كأهل لنا ..؟! "

اخذت تمرر زينب يدها في شعرها القصير وهي ترد بحشرجة

" لا اعرف .. لاعرف .. ربما من النظرات المستهينة لبعض ممن ينتمي لهذه الطبقة ويتبينون اصولنا البسيطة التي نعجز عن اخفائها.. فلا اكف عن التفكير ان اهل ماهر ينظرون لنا بنفس النظرة لكنهم يخفونها ! و يكفي ان الخالة نهى ما زالت تنظر الى صفية والينا نحن ايضا بنفور واضح ! حتى بعد مرور ست سنوات ما زالت

لاتتقبلنا وتنظر الينا بتعال .. عدا كلماتها المبطنة بالاهانة الانيقة ! .."

رفعت فاطمة يدها من فورها لتضعها على فم اختها وهي تهمس لها بتحذير

" اخفضي صوتك ارجوك .. ماهر في الاسفل قد يسمعك .."

غامت عينا زينب بحنان خاص ومحبة صادقة لاتستطيع انكارها او معاندتها لتهمس

" ماهر شخص فريد من نوعه فاطمة .. لااعلم كيف يستطيع احتواءنا جميعنا بكل جنوننا وعقدنا النفسية .."

فجأة مالت فاطمة لتحتضن اختها بقوة تتوسلها من قلبها وعلى نحو غريب اثر في عمق قلب زينب

" لكن انا .. احتاجك انت .. اتوسل اليك زينب عودي كما كنت .. كما كنا قبل بضع سنوات .. في بيتنا القديم .. عندما كنا نضحك ونتشاجر .. نتناقر ونتحدى بعض .. نمشط شعر بعض لنفك عقد الخصلات بعد الحمام ثم نضفر شعر بعض .. هل تذكرين ؟ هل تذكرين المشط الخشبي الضخم ؟ كم كان شعرك الداكن رائعا .."

توجع قلب زينب مع كل كلمة صدرت عن فاطمة وتوجعت اكثر عند ذكرها لشعرها الطويل الداكن الذي قصته في لحظة جنون ..

حاوطت اختها بذراعيها وهي تتذكر بلوعة افتقادها لرائحة امها ..

فاطمة الوحيدة التي تحمل نفس الرائحة ..

رائحة شخصية تثير في نفسها الحنين لاحضان امها التي تلاشت في لحظة من الوجود ..

يا الهي .. قضت السنوات متباعدة حتى عن امها .. تحبس نفسها ها هنا بين جدران غرفتها مع عقدها وتحفزها الدائم ولهاثها لتدرس وتدرس حتى تحقق ذاتها دون الاتكال على احد ..

فاجأتها فاطمة بالكلام المتسائل

" لماذا قصصته زينب ؟ لماذا فعلت هذا بنفسك ؟ كم اتمنى ان .. تطيلي شعرك مرة اخرى ..أمنا .. كانت تحب الشعر الطويل .. هل تذكرين ؟ "

" توته ... انزلي والا سأصعد بنفسي ومؤكد وجه العبوس ستثير الزوابع لاني اقتحمت عرينها .."

كان هذا صوت ماهر ينادي من على الدرج وباسلوبه المستفز الضاحك ..

ابتعدت زينب عن اختها وهي تسبل اهدابها وتهمس " اذهبي توته .."

توسلتها بالقول

" ألم تغيري رأيك ؟ ألن تأتي ؟"

فجأة قالت زينب بتحفز " لماذا يجب ان نساعدها نحن ؟ لماذا لايفعل ذلك اخواها التوأمان ؟"

ردت فاطمة بحيرة " انا لم اسال .. لكن ربما محمد مشغول ومحمود في .."

قاطعتها زينب بعنف هائج " محمود مؤكد في النادي يتسكع مع احدى صديقاته.."

" توتاااااااااااا..."

عاود ماهر النداء مما اربك فاطمة وهي تتطلع لاختها باستغراب واضح ...

لم تفهم لماذا اختها تركز على افعال محمود دون محمد ؟!

صحيح ان محمود يتعمد اغاظتها لكن زينب على الدوام تضعه في موقف التحفز منها ..

مالت فاطمة هذه المرة لتطبع قبلة على خد زينب وهي تقول برقة وامتنان

" انا ذاهبة .. شكرا لانك سمحت لي بالنوم قربك ليلة الامس .."

ثم نظرت في عيني زينب لتضيف

" قد .. افعلها كل يوم ..انا افتقدك بشدة .. اشعر اني لم أرك منذ زمن طويل "

ثم استدارت فاطمة سريعا لتغادر مع النداء الثالث لماهر ..

تحركت زينب لتقف بمواجهة المرآة ..

تنظر لنفسها وتقيّم دون ان تشعر شكلها الخارجي ..

جسدها ليس رقيقا انثويا كفاطمة بل هي ممتلئة برشاقة نوعا ما وطويلة نسبيا .. اكثر طولا من صفية حتى.. بشرتها حنطية تميل ربما للسمرة ..

ملامح وجهها تراها عادية لاشيء مميز فيها..

ربما عيناها واسعتان وشفتاها مكتنزتان .. لكن .. تبقى ليست مميزة ولا تثير الاهتمام ..



اغمضت زينب عينيها بينما ترفع يدها

لتلامس خصل شعرها القصيرة جدا

وتتذكر كيف كان فيما مضى ..

طويلا كثيفا مفعما بالصحة ..

توته تسألها لماذا قصّته ؟

صفية ايضا سألتها مرارا لماذا قصّته ؟

امها .. امها التي لاتسأل عن شيء سألتها

بوقتها وهي تضرب على صدرها وتبدو بقمة

الهلع .. لماذا قصته ؟!!

ماهر الوحيد الذي لم يسأل فقط يراقب

ويمنحها شعورا فريدا من التحرر ..

وكأنه يقول لها

" افعلي اي جنون ترغبين.."

هذا التفهم منه بدلا من ان يريحها فانه

يضيف مزيدا من الحطب لنار عنادها

الاهوج..

اجل اهوج واحمق ومتهور ..

(انا احب الشعر الطويل .. اموت فيه واذوب

ذوبانا لملامسته)

فتحت زينب عينيها بنظرات قوية تفيض

بالشراسة وعواطف ثائرة تحطم اي

محاولات لتماسك اعصابها ..

لن تنسى ابدا هذه الجملة المداعبة

سمعتها يوما وبصدفة بغيضة تصدر عن

محمود نحو احدى صديقاته التافهات ..

كان من سوء حظها انها حضرت مأدبة
عشاء في بيت العم بلال .. ولانها ضاقت
بتصرفات الخالة نهى التي لم تفتأ ترميهن
بنظرة الاحباط والكلمات المبطنة فغادرت
زينب غرفة الضيوف الكبيرة دون ان يشعر
بها احد وفتحت باب البيت لتخرج
للحديقة..

لم يخطر ببالها ابدا ان محمود في الحديقة
ايضا .. يتكلم عبر الهاتف وبنبرة مبحوحة
لم تسمعها منه يوما ..

ويا ليتها لم تسمعه ابدا ..

شعرت بالنفور وهي تسمع تغزله بالفتاة ..
نفور وغضب .. غضب لايحتمل ولايطاق ..

فلم تشعر الا وهي تغادر بين الناجي
بأكمله ودون ان يشعروا باختفائها عائدة
لبيتها سيرا على الاقدام فتفعل فعلتها
الشعناء وتقص شعرها بحركات تفيض
بجنون الغضب ..

هدرت زينب وهي تعود لواقعها وتقييمها
المتدني لذاتها قائلة

" الاحمق الغبي يتسكع مع رفيقاته
المبتذلات وتوته تريد العودة لدور الملاك
المتفهم للجميع .."

احتدت نظراتها برغبة للتنفيس عن غضبها
القديم الحاضر من كل شيء فقالت وهي
تنظر لوجهها عبر المرآة

" مخطئة فاطمة ان تقرري طي الصفحات فجأة ونسيانها وكأنها لم تكن .. نحن لن نعود ابدا لما كنا .."

وبحركة سريعة متعجلة توجهت نحو باب حمامها الخاص وهي تتمتم

" سنرى ايها المتسكع .."

ترجلت من سيارة ماهر وهي تلوح له مبتسمة بينما يقول لها

" عندما تنتهين اتصلي بي .. ساتي لاعيدك للبيت بنفسي .."

هزت رأسها بـ(نعم) بينما تستدير تواجه بيت ظافر الغازي استعدادا لدخوله غافلة عن السيارة المألوفة المركونة تحت الظليلة النباتية ..

سلم محمد الصندوق لاحد العاملين لينقلها للطابق السفلي بينما ينظر لساعته وهو يقول

" هل تحتاجين لشيء اخر ؟"

مسحت حوراء على جبينها وهي تبتسم له وتقول

" اذهب حبيبي .. ما قدمته منذ الصباح يكفي .. اعلم ان لديك عملا ينتظرك في المزرعة وانا اخرتك بما فيه الكفاية.."

رد محمد بابتسامة مميزة جذابة

" لاتقلقي انا رتبت وقتي الصباحي لاجلك.. اعلم اني امي لاتستطيع مساعدتك هذا اليوم ولديها مأدبة عشاء لاصدقاء ابي .."

ثم هز رأسه وهو يعاود الاتصال باخيه دون رد ليقول

" هذا المزعج قال لن يتأخر كثيرا وسيلحق بي حالما ينهي امرا مستعجلا .."

ضحكت حوراء وهي تعرف انه يقصد توأمه محمود فتقول له

" اتركه لشأنه يا محمد .. انت تعرفه هو غير منضبط بمواعيده على الاطلاق .."

لتضيف حوراء بعدها بغيظ رقيق

" كل هذا الاستعجال في الانتقال بسبب ظافر والا لكنت انتظرت عودته من السفر ليساعدني بنفسه .. لكنك تعرفه يجن من القلق لمجرد اني حامل الآن.. يريدني منذ الليلة ان ابيت عند خالي آسر لاكون تحت سمع وبصر واعتناء خالتي نادية .."

تمتم محمد بابتسامة جذلى

" انه يحبك جدا ..."

احمرت حوراء من كلمات اخيها الصغير دون ان ترد .. فيتعجب ويعجب بنفس الوقت .. مضى قرابة السبع سنوات على زواج حوراء من ظافر وما زالت اخته بحيائها الناصع ..

الا يحق لظافر ان يعاملها كجوهرة لاتقدر بثمن يكاد يخفيها عن اعين الجميع ..

اخذ محمد يحدق في اخته متأملا فتنة وجهها بالحجاب وحلاوة ارتدائها لفستان فضفاض يزيدها قيمة وعلوا وجمالا ..

سألته حوراء بابتسامة وهي تنقل بعض الاغراض لصندوق كارتوني جديد

" لماذا تنظر الي هكذا يا فتى ..؟ افصح عما يجول بخاطرك "

رد محمد بصدق وبما يعتمل في قلبه منذ ان شب وادرك الحياة

" اتمنى ان يرزقني اللّه بفتاة مثلك يا حوراء .. دوما تمنيت فتاة تشبهك بكل شيء .. "

تركت حوراء ما في يدها وقد تملكتها بعض الدهشة لتقترب من اخيها تبتسم له بحنو وتسأله بمداعبة

" هل تتغزل بي ايها الصغير ؟ "

رد وهو يمد يده لينفض بعض الاتربة عن حجابها الابيض " بل اتغزل بعفتك وبراءتك .. لم أر فتاة بنقائك الخارجي والداخلي هذا ..ظافر كان الاكثر حظا لانه حظي بك .."

تأثرت حوراء بكلامه فحاوطته بذراعيها وهي تقول له بفخر

" بل المحظوظة هي من ستكون من نصيبك .."

ثم ابتعدت عنه تقول له بخفة

" اتخيلها منذ الان تشع رقة وجمالا .."

رد محمد وهو يسبل اهدابه بغموض

" الاهم ان تشع براءة في الروح .. كما قلت لك .. اريدها مثلك .. بقلبك النقي الذي لم يعرف قبل زوجك احد .."

للحظة استشعرت حوراء غرابة برده او معنى مزدوج ! فارادت ان تصل لمقصده لتناقشه بالقول

" لكن الا ترى ان بعض الفتيات ربما يتهن في معرفة الخيار الصحيح بين عدة خيارات مطروحة هذا لايعني ان قلبها عرف رجلا قبل الرجل الذي ارتبطت به .. لقد تقدم الي ظافر ورياض في نفس الوقت واخذت وقتي لافكر ايهما اختار زوجا لي .. "

للحظات صمت محمد قبل ان يقول اخيرا وبنبرة حادة بعض الشيء

" لكنك لم تسلمي مقاليد قلبك وروحك الا لمن قلتِ له نعم يا حوراء .. لم تمنحي عداه اهمية خاصة .. لم تكن عيناك تزوغان نحو هذا وذاك طلبا لحبه واهتمامه او مبادلة لمشاعره المعروضة عليك .."

رفع نظراته فجأة لاخته الكبرى وهو يضيف بنظرات ثاقبة شديدة التوهج

" لذلك قلت لك انا ابحث عن عفة الروح وبراءة القلب .. من تصون نفسها لاجلي تستحق اني أصون نفسها لاجلها حتى اجدها واراها ..."

رن هاتف حوراء فتبسم محمد لاخته وهو يقول غامزا

" مؤكد ظافر قلق عليك كعادته"

تستمع لحواره مع اخته عبر الباب الموارب وتكتم شهقات البكاء والصدمة ..

تجفل من صوت رنة الهاتف فتتراجع للخلف لتعود بخطوات مكتومة لاول الرواق من حيث أتت .. وقبل ان تصل ناحية السلم تخذلها ساقاها ويكاد جسدها ينهار فتسند ظهرها للجدار وهي تكاد تختنق ..

اذن لهذا .. لهذا تغيرت نظرته لها ..

ربما هو يعرف .. يرى ويعرف بكل تخبطاتها العاطفية الماضية ..

وحتى لو لم يعرف ...

يكفي خطبتها المشؤومة لخالد ..

محمد ابدا لن يراها تستحق نظرة احترام وتقدير منه كما التي يكنها لزينب ..



وبشعور مغيب عما يدور حولها لم تسمع الخطوات لتتراآى لها عبر غشاوة فيض الدمع خضرة عينيه وهو يحدق فيها ...

همس اسمها بما يشبه اللوعة ..

" توته..."

آآآه ... كم مضى من الزمن لم ينادها بهذا الاسم؟!!..

الحنق وقلة الصبر تلونت بها نبرات صوته الرجولية لكنها لم تغطي على جنون اللهفة والقلق

" هل اصابك غثيان الصباح ؟ تشعرين ببعض الدوار اليس كذلك ؟ لاتتحركي

كثيرا فربما يغمى عليك وتقعين أرضا فتؤذين نفسك ..يا الهي اتركي كل شيء واذهبي لبيت والدي حالا .. تبا لكل الاغراض السخيفة التي تحتاجين حزمها معك .. كيف أصل اليك واجعلك تنفذين ما اطلب دون عناد .."

تبسمت حوراء بينما تحمر وجنتاها طواعية وهي تتذكر انه في يوم ما لم يتوانَ حتى عن تسلق الاشجار ليصل اليها ....

تمتمت اسمه بدفء والذكرى تلفح قلبها بهبات عشقها له " ظافر .."

لم يكن بكامل تركيزه بينما يواصل هذره القلق ان لم تصفه بالمرتعب

" اللعنة على السفر والعمل .. بل لم يكن يجب ان اضعف من الاساس لتوسلاتك بانجاب طفل ثان بعد فارس .. ما زال الوقت باكرا جدا لطفل ثانٍ "

كتمت ضحكتها الخجول وهي ترد عليه ببعض الحزم المصطنع

" فارس سيبلغ السادسة قريبا ظافر وانت وعدتني منذ اول زواجنا بمحاولة انجاب ثلاثة بمشيئة الله "

وكأنه قالت (القشة) التي قصمت ظهر البعير ! هدر بعنف متوتر

" ثلاثة ؟!! انسي حوراء .. اكاد لا انام قلقا عليك وتوترا من القادم .. الان ... طمأنيني بالله عليك بكلمات مباشرة ولا تراوغي .. هل انت بخير ..؟ "

لم تحتمل اكثر فهمست له ببحة مميزة

" انا بخير مولاي .. كل ما اعنيه حاليا اني اموت شوقا اليك وافتقد جنونك حول كل ما يخصني وانت تحاوطني من كل جهة .."

لاتسمع الا صوت انفاسه وللحظات استمر صمته قبل ان يقول بصوت أجش يبدي غيظا عاطفيا منها

" لماذا لاتجيدين قول هذا وجها لوجه ..؟ اللعنة ... انت لاتقولينه الا عبر الهاتف وانا بعيد عنك بالآف الاميال .."



ضحكت بخفة متوردة الوجنتين وهي ترد عليه بكلمات تحمل اكثر من معنى " ربما لانك تجيد الاستماع عبر الهاتف"

تنهد بحرارة قبل ان يعترف بالقول

" ماذا افعل ؟! معك افقد السيطرة فتسبق افعالي صبري باشواط .. انا هكذا ولا استطيع ضبط نفسي امامك "

تمتمت وهي تسبل اهدابها

" انا احبك ..هكذا .. "

فيرد بعنف هامس

" وانا .. اشـ...تـــ....عل .."

انفجرت ضاحكة بدلال بينما يتمتم ظافر

" اضحكي الان .. سترين عند عودتي ..

اين امي ؟ انها لاترد على اتصالاتي .."

ردت بهمس وقد اعجبتها لعبة اغاظته

" امك تعد لي غرفتك .. سأنام الليلة في حضن سريرك القديم "

قال بنبرة عتب حار

" يا الله .. ماذا اصابك اليوم يا حوراء لتفعلي بي هذا ؟! "

تطلعت للباب الذي غادر منه اخوها قبل قليل لترد على ظافر

" الصغير محمد ذكرني بما مضى ..."

بنبرة مليئة بتوبيخ ضمني قال

" اذن سأستعين به دوما ليذكرك عندما

تنتابك الشكوك اللعينة .."

نبضة تهتف بوجع الغيرة ضربت قلبها

لكنها كتمت الـ(آه) ولم تظهرها ..

في النادي

يجالسها تحت ظليلة شجرة وارفة تتسلل

اشعاعات الشمس احيانا فتحط على خصلات

شعرها الطويل المنساب على كتفيها بدلال

يعكس اسمها ...

لايملك الا ان يتطلع لحسنها باعجاب وقد

تالقت شقرة شعرها ..

تبسم يغازلها بنظراته بينما يواصل

اعتذارته الشقية

" دلال .. سأصرخ بـ(آسف) باعلى صوتي

واثير لك فضيحة في النادي .."

ضحكت رغما عنها لتخسر هالة التغضب

التي تشبثت بها منذ اكثر من ساعة

فتناظر عينيه اللتين تشعان شقاوة مثيرة

فتهمس له برقة انثوية

" صالحني .."

تتسع ابتسامته وتتألق الغمازات الفاتنة على خديه بينما تلتمع عيناه بنية صريحة وهو يقترب منها فتنخطف انفاس دلال وهي تمد يدها لتدفعه بارتخاء في صدره وهي تهمس بارتباك

" هل جننت .. ماذا ستفعل ؟ "

تراجع قليلا للخلف وهو يضحك بصوت عال ليقطع ضحكاته صوت يعرفه ...

صوت يفيض بامواج هائلة من الانفعال

" ونعم الرجل انت .. تترك اختك الحامل واختي الضعيفة البنية تحزمان الاغراض بينما تجلس انت تتسامر في النادي ؟"

الفصل الثالث

" ونعم الرجل انت .. تترك اختك الحامل واختي الضعيفة البنية تحزمان الاغراض بينما تجلس انت تتسامر في النادي ؟"

اخذت محمود مفاجأة رؤيتها امامه فالتزم الصمت مذهولا للحظات طوال بينما يقف على قدميه ببطء وعيناه تتسعان وتتوهجان بشعلة من شعور غريب ..

شعور ينبع وينبض من مكان ما في داخله...

جاء صوت دلال وكأنه قادم من مكان بعيد .. بعيد جدا وهي تتساءل بضيق وقلق وحنق بالغ

" من هذه الفتاة يا محمود .. وكيف تكلمنا هكذا ؟! "

لم يستطع استجماع تركيزه ليرد بشيء .. أي شيء على دلال بينما يغرق اكثر واكثر في التمعن الذاهل بزينب ...

بدت مختلفة .. خصل شعرها القصيرة تتناثر على جبينها الاسمر بعبث مغر...

وقاحة كلماتها تلاشت امام وقاحة تعابيرها وقد تقوس حاجباها العريضان ..

فيها شيء مختلف هذا الصباح ..

ما هو ؟! ما هو ؟!!

لم يستطع احادة عينيه بعيدا عن وجه زينب ..

وبدلا من التحديق في اشتعال النظرات في عينيها وجد نفسه لا يستطيع مفارقة النظر لانفها تحديدا الذي ترفعه عاليا وكأنها تضع اسوارها الخاصة من الكبرياء الشامخ..

حرارة غير متوقعة دبت في كل اوصاله وخيالات عاطفية فرضت بانفلاتها سيطرتها عليه ..!

طنّت اذناه ورغما عنه نفض رأسه بنزق بينما يسمع دلال تناجيه بصوتها المتدلل

" محمووووود ..لقد بدأت انزعج..من هذه ؟!!"

شعر انه تائه تماما ثم ازداد توهانا ونظراته تنحدر من انفها لفمها ...

هناك ما جذب عينيه .. انها .. تبتسم !

ابتسامة .. ابتسامة شامتة ومستهينة هو ما التقطه من تلك الشفتين الـ.. الـ... المكتنزتين .. !

هل شفتا المجنونة مكتنزتان؟!

تمتم في سره يوبخ نفسه وهو مذهول منبهر من المسار الناري لافكاره

" ماذا حصل لك ايها الاحمق ؟! لابد انك شربت شيئا مريبا مع كوب العصير ..!"

قالت زينب اخيرا وهي تعبر ساخرة بخشونة

" محموووووووووود .. لا يسعني ان اقول الا .. وافق شن طبقه ! "

ثم تعوجت شفتاها بنفور بينما تنظر لدلال المتبرمة تارة لتعود لمحمود الصامت وهي تميل نحوه قائلة بهمس هجومي

" تليق بك حقا لتقضي وقتك التافه معها بدلا من تأدية واجباتك ومسؤولياتك كرجل .."

ثم استدارت فجأة لتتركه خلفها يحدق في مشيتها الحيوية المشتعلة بالطاقة...

صوت دلال جاء مفعما بالغرور والكبر وهي تقول " لم اتخيل ان صديقاتك السابقات بهذا المستوى المتدني ! "

التفت محمود بشراسة نحوها ليهدر فيها دون شعوره

" انها .. قريبتي يا دلال.. فاحترمي نفسك واغلقي فمك ولاتفتحيه الا عندما تتعلمي التمييز .."

ثم تركها ومضى بخطوات واسعة بينما دلال تناديه بقهر وغيظ

" محمود .. محمود انتظر .."

كان كالمجنون يريد العثور عليها قبل ان تغادر النادي..

اوشك ان يصل بوابة النادي عندما توقفت خطواته لتلمع عيناه بالاستدراك فاستدار يسارا في الجانب الاخر من النادي حيث اسطبلات الخيول ...



انها تحب الخيول .. تحب الحيوانات بشكل عام .. لم يرها تتمتع بمزاج هادئ الا مع الحيوانات..

عندما كان كل افراد العائلة يذهبون في سفرات قصيرة لمزرعة والده كانت زينب تثير فضوله منذ صغرها وهي تتباعد عن الجميع وتنسحب من الجلسة العائلية دون ان يشعر بها احد الا.. هو ..

فيلحقها خفية عنها وهي تتوجه للحظائر ويراقبها من بعيد وهي تختلي بالحيوانات هناك..

وبما ان توأمه محمد لديه نفس الميول التي ادخلته فيما بعد كلية الطب البيطري فلم يتوانَ عن سؤاله في كل صغيرة وكبيرة تخص الحيوانات ..

لم يخبره ان سر اهتمامه هو زينب تحديدا .. لكنه فجأة اصبح شغوفا ليعرف ما الذي يجذب زينب لتلك المخلوقات ..

ولماذا تفضلها على صحبة البشر ...

تنهد محمود بارتياح وقتي .. غامض مثير.. وهو يراها الآن امام ناظريه ...

في اسطبل الخيول الخاص بالنادي

تقف قرب حصان نحاسي اللون تلامس مقدمة وجهه باهتمام وتهمس له والحصان يصهل وكأنها يرد على همسها !



تلاشى شعور الارتياح بكل غموضه واثارته

ليحل بدلا منه (الغيظ) ضيفا مزعجا

مشاكسا على مشاعر محمود ، فيكز

محمود على اسنانه غيظا من.. نفسه ..!

لايعرف لِمَ لحق بها ؟

لايعرف لِمَ دافع عنها بشراسة امام دلال ؟!

لايعرف لِمَ لايقو على مقاومة الاقتراب منها

رغم كل المشاعر القتالية العنيفة

المتبادلة بينهما ..

لا يعرف لماذا يقترب منها الان لاهثا

(كعادته) غير عابئ انه ترك الفاتنة

الانيقة دلال !

بغيظه وانفعالاته المحتدمة ناداها

" زينب .."

التفت اليه برأسها بعنف تعقد حاجبيها

بنفور اشد ورفض موجع لكبريائه ..

اخذ يغلي من شدة الغيظ والغضب وهو يراها

تتحرك باتجاه بعيد عنه دون ان ترد عليه

بكلمة ..

بضعة خطوات متسارعة منه ولحق بها

وعفويا يمسك اعلى ذراعها ليوقفها وهو

يقول بنبرة تفيض انفعالا

" زينب .. توقفي وكلميني.. "

توقفت لكنها لم ترفع حتى رأسها اليه وهي

تقول بنبرة تفيض بكل انذارات الهجوم

المرتقب

" اترك ذراعي محمود والا ..."

احساس لايُصدق يشعره وهما يقفان لوحدهما ها هنا ..

الهدوء مستتب حولهما الا من بعض الاصوات البعيدة وصوت لصهيل بضعة خيول ..

يده لم تطاوعه ليتركها ..

ربما لخوفه انها ستركض هاربة منه ..

او ربما لانه .. ببساطة .. لايريد تركها !

اقترب قليلا منها يميل برأسه بعض الشيء وهو يسأل بألحاح هو نفسه لايفهم اسبابه

" لماذا كل هذا الغضب ؟ لماذا انت عدائية معي هكذا ؟ "

بدت للحظة مرتبكة وهي تهمس بنبرة غريبة " اتركني .. محمود .."

ارتباكها شجعه ليقول بصراحة

" لا احب ان تأخذي فكرة سيئة عني .. دلال مجرد صديقة ... مقربة .."

لم يشعر الا بانتفاضة جسدها ثم ألم مفاجئ في قصبة ساقه اليمنى ليصرخ متوجعا " آآآآآآآآآآه ..."

افلتت ذراعها منه لتعاجله بضربة اخرى على قصبة ساقه اليسرى فيتأوه مرة ثانية وهي تهدر فيه

" تستحق واكثر يا ابن الناجي .."

تقبضت يدها لتلكمه في بطنه بحركة سريعة مباغتة فتكز على اسنانها من وجع قبضتها بينما هو لم يتأثر !

كان ما يزال يعاني من ألم عظمتيّ ساقيه فلم يستطع ان يسخر منها مذكرا اياها انه يمارس الملاكمة وضرباتها السخيفة لن تؤثر فيه ..

يطوي ساقه متوجعا بينما تتركه وتمضي بخطوات مجنونة مغتاظة ..

لكنه لم يتركها فتحامل على ألمه وهو يركض خلفها ويهمس بشراسة من بين اسنانه

" ايتها المجنونة .."

التفتت اليه تتحداه وهي ترد عليه بسخرية نارية

" وسترى مني مزيدا من الجنون ان اقتربت مني يا (محموووووود) ... "

عادت لتكمل طريقها وهي تواصل تهديدها ووعيدها

" واياك ثم اياك ان تبعث لي برسائلك السمجة مرة اخرى ..."

تظن انها فازت ؟! حسن ..

في لحظة كان يمسكها مرة اخرى وكم انعشته شهقتها المتفاجئة وهي غير قادرة على ايقاف سحبه لها عنوة حتى دفعها ليرتطم ظهرها بسور خشبي ..

ارادت التحرك لتتجاوزه لكنه مد ذراعه امامها مستندا براحة كفه على حافة السور ..

كان يلهث وهي تلهث بتسارع اكبر منه !

همست اخيرا تطالبه بشراسة ودون ان ترفع وجهها اليه " ابتعد محمود والا ضربتك مرة .. اخرى جديدة .."

كان يشعر بالجنون منها ومن نفسه ..

منذ البارحة وطاقات الجنون تطارده ..

وهي من أتت اليه بقدميها وسيريها ..

لقد انتظر ليلة الامس .. وانتظر وانتظر وانتظر حتى غفى على الاريكة ..

ليستيقظ فزعا بعد ساعتين وكأنه فاته موعد شديد الاهمية فيهب كالمجنون باحثا عن هاتفه متأملا برؤية رد منها ..

لكن هذه المجنونة العنيفة الشرسة لم تكلف نفسها عناء الرد !

ظل يتقلب في سريره بعدها حتى اشرقت الشمس وحل الصباح وايضا لم يحصل منها على رد ..

لايعرف لم شعر بلذة الانتقام وهو يتصل بدلال ليتواعد معها في النادي بدلا من الذهاب لاخته حوراء حتى يساعدها في حزم الاغراض ...

كله بسبب هذه الصبيانية التي تفقده عقله ..

ضرب بقبضته على السور الخشبي وهو يسألها بهمس عنيف

" لماذا لم تردي على رسالتي ليلة الامس .. لقد اعتذرت وانا لاافعلها الا مع .. مع .. من يهمونني .."

ردت بصوت خفيض سحره

" مغرور ... متكبر .."

ينفض رأسه مرة في حركة تعبر عن تمرده على ما يحصل له ...

بينما الشرسة غافلة عنه وهو يكاد يكسر اسنانه من شدة الغيظ ..

ارادت ان تتحرك مرة اخرى فتشبث بالسور مانعا اياها ..

كان يعلم ان ما يفعله خطأ ..

لكن .. هناك ما يدفعه دفعا ..

بل ما يأسره ويقيد عقله ومنطقه وما تربى عليه فلا يملك الا ان يفعل هذا ..!

وفي موجة الشحنات المجنونة التي تلفهما همس " لماذا قصصت شعرك زينب..؟"

رآها كيف تصلبت بالكامل !

بل بدت كتمثال من الرخام ...

لكنه ما زال مأسورا ليستجيب لتنبيهات الخطر التي تقرع في رأسه ...

عيناه تعلقتا بشعرها القصير فابتلع ريقه وهو يتذكر امواج بنية تغطي ظهرها حتى نهايته ..

همس بصوت مبحوح وهو مأخوذ بصورة من الماضي " كان كثيفا ... رائعا مموجا بطريقة مميزة و .."

ذابت الكلمات على لسانه وتلاشت عندما رفعت وجهها اليه تناظره بعينيها الواسعتين وشمس الظهيرة تنعكس باشعتها وسط بركتين من العسل !

العسل ؟!

تمتم دون شعوره وهي يحدق في تلكما العينين

" عيناك ... عسليتان ! كيف لم انتبه سابقا للونهما ؟! انهما ..... آآآآآآآآآآآآآآآآه ..."

هذه المرة الضربة على ساقه كانت الاقوى وصرخة ال(آه) التي ندت عن فمه كانت الاعلى ..

رآها تركض كأرنبة تعبر الاسوار المنخفضة برشاقة ..

رآها تبتعد وتبتعد حتى تلاشى طيفها خلال ثوان ...

الألم في ساقه خفت ..

لكن .. هناك ألم من نوع آخر ..

ألم .. يستعذبه ...



" توته ..."

يهمس اسمها بلوعة ...

لوعة من صميم القلب الذي قهرته ..

لوعة تجعله يغرق في دوامة من الهذيان فتذوب العوارض وتتهدم الاسوار وتتمزق اوراق القرارات الموقعة بإقرار من العقل ثم تتناثر قصيصاتها على شواطئ المشاعر .. مشاعر نمت باكرا جدا في قلبه ...

آآآآه ... ملتاع وهو يراها بكل هذا الضعف تكاد تلتصق بالجدار خلفها تتكئ عليه وكأنها ستنهار وقد سبقت الدموع الانهيار على خديها ...

صغيرة جدا ووجها الباكي الذي يأخذ شكل القلب يعتصر قلبه فتتوالى اللوعات..

اقترب اكثر ينظر لعينيها الغارقتين بالدموع يضيع في حيرته ويقف بعجز عن الإتيان بفعل يخفف عنه لوعته قبل ان يخفف عنها ألمها ..

اعتصر قبضتيه وهو يستعيد بعضا من قوته التي تزعزعت اركانها الثابتة ..

قال اخيرا بنبرة ثابتة ترعشها بحة رقيقة

" تكلمي معي توته .. اخبريني بأي شيء وحتى كل شيء لو أحببتِ .. "

بدلا من ان تهدأ فاضت عيناها بمزيد من الدمع ثم رفعت ظاهر يدها تخفي فمها وهي تشهق بل وتتعالى شهقات بكائها فمزقت صلابته وكأنها مجرد اوراق بالية ..

ثم قضت عليه تماما وهي تناديه همسا مرتعشا

" محمد .. محمد .. "

اغمض عينيه بعذاب ...

ماذا يفعل الآن ؟

يا الهي ماذا يفترض ان يفعل ؟

انه يحبها .. يعشقها ..

كيف ينكر هذا ويقاومه ..؟!

كيف يصل لمبتغاه منها وهي ليست مبتغاه!

تذكر نصائح والده مذ شب يافعا ..

تذكر كل كلمة صدرت من صرح شامخ كبلال الناجي ، يحترمه كانسان ورجل فريد قبل ان يقدره كأب لايقدر بثمن .. كل كلمة ترسخت عميقا وانتشرت وشعت بتأثيرها الوهاج ...

كيف وصف والده روعة الشعور بوجود شريكة مميزة .. مع التشديد ان الشراكة لاتعني الحب فقط..

الشراكة طائر مغرد بجناحين متوازيين..

التوافق الفكري والتعاشق الروحي ..

آآآآآآآآآه .... الا يفترض استعادة كلام العقل والمنطق ان يعيد له هدوءه وثباته ؟

اذن لماذا لايزال يشعر بالغليان ؟

لماذا تسيطر عليه فاطمة لهذه الدرجة وتدخله في متاهة يعلم جيدا انه لن يصل لدرب الخروج الصحيح منها ...؟

لماذا يشعر الآن انها تخصه رغم كل شيء.. وانه يريد تمزيق ايا كان حاول اذيتها وتسبب بأن تبكي بانهيار هكذا ؟

لماذا يريد ان يتصرف بجنون فيأخذها من يدها في التو واللحظة ليطلبها من ماهر ..؟

يصارع نفسه بارادة من حديد ..

يكبت بداخله الانفعالات ليفتح عينيه اخيرا فيراها ما زالت امامه ..

لقد توقفت عن البكاء وتمسح خديها وهي.. تنظر اليه ....

عبوس طفيف عكر صفحة جبينه وهو يحدق بنظراتها الموجهة اليه ..

حاول ان يفهم معنى تلك النظرات فلم يستطع ...

تمتم ببعض ما اختلج في صدره قبل لحظات

" قولي من ضايقك هكذا وانا اقسم سأتصرف معه..."

فجأة تغيرت ملامحها و بدت ... مصدومة !

ارتبك من صدمتها ..

عيناها توسعتا وهما تلمعان باثر الدموع ..

وجهها المحمر بأكمله بدى جامدا للحظة...

ناداها وهو يحاول استعادة تركيزه ليفهم

" فاطمة ..."

تلاشت صدمتها تدريجيا ثم همست وشبح ابتسامة يمر على شفتيها

" ها قد عدت لمناداتي فاطمة .."

ابتلع ريقه ثم اسبل اهدابه وهو يقول بصوت أجش " اعرف انك تحبين اسم توته لانه اسم التدلل الذي اختاره لك .. ماهر.."

فردت بما جعله يرفع عينيه مباشرة لوجهها

" انا احب اسم (فاطمة) اكثر لكن (توته) يجعلني اشعر بالالفة اكثر .. بينكم .."

ظل ينقل نظراته بين عينيها يريد ان يصل لِكُنهِ هذا الغموض والتخفي الذي اختارته لتعبر عن نفسها ..

سألها باهتمام شديد

" هل تريديني انا اناديك فاطمة ام توته؟"

ارتجفت شفتاها للحظة قبل ان تبتسم ابتسامة حزينة قطعت نياط قلبه ثم همست بتقطع

" عندما اعرف ...سأخبرك ..."

تحركت وهو يحدق فيها بدهشة ..

قالت وهي توليه ظهرها متوجهة للسلم

" رجاء اعتذر لي من حوراء .. لا اشعر اني بخير... لذلك سأعود.. للبيت .."

مباشرة عيناه تحركتا على ملابسها ليعقد حاجبيه بغير رضا بينما يغض الطرف بشق الانفس عن ساقيها النحيلتين تحت حافة تنورتها السوداء الضيقة القصيرة والقميص الرمادي الرقيق الذي اظهر رهافة قدها ..

زفر بقوة بينما يقول بخشونة

" سأعيدك بنفسي.. لاداعي لركوب سيارة اجرة .."

التفتت له برأسها فقط وهي تقول

" سأتصل بماهر .."

تقبضت يده واطبق فمه بغضب فائر وغيرة جنونية ثم بلحظة تهور وتمرد على العقل قال من بين اسنانه

" بل انا من سيعيدك .."

نظرة متلألئة مرت بعينيها الخضراوتين قبل ان ينطفأ كل شيء حالما اسدلت جفنيها وهي تقول بنبرة رقيقة

" شكرا لك ..."

عاود مناداتها " فاطمة ..."

فوقفت على اول درجة تستدير نصف استدار نحوه وهي ترد " نعم .."

اقترب وداخله ينتفض بالتمرد عليه لكنه قاوم وهو يسأل بصوت حيادي

" ألن تخبريني من ازعجك هكذا وجعلك تبكين ؟ "

ليبتسم لها مضيفا بحنان رقيق

" كنت تخبرينا سابقا انا ومحمود عمّن يضايقك فنسارع للشجار قبل ان نفهم ما حصل ! .. هل تذكرين ؟"

أطرقت برأسها لتقول بغموض

" (نعم) اذكر ... و.. (لا) .. لن اخبرك هذه المرة .."

عاودت نزول السلم وهو يقف اعلاه في تردد غريب ..

عند نهاية السلم وقفت فاطمة تتطلع عاليا له فتسأله

" هل غيرت رأيك ؟ ألن توصلني ؟"

يحدق فيها للحظات طوال قبل ان يقول بنبرة غير مفهومة

" اصبري علي ... قليلا .."

ثم صمت ...

يتبادلان التحديق دون كلام معلن ..

ليضيف هو اخيرا

" سأخبر حوراء ... واعود اليك ..."

مساء ..

في حديقة البيت الخلفية (آل الناجي)

كان شديد التوتر وهو يتحرك ذهابا وايابا يحاول انهاء الامر باسرع ما يستطيع ..

لم يكن متوترا من الفتاة التي يحاول انهاء علاقته بها وهي تدعي الانهيار بالبكاء ..

انما مصدر التوتر وكل التوتر هذا الفيض الرهيب الذي غرق فيه هناك .. قرب الاسطبلات وهو يتلقى كل انواع الضربات .. لجسده .. ولمكان ما من قلبه ...

اخذ يمسح على جبينه وقدرته على الصبر استنفدت فيقول ببعض الخشونة رغم لطافة تعابيره

" دلال عزيزتي هذا لمصلحتك صدقيني انا ... لاانفعك .. ف...."

" محمود ..."

صوت قد يكون خافت النبرات بطبيعته لكنه حاد كالسيف بتأثيره ..

تلقائيا اغلق محمود الخط لتنغلق معها صفحة دلال الى الابد ...

اذناه تشتعلان بالحرارة بينما يتمتم

" ابي ...؟ "

للحظة عينا بلال استقرتا على الهاتف النقال بيد ولده ثم رفع نظراته مرة اخرى ليقول بنفس الهدوء

" ألحقني لغرفة المكتب "

حالما دخل محمود لغرفة مكتب والده ذات الاثاث المائل للزرقة الهادئة اغلق الباب خلفه ثم فعل ما قرر ان يفعله ..

اقترب خطوتين الى حيث كان يجلس والده بهدوئه المعتاد خلف مكتبه

" ابي .. اقسم لك اني لم افعل ما يغضب الله ويغضبك .."

يطرق بلال برأسه بينما يحرك مسبحته بيده ، طال الصمت للحظات وشعور محمود يزداد سوءا ..

لماذا كل الامور معقدة وغريبة هذا اليوم؟!

اولا زينب وجنونها الذي جننّه .. والان .. هذا الموقف والاحساس المريع الذي يشعره وهو يقف قبالة والده لايجد ما يدافع به عن نفسه او ما يقنع والده انه .. حقا .. لم يفعل ما يغضبه ..

طرقات على الباب سبقت دخول محمد فيلتفت محمود لاخيه بينما ينقل الاب نظراته بين ولديه ..



تبادل محمد النظرات المستفهمة مع اخيه قبل ان يوجه كلامه للاب وهو يقول باحترام

" عفوا ابي .. امي قالت انك تريدني .."

رد بلال بهدوء " تعال يا محمد واغلق الباب خلفك .."

فعل محمد ما طلبه والده وهو يتقدم بهدوء ويسأل ببعض التوجس

" هل هناك شيء ؟"

عينا محمد تركزتا على اخيه الذي بدى في حال غريب من التشوش والضيق ...

جاء صوت بلال هادئا وهو يقول

" هل تذكر يا محمود عندما كنت اخذك انت ومحمد للتخييم ..كنت مولعا باشعال الحطب .. "

ما زال محمد يبدي نظرات القلق بينما محمود كان يطرق بنظراته ويبدو على ملامحه التوتر ...

أكمل بلال كلامه بنبرته الثابته

" ما زلت اذكر ملامحك الفتية وانت تمسك حطبة في يدك فتشعلها ثم تتوهج عيناك باثارة وهما تحدقان في النار المشتعلة .. لم تكن تهاب التجارب مهما بلغت رعونتها .. هذا انت منذ صغرك...



تتسابق في داخلك فرسان .. فرس الاثارة وفرس التفكير .. ودوما الاثارة هي الفرس الفائز "

صمت بلال ثم قال بنظرة قاسية

" كان يقلقني دوما ان لاتخيفك النار كما اقلقني تأثرك بأبن خالك ظافر ومسير حياته قبل زواجه بحوراء .."

ابتلع محمود ريقه وهو يحاول الشرح بصوت أجش " ابي .. انا ..."

قاطعه الاب وقد بدت نظراته شديدة الصرامة وهو يقول

" هل تعلم انك تمسك الآن شعلة هوجاء شيطانية في يدك تتلاعب بها باستهانة حمقاء تظن نفسك قادرا على التوقف متى ما شئت .. متجاهلا ادراكك الداخلي لخطورتها فيأخذك الغرور وتسيطر عليك غريزتك التي تتمتع بالنظر لنار توهجها تلهث خلف المزيد وتمنعك بقايا عفة نفس وخوف من اللّه ان تنغمس اكثر بلذتها المخادعة الموعودة "

نقل محمد نظراته بين والده واخيه وقد استوعب ما كان يحصل .. حاول التدخل وهو يتنحنح قائلا

" ابي .. محمود لم .."

لكن صوت بلال سبقه وبنفس الصرامة موجهة لمحمود تحديدا

" انك توشك على ارتكاب الزنى .. انها الكبائر يا محمود .. هل تدرك ما تقحم نفسك فيه ؟ وهل ربيتك لتسلك طريقا كهذا ؟!"

شعور بغيض ومريع ضيّق خناقه حوله ..

لسانه لم يطاوعه ليبرر امام والده بشيء ..

بتجلد رفع محمود نظراته يتحمل نظرة قتلته في عيني والده ليقول بتماسك

" أمرني بما تشاء وانا تحت طوعك .."

ساد صمت طويل وتّر الاجواء أكثر قبل ان يقول بلال مستعيدا هدوء نبراته

" انا لم اقيدك يوما باعتناق مبدأ ولم اجبرك على الرضوخ لعبادة الا باقتناعك، منحتك كل ما استطيع لتحارب به اهواء نفسك واغواء شيطانك.. الان .. الامر عائد اليك يا محمود .. انت في الحادية والعشرين ما زلت تختبر طرقك لتسلكها فاحذر من عاقبة اختياراتك التي ستلاحقك عاجلا او آجلا.. ولاتظنن اني كنت غافلا عنك لكني صبرت عليك وصبرت .. حتى فاض صبري .. "

تحرك محمود ليقترب من ابيه وينحني حتى لثم كتفه وهو يهمس له بصوت أجش

" اقسم لك لن اخذلك ابدا ابي ..."

ربت بلال على رأس ولده وهو يقول له بحنان

" لاتخذل نفسك بعصيان ربك .. عندها لن تخذلني بني .."



حالما ابتعد محمود قليلا عن والده قال بلال وهو يتطلع لولده الاخر

" منذ عودتك من المزرعة وانت تبدو كمن يريد الكلام ولايعرف كيف يصوغ عباراته.."

للحظة تورد محمد ببعض الارتباك فتبسم بلال وهو يقول لمحمود

" اتركنا يا محمود .. اشعر ان هذا الحديث سيكون خاصا بيني وبين توأمك .."

بدى محمود غارقا بالتفكير مشوشا بكثرة المشاعر التي تنتابه دفعة واحدة .. كان احوج ما يكون ليختلي بنفسه يواجه دواخله ..

لذلك تحرك عفويا ناحية الباب تاركا خلفه اخاه محمد يحاول ان يجد بداية لحديث متشابك الخيوط في عقله ...

قال بلال بلطف خاص

" اسمعك يا فتى ... "

ما زال محمد يجد صعوبة في ترتيب افكاره .. لايريد ان يخبر والده بموضوع فاطمة الآن وفي نفس الوقت يريد استشارته..يحتاج استشارته ...

قال الاب يشجعه " ماذا يدور في خلدك وتضج به جوارحك فيجعلك على غير طبيعتك التي اعرفها .. انت تملك من القوة والصبر ما يؤهلك لتسعى للمعرفة .."



وكأن اباه انار الطريق لافكاره التائهة ..
تلقائيا وجد محمد نفسه يقول

" هل تذكر ما كنت تقوله لنا يا ابي عن شريكة العمر .. عن الطائر بجناحين .. عن التوافق والتقارب ..وكيف انه اهم من الحب .."

ابتسم بلال واسترخى بجلسته للخلف دون ان يعقب بينما يرفع حاجبيه قليلا وكأنه يقول له (اكمل)..

استجاب محمد وهو يقترب اكثر من مكتب والده قائلا بحيرة لايخفيها

" انا اعلم ان الحب قد يغير الكثير ويقرب المسافات .. لكن .. اقصد هل ينفع الحب حقا لاصلاح الخطأ وتصحيح المسار ؟"

اتسعت ابتسامة بلال بينما يرد على ولده

" الرضا هو ما يصلح الامور بني .."

عبس محمد قليلا وهو يتساءل

" كيف ؟ ماذا تقصد بالرضا ؟ "

وضع بلال مسبحته على سطح مكتبه فبدت الحبات الكهرمانية مشعة واضحة بلونها المميز ليرد بعدها على ولده

" ان ترضى باخطاء شريكتك اولا لترضى هي باصلاحها ثانيا..."

اتسعت عينا محمد قليلا بينما يكمل والده قائلا

" مشاركة العمر تعني ان لانتشبث بوضع المقاييس الدقيقة ونتخذها معيارا ومرجعا ثابتا لاختيارنا .. القلب له ان يحب من يشاء والعقل له ان يحكم على من اختاره القلب وارتضاه .."

تسارعت انفاس محمد وهو يسأل بعينين لامعتين

" ماذا لو رفض عقلي ما يريده قلبي .."

رد بلال وعيناه في عيني ولده

" امنح عقلك الفرصة ليعيد التفكير وامنح قلبك فرصتين ليبدأ من جديد .."

هز محمد رأسه وبدى بحالة اثارت دهشة بلال .. دوما كان هناك جانب خفي من محمد لم يصل لكنهه يوما ..

فيه شيء مختلف عن اخيه ..

محمود واضح ... في جنونه المحبب وتهوره الممتع وشقاوته الدافئة ..

اما محمد فغامض.. لديه قوة وصلابة تُخمِد اعمق البراكين وتلجمها .. حنون لكن مسيطر .. انه شاب مثير للدهشة حقا ..

قال محمد باصرار على الوصول لجواب يرضيه " وان رفض قلبي مطاوعتي يا ابي .. ان لم استطع تغيير وجهته لفتاة اخرى ليحظى بفرصة ثانية؟.."

تبسم بلال واحنى رأسه قليلا وهو يقول بخفة

" من تحدث عن فتاتين ؟!"

ليرفع وجهه لولده مرة اخرى ويقول بتأكيد على كل كلمة

" انا قلت .. امنح قلبك ... فرصتين .."

لم يستوعب محمد مباشرة ثم ...

شعت عيناه وهو يستوعب مقصد ابيه ...

اخيرا ....

بعد اسبوعين

في بيت اسر الغازي

كانت تسلم على حوراء وظافر عندما سمعت صوت حماتها من الخلف

" مرحبا صفية .."

سيطرت صفية على كل انفعالاتها التي تأججت في لحظة واحدة لتلتفت لـ(حماتها) بهدوء خارجي تنفذ ما وعدت نفسها بتنفيذه الليلة ..

لاجل ماهر فقط عليها ان تتجاوز ما يعتمل في دواخلها ..

تحشرج صوتها رغما عنها وهي تحدق بوجه خالتها نهى .. وجه يكاد يحمل الكمال بجماله ورقي ملامحه وعذوبة انوثته حتى وهي تجاوزت الخمسين ببضع سنوات ..

دوما كانت امها تشعر بالضآلة امام حماتها نهى تحديدا ..

دوما امها كانت .. تعاني في وجود هذه المرأة التي منحها اللّه تميزا بالولادة والنشأة..

خنقتها العبرة وهي تفكر .. دوما امها كانت .. تنكمش تلقائيا وتتباعد حالما تلتقي بحماة ابنتها ..

عينا صفية تحركتا عفويا تبحثان عن وجه محدد .. فابتسمت بارتعاش وهي تراه يبادلها النظر من بعيد ..

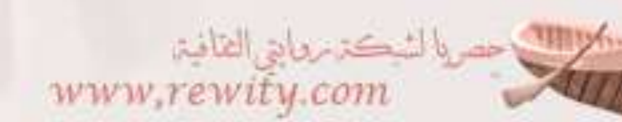
يقف مع والده وعمه يتبادلون الحوارات حول العمل غالبا لكنه لم ينسها ابدا ..

عيناه تقولان لها هذا ..

شعت ابتسامة صغيرة منه وغمزة شقية من عينه اليمنى فشعرت بالطاقة وكأنها كانت تكتم انفاسها واطلقتها للتو براحة..

قالت صفية بهدوء وعيناها تتركان زوجها لتنصبان باهتمام هادئ على حماتها

" مرحبا خالتي نهى ... كيف حالك ؟"



بدت نهى متوترة هي الاخرى لكن نبرة صفية اراحتها بعض الشيء فترد عليها بلطف

" بخير الحمد لله ..كيف حالك انت ؟ "

لتهبط نظرات نهى لبطن كنتها وهي تضيف

" حملك غدى واضحا جدا.. هل يتعبك ؟"

اجفلت نهى قليلا وماهر يفاجئها من الخلف وهو يطبع على خدها قبلة ثم يتحرك ليجاور زوجته وهو يقول

" يتعبنا نحن الاثنين امي .."

تبسمت نهى تخفي ارتعاشة غيرة وهي ترى ماهر يلف ذراعه حول خصر زوجته فتقول بنبرة خافتة

" اين الفتاتان ؟ اقصد زينب وفاطمة .."

رد ماهر وهو يشير برأسه في احدى جهات غرفة المعيشة الضخمة

" انهما هناك .. تكلمان عمتي نجلاء.."

تحركت نجلاء بابتسامتها البشوشة تاركة الفتاتين ومتجهة نحو آسر فتمحو ابتسامتها عن تعمد (شقيّ) وتبدله بعبوس الحنق لتتدلل عليه وتلومه لاهماله لها وآسر يضحك منها فيجرها عنوة اليه يضمها لصدره وهي تتمنع بتغضب...



أمالت فاطمة رأسها جانبا لتهمس لاختها بتوبيخ " باللّه عليك ابتسمي قليلا يا زينب .. كفي عن هذا العبوس الكريه ... "

رفعت زينب عينيها اللتين تطرق بنظراتهما منذ دخلت بيت عمها آسر وحالما فعلت وجدت ذلك الاحمق محمود يناظرها عينا بعين ونظراته تشع بما يؤرقها !

شمخت بذقنها تلقائيا ودون تفكير ثم التفتت ناحية اختها تتجاهل محمود عن تعمد فتقول لفاطمة بعناد فطري

" لم اكن اريد الحضور .. لن نؤثر على احد اذا تغيبنا "

ابتسمت فاطمة لمحمود ومحمد معا تتجاهل خفقات قلبها المتقافزة من نظرات محمد التي سرعان ما حادت بعيدا عنها فتتشبث بهالة من الكبرياء والصمود فلا تظهر تأثرها على ملامحها ..

حرّكت نظراتها هي الاخرى بعيدا عن زاوية تواجد التوأمين لتلتقط وقفة صفية مع ماهر بعد ان انسحبت الخالة نهى من امامهما لتقترب من .. طه المنشغل بجهازه!..

عندها قالت فاطمة لاختها بصوت رقيق ومتحشرج بتأثر " نحن هنا لاجل صفية يا زينب .. ارجوك انها تحتاج دعمنا .. واكبر دعم ان نظهر معها مرفوعتيّ الرأس واثقتين ولا نهاب شيئا ولا نختبأ من احد .."

حدقت زينب باستغراب في فاطمة لتتساءل بحيرة " منذ ايام وانت تبدين مختلفة .. هادئة على نحو غريب ومتماسكة بشكل يثير الريبة .."

ردت فاطمة بنبرة معتدلة " اعيد حساباتي ببطء وتمعن مختلف .. اريد ان افهم واستوعب ما حولي .. لقد فاتني .. الكثير لألحظه ..وأفهمه .."

عبست زينب لتقول بحمائية

" فاطمة .. لست مجبرة لارضاء احد ..
كوني كما تشائين ولاتهتمي بأحد .."

ابتسمت فاطمة بحنان وامتنان لاختها قبل ان تقول " مؤكد لست مجبرة لارضاء احد

لكني مجبرة ان ارضي نفسي يا اختي .. لذلك اعيد حساباتي .. اشعر اني كنت في متاهة اضعت فيها الكثير مني .. واريد استرجاع ما أضعته مهما كان الثمن .."

اخذت زينب تنظر لفاطمة بعمق بينما تضيف فاطمة برقتها المألوفة " انت ايضا اعيدي حساباتك زينب .. هذا الغضب داخلك يؤذيكِ .. يمتص منك ولا يعطيك الا شعور التعاسة والرغبة بالثورة والتمرد .. انت .. عاطفية جدا رغم انكارك حتى امام نفسك .."

للحظة تراجعت زينب عفويا خطوة للخلف.. مما جعل فاطمة تشفق عليها ..

قالت زينب بتشوش

" انا .. انا .. سأخرج قليلا .. لاستنشق بعض الهواء.. اشعر بالضيق هنا .."

راقبها محمود وهي تبتعد عن فاطمة بتعثر وتتجه نحو الباب وحالما اراد التحرك كبّلته ذراعان قويتان مفتولتا العضلات احاطتا بجذعه تقيدان حركته بينما صوت ابن خاله ظافر يداعب اذنه بالقول المتحدي الضاحك

" أرني ايها الصغير كيف كبرت ..."

فيضحك محمود وهو يسبل اهدابه ...

ببعض التردد واحساس من يستغرب ما يفعله تقدمت نهى من الصغير الذي بدى منشغلا جديا بالقراءة على جهاز الايباد الذي يحمله بيده ..

قالت نهى وهي ترسم ابتسامة متكلفة بعض الشيء على فمها

" مرحبا طه .."

هب طه واقفا على قدميه تاركا الجهاز على مقعد الكرسي الذي كان يجلس عليه ليرد على نهى بارتباك وتوجس ملحوظ

" مرحبا ... سيدة نهى ..."

عينا نهى دون ارادتها تركزتا على القميص المبهرج الذي يرتديه تحت سترته القطنية البيضاء ..

عبوس لامس جبينها من احساس فوري بالنفور لسوء ذوق القميص فتسأله دون تفكير

" من اين لك هذا القميص ؟!! "

للحظة تجمدت ملامح الفتى وقبل ان يجد ما يرد به عليها جاء صوت نادية حازما حادا بعض الشيء وهي ترد نيابة عنه بالقول

" والدته خاطته له .. "

رفعت نهى يدها لعقدها تتلاعب به ببعض الضيق وقد بدت غير مرتاحة لنبرة دفاعية ان لم تكن هجومية شابت صوت نادية ..

تقدمت نادية اكثر تبتسم لطه بينما تمسك بيد حفيدها فارس الذي تركزت نظراته على العقد الذي تتلاعب به نهى ليقول لجدته باهتمام وتركيز يتجاوزان عمره

" احب ان تلبسي عقدا كهذا نانا "

ابتسمت له نادية ثم تلاعب شعره الداكن قبل ان ترد عليه غامزة

" سأفعل يا حبيب نانا .. الآن اذهب والعب مع آسر الصغير .."

هز فارس رأسه ثم هرول ناحية ابن عمته بينما تمد نادية ذراعها لتحيط بكتف طه وهي تقول بصلابة

" طه فخور جدا بأمه لذلك يحب ان يخلد ذكراها على طريقته .."

تورد وجه طه وكعادته عندما يشعر بالحرج .. انسحب مبتعدا وهو يأخذ معها جهازه ..

قالت نهى بصوت خفيض تدافع عن نفسها

" انا فقط اردت ان اوجهه نادية ..القميص لم يكن ..."

قاطعتها نادية وكانت نبرتها اكثر حزما وحسما للموقف

" طه في عهدتي يا نهى .. اتمنى ان تتركي مسألة التوجيه لي انا وحدي حتى لايحصل تضاددا بالافكار في عقل الفتى .."

من على بعد بضعة امتار يستمتع آسر بمراقبة (مخالب) زوجته تكاد تنغرز في قلب ابنة خالته.. كم يتمنى ان تفعلها سيكون المشهد مشوقا ...

استعاد اسر جديته وهو يتطلع لاخيه الذي يجلس جواره فيسأله بهدوء

" ماذا قال لك الطبيب ؟"

رد شاهر بصوت خفيض



" الامور تبدو بخير ولا حاجة للقلق ..
الطبيب قال ان توتر العمل يؤثر على نبضات القلب فيتسبب بذاك الخفقان المتسارع احيانا .. لقد نصحني بالاسترخاء .."

سأل آسر بنبرة متشددة

" هل اخبرت نهى ؟"

فرد شاهر وعيناه تحيدان للحظة الى حيث تقف زوجته

" لا .. ولن اخبرها .. لااريد اقلاقها بدون داع .."

تنهد آسر بتضجر بينما يقول ساخرا بخفة

" لن تتغير يا اخي الصغير .. ما زلت تدللها وتراعيها اكثر مما يفترض مع النساء.. "

ابتسم شاهر بتفهم ليبدو بأشد وسامته حتى وهو يكاد يبلغ السابعة والستين ثم يرد على اخيه بمعنى مباشر

" قد لاتعجبك ابنة خالتنا يا اسر ..
لكنها انثى شديدة الرقة والضعف رغم ما يظهر عليها من ترفع وثقة بالنفس "

فأمال اسر رأسه وهو يرفع حاجبا واحدا مبتسما بخبث وهو يهمس له

" اذن حذّر ابنة خالتنا الرقيقة ان لاتقترب كثيرا من الفتى الصغير فنادية تصبح في قمة الشراسة حتى معي انا شخصيا اذا تعلق الامر بالعصفور طه .."

تطلع شاهر ناحية المرأتين وقد شعّ بعض التوتر من وقفتهما معا لكنه قال ببساطة

" انا اثق بنادية .. ستجيد التصرف .."

عندها رسم اسر تعابير الدهشة وباسلوبه الساخر ليقول بمشاكسة " امر غريب ! لماذا لا اشعر بنفس الثقة .."

ضحك شاهر بخفة بينما يضيف اسر بنبرة خالطت فيها السخرية بالجد

" نصيحة مني اخي .. دع نهى تقلق عليك بل اقلب كيانها بالقلق ! لو كنت مكانك لاقمت الدنيا ولم اقعدها حتى اجد نادية تترك كل شيء وتركع بقربي

تغدق علي تدليلها النادر لشهر كامل .. ستكون رحلة نقاهة واستجمام ممتعة .."

أنشدّ نظر آسر لـ(شهاب ناري) ينطلق بتعثر ! فوقف على قدميه تكسو ملامحه تعابير الاستمتاع ليسأله شاهر بعجب

"الى اين تذهب ؟"

تحرك آسر وهو يقول لاخيه بابتسامة عريضة " هناك عصفور من نوع فريد مستفز يناديني .."

فيضحك شاهر هذه المرة بصوت عال وهو يردد

" ايها المجنون ... لن تكبر ابدا .."

" مساء الخير .. ابي .."

رفع شاهر رأسه ليتلقى قبلة صفية على خده فيبتسم لها بمحبة وحنان ثم يقول بتأنيب ابوي

" أبوك حانق من اهمالك زيارته يا أم شاهر ..."

تتورد صفية خجلا وحرجا بينما يجرها شاهر من يدها ليجلسها على الكرسي المجاور له حيث كان اخاه آسر يجلس قبل لحظات ..

تمتمت صفية ويدها ما زالت في يد حماها

" كنت .. في حالة ضعف لم اشعر بمثلها يوما في حياتي .. وانت تعرفني .. لااحب ان يشهد ضعفي احد .."

رد شاهر وهو يشد على يدها

" انا والدك صفية .. وانا أعنيها.. لقد احترمت حزنك الشهرين الماضيين لكني لن ارضى ان تستمري بالاحتجاب عن الناس اكثر .."

التمعت عينا صفية بدموع التأثر فتميل عفويا تقبل ظاهر كفه وهي تهمس له بامتنان لاتظهره لانسان غيره

" لا حرمني الله منك ابي ..."

في الحديقة ..

" ببنطالها الجينز القديم تجلس بأريحية على ارضية الحديقة تنظر لضوء القمر .. بدرا في كبد السماء يتلألأ بهاء فتغار منه النجوم تتلمس بضعة اقباس من انواره..

يدها تلامس بشرود ذلك البساط الاخضر وعقلها غارق في تأملاته ..

قرصة برد جعلتها تقشعر عفويا فتحيط نفسها بذراعيها وشعرها القصير يتطاير في الهواء بخفة ...

همست لنفسها بصوت مختنق

" كم افتقدك امي ..."

" لاتقولي لي انك تحبين الزقزقة كاخيك؟"

في لحظة تمزقت لحظات خلوتها لتهب واقفة على قدميها تواجه نظرة آسر الغازي المستفزة بتحفز وتأهب قتالي شرس ..

يقف قبالتها بتراخ وقفة مائلة ويداه في جيبيه تبرق عيناه وهو يحدق في عينيها فيتمتم باعجاب

" يال شراسة هاتين العينين ...! اختك في أوجها لم تحمل شراسة كهذه .."

عقدت زينب حاجبيها بشدة ثم تشمخ بذقنها في حركة دفاع مكشوفة بينما تقول بجفاف " عن اذنك سيد اسر .."

نصف خطوة خطتها ليعلو صوت آسر

ضاحكا مما جعل قدميها تثبتان مكانهما

ثم تهدأ ضحكاته تدريجيا ليقول بنظرات

قوية مربكة موجهة نحوها

" ممتع ان تلقي بوجهي التحدي الطفولي

وانت تسبقين اسمي بـ (سيد) بدلا من

(عمي) ...! مضى زمن لم تدغدغني محاولة

تحجيمي "

تورِدت زينب وشعرت بالخجل من تصرفها

خاصة وهي في بيته ..

اخذت تعتذر وهي تصارع احساسا مقيتا

داخلها بالعجز عن التعبير

" انا اسفة .. انا لااقصد .."

رمقها بنظرة حادة غامضة المعنى ليقول

بنبرة جادة ملونة بالسخرية

" الغضب يا عصفورة يحرق الاجنحة

وعندها ستكتفين بالزقزقة المملة طيلة

حياتك بدلا من التحليق عاليا والطيران

لاعالي السماء .."

يدرسها وهي تحدق فيه ..

انها كتاب مفتوح امامه الان ..

يراها كيف تتخبط ولاتعرف كيف

يفترض ان تتصرف معه ..

وليزيد من تخبطها بصدمها بمفاجأته لها ..



قال بجدية تامة وخليط من الحزم والصرامة

" ينتظرك عمل في مكتبي الخاص .. ابتداء من الغد ستبدأين بالتدرب بعد الجامعة .."

لا اروع من رؤية صدمة عصفورة وهي تقف على باب قفص ...

تراقصت ابتسامة على فمه وهو يضيف بمشاكسة

" سنربي لك بعض الريش الجديد يا عصفورة ..."

ما زالت مصدومة وهي تهز رأسها بشعرها الصبياني كشعر الاولاد المراهقين هذه الايام ثم تقول بارتباك

" عمي اسر ... انا لم افهم .."

ضيق عينيه وتلاشت ابتسامته ليقول بنبرة اقرب للقسوة والبرود وهو يقول لها

" ان كنتِ لم تفهمي حتى الآن فلا تتعبي نفسك بالمجيء غدا .. لاحاجة لي بك.."

ثم استدار بخفة موليا اياها ظهره يتحرك خطوة .. خطوتين قبل ان يرفع صوته بالقول الساخر

" لاتنسي يا عصفورة .. هناك .. في مكتبي .. لن تناديني الا بـ(سيد آسر) .. لقد راقني الاسم وانت تغردين به في وجهي.."

يكاد يعاود الدخول لبيته فتسرح ابتسامته المستمتعة على فمه وهو يهمس لنفسه

" ما امتع التلاعب بالعصافير .."

تضحك بخفة روحها وهي تسحبه خلفها بعد ان اجبرته على التسلل معها دون ان يشعر بهما احد ..

دخلا السيارة المكشوفة التي صممت ان يركباها الليلة وحالما اغلقا بابيهما التفت اليها يبتسم لها ويحاوط جسدها يقربها منه هامسا

" ايتها الحتالة .."

ترمش بعينيها بتصنع متدلل وتسأل وكأنها لاتعرف ماذا يعني

" ماذا ؟"

يميل مهدي فيطبع قبلة على شفتيها الضاحكتين ثم يقول بعينين لامعتين

" لاتدعي البراءة امامي .. تتلاعبين بالعمة نجلاء وتثيرين عاطفتها باسم ولدنا (آسر) فيجن جنونها به .. "



تهز كتفيها بخفة وهي تمد كفيها

تداعبان صدره فوق القميص ثم تقول

" وان يكن .. آسري المشاغب سيبيت عندها

الليلة .."

تحدق في عينيه بوعود غامضة فيهمس

بصوت مبحوح

" ماذا تخططين لي ؟! اه من هذه النظرة ..."

ما زالت تثيره وهي تلامس صدره وتسأل

" ما بها (نظرتي) يا وسيم ؟"

لم يحتمل اكثر وهو يميل اليها تختلط

قبلاته مع مناداته لاسمها بعطش لايرتوي

" سلسبييييييييل .."

كانت تلهث مثله وهي تبتعد بشفتيها

وتضغط بجبينها على جبينه ثم تقول

بشقاوة " انا أخطط لاختطافك الليلة.."

همس بحرارة " اين ..؟"

ردت بنبرة جسورة وهي ترفع عينيها لعينيه

القريبتين

" سلسبيل على شاطئ البحر .. انه ملكي .."

ارتعشت ابتسامته وهو يتساءل

" تقصدين المنزل ؟"

فترد بتملك لايضاهى

" بل صاحب المنزل .... ملكي .."

اراد ان يقترب منها مرة اخرى فمنعته وهي تهمس له " انطلق قبل ان يكتشوفنا .."

بعد نصف ساعة وفي نفس السيارة تحت ضوء القمر وظلمة الليل وصوت امواج البحر كانا كعاشقين مجنونين يتبادلان القبلات ابتعد مرغما وهو يهمس باسمها فتمسك وجهه بين كفيها وتهمس له بعشق " ما اجمل حبك تحت ضوء القمر يا وسيم .."

بقلة صبر يأمرها بصوت شديد البحة

" تعالي .. لندخل ..."

لكنها تعاود امساك وجهه بين كفيها تواجه عينيه العسليتين وتسأله بشراسة ضمنية

" هل تحرشت بك احداهن مؤخرا ؟ .."

يداه تلامسانها بشغف وهو يضحك قائلا

" عليك ان تري بمن يتحرشن على الدوام بظافر .. ملتصقات كعلقة ولايفهمن معنى كلمة لا .."

ردت بنظرة تفهم

" يكفي ان ارى معاناة حوراء لاعرف .."

بدى مهدي متحيرا وهو يحدق في عينيها فيتساءل باهتمام

" انا لاافهم النساء .. ظافر مجنون بها كليا فلِمَ كل هذه الغيرة والشكوك .."

عندها رفعت كفه لفمها تلثم راحته وهي تقول بعاطفة " اذا كنت انا الاولى في حياتك واغار عليك بجنون فكيف بحوراء وقد عرف اخي الكثيرات قبل زواجه منها ..."

ينظر اليها ويشعر انها تثير جنونه عن تعمد وتخطيط .. ولتزيد نار هيامه بالقول الهامس الشرس المعاني " ان التصقت بك احداهن كعلقة فقط ابلغني وانا سأتصرف ... تخصصي اقتلاع العلقات ..."

لم يعد يستطيع انتظار مزيدا من تلاعبها فترجل من سيارته والتف حولها وبصمت تام حملها بين ذراعيه فتتعلق بتملك برقبته ليدخلها لمنزل (سلسلبيل) حيث قضيا الايام الاولى من شهر العسل ..

لم يعرف كم مرّ من الوقت وهما يتبادلان الغرام عندما تأوهت فجأة بين ذراعيه وبنبرة متألمة ..

ابتعد قليلا عنها يسألها بقلق لاهث

" ما بك حبيبتي .. هل آذيتك ؟"

عندها انعصرت ملامحها وارتفع تأوهها لتزداد نبرتها ألما وهي تقول بتقطع " آآآآآآه ... مهدي ... آآآآآآآآآآآآآآآآآه .... أأ ... انا ألد ! "

بعد سبعة اشهر ...

العاصمة لندن

سفينة تعج بالسياح تشق نهر التايمز ..

على حافة السور الحديدي الابيض يقف محمود مستندا بظهره ...

عيناه تلتقطان مشاغلة فتاتين شقراوتين له فيبتسم لهما بشقاوة عفوية وتتعمق غمازاته على جانبي خديه لكنه في الواقع لم يكن ..يبتسم !

فجأة شعر بضيق مألوف في صدره فيستدير بكل جسده ليقف بمواجهة السور يمد كفيه يستند بهما وهو يلف اصابعه حول الحديد البارد الذي لايخلو من رطوبة رذاذ الماء ..

اغمض عينيه قليلا يستشعر برودة الهواء المنعشة ...

صيف انكلترا دوما ينعشه ..

لكن هذه المرة يخادع نفسه بشعور الانتعاش دون يتلمسه بعمق كالمعتاد ..

انه يفتقد شرارة في حياته .. شرارة تثيره وتستفزه و ...

زفر وهو يفتح عينيه يواجه اشعة الشمس التي تلسع وجهه رغم هبات الهواء الباردة ..

تمتم بصوت خفيض

" انا افتقد لسعات الشمس هذه .."

عاوده الضيق فيتجهم وجهه قليلا ليهمس بغيظ " هل يخفيها خالي عن تعمد ؟!!"

" اي خال ؟ ومن يخفي ؟"

التفت محمود لتوأمه محمد فيراه حاملا قدحين ورقيين تفوح منهما رائحة القهوة ..

يمد محمود يده ليختطف احدهما بينما يعاود الالتفات ناحية السور فيمد بصره للمنظر امامه وهو يرتشف من القهوة ويقول بتمرد

" انه خالي اسر بالطبع .. اما من يخفيها فـ.."

يقاطعه محمد بضحكة خافتة ليكمل عنه " زينب .. وجه العبوس.. "

تلقائيا كز محمود على اسنانه وازداد عبوس وجهه وهو يحدق باخيه المبتسم ويقول بغيظ " الا ترى من الغريب ان يمنعني عن .. عن ..."

تعثرت كلمات محمود من شدة انفعاله المكبوت فيضرب بقبضته على حافة السور بينما يسبل محمد اهدابه وهو يخفي ابتسامة خاصة خلف قدح القهوة التي يرتشفها ليقول بعدها بنبرة فطنة

" ما زال يمنعك عن الذهاب لمكتبه الخاص بدون اذنه اليس كذلك ؟ "

تأفف محمود وهو يرفع يده الخالية ليمررها بشعره بينما يقول بحنق

" لا اعلم لِمَ غيّر سياسته معي وأمرني ان اطلب موعدا رسميا اذا اردت لقاءه في مكتبه؟! اننا في نفس المؤسسة ونبدو وكأننا في قارات منفصلة !!"

قال محمد وهو ما زال مسبلا ويتلاعب بالقدح بين راحتيّ كفيه

" ربما هو يريدك حاليا .. في قارة منفصلة.."

ازداد حنق محمود ليوبخ توأمه بالقول

" كف عن لعبة الكلمات المتقاطعة هذه! مزاجي لايسمح الآن بتفكهاتك "

زفر بقوة قبل ان يضيف بانفعال

" يكفيني تفكهات خالي آسر وهو لايكف عن ذكر العصفورات والبطات والاوزات والبجعات الفاتنات كلما رآني !! "

كتم محمد ضحكته ليلتفت قليلا بوجهه ناحية اخيه العابس فيسأله بنبرة خاصة

" هل تريد ان نتكلم جديا ؟ رد على سؤالي اذن ... لماذا تحوم حول زينب ؟"

اتسعت عينا محمود قليلا وبدى وكأنه فوجئ بالسؤال ..

اشاح بنظراته بعيدا وبدى سارحا نوعا ما وهو يقول ببعض التشتت

" انا لااحوم حولها .. انا فقط اهتم بها كما اهتم بتوته .. لماذا يمنعني عن الاقتراب منها في المؤسسة و... الاطمئنان عليها .."

رد محمد ببساطة و... دقة

" ما زلت تراوغ نفسك اخي "

اعاد محمود نظراته لاخيه وبدت عيناه لامعتين بالتمرد وهو يقول بتهور

" لماذا لاتحاسب نفسك على (مراوغتها) قبل ان تلقي بنفس التهمة علي ؟!"

ابتسامة جانبية على فم محمد اثارة غيظ محمود منه ليرد محمد وعيناه بمواجهة عينيّ اخيه

" انا لا اراوغ .. انا اعرف ما اريد وأحدد هدفي .."

عقد محمود حاجبيه وهو يسخر بالتساؤل

" حقا ؟! وماذا يعني صمتك حتى الان وعيناك تحكيان الف رواية كلما ظهرت توته امامك .. منذ اشهر وانت على هذه الحالة .. لاتتقدم ولا تتأخر ... ها قد انهت توته عامها الجامعي الاول ولم تظهر الا التزاما واحتشاما .. تذهب في طريقها وتعود في طريقها .. فماذا تنتظر ؟ "

بنظرات شجية رد محمد بنفس الثبات والثقة

" انا انتظر واراقب .. لن اقحمها في حياتي قبل ان اتأكد .."

تلاشى عبوس محمود تدريجيا وبدى متحيرا وهو يتساءل " هل تخضعها لاختبار طويل الامد ؟!!! لترى ان كان تغيرها الحاصل سيستمر ام لا ؟ "

ذابت نظراته وشعت خضرة عينيه وهو يرد

" بل انا الذي في اختبار .. امتنع عنها حتى اتأكد من نفسي معها .."

اخذ محمود يهز رأسه بعجب وهو يقول

" انا لاافهمك ..لماذا لاتتقرب منها وترشدها لما تريد ..توته فتاة سلسلة تفيض رقة .."

فجأة توهجت عينا محمد بنار ساطعة وهو يقول بصوت أجش

" ان اقتربت منها الان سأحرقها يا محمود .."

فتزداد النيران توهجا في عينيه وهو يضيف بنبرة عاطفية عنيفة " قلبي .. هجومي متسلط نيراني النزعة "

النيران تنعكس في عينيه وفي كلماته مما جعل محمود ينشده تأثرا بعاطفة اخيه ناحية فاطمة ليقول بنبرة خافته

" لهذه الدرجة يا محمد ؟! أتحبها لهذه الدرجة ؟! "

خفتت كل النيران وتوارت خلف هدوء محمد المعتاد وهو يقول بابتسامة ذائبة

" لهذا قلت لك .. انا في اختبار .. اصبر حتى اظفر .."

امسك محمد بذرع توأمه ليسحبه وهو يقول

" لقد وصلنا لمرفأ .. هيا لننزل مللت المياه.."

استسلم محمود لقيادة توأمه وهو يسحبه لينزل الدرج الضيق متوجها للطابق الارضي

من السفينة وبينما هو يفعل هذا قال محمود بتضجر

" الى اين سنذهب ؟! لقد مللت التسكع في شوارع لندن ولانستطيع العودة للفندق وقد طردتنا امك فعليا منه تتوعدنا ان عدنا قبل المساء .."

ضحك محمد بخفة وهو يقول

" تريد ان تستحوذ على والدي تحتفل به ومعه.."

يقفان في طابور قصير للنزول من السفينة بينما يعلق محمود باشفاق على حال امهما



" لاتكف عن قلقها عليه .. رغم انها اطمأنت بعد كل الفحوصات الدورية التي خضع لها نزولا لرغبتها حتى تتأكد ان صحته بالف خير .."

" عفوا .."

بانجليزية ناعمة وابتسامة فاتنة قالت الفتاة اعتذارها وهي ترتطم بمحمود فيبتسم لها محمود متقبلا اعتذارها بصمت ثم يشيح بنظراته عنها سريعا مما جعل ملامح الفتاة تشع بالخيبة ..

أمال محمد رأسه ليهمس قريبا من اخيه

" احم .. الشقراء تشاغلك ... "

لم يبدِ محمود اي ردة فعل وهو يحدق امامه بجدية ويتحرك مع تحرك طابور النازلين

يضحك محمد مشاكسا اخيه بالقول

" اعلم ان كلام والدي معك قبل اشهر قد اثر فيك لكني .. اتساءل فقط .. عن وجود اسباب.... اخرى .."

كشر محمود في وجه اخيه ليقول من بين اسنانه

" اهتم انت بحيواناتك يا ناري النزعة .."

قهقه محمد عاليا لينفجر محمود ضاحكا هو الآخر والفتاة الانجليزية تحدق في حسرة !

في نفس الوقت .. في الوطن ....

مستشفى الولادة

يبذل جهدا خارقا لتطويق جسد ابن عمه ظافر الثائر وبكلتيّ ذراعيه بينما يساعده اثنان من امن المستشفى في امساك ظافر ومنعه من مهاجمة طبيب التخدير مرة اخرى..

يتوجع مهدي بقوة من فكه السفلي حيث لكمه ظافر في لحظة هياج وتشابك شرس مع ذاك الطبيب المتبجح المغرور ..

يرتفع وينخفض صدر ظافر بعنف وهو يعاود هديره الجنوني

" اقسم بالله اذا وصفتها مرة اخرى بقليلة الصبر سيكون مقتلك هذا اليوم .. ايها السافل انها تتوجع وتصرخ منذ بداية النهار وانتم لاتفعلون شيئا الا التفرج عليها وهي تتألم .. انها لاتحتمل الألم ايها النذل ال (...).. انها ضعيفة البنية .. "

زفر مهدي وقد بدأت قواه تستنزف ليقول في اذن ظافر

" اهدأ ارجوك .. اللعنة على مزاجك الناري هذا .. ركز بما هو مهم .. حوراء ربما فعلا تحتاج لاجراء عملية قيصرية .. "

اخذ ظافر ينتفض وتعاوده حالة الهياج الثائر فيوقع احد الامن ارضا وهو يصرخ بعلو صوته

" لن يشقوا بطنها هؤلاء المجانين .. سيأتي طبيب العائلة ولن يقربها ليولدها غيره .."

طبيب التخدير يمسح فمه وانفه النازف بينما ينظر بارتباك وخوف وتوجس من هذا الثائر العنيف امامه وآثر الانسحاب وترك التصرف لقسم الولادة والطبيبة المشرفة على الحالة ...

استدار مبتعدا وملامح وجهه تتشوه بالكره ورغبة الانتقام بينما يدلك وجهه المتوجع الذي طالته ضربات مبرحة من قبضة ظافر الغازي الحديدية ..

يعترف انه كان حقيرا معهم وعن تعمد فقد تمكنت منه غيرة حاقدة .. لكنه لن يتنازل عن حقه وسيُري هؤلاء المغرورين المتعالين ماذا سينتظرهم منه .. المستشفى لن تعيد له حقه فهم يتملقون لآل الغازي (العظام) والشرطة ايضا قد تتواطأ معهم وتنحني امام نفوذهم .. لكن الصحافة امرهم مختلف .. اجل .. سيجعلها فضيحة علنية في الجرائد لسلوكيات عائلة الغازي المخزية ... سيفعل كل ما يستطيع ليصب الزيت على النار ويحطم سمعتهم ..



رغما عنه شقت فمه ابتسامة خبيثة لتمضي لحظة او لحظتين عندما اعترض طريقه قامة بكتفين عريضين ..

رفع نظراته للوجه البارد الملامح امامه فتعرف سريعا على الشبه الواضح مع مهدي الغازي وادرك ان هذا الرجل الشاب لا بد انه منهم ..

تمتم ماهر بنبرة شديدة البرود تفوح بالتهديد الجدي مع كل حرف

" تجرأ وافعل اي شي مما يدور في مخيلتك الآن وسترى العجب مني ! "

اتسعت عينا الطبيب قليلا وهو يحدق بمنبع للقسوة الصرفة من عيني ابن الغوازي هذا ..

حتى ظافر الغازي بكل وحشيته وعنفه لايملك نظرة القسوة المرعبة هذه ..

فتح الطبيب فمه ليحاول ان يرد بصلف على هذا التهديد مخفيا خوفه الداخلي ليسبقه ماهر بالقول وهو يبتسم ابتسامة صقيعية

" فقط قل كلمة الان وستدخل من فورك ارض العجائب ! "

ثم ببساطة ورشاقة تجاوزه ماهر تاركا اياه يتلمس بيده الحائط الاملس جواره وصدغه يتصبب عرقا وعيناه تفيضان بمزيد من الحقد المكبوت..

كم يكره الاثرياء ..

كم يكره آل الغازي..

بعد ساعتين ....

تطلع آسر الغازي لحفيده الجديد في غرفة الاطفال الحديثي الولادة .. يبتسم بخفة مستمتعا بحركات كفيه القويتين ..

استندت نادية برأسها على كتفه وهي تتنهد وتقول بتؤثر

" الحمد للّه ان الولادة تمت بشكل طبيعي.. "

ثم ابتسمت لتضيف بدعابة

" نجلاء سيقتلها الغيظ .. هذه ثاني مرة لاتحضر ولادة حفيدها .. سبحان اللّه للمرة الثانية يكونون خارج البلد وحوراء تلد "

بعينين لامعتين بالفخر والاعجاب يراقب آسر قبضتيّ حفيده الوليد كيف تشتدان في حركاتهما وكأنه .. متحفز ليقاتل الدنيا !

تمتم آسر بصوت أجش

" لقد سجلت الاسم الذي اخترته له في بيانات المستشفى.."

عقدت نادية حاجبيها وهي تتطلع اليه قائلة بنبرة لوم

" لكنك لم تأخذ رأي ظافر وحوراء .."

ابتسامة جانبية وهو يلتفت اليها ويقول



" حوراء لن تعترض على الاسم وظافر لن يفكر بشيء لشهر قادم الا ملازمة حورائه للتأكد انها (بخير) ..."

ضحكت نادية بخفة وهي تتطلع لشعره الاشيب الفضي وقد بدأ يميل للبياض اكثر فرفعت وجهها وتطاولت بقامتها لتطبع قبلة على خده ثم اسندت ذقنها على كتفه هذه المرة لتسأل بتسلية

" ماذا اسميته ايها المجنون .. نظرات عينيك اللامعتين لاتنبئآن بخير ..."

ارتفع حاجبه الايمن بمشاكسة واتسعت ابتسامته بينما يرفع يده ليلامس جانب خدها باصبعه وهو يقول بنبرة انتصار

" اسميته على صفة اجداده .. غازي .. غازي الغازي ..."

الفصل الرابع

بعد قرابة الثلاث سنوات

بيت بلال الناجي

ابتسم مهدي ابتسامة دافئة وهو يناظر باعجاب يخطف انفاسه عيني امازونيته الجريئة عبر المقطع المصور الذي ارسلته له على الهاتف ...

يعيد التسجيل مرة بعد اخرى بينما شهقات حوراء المرتعبة تتكرر وهي تقف خلف مهدي الجالس على كرسي تشاهد معه اخر افعال مجنونة لابنة خالها آسر ..

تمتمت حوراء

" لااصدق ! لااصدق انك لم تغضب منها .. الا يكفي انها تشق عباب البحر لتقرر الآن ان تشق عنان السماء ؟! كيف توافق ان تطير بهذه المظلة الملونة فوق البحر بامواجه العالية "

التفت اليها مهدي ضاحكا وهو يقول

" اصبحت مدمنا لمغامراتها هذه .. "

ثم اضاف بصوت مبحوح وهو يعاود النظر لهاتفه معيدا عرض التسجيل

" انها سلسبيل يا حوراء .. لن تكون هي اذا حاصرتها بقلقي ومنعتها من فعل ما يجعل



روحها متجددة هكذا .. انظري لعينيها كيف تلمعان .."

ابتعدت حوراء لتعود للعجين الذي تخبزه وهو تتمتم بغير رضا

" لكن هناك حدود يا مهدي .. انت ترخي لها الحبل وتتركها تخوض المغامرات الخطرة .. لم تعد فتاة شابة بمفردها .. انها ام مسؤولة عن ثلاثة اطفال ... "

عينا مهدي تلكأتا قليلا على اخر لقطة من التسجيل المصور حيث تقف سلسبيل على ارض المركب حيث هبطت بمظلتها تؤشر للكاميرا باصبعيها اشارة النصر بينما يقف خلفها في زاوية عرض الفيلم رجل بملامح تبدو مألوفة ... عينا الرجل بنظراتها الغامضة تركزتا على سلسلبيل ...

كتم مهدي انفعاله اللحظي ليطفئ هاتفه ويقول بمرح ظاهري

" انه قدرنا انا وانت يا حوراء .. ابتلينا بمجنونيّ آل الغازي "

اطرقت حوراء برأسها دون ان ترد .. تركز ظاهريا مع دعك العجين بقبضتيها فيسألها مهدي برقة

" ألم يتصل المجنون ؟"

ردت بهدوء ظاهري

" لا لم يتصل .. ولايهمني"

قال بلطف يشجعها لتتكلم معه حول الموضوع الذي طال

" لا تدّعي اللامبالاة امامي يا حوراء .. انا مهدي صديقك المقرب قبل ان أكون ابن خالك .. اعرفك جيدا واعرف كلما لجأت لعمل المخبوزات فذلك يعبر عن توترك .."

رفعت حوراء عينيها اليه بنظرات محذرة حانقة بينما يداها تعجنان بحركات اكثر انفعالا وهي ترد من بين اسنانها

" لست متوترة على الاطلاق .. ولماذا يجب ان اتوتر ؟!! "

رد مهدي بنبرة رقيقة مستفزة

" لان المجنون عاد من سفره منذ ليلة الامس ولم يأتي ليراك بصخب طرقه الخاصة ..."

ابتلعت حوراء ريقها وتوردت وجنتاها وهي تطرق بوجهها وتسبل اهدابها تخفي حزنا وربما خيبة والاكثر تخفي غضبا واختناقا وغيرة دامية تحطمها ...

قال مهدي بنبرة متوازنة واثقة

" تعرفين ان غيرتك ليست مبررة مع جنون عشقه لك .."

رفعت وجهها مرة اخرى تريد ان تفجر عقال كلمات يحتبسها فؤادها عندما تناهى لمسامعها المترقبة صوت خطوات تعرفها ثم لامست انفها المشتاق عبير عطره الاثير ..

تسمرت ملامحها وعيناها تنظران بتضرع مبهم خفي نحو مهدي الذي يجلس على كرسي قبالتها لتتأكد من نظرات مهدي التي تجاوزتها لما خلفها ان ظافر ... أتى ....

تشنجت حوراء وكل حواسها تتأهب بانفعال عاطفي يخذلها ويطيح بمقاومتها ...

تبسم مهدي وهو يدفع كرسيه للخلف ليقف على قدميه قائلا بصوت أجش

" مرحبا يا ابن العم ... حمدا للّه على السلامة "

عينا ظافر لاتحيدان عن ظهر زوجته ولاتكفان عن رسم كل عضلة متشنجة خلف جلبابها المحتشم .. انه يعرف خارطتها .. يحفظها عن غيب ... كل ارتفاع وانخفاض .. كل عظمة وغضروف ونتوء ..!

انه يحفظ كل .. شيء ..

وهو يكتوي بالشوق لكل شيء ...

هل سيصدقه احد ان اخبره ان لانفاسها عطر خاص بها وحدها ؟

بل هل سيعقل احد ان هذه الانفاس تتغير بعطر مختلف أخاذ عندما تكون مشتعلة بالعاطفة بين ذراعيه؟

تنحنح مهدي ليقول وهو ينسحب مغادرا

" مضطر للرحيل .. يجب ان آخذ المشاغبتين اسرار وجلنار لشراء هدايا عيد ميلاد جدهما آسر .."

ساد الصمت التام بمغادرة مهدي ...

اقترب ظافر اكثر واكثر حتى كاد يلتصق بظهرها من الخلف ..

لم يقل كلمة وهو يرفع يديه لحجابها وبخبرة من اعتاد فعلها لسنوات كان الحجاب ينساب من رأسها ليقع أرضا عند قدميها ..

همسة اعتراض ندت عن فمها

" ظافر ..."

بينما يداها تتقلصان لتغوران عميقا بالعجين الابيض ...

ببطء شديد يفتح رباط شعرها الطويل ثم يكتفي برفع خصلة واحدة يتشممها وهو يقول بهمس أجش

" ثلاثة اسابيع ..اثنتان وعشرون ليلة .. انت قاسية في الخصام مولاتي!"

بثورة تمرد تكذب على نفسها اولا وهي تهز رأسها بـ(لا) ...

يضحك بصوت رجولي خافت بينما تلتف يده حول خصرها فترتعش حوراء رغما عن انفها فتصل تلك اليد بخفة لتحاوط مقدمة بطنها البارزة فتحدد عمر الجنين بستة اشهر ...

همس قرب اذنها وكأنه يعزف الاغواء

" كيف هو صغيري الجديد ؟ هل تطعمينه من فمك ؟ هل تلامسينه بدفء راحة يدك؟ أتدللينه بحلو الكلمات وعذب الهمسات ؟ "

دمعة لامست الرمشين وهي ترد عليه بصوت مبحوح شبه باك

" نعم .. افعل كل هذا واكثر .. وهو يسليني في المقابل بتحركاته الدائمة "

ما زال لايبدِ اي محاولة ليلامسها بفمه فقط يهمس قرب اذنها بسؤال

" اين الولدان؟"

بينما ترد كانت يداه ترتفعان من بطنها لتلامسان مفاتنها بارتعاش متبادل

" فارس في المدرسة و.. و ... غازي .. ااااخذته والدتـ .. ظافر توقف ..."

خشونة مألوفة في صوته عندما ينفعل ليقول لها " متى ستكفين عن جنونك وتعودين للبيت ...؟ "

لاتعرف كيف وجدت القوة لتنفض جسدها وتستدير مواجهة اياه بينما ترد بنبرة مجروحة وغضب مشتعل

" لست مجنونة ... لقد رأيتها تقبلك .. على فمك يا ظافر .. تلتهم شفتيك امام عينيّ"

امسك ساعديها بنفس الخشونة يهزها وهو يقول بعبوس غاضب

" انت قلتها .. هي من تقبلني .. بل من فاجأتني وهي ترمي نفسها علي لتقبلني على حين غرة فوق فمي ! ولو انتظرتِ لحظة واحدة بدل هروبك التراجيدي لكنتِ رأيتِها متكومة على ارضية مكتبي .."

اخذت تحاول تخليص ذراعيها والدموع تتجمع في عينيها يقتلها الشعور بالغيرة المدمرة .. لاتستطيع نسيان ما رأت .. يا الهي .. لاتزال الصورة ملتصقة بمخيلتها تهاجمها كل ليلة بضراوة ..

همست تتهمه باختناق البكاء المكتوم

" اليست هي سكرتيرتك التي اصريت على ابقائها ..؟ ألم اخبرك .. انها .. انها .."

قاطعها بضراوة وهو يهدر يرد لها الاتهام باتهام هجومي مضاد

" انت السبب .. دوما تغارين من اي سكرتيرة جديدة .. انت جعلتني اعاندك لابقيها .."

فقدت سيطرتها واخذت الدموع تسيل على خديها والبكاء يقطع كلماتها

" انت .. انت .. لاتعترف .. ابدا .. انك .."

غلبها البكاء وغلبه العشق والشوق ليميل بشفتيه يبحث عن شفتيها هامسا بعنف

" حوراء .. توقفي ..."

لم تسمح له وهي تبعده بشراسة وعناد وتهدر فيه ودموعها ما زالت تجري

" ابتعد ظافر .. اتركني .. لاتلمسني .. لااطيق ان تلمسني وقد رأيتها على صدرك تعانق شفتيك "

تركها فجأة ليعود خطوة للوراء يحدق فيها بعنف بارد بينما تحاوط نفسها بذراعيها تمنع اختضاض جسدها بشق الانفس..

بعد صمت عنيد بينهما انسحب ظافر يوليها ظهره ليغادر المطبخ وهو يتمتم

" سأحاول ان اقضي وقتا مع الولدين .. لدي سفر جديد صباح الغد.. لن اعود قبل نهاية الاسبوع في يوم عيد ميلاد والدي ..."

لاتعلم كيف صمدت حتى ابتعد تماما لتنهار في بكاء مرير يحرق قلبها شعور بالضياع والحاجة اليه ...

في مكتب اسر الغازي

تقف قربه تنتظره بصبر تعلمته منه وهو يقرأ الاوراق امامه بتأن ..

لم يعلمها الصبر فقط بل لدهشتها علمها قلة الصبر ايضا !

شخصية لاتوصف بكلمات ..

لم تكن تظن ان (عمها) اسر الذي عرفته لسنوات قبل ان تنضم للعمل معه يخفي خلف واجهته المشاكسة المستفزة اللامبالية رجلا من نوع خاص ..

يعلم متى يصبر لينال ما يريد ومتى لايعير الصبر اهتماما فيختطف عنوة ما يشاء..

يعلم متى يبتسم ومتى يقتل البسمة على وجه من يريد ...

لديه قوة ذهن رهيبة بل مخيفة ..

قد يوحي لك بالتراخي لكن حواسه (ان شاءت) حاوطتك من كل جانب دون ان تشعر!

رجل خارق الذكاء قوي الملاحظة احيانا تراه قاس جدا خاصة في العمل واحيانا تراه... تراه ابوي ! لكن باسلوبه الخاص ..

اسر الغازي .. شخصية لم تلتق مثلها ولا تظن انها ستلتقي مثيلتها ابدا ..

انها ممتنة منه لكنه بطريقة ما لايجعلها بحاجة لتظهر امتنانها!!



بل العكس....

دوما يدفعها لان تأخذ منه موقف هجوميا معتدا !

احيانا تشعره يتسلى على حسابها واحيانا تشعره يحرك طاقات خفية في اعماقها ويعيد توزيعها ..

يجعلها بقمة التركيز حتى عندما يتلاعب بها بمعان مبطنة لكلماته .. واكثر ما يزعجها منه عندما يناديها (عصفورة) ..

تعلم حينها انه يوبخها بطريقته لانه لم يعجبه تصرف صدر عنها ...

" انت تزعجيني بوقفتك المتململة حولي يا عصفورة .. اين فنجان قهوتي عندما احتاجه ؟! "

ردت بهدوء اعصاب وحزم

" القهوة تضر بصحتك .. "

رفع رأسه قليلا وبشكل جانبي فرأت حركته المعتادة وهو يرفع حاجبا واحدا ويبتسم باستفزاز متسائلا بخفة

" هل تعملين جاسوسة لزوجتي يا بطتي؟"

هل قالت انها تنزعج منه عندما يناديها عصفورة ؟!

حسن .... انه لاشيء امام شعورها المشتعل وهو يناديها بـ(بطتي) !

انعقاد طفيف في حاجبيها بينما ترد عليه بكلمات مباشرة

" الخالة نادية اوصتني بك .."

تراجع ليجلس معتدلا في كرسيه ينظر اليها ويبتسم بطريقته المستمتعة المشاكسة وهو يقول بسلاسة

" امممم .. اذن فانت تنقلين اخباري اليها .. تلك الخائنة تعلمت مني كيف تجند الجواسيس! "

للحظة تفاجأت مما قال وشعرت بالحرج فيضحك عاليا قبل ان يقول بتفكه مغيظ

" اجل يا بطتي .. انا سيء جدا وتأثيري على من حولي هو الاسوأ .. لكني اعترف .. معها لم اتمكن من دحر مبادئها الغالية الا بعد مرور ثلاثين عاما .. هل ترين كم هي جبارة امرأتي ؟! "

احمرت قليلا ...

ثلاث سنوات واكثر تعمل معه وما زالت تشعر بالحرج من اريحيته معه ..

ربما ليس اريحية فقط وانما .. اسلوبه في تقريبها منه ..

يجعلها تشعر بالتميز .. وهذا يخيفها !

يخيفها ان لاتحمل ما يميزها حقا ..

انها فقط مجرد مجتهدة لتبني نفسها وربما هو .. يعطف عليها بطريقة ما ويمنحها ما لم يمنحه لغيرها ...



تريد ان تكون مميزة .. تريد ان تستحق اهتمامه .. ثقته .. اعتماده عليها في امور مهمة ..

لكنها ما زالت .. غير واثقة ..

كم تتمنى لو كانت بقوة اختها صفية ..

" ها هي اوراقكِ جاهزة .."

تنبهت له وهو يرفع الاوراق لها وعيناه تلمعان بغموض افكاره التي لم تصل لكُنهها يوما ..

تمتمت وهي تأخذ الاوراق منه

" شكرا سيد اسر .."

اوقفها وهو يمعن النظر فيها من كل جانب قائلا

" امممم لابأس بكم ريشة جديدة نمت لك .. متى سأرى بطتي بجعة جميلة ؟!"

عضت شفتها السفلى وهي ترد عليه بحنق خفي " سيد اسر انا لااحب .."

قاطعها وهو يقول مظهرا استياء مصطنعا

" حقا انا ايضا لااحب هذا الطقم السخيف وتسريحة شعرك المهينة لاي انثى .."

لم يبال باشتعال نظراتها بينما تنساب عيناه على طقمها المكون من بنطال وسترة كلاسيكية بلون زيتي كئيب و تجمع شعرها للخلف تلفها لفا في عقدة ضخمة !

عيناها تموجان بالعواصف واصابعها تتوتر حول الاوراق في يدها من شدة الاستفزاز لترد بعنف مكبوت

" انه طقم عملي وشعري انا .. حرة به .."

رفع نظراته لعينيها باسما فيغمزها وهو يقول

" اريني المزيد من مخالبك يا صغيرة البجع.. "

صوت طرقات على الباب اوقفها عن الرد عليه عندما ارتفع صوت آسر بكلمة (ادخل) لتعقد زينب حاجبيها تلقائيا وهي ترى الموظفة الجديدة المريبة ذات

الابتسامات البلاستيكية والتي أتت بتوصية لتعمل في مكتب (اسر الغازي) ..

مريبة بهيئتها وابعاد اهدافها من تقربها المتعمد من اسر الغازي تحديدا ..

ارملة شابة تجاوزت الثلاثين .. جميلة باغراء ويبدو انها تضع عملاق الغوازي نصب عينيها..

كم هي مغفلة !

عادت لتنظر لعمها آسر فتراه يتطلع للموظفة بابتسامة غامضة وملامحه شديدة الهدوء...

كزت على اسنانها غيظا لتقول بشراسة خفية وهي توجه كلامها للموظفة

" هل تحتاجين لشيء يا بشرى ؟"

ردت بشرى بنعومة وهي ما زالت تبتسم لوجه آسر الغازي

" أتيت بفنجان قهوة للسيد آسر .."

اتسعت ابتسامة آسر وهو يسبل اهدابه بينما تتقدم زينب نحوها والشرر يتطاير منها في كل اتجاه لتأخذ فنجان القهوة عنوة من يد بشرى وهي تقول بابتسامة مستفزة اجادت تعلمها من رئيسها

" السيد آسر لايرغب بقهوة .. لقد زهدها مكتفيا بكوب عصير طبيعي من زوجته"

كتم آسر ضحكته الرنانة بينما يرى (بطته الشرسة) تقود بشرى من ذراعها لتخرجها من مكتبه دون حتى ان تستأذنه بالانصراف ...

وقت الظهيرة ..

بخطوات ثابته توحي بتحكم انفعالات صاحبتها تتجه زينب عائدة لمكتبها بعد ادائها لمهمة طلبها اسر الغازي شخصيا خارج حدود مكتبه الخاص وان لم تتعد القسم المجاور..

لحظة .. او رمشة عين خاطفة تلكأت خطوتها وهي ترى الكتفين العريضين تتوجهما سترة رسمية انيقة بلون ازرق جذاب ..

قد تخونها نبضات القلب لكن هذا داخليا فقط اما خارجيا فما تعلمته من آسر الغازي من ضبط النفس لن يخذلها ابدا..

(تذكري يا عصفورة .. نقاط ضعفنا نحتفظ بها لانفسنا .. وانفسنا فقط .. لاتكشفي نفسك امام عدو او حتى صديق .. اظهري فقط ما يستوجبه الموقف منك .. كوني سيدة نفسك وتحكمي بانفعالاتك وتلاعبي عليها وبها .. وكلما

نجحت في هذا سينمو لك مزيدا من الريش)

التفت اليها فارتفع وجيب القلب وهي تحدق بعند في عينيه ...

همست لنفسها وداخلها يموج في الانفعالات

" لاتحتاجين الا لهدوئك المعتاد وقليل من برود ثلجي وانت تلقين تحية عابرة .. فعلتها مرارا ونجحتِ وستفعلينها مرة اخرى .. اثبتي زينب .. اثبتي .. لاتهني امام نظراته المشتعلة تلك .. لاتغرينك لتنسجي الاوهام .. انه ليس لك .. ليس لك .. ليس لك .."

بحركات مدروسة خففت قليلا من خطواتها حالما اقتربت منه .. هزة رأس وشبح ابتسامة هادئة اقرب للبرود ثم جملتها المعتادة " مرحبا محمود .."

لتشيح بنظراتها حتى قبل ان تتمم جملتها البليدة وتوشك ان تتنفس الصعداء وهي تتجاوزه ..

لم تحسب حسابا ابدا لمن فاض كيله ليتحرك بخطوتين واسعتين ويقف بمواجهتها يثبت خطواتها مكانها

للحظات لم تفعل شيئا الا التحديق بربطة عنقه الحريرية ذو الخطوط البنية المائلة..

تغض الطرف عن ملاحظة صدره الذي يرتفع وينخفض وانفاسه تلهث .. غيظا ربما!

رفعت عينيها بهدوء مصطنع توشك ان تسأله بأدب ان كان يحتاج لشيء فيبادر هو ليهمس بسخرية حانقة

" نشكر الصدف السعيدة التي تجعلنا نلمحك خطفا ولو في أروقة المؤسسة .."

تسبل اهدابها عن تعمد وتسيطر على نبرات صوتها وهي تقول بسلاسة

" مرحبا محمود .. مرة اخرى .."

رد وانفاسه تهدر قبل كلماته المغتاظة

" آه نعم صحيح .. انت القيتِ تحيتك العصماء وانت تخطفين امامي .. "

ما زالت تسبل اهدابها وتدعو داخليا ان لايلاحظ نبضها الخافق في عنقها ..

اضاف محمود بنفس النبرة الساخرة وهو يقترب منها

" مرحبا زينب .. كيف حالك ؟ بخير ؟ الحمد لله ... متى سنلمحك المرة القادمة؟ بعد شهرين ..ثلاث.. ام ربما على العيد ؟"

تقبضت يداها تلقائيا ...

اذن هو يلاحظ فعلا تباعدها عن مناسبات العائلة الذي ازداد خلال السنوات القليلة الماضية ..

تشنجت بتوتر وهي تفكر بهلع

(ترى هل يعرف انها لاتتباعد الا لوجوده هو تحديدا؟ انه الوحيد الذي لم تستطع ايجاد طريقة محايدة للتعامل معه ؟)

منذ ذلك اليوم في اسطبل النادي وهي تحجب نفسها عن اي محيط يتواجد هو فيه..

والعم آسر بطريقة ما ساعدها على هذا وكأنه في تحالف ضمني مع احتياجها للحماية ....

تمالكت نفسها وهي تلامس بيدها كم سترتها لتقول بثبات " انا مشغولة جدا بعملي والانتهاء من رسالة الماجستير "



رد بانفعال سافر وهو يقترب جدا يكاد يلمسها بجسده " قبلها كان عملك ودراستك الجامعية حجتك الاقوى لتتهربي من حضور الاجتماعات العائلية .. الى متى تتذرعين بالحجج الواهية ؟! "

عندها فقط رفعت عينيها اليه تشتعل بالنظرات بينما تقول من بين اسنانها

" لافائدة منك .. ترتدي ربطة عنق وسترة رسمية .. تتغير ملامحك لتصبح اكثر نضوجا لكنك من الداخل تبقى مجرد ..."

قاطعها بهمس حاد " وانت الى ماذا (نضجت) يا ترى ؟ لوح ثلج محنط ! "

اتسعت عيناها وهي تنطق اسمه بصرامة

" محمود ! "

تعلقت عيناه بعينيها فارتفع خفقان القلب حتى طنّت اذناها ..

بدى غارقا في النظر لعينيها .. غارق وغاضب من امر ما .. امر محدد تنطقه عيناه ليعبر لسانه بالقول الأجش الحانق

" اخر مرة تفاعلتِ معي خارج اطار (مرحبا وكيف حالك) ناديتني ساخرة بشراسة (محموووووووود) ثم اشبعتني ركلا على ساقيّ ... بل لكمتني في بطني ايضا .. هل تذكرين ؟ ام ان رسالة الماجستير وعملك مع خالي حولك لآلة مستقبلية فقط وانستك التفاعل الحي كبشر "

كل ما كانت تفكر به (كيف سأخرج من هذا الموقف كاملة دون نقصان ؟!)

تحدق في عينيه البنيتين وداخلها يغلي في صراعاته ...

صوت يقول لها (احذري زينب .. احذري .. لاتعيشي الاوهام) وصوت اخر .. لايتكلم .. انه يهمس فقط .. يهمس بمشاعرها التي لم تعد بقادرة على تجاهل تفسيرها ...

انها تعلم .. تعلم فقط ..

ويا الهي .. لاتريد ان تعلم شيئا !

" هل تزعج بطتي يا فتى ؟"

صوت آسر الغازي أتى كطوق انجاد مما تعانيه ..فتشبثت بالطوق مرفوعة الرأس ..

هدأ الوجيب في القلب ليتملكها السكون بينما تشعر بآسر الغازي يقف خلفها ..

عينا محمود انتقلتا للحظة من عيني زينب لعيني خاله ثم عاودتا النظر لعيني زينب اللتين سكنت عواصفهما الغامضة ليقول بعدها بسخرية باردة

" ومن يتجرأ على ازعاجها وهي محمية في (العش) خاصتك يا خالي .."

أمال آسر رأسه قليلا ناحية زينب فيهمس لها بصوت مسموع

" الفتى اصبح سليط اللسان متفجر المزاج .. الا توافقيني الرأي بطتي ؟"



تمتمت زينب " عن اذنكما.."

قبل ان تطرق برأسها وتتحرك متجاوزة الاثنين معا ..

رفع آسر حاجبيه بينما محمود يحدق فيه بغيظ ليسأل آسر بجذل مستمتع

" لماذا تنظر الي هكذا ؟ هل تريد ان تطلب ... شيئا ؟!"

كز على اسنانه وهو يقول بابتسامة مصطنعة اقرب لتكشيرة شريرة

" لا .. شكرا خالي .. كفيت ووفيت ..! "

تحرك محمود بخطواته عكس الاتجاه الذي ذهبت اليه زينب بينما آسر يحرك رأسه ويقول بتفكه

" امممممممممم ثور مكابر ينطح بلسانه السليط وبطة شرسة لاتجيد الاعتناء بريشاتها الصغيرات .. هل يمكن الجمع بينهما ؟ وكيف سيكون انتاجهما يا ترى ؟ ثور بالاجنحة النارية وبطة تنطح بمنقارها ! "

ثم غامت عيناه بمزيد من الاستمتاع وهو يتحرك بينما يردد بمشاكسة

" ربما يجب ان استشير الغامض الصامت ابن الناجي الآخر محب الحيوانات .. "

ليضيف باعجاب ضمني خاص

" اقسم ان محب الحيوانات سيكون الناجي الوحيد من مجزرة قتلى العشق هذه !"



بيت اسر الغازي

دخل محمد وهو يحمل صندوقا ثقيلا بينما يكلم نادية قائلا

" مرحبا خالتي .. اين اضع الصناديق ؟"

ردت نادية وهي مشغولة مع العمال الذين يعيدون تنسيق الصالة الكبرى للضيوف

" مرحبا بني .. ضعها خارجا لو سمحت .. في غرفة الانطلاق سنضع كل ما يخص لوازم الحفل .."

تحرك محمد ملتفا حول البيت متجاوزا البيت الملحق الخاص بحوراء وظافر حتى تراءت له غرفة الانطلاق ، فابتسم عفويا وهو يستعيد اجمل ذكريات طفولته ..

غرفة الانطلاق

" توته .. "

تضحك بخفة وهي تميل بوجهها تداعب عنقه بفمها بينما تدلله بالقول

" يا عيون توته .. يا غازي القلوب انت "

يضحك غازي وتلتمع عيناه ابتهاجا بينما يتمدد في حضنها وهي تدغدغه وتلاعبه ..

الاثنان غافلان عن الخيال الطويل الذي يقف مبهورا عند الباب ...

لم يستطع التحرك او حتى اصدار همسة بينما يملأ عينيه من رؤيتها على طبيعتها..

بدت اقرب لمراهقة ناعمة ببنطالها الجينز وبلوزتها الخفيفة وشعرها مشعث بعض الشيء من اثر لعبها المرح مع ابن ظافر ..

يغار عليها من ضحكاتها التي تراقصت على شفتيها وشعت من عينيها وابرزت ارتفاع وجنتيها ...

كم يغار ... كم يغاااار ...

استعدلت في جلستها على الارض و الصغير الذي لم يتجاوز الثلاث اعوام يتلاعب بخصل شعرها وتبدو في عينيه البنيتين نظرات الانبهار فيعاود ترديد اسمها بتطلب

" توته ... توته .." ...

تبتسم له بينما تلاحظ تراخي جفنيه دلالة تعبه وموعد قيلولته .. فتحرك فاطمة جذعها عفويا تهدهده عسى ان يسترخي تماما وينام ..

كانت تفعل المثل مع طه وهي طفلة ...

وبينما يستسلم غازي لسلطان النوم تاهت عينا فاطمة في رسوم اطفال الغوازي والنواجي التي ملأت الجدران...

مدت يدها تلامس رسمة لحوراء وتجاورها اخرى لمهدي وثالثة لماهر ...

وهناك المزيد للجميع ...

محمود اخبرها يوما عن اسرار تلك الرسومات واسرار قصصها ..

تمتمت فاطمة للصغير شبه النائم

" جدتك لها افكار خلاقة تحيي فيها اجمل ما في الانسان .. تاريخه ! "

غيرة لا ارادية تسللت اليها ...

غيرة انها لاتمتلك من الذكريات كما يمتلكون ...

ثم بعد الغيرة اعتصرها وجع قديم ..

وجع كتمته لسنوات تتجاهله فيتجاهلها..

انها في تصالح مع ذاك الوجع الذي لم يغادرها ..

عادت يدها لتلامس رسمة محددة لحوراء مثلتها مع ابن خالها وزوجها ظافر ..

فارتعشت شفتاها وهي تهمس بتأثر وكأنها ما زالت تحادث غازي النائم في حجرها

" اليس رائعا ان ترى ذكريات والديك يا صغير ؟ ان ترى ما ربطهما مرسوما على الجدران يحكي حكاية لاتتكرر كثيرا عن عشق منذ الصغر ..."

غامت عيناها بشجن وهي تضيف بحشرجة

" ليتني استطعت الاحتفاظ ولو بقصاصة ورق مهترئة لرسمة منسية تشاركناها انا واخوتي يوما .. "

ثم خنقتها العبرة وهي تعود للوراء تسع سنوات تحديدا .. تعبر عن عميق آلآم الماضي تبوحها للصغير كما لم تبح لاحد من قبل

" كيف اصف لك يا صغيري شعور من يصحو يوما ليجد نفسه في الشارع حافي القدمين لايملك الا ثياب نوم بالية تستره! في غمضة عين زلزال ابتلع سقف وجدران سكن يأويه فيبتلع مع ركام السكن ذكرياته واعز حاجياته واثمن هدايا تلقاها من اناس يحبهم ويحبونه ..

والاقسى انه بوقتها لايفكر بما فقده فكل تفكيره الطفولي يتعلق باخته الكبرى ينتظر منها حلا سحريا لينتشله من حالة الضياع والخوف المريع من المستقبل المجهول .."

تبتسم بحنان لذكرى طفلة كانتها يوما .. طفلة تخفي ارتعابها بشق الانفس حتى لاتثقل على اختها الكبرى بمزيد من الهموم ..

عينا فاطمة تسقطان الدمع وهي تهمس مستغرقة بحديث نفس مسموع

" في النهاية كانت الاخت الكبرى من اطلقت شعاع السحر من قعر قبعة الساحر ..

ماهر كان ساحرنا الفاتن الذي دخل حياتنا بشعاع سحره كزلزال جديد من نوع اخر اشد قوة.. زلزل كياننا الذي نألفه وهدّ اركان عالمنا الباهت الذي عرفناه ليقحمنا في عالمه المشع البراق فنتوه وننسى من نحن والى اين نتجه وما هي اهدافنا حقا .. "

الصغير لم يكن يصغي وهو في سباته عميق ويداه تتشبثان بخصل شعرها بتملك شديد بينما تغرق فاطمة بدموعها حتى اخذت تشهق بنعومة تقطع نياط القلب تهمس بلوعة

" لكني.. اشتقت .. اشتقت لعالم باهت بعيد .. اشتقت لبيتنا القديم .. اشتقت لرائحة ابي وحضــن ...امي .. هل تفهمني يا صغيري ؟ مؤكد تفهمني اليس كذلك ؟ "

قلب واحد بالتحديد كان ينصت لكلماتها وهي ساهية عن وجوده القريب جدا حولها...

لم يكن ينصت بقلبه الملتاع الصابر المتصبر فحسب وانما عقله يجاور قلبه يستمع باهتمام والتهام !

يلتهم تفاصيل جديدة من فاطمة ..

فاطمة فقط قبل ان تصبح ... توته ...

قبل ان يداهمها (الزلزال الجديد) كما عبرت عنه ...

يا الهي .. لم يفكر يوما بماضيها ..

على الاقل ليس بهذه الطريقة ..

يعلم انها أتت من حي فقير وبيئة متواضعة جدا لكنه .. لم يرها يوما بهذا المنظار ..

من هذه الزاوية من المنظار ...

احساس غريب جديد يختلج في اعماقه نحوها ... تهور الاقتراب الشديد يكاد يغلبه .. تتحرك قدماه ثم تجفل حركتهما عندما التفتت اليه منتبهة لدخوله الهادئ عبر الباب ..

تدير وجهها بعيدا وهي تمسح خديها بسرعة بينما تتمتم بحرج

" محمد! .. متى أتيت ؟!"

ابتلع ريقه ويسبل اهدابه وهو ينحني ليضع الصندوق على الارض بينما يرد عليها بصوت مبحوح " وصلت للتو ... "

ثم يرفع جذعه ليقترب منها ببضع خطوات تموج مشاعره في قلبه فيسجنها بين ضلوعه بينما يبتسم لها بعينيه ليترك نفسه يتصرف بعفوية وهو يجلس القرفصاء امامها قائلا ببشاشة ملامحه الوسيمة

" الغازي الصغير غزا خصل شعرك بيديه الاثنتين فكيف ستتحررين الآن ؟"

احمر خداها وهي تتطلع للفتى الصغير النائم ثم ترفع عينيها لمحمد تحدق فيه بضعف رقيق يصيب قلب رجولته بسهام لاتخطئ..

همس ببحة غلبته

" دعيني اساعدك ..."

اتسعت عيناها بنظرات العجز وهو يميل قليلا ليفك برقة واعتناء اصابع الصغير المتشبثة بشعرها ..

فك اليد الاولى وزحام من الانفاس المكتومة ملأت رئتيه ثم عجز قليلا عن فك اليد الثانية بينما ترتعش اصابعه وهي تلامس لمسا عابرا خصل شعرها الناعمة ..

عبس غازي في نومه واطلق صوتا معترضا فرفع محمد عفويا يد الصغير لفمه يقبلها بحنان دون ان ينتبه ان بضعة شعيرات من فاطمة ما زالت عالقة بين تلك الاصابع الصغيرة المتشبثة ...

صدمة اجتاحت كيانه وبرقت عيناه اللتان تعلقتا بتلك الشعيرات المشقرة ...

بارادة حديدية سيطر على انفعاله الهائج المصدوم فكبت تلك النيران المستعرة من سنوات ليرتدي قناعا غامضا وهو ينهض على قدميه متمتما

" سأحضر باقي الصناديق .. يمكنك .. وضع الصغير على الارض لينام .. براحة .."



ثم استدار بكل جسده يغمض عينيه بقوة وتتشنج قبضتاه ككل جسده وهو يسير بخطوات ثابته ..

بل .... جبارة بثبات صاحبها..

جلس ماهر على حافة مكتب ابن عمه يراقبه وهو يجلس على كرسيه خلف المكتب وعيناه شاردتان بعيدا ..

اخفى ماهر ابتسامته بينما يمد يده ليتلاعب ببضعة اوراق مرمية على سطح المكتب وهو يسأل بنبرة هادئة

" كيف هو السكرتير الجديد ؟ اظن انه كفوء اليس كذلك ؟"

رد ظافر وما زالت عيناه شاردتي النظر

" نعم .. انه جيد ..شكرا لك .. عسى حوراء ان ترضى الان .. "

عندها علق ماهر ببعض الجدية " يجب ان تعترف ان ما رأته ليس هينا على اي امرأة .."

تأفف ظافر وهو ينظر لابن عمه ويسأل بغيظ

" اخبرني بالله عليك .. ماذا كانت ستفعل صفية مكانها ؟"

تبسم ماهر وعيناه تلتمعان بشدة قبل ان يقول " لا اريدك ان تلتقي بهذا الجانب المظلم من زوجتي .."



ارجع ظافر رأسه للخلف مستندا على ظهر كرسيه بينما تتقبض يده وهو يضرب على ذراع الكرسي بعنف هادرا " لماذا لاتكون كصفية او سلسبيل او .."

قاطعه ماهر بهدوء قائلا ببطء

" لانها ببساطة ... حوراء ... اذا تبدلت الان في طباعها وردود افعالها لن تكون هي نفسها التي اختارها قلبك دونا عن سائر الاناث.."

اوشك ماهر ان يضحك لتلك النظرة الهائمة التي اشتعلت في عيني ظافر ..

لم ير رجلا متعلقا بامرأته بهذه الطريقة ..

بنظرة تقيمية اخذ ماهر يفكر ..

قد يراه البعض هوسا لكن ماهر يراه انعكاسا فقط لشخص ظافر الجموح..

ظافر رغم كل ذكائه الحاد اللامع الا ان جموحه الناري يشوش عليه احيانا ..

وعبر السنوات استطاع ترويض ذالك الجانب منه للتعامل بروية ..

وقد نجح فعلا الا فيما يخص .. حوراء ..

تشوشه احيانا اكبر من ان يسيطر عليه ..

وكأن ظافر يحاكي افكار ماهر عندما قال بصوت أجش

" لااحتمل ان اراها تتألم .. اشعر برغبة تحطيم اي شيء عندما اعجز عن منع ألمها "





رد ماهر مشجعا

" هون عليك يا ظافر .. نحن لانستطيع منع الألم دوما عمن نحب مهما حاولنا حمايتهم.. لا احد يستطيع فعلها لاحبائه على طول الخط .. لكننا نستطيع ان نتشاركه معهم وتخفيفه عنهم .."

ثم اضاف عن ثقة حقيقية

" انا اعلم عن يقين وتجربة انك ستجيد التعامل معها بطريقتك .. تحتاج فقط ان تهدأ لتصل لنقطة التقاء .."

ثم ابتسم بخفة وهو يسبل اهدابه قائلا

" قد يرى الاخرون انها الطرف العاقل بينكما لكني أرى ما خلف جنونك انك حقا الطرف الاقوى .."

طرقة خفيفة على الباب سبق دخول محمود وهو يحمل اوراقا بيده ...

راقبه ماهر بتفحص داخلي مستتر خلف نظرات حيادية ..

يتفحص عبوس ملامحه وتصلب عضلات وجهه وذاك التوتر الذي تشع به خطواته..

ابتسم ماهر بينما يقول محمود بعبوسه الهادئ

" مرحبا .. كنت ابحث عنك ماهر .. قالوا لي انك هنا .."

رفع ماهر حاجبيه بسلاسة وهو يسأل

" ماذا هناك ؟"

رد محمود باسلوب عملي

" هناك نقص في معلومات الموظفين في قسم (....) ونقص اخر في معلومات تخص احصائيات تابعة لانتاج المزرعة "

تحرك ماهر ليقف على قدميه يمد يده ياخذ الاوراق من محمود وهو يقول

" سأرى الموضوع بنفسي .."

تمتم محمود وهو يوشك على الاستدارة

" حسن .."

ارتفع صوت ظافر ليوقفه وهو يسأل بنبرة خاصة

" ألن تخبرني بما يضايقك ؟"

رمقه محمود بنظرة اشتعلت بالغضب المكبوت للحظة قبل ان يخفيها بسيطرة على الذات ثم يرد بهدوء

" انا بخير ظافر .."

ماهر يقلب الاوراق بيده بينما يقف ظافر هو الاخر ليلتف حول مكتبه مقتربا من ابن عمته قائلا بنظرة تشع ذكاء ومعرفة

" لست كذلك .. انت تخفي عني الكثير .. منذ تخرجك من الجامعة وانت لاتبدو على طبيعتك .. "

ثم القى ظافر بنظرة جانبية لماهر يستشهد به يسأله بخفة " ما رأيك ماهر ؟ الا يخفي عنا امرا .."

دون ان يرفع ماهر عينيه عن الاوراق رد بصوته ذو البحة الخاصة

" ربما هو يخفيه عن نفسه فقط .."

تقبضت يد محمود واشتد عبوسه قبل ان يستدير بحركة عنيفة ليغادر وهو يقول من بين اسنانه " عن اذنكما .."

بعد مغادرة محمود اخذ ظافر يتطلع لماهر الذي يبدي انشغالا عاديا جدا بما يقرؤه في الاوراق .. قال ظافر اخيرا وابتسامة تتراقص على فمه

" لن تكون ماهر الذي اعرفه ان لم تكن ترى ما اراه و ... منذ فترة طويلة... "

عندها فقط رفع ماهر وجهه ليقابل وجه ظافر فيقول بمعان مبطنة " لايهم ما نراه .. المهم ما يراه (هو) يا ابن عمي..."

مساء ..

في بيت بلال الناجي

على مائدة الطعام

بين الفينة والاخرى عيناه تحيدان نحو ولده محمد الذي يتناول عشاءه بصمت تام..

هناك ما يشغله ويؤرقه على نحو خاص هذه الليلة ..

تحرك محمد بكرسيه بعد ان انهى طبقه ليتمتم " الحمد للّه .. "

اعترضت نجلاء التي تضم لصدرها غازي النائم

" لم تأكل جيدا !"

عينا محمد للحظات استقرت على الصغير فتتوهج نظرات غامضة في عينيه بينما يبتسم لامه قائلا

" شبعت غاليتي .. سلمت يداك .."

غادر محمد بعد ان قبّل كف امه ..

تنهدت نجلاء ثم عبست وهي تغرق بافكارها الخاصة بينما تتناول طعامها بغير شهية ..

سأل بلال بهدوء

" ما به محمود ؟ لماذا لم يشاركنا العشاء؟"

رفعت نظراتها لزوجها وهي تعبس بشدة وتقول بشكوى امومي

" بدى بمزاج غريب حانق .. لاعرف ماذا يجري للتوأمين هذه الفترة ؟!.."

تبسم بلال وعيناه ترسمان عبوس صغيرته..

عبوس خاص شقي محبب اورثته لابنهما محمود ...

كم يشبهها ذاك الفتى ...

التفت بلال للحظة ناحية حفيده فارس فيسأله

" اين والدتك يا صغيري ..؟ "

رد فارس " قالت انها ستنام باكرا لانها تشعر ببعض التعب .."

تنهيدة جديدة من نجلاء لتعبر باحباط شديد " يا حسرة على اولادي .. كل واحد منهم في هم .."

نظرة جانبية من بلال لها ثم عاود اهتمامه بحفيده يسأله

" هل رأيت والدك اليوم ؟"

رد فارس بملامح تشع هدوءا وثقة

" نعم لقد اخذني من المدرسة وذهبنا لبيت نانا "

ثم تبسم بطفولية تحكم سنه وهو يضيف باستمتاع " لعبنا بخراطيم المياه مع ابي .. وغازي جن جنونه فاصبح يتقلب كسمكة على الحشيش .."

شعت ابتسامة حلوة على وجه بلال ثم سأله

" هذا رائع .. لكن هل انهيت واجباتك ؟ "

رد فارس بثقة

" نعم جدي .. لم يبق الا القليل لانجزه قبل ان انام .."



ثم تحرك الفتى ذو التسع سنوات ليستاذن ويغادر المائدة ...

كانت نجلاء تتحرق وتتحرقص لتفتح الموضوع مع زوجها وحالما غادر فارس سألت بغيظ " هل ستظل صامتا عن الموضوع هكذا يا بلال ؟"

مسح بلال فمه بمنديل قبل ان يوجه كل اهتمامه لها فيسأل بابتسامة " عن اي موضوع لايعجبك صمتي صغيرتي ..؟ "

كزت نجلاء على اسنانها وهي تقول بغيظ متزايد " انا اتكلم عن حوراء وبقائها هنا مغضبة زوجها .. التوأمان همهما اخف .. قد يشغل بالهما اي امر عابر .."

اخذت تمسح عفويا على ذراع غازي وهي تواصل بث موجات حنقها واحباطها

" لاافهم كيف لايتدخل اسر ليحل المسألة؟! ونادية ايضا تثير غيظي وهي تقول (لقد كبرا بما فيه الكفاية ليجدا حلولا او توافقا يرضيهما) ! ما معنى حلول وتوافق هذه؟! حوراء تتأثر بكلام نادية اكثر مني واسر يجيد توجيه ظافر .. فلماذا يأخذان موقف المتفرج الصامت هذا ؟!"

ثم تعقد حاجبيها لتتهم زوجها هذه المرة قائلة " انت ايضا لاتفعل شيئا وانا تعبت من الكلام معها بمفردي .. حتى اني دفعت مهدي ليكلمها لكن رأسها عنيد جعلت زوجها يغادر بعد عشر دقائق من وصوله .."

قال بلال بجذل وهو يتطلع لها

" الا ترين ان الولدان بحاجة لاهتمامك اكثر من حوراء وظافر ؟ بل اظن قلقك واحباطك مصدرهما الحقيقي هو محمد ومحمود وليس حوراء .."

ابتسامة صغيرة مرت على فمه وهو يرى ارتباكها بينما تناور بالكلام

" ما بهما ولداي ؟"

نظر في عينيها لتتسع ابتسامته ويهمس لها

" صغيرتي التي لاتجيد الاخفاء عني .."

عبست بتدلل وهي تلومه بنبرة صوتها همسا

" بلال ... ! "

حوريته الصغيرة ستظل انتعاشة حياته حتى مماته ..

ما زالت ابتسامته على فمه وهو يفكر بما يشغله منذ سنوات ..

منذ شب الولدان ليتجاوزا العشرين وهو ينتظر اللحظة التي سيقرران فيها ..

لايريدهما ان يمرا بتجاربه الداخلية القاسية ومصارعته النفس وهواها حتى بلغ الثامنة والثلاثين ليشاء له الله ان يكرمه بزوجة حورية كنجلاء ...

يريد لهما السعادة والاستقرار بحسن الاختيار دون مزيد من التأخير ...

تظن صغيرته انه غافل عنهما او ربما تظنه متغافل الى حين ..

الحق انه ليس غافلا ولا متغافلا ..

قال بلال ليعبر عما يجول بخاطره

" يقلقك شرود التوأمين .. وقد يقلقك بعضا من تصرفاتهما التي تبدو احيانا غير مفهومة.. انهما يوشكان على بلوغ الخامسة والعشرين و ترين ان علينا حثهما ليفكرا بالزواج جديا.. اليس كذلك؟ "

هزت رأسها بنعم وعيناها تخبرانه بمزيد من القلق ..

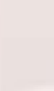
سألها باهتمام يدللها حتى تسترخي قليلا

" ما سبب النظرات المشوشة هذه في العينين النجلاوتين ؟ افصحي عما يدور في خلدك صغيرتي ؟"

ردت وهي تتنهد

" اريدهما حقا ان يتزوجا يا بلال .. احلم بعرس مزدوج لهما في ليلة واحدة .. احلم ان ارى احفادي منهما اذا شاء اللّه .. لكن كلما لمّحت امامهما للموضوع لا اجد صدى وقبولا واضحين ... من جهة اخرى كنت اخشى ان تدفعهما للزواج لمجرد ان تحميهما من الزلات .."

نظرة تفهم منه قبل ان يقول



" اعترف اني لااريدهما ان يطيلا حياة العزوبية اكثر ، لقد دخلا معترك الحياة والعمل واجدهما ناضجين ليتحملا مسؤولية بيت وعائلة .."

ليتوقف قليلا قبل ان يضيف بتركيز

" لكني لست واثقا انهما يعلمان ما يريدانه حقا .. وكأنهما يتخبطان بين اقدام وتراجع.. لذلك لااريد دفعهما لاختيار متعجل قبل ان يكونا واثقين تماما .."

تصارحه نجلاء بالقول

" منذ سنوات كنت اشعر احيانا ان محمود يُكن احساسا خاصا لزينب لكن الان .. لست واثقة .. لا منه ولا منها .. خاصة وهي ابتعدت تماما عنا ولم نعد نراها الا نادرا .."

يستمع بلال وعيناه تعبران عن افكار مبهمة تدور برأسه لتضيف نجلاء ببعض الغيظ " اما محمد .. فصدقا لااعرف .. يبدو خالي البال ظاهريا فقط .. لم استطع يوما فهم ما يجول بخاطره ..وكلما حدثته بموضوع الزواج يقول لي (اصبري اماه ليس وقته الآن) ! وكأنه ينتظر حصول امر ما .."

اسبل بلال اهدابه يخفي ردة فعله عن فطنة زوجته بينما تواصل نجلاء بوحها بالمزيد





" نهى اقترحت علي ان اخطب له احدى قريباتنا فما رأيك ؟ هل اكلمه واخاه ليختارا عروسين ؟"

بابتسامة خاصة وقف بلال على قدميه ليقول بغموض

" كلميهما .. لابأس بتحريك بعض المياه التي تبدو في ظاهرها .. راكدة .."

اخذت نجلاء تتطلع اليه بعجب بينما يقترب منها ليميل ويلثم وجنتها وهو يقول بابتسامة رائعة دافئة

" انا ذاهب لمكتبي صغيرتي .. لدي بعض العمل لانهيه .."

منتصف الليل ..

عاري الصدر حافي القدمين لايرتدي الا بنطال بيتي بينما يقف قرب شباكه المفتوح يتطلع لظلام الليل وهدوئه علّه يجد في نسائمه الربيعية بعض البرودة التي تطفئ نيران غضبه ..

هاتفه في يده وتنتابه موجة جنونية ان يتصل بها الان تحديدا ويخبرها انها لاتطاق!

انها بلا احساس .. انها ... بلا حياة ..

بلا ... دفء

زفر محمود بقوة وكأنه ينفث اللهب فيغيظ نفسه بالقول

" كيف بلا دفء ايها المغفل وانت تحتاج لفرقة اطفاء كلما مرت امامك...؟!"

رفع هاتفه ليواجه شاشته المستطيلة فيحرك ابهامه ليستخرج صورة محددة..

صورة اقتطعها من صورة عائلية جمعتهم في عيد ميلاد امه قبل اشهر ..

رغم الملابس العملية الكريهة التي ترتديها وكأنها ذاهبة للشركة وشعرها المعقود دائما وابدا للخلف لتبدو اكبر سنا من حقيقتها الا انه لايملك الا ان يحدق

بانفعال وانجذاب في تلك الملامح الهادئة التعبير في قشرتها الخارجية فقط...

تشغله عيناها بلونهما العسلي الغامق تفيض بالغموض الذي تعلمته من عشرتها لخاله آسر كما يبدو ..!

دوما شغلته نظراتها مذ رآها لاول مرة..

ودوما تقتله تلك النظرات حتى وهو لايفهمها ...

توقفت عيناه عند شفتيها فانتفضت رجولته باستجابة تقض مضجعه بينما يلامس بابهامه تلك الشفتين هامسا بحشرجة

" لماذا تضعين مزيدا من الحواجز يوما بعد يوم وتتباعدين اكثر واكثر .. هل تهربين ام ترفضين ؟! دعينا نتواجه مرة واحدة .. واحدة فقط .. يا صاحبة اجمل شفتين .."

عاوده الغضب واشتعلت به النيران فرمى هاتفه على سريره وانحنى ليخرج جذعه عبر الشباك المفتوح .. مسامات جلده تمتص برودة الهواء الخفيفة لكنها فقط عاجزة عن الوصول لمصدر ما يحرقه ويغضبه من الداخل ..

بيت بلال الناجي

غرفة حوراء القديمة ..

فجر اليوم التالي

كانت ما تزال تستسلم لغفوة بعد ادائها صلاة الفجر فتطبق جفنيها الساخنين من حرارة بكائها وهي تناجي ربها ان يساعدها لتتجاوز محنتها وشعورها القاتل انها ربما .. ستفقد حب ظافر يوما ..

ان فتاة ما .. قد تغويه بأكثر من اغواء جسد ...

ستموت .. ستموت ان علمت فقط ان نظرة اعجاب أفلتت منه لاخرى ...

يعذبها شعور مؤلم بغيض خانق ان ظافر ابتدأ يملها !

لكن هذه المرة لاتستطيع تجاوز ما حصل ببساطة .. هل هناك امرأة تستطيع ان تحتمل رؤية زوجها ومعشوقها في احضان اخرى تقبله بشغف مجنون ؟!

واين .. في مكتبه الخاص ..

بمفردهما .. وحدهما هناك ..بين اربعة جدران مغلقة ...

لولا صدفة ذهابها اليه فربما ..

ربما كان سيضعف .. وربما ...

" آآآآآآآآآآآآه .."

تأوهت وهي تكتم بيدها نوبة بكاء جديد ثم بعزيمة اقوى وضعت وسادتها فوق رأسها وتعتصر جفنيها تحبس دموع القهر ..

كانت ما بين نوم وصحو عندما تنبه ذهنها لحركة ما حولها ..

لمسة مفاجئة على ذراعها العاري ايقظ حواسها باستنفار عاطفي تلقائي فتنقلب على ظهرها وتزيح الوسادة عن رأسها ..

اتسعت عيناها وضخ قلبها النبضات الهادرة مع سريان الدم في الشرايين ..

تمتمت لخياله الجالس بقربها على السرير تطالع وجهه المضيء بانارة اشعة الفجر الخافته



" ظافر !! ...يا الهي ... انت .. هنا ؟!"

ابتسامة ذائبة منه وهو يمد يده ليلامس وجنتها وعنقها ثم تنحدر لمسته لاعلى صدرها المكشوف من قميص النوم الخفيف الذي ترتديه ..

تمتمت بجزع عاطفي وصدرها يعلو وينخفض باضطراد

" هل دخلت من الـ....شرفة ؟..."

اتسعت ابتسامته واجتاحت نظراته اشتعالات تألفها منه ..

قلبها ما زال مجنونا بالشوق اليه ولمساته تضاعف هذا الجنون بينما جسدها يستجيب كما روحها تستجيب ..

همس ظافر بصوت مشحون

" كان ذاك عهد الحرمان منك مولاتي .. وهو عهد ولى وانقضى ..."

وهمست تسأله وهي تغمض عينيها

" كيف ... دخلت ؟!"

رد وصوته المتحشرج يقترب منها

" لي مناصر في هذا البيت ..."

فتحت عينيها بنظرة اتهام رقيق وهي تحدد اسم (المناصر)

" محمود ..."

مال أكثر نحوها حتى اوشك ان يلامسها بشفتيه هامسا بجموح لايتخلى عن شخصه

" وان لم يكن لي (مناصر) .. كنت سأعود لعهد الحرمان واتسلق كل فروع اشجارك مهما تكاثرت حتى اصل اليك.."

لم يعد هناك من درب اخر وهو يغرق بشفتيه بجنون العاطفة في تجويف عنقها ويداه تمتدان لتلامسان كل ما تطاله منها وهو يهمس بجنون

" كنت اعرف انك تبكين .. كنت اعرف انك تعانين .. لكن لامعاناة تعادل معاناتي انا مولاتي ... "

بردة فعل حمقاء كانت تقاومه بضعف

" لا ظافر .. لا .. لن نحل المشكلة هكذا ليس دوما بعاطفتك المجنونة هذه .."

بخشونة كان يحيط وجهها بين كفيه ويرفع وجهه فوق وجهها... عيناه المشتعلتان في عينيها المتوسلتين بينما يقول بنبرة قوية تحمل كل ما يجتاحه من مشاعر نحوها

" ليست هناك مشكلة حقيقية لنحلها .. في الواقع انا الوحيد الذي اشكو من مشكلة حاليا.. سيحصل لي شيء ان لم اتواصل معك الآن بأي طريقة حتى ولو كانت جسدية بحته .. "



تأوهه التحم بتأوهها وهو ينتزع قميصه بعنف عن جسده ليغيب عقلها تماما وعن كل شيء يعارض ارادته ...

بعد بضع ساعات ..

اخذت حوراء تتحرك في سريرها وشفتاها منفرجتان بابتسامة جذلى ومزاجها رائق كطائر محلق في هوى الشبع ...

لاتعرف ما يحصل لها وبدت ناعسة الجسد فتتحرك بعفوية تنقلب على ظهرها وهي تفتح عينيها ببطء..

رمشة ورمشتان وهي تستوعب سقف غرفتها وافكارها ما زالت مشوشة بالغيمات الحالمات اللاتي يحاوطنها من كل جانب ..

خطوات قريبة منها جعلتها تتمسك بحافة غطائها عفويا وهي تحول نظراتها ببعض الدهشة والعجب مما يحصل حولها وما زالت لاتستوعبه بالكامل ..

نظرت واتسعت عيناها بينما تحدق بظافر يقف قريبا رطب الشعر عاري الصدر لايرتدي الا بنطال كحلي ..

ابتسم لها حالما التقط نظراته المصدومة الرقيقة ليقول بنبرة مبحوحة وهو ينحني ليلتقط قميصه من على الارض

" صباح الخير مولاتي .."

فاضت حمرة خديها وهي تستعيد ما حصل عند الفجر وبحركة عفوية مدت يدها تحت الغطاء تلامس بطنها الـ... عارية ...

رفعت نظرتها اليه مرة اخرى فيضاحكها وهو يرتدي قميصه

" اجل انت .. بلا ادنى شك .. عارية ..."

ثم يغمزها بنظرة حارة مضيفا باغاظة

" تماااما .."

ابتلعت ريقها والحرارة تشع منها ..

كل تفكيرها منصب على جنون ما حصل بينهما وحرج مريع ان يكون احد من عائلتها قد سمع شيئا ..

كان لسانها معقودا بافكارها المحرجة عندما ثبتت نظراتها على .. جسد معشوقها وزوجها...

يا الهي كم هو .. مختلف ..

كتلة من جاذبية حسية لاتقاوم ..

غامت عيناها وهي تبعد بافكارها لناحية مظلمة فتهمس في سرها

" وكم تقلقني هذه الجاذبية والفتيات من حوله يكدن ينهرن لنظرة واحدة منه .."

اجفلها وهو يقترب بينما لم يكمل تزرير قميصه يحدق في وجهها وكأنه يقرؤها بسلاسة عجيبة ليعبر بصوت أجش عما يدور بخلدها

" كلي ملك لك ... لك وحدك .."

تسبل اهدابها بينما يجلس قربها على السرير يمد يده ليلامس شعرها الطويل المشعث قائلا بصوت أجش

" عودي لبيتنا حوراء.. "

ابتلعت ريقها وما زالت تقاوم كشف المزيد من مخاوفها امامه ليضيف ظافر وهو يقرص خدها بعاطفة

" سأغيب لبضعة ايام واريد ان اراك بانتظاري .. متلهفة متوردة بفيض المشاعر كما انت الان .."

عضت شفتها السفلى قبل ان تفلت منها كلمتين رغما عنها

" أأأ..انا .. سمينة .."

توقف كل شيء للحظات ..

ثم جاء صوته بنبرة عدم استيعاب

" ماذا ؟!"

همست تخنقها العبرة

" انا .. اصبحت سمينـ....."

قطعت جملتها بنفسها وتنهيدة متوجعة تصدر من بين شفتيها لتواجه ذاتها قبل ان تفتح عينيها وتواجهه فتشرح بحشرجة لوجهه العابس

" انا ازداد وزني كثيرا .. انظر لسلسبيل .. لقد انجبت توأمين بعد آسر الصغير وحافظت على .. على .. رشاقتها .. بينما انا .. ازداد وزني .. كثيرا .. واصبحت .. افتقد .. لـ ... ـ وانت ... اقصد.."

اخذ يهز رأسه وعبوسه يزداد بينما يرد عليها ببعض الحدة

" لابد انك تشكين من مشكلة في قواك العقلية .."

عاتبته بنظرتها قبل صوتها وهي تنطق اسمه " ظافر ! "

نظراته حادة كنبرات صوته وهو يقول

" بعد ما حدث بيننا قبيل الشروق تقولين انك .. لست جذابة جسديا ؟! .."

تشجعت وهي تبوح بالمزيد لتعترف بما يدور في عقلها من اشهر مضت

" انت رجل حار .. ومؤكد غريزتك تجوع وتحتاج لأي انثى .. وانا ..حلالك .."

ابتعد عنها بحركة شبه نافرة ليقف على قدميه بتوتر عنيف فيهدر بالقول

" اقسم بالله انك ستكونين سببا لمقتلي يوما ما .. واعنيها فعلا لاابالغ .."

تجمعت الدموع في عينيها فيعاود الاقتراب بحركة واحدة عنيفة وهو يستند بكفيه على جانبيها على السرير ينحني نحوها بكليته فيهمس قرب فمها بحرارة مشتعلة

" انا اتوجع بالشوق واللوعة كلما اراك .. كلي يتوجع يريدك كلك انت .. وعندما اعاشرك اشعر وكأني افعلها للمرة الاولى..! وكأني لم اعاشرك مئات المرات من قبل .. في كل مرة يحدث لي هذا .. في كل مرة اشعر بسكرة امتلاكك حوراء.."

ترققت نظراتها هياما به ولم تفعل اكثر من رفع رأسها قليلا لتمس شفتيه بشفتيها فيكون له مبادرة الهجوم بقبلة مجنونة ..

عندما ابتعد عنها لاهثا همس بخشونة

" هذا سيكون اخر حمل .. لامزيد من هذه الانفعالات التي تخلق في عقلك الاوهام .."

ثم يبتسم بشغف وهو يلامس جسدها فوق الغطاء هامسا

" رغم اني احب النتائج التي يتركها الحمل على جسدك .."

ردت بهمس مبحوح وجمل متقطعة

" انا اعلم انك تحب .. الممتلئات .. لكن ليس... لهذه الدرجة .. ثم فترة الوحام الشديد .. تباعدنا ..وكنتُ عصبية وانت كنتَ حانقا .. تلومني لاني ألححت عليك لاحمل من .. من جديد .. و.. "

قبلها قبلة خاطفة عنيفة ليسكتها قبل ان يقول بجدية رغم عاطفية كلماته

" لماذا تعطين الامور اكبر من حجمها حوراء ؟ الا يحدث هذا بين أي زوجين عاشقين ؟! وماذا ان تشاجرنا او توترنا مع بعض لفترة ؟! انا مجنون وانت خجول عنيدة فماذا تتوقعين ؟! لابد ان نتشاجر ... ثم اموت عشقا وانا اصالحك او اذوب ضعفا امام مصالحاتك النادرة لي .. "

ردت وهي ترفع لخده يدها المرتعشة كارتعاش نبراتها

" انا ...اسفة .. لاني .. لااجيد الابتداء ..بالمصالحة .. لكن ما حصل هذه .. المرة .. كان كبيرا .. مخيفا مفجعا ممزقا لي .."

يدير فمه ليلثم باطن كفها ثم يهمس

" لامزيد من الكلام الان عما حدث .. اريد ان اسافر وتعابيرك المشعة بالعاطفة هذه هي رفيقتي حتى اعود .. وعند العودة سنتكلم مطولا.."

ثم ابتعد بخفة وهو يكمل تزرير قميصه يكمل خطواته متعجلا وهو يقول ضاحكا

" ستفوتني الطائرة وانا عالق ملتصق بك هنا.."

وعند باب الغرفة التفت اليه ليرسل قبلة هوائية قائلا " اراك في عيد ميلاد والدي يا ام الغوازي ..."

ثم خرج تاركا اياها تلامس جنينها بخفة بينما تغرق باحساس مشع بالسعادة يجعل كل شكوكها ومخاوفها تتقهرقر متراجعة عشرات الخطوات ..

صباحا في المزرعة ...

يتحرك محمد بخطوات تعرف مقصدها عفويا بينما باله ما زال مشغولا بافكاره

التي اصبحت تضطرم بالكثير فتؤجج مشاعره وتستهلك وقود صبره...

بضع شعرات شقراوات لامست شفتيه عفويا فاحرقته بالكامل ..

بضع شعرات ... رافقت ليلته المسهدة وكأنه عاد مراهقا يحلم بها يقظا !

ستنهي دراستها الجامعية بعد ثلاثه اشهر او اقل وعندها سوف ...

" اوووف ...."

تأفف وهو يتعثر بحجرة لتقفز الى مخيلته فورا مشهد الصباح الذي صادفه اليوم ..



بقدها الرقيق تهرول وشعرها المشقر يتمايل حولها تنادي وتلوح بنفس الوقت حتى تنتظرها الحافلة التي بدأت مغادرة الموقف فعليا..

ثم شاب وسيم بابتسامة جذابة يميل بجذعه عبر باب الحافلة فيمد كفه نحوها.. تبتسم بلطف وامتنان جذاب بينما تتعلق بيده ليساعدها على القفز بخفة للداخل ..

لقد كان هناك يقف على الجهة المقابلة يحمل صندوقا جديدا من الحاجيات التي طلبتها الخالة نادية ..

كان يعلم انها تفضل استخدام الحافلات عندما تذهب لرحلات ميدانية تخص دراستها في الجامعة..

اخذ نفسا عميقا واطلقه ببطء...

لماذا يشعر ان افكاره مشوشة ؟

هل ضايقته عفوية المشهد التي جعلتها تمسك بيد الشاب بأريحية ؟

هل ستعاوده الشكوك حول قدرته السيطرة على غيرته عليها وتقليص حجم امنياته منها فيرتضيها كما هي ..

فاطمة و...... كفى ...

اخذ يمرر يده في شعره وهو يتمتم بحرقة

" لم أعد استطيع التفكير .. عقلي يلهث دوما ليسبق قلبي حتى لاارتكب حماقة كما اوشكت ان افعل البارحة ..."

حاد بخطواته يمينا فيلتقي ببعض العاملين في المزرعة وينشغل بالكلام معهم حول عدة شؤون ...

ثم تحرك مرة اخرى ليلف حول حظيرة الغنم ليطمئن بنفسه على بعض الحيوانات التي كانت مصابة بفايروس خفيف وتمت معالجتها ..

من بعيد لمح محمد هيئة فتاة محجبة تجلس على ركبتيها قرب احدى الغنمات ...

ضيق عينيه بتركيز فضولي لانه لم يرها هنا من قبل ..

تقدم منها وقد لفت نظره فيها امران ..

الاول انها ترتدي مريول الطبيب الابيض والثاني يدها التي تلامس الغنمة بحنان شديد وكأنها تلامس طفلا ...

كان يقترب منها فيلقي التحية

" السلام عليكم .. "

ردت السلام بصوت لم يسمع بنعومته من قبل

" وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته "





توسعت عيناه تدريجيا بينما الفتاة تقف على قدميها وتستدير نحوه في آن واحد..

لم ير وجها نورانيا كوجهها ..

وجه مستدير ناصع البياض بملامح منمنمة..

حمرة خجل تخطف القلب داعبت خديها

نظرات حياء وارتباك طفولي لذيذ شع من عينيها الواسعتين ..

شيء ما مس قلبه .. مسه فقط .. دون ان يستطيع تحديده او وصفه ..!

الفصل الخامس

توسعت عيناه تدريجيا بينما الفتاة تقف على قدميها وتستدير نحوه في آن واحد..

لم ير وجها نورانيا كوجهها..

وجه مستدير ناصع البياض بملامح منمنمة..

حمرة خجل تخطف القلب داعبت خديها

نظرات حياء وارتباك طفولي لذيذ شع من عينيها الواسعتين..

شيء ما مس قلبه .. مسه فقط .. دون ان يستطيع تحديده او وصفه ..!

بصوتها الناعم الخافت قالت بابتسامة وضاءة عفوية

" الغنمات اصبحن بافضل حال .. لقد اطمأننت عليهن بنفسي .."

عدوى ابتسامة انتقلت لشفتيه بينما يسبل اهدابه فيرد بمزحة عفوية

" غنمات ؟! اراكِ تؤنثيها بشكل مطلق .."

في نفس اللحظة لم يقاوم ان يرفع عينيه ليرى ردة فعلها بفضول غريب فيعاوده شعور الانبهار بحمرة قانية خضبت وجنتيها وهي ترد عليه مبررة بينما عيناها تحيدان بعيدا عن عينيه بخجل خاص



" اعذرني دكتور محمد .. قد تبدو ملاحظة غير علمية ، لكنها اخطاء الصغر التي تلتصق بنا .. دوما اعتبرتهن اناثا في طفولتي .. "

لفظة دكتور محمد منها جعلته يحدق بانتباه عفوي في القطعة المستطيلة للهوية التعريفية المعلقة على الجانب الايسر من مريولها الطبي الابيض ..

(الدكتورة بيلسان صلاح)

تمتم في سره بشعور غريب

" حتى اسمها مميز .."

رد اخيرا وهو يبتسم بلطف مخفيا بسلاسة ما ينتابه من مشاعر غير مفهومة له

" كلنا نعلق باخطاء الطفولة دكتورة بيلسان .."

لحظة فقط اعادت نظراتها لتوجهها اليه تحدق في عينيه كطفلة فضولية !

عيناها واسعتان داكنتان جدا وتناقضان بشكل مبهر بياض بشرتها المميز ..

تنحنح محمد وهو يضيف قائلا

" شكرا لاهتمامك الخاص بـ.. الغنمات.."

ابتسم بخفة قبل ان يستدير مبتعدا وهو يشعر بتلك النظرات الطفولية الفضولية ما زالت تلاحقه وتدغدغ ظهره ...

ترجلت من الحافلة تغض الطرف عن عيني الشاب اللتين لاحقتاها بالاعجاب ...

كان لطيفا حقا عندما ساعدها لتتعلق بالحافلة السائرة ببطء لكن .. طموحاته ارتفعت خلال الرحلة وهو يعرفها بنفسه واين يعمل ويتحدث في .. اي شيء وكل شيء .. لم يتجاوز حدود الادب لكن مؤكد تجاوز حدود اللياقة المتعارف عليها وهو يفرض نفسه عليها دون ان يلق منها تشجيعا..

تبسمت فاطمة وهي تعيد حزام حقيبتها فوق كتفها وتهمس لنفسها

" لقد خيبت آماله .. "

ثم اضافت في سرها بشجن وهي تتهادى على الرصيف برشاقة

" وماذا بيدي .. قلبي لم يعد لي ..."

اخذت نفسا عميقا وارتعشت دواخلها وهي تتذكر ما حصل ظهر الامس في غرفة الانطلاق ...

محمد .. وآه من محمد ...

لم يعد الفتى المراهق الحنون الذي احبت اعتنائه بها ..

ولم يعد الشاب اليافع الغامض الذي همها جدا ان تعرف سر تغيره نحوها قبل بضع سنوات ..



وعندما علمت .. في ذاك اليوم .. في بيت ظافر الغازي عندما سمعت صدفة حوار محمد مع اخته حوراء .. فكان (ذاك اليوم) فيصلا لها لتنظر في المرآة جيدا لنفسها وما آلت اليه ..

في عينيها اولا ثم في عيني اناس يهمونها ثانيا ...

كانت تمر بمرحلة تقييم للذات ومحاسبة للنفس عندما اتى كلام محمد كالملح على الجرح الجديد النابض بالألم ..

(في ذاك اليوم) ادركت انه لم يعد لديها الوقت للغرق في الماضي اكثر فركنت الماضي بكل ما فيه جانبا ..

علقته على احد جدرانها الداخلية كصورة واضحة المعالم لعينيها ..

مخفية عن عيون الاخرين ..

تحدق فيها بين الفينة والاخرى ..

فقط لتتذكر .. فلا يخدعَنّها النسيان ..

همست بنبرة تستعذب آهاتها

" آآآه يا محمد ..متى ملكت قلبي ؟! متى؟!"

وهل خطر في بالها يوما انه سيملك قلبها؟!!

ترى هل شعر برجفتها بالامس وهو يفك اصابع الصغير غازي عن خصلات شعرها ؟



هل شعر بنظراتها التي تتشرب ملامح وجهه القريب منها ثم تلك الابتسامة وهو يقبل كف غازي ..

يا اللّه ..

احرقها شعور الغيرة والاحتياج لحنانه فاغمضت عينيها تخبئ الألم بين جفنيها ..

اخيرا وصلت وجهتها ..

اخرجت وشاحا من حقيبتها غطت به شعرها ثم فتحت باب المقبرة القديمة لتلقي تحية باهتة للحارس العجوز ثم تتقدم بلهفة الاشتياق لقبرين متلاصقين هما آخر مطاف والديها في هذه الدنيا ..

اخر محطة .. واخر اثر ...

تقرأ لهما سورة الفاتحة وتطلق لعينيها الدموع ...

بعد دقائق خرجت وهي تنقد الحارس بعض المال قبل ان تغادر وهي تزيح الوشاح عن رأسها وتتقدم بخطى ثابته ناحية موقف الحافلة مرة اخرى ..

هذه المرة وجدت كرسيا تجلس عليه في الحافلة .. استقرت عليه تميل برأسها تسند جبينها لزجاج النافذة ..

وعادت لتغرق في خيال هوى محبوب غافل عنها ...

مؤسسة الغازي –الناجي

نهاية الاسبوع

" اللعنة ! الا تغادر مكتب خالي على الاطلاق ؟! "

تمتم محمود وداخله يغلي ...

منذ ايام يحاول فقط ان يلمحها ..

يلمحها لاغير !!

كبرياؤه تمنعه ان يذهب لمكتب خاله بنفسه فهو ليس غبيا حتى لايفقه دعابات خاله المبطنة له ...

كز محمود على اسنانه وهو يقسم في داخله ان لم تأتي غدا حفل عيد ميلاد خاله آسر سيذهب اليها بنفسه ويجرها من شعرها المعقود ذاك حتى تحضر الحفل رغما عن أنفها ...

" سيد محمود .. هل تحتاج لشيء مني ؟ الجميع غادر تقريبا ..."

التفت محمود لتلك الفتاة المتميعة قبالته..

قامة قصيرة وخصر ضيق جدا هذا ثاني ما يلفت النظر لها بعد رنة صوتها المائعة ..

ما اسمها ؟ تغريد .... اغرودة ...؟!!

هل يتوهم ام انها اصبحت ظله في المؤسسة فيتعثر (بقامتها القصيرة) اينما اخذته قدماه !

يطبق اسنانه وهو يكشر عن ابتسامة تفيض بالغيظ بينما يرد عليها

" لا بد ان تسرعي بالمغادرة مؤكد لن تلحقي باص المؤسسة اذا تأخرت اكثر وعندها لن تجدي حتى سيارة اجرة تقلك في هذا الوقت المزدحم من نهاية الاسبوع"

رمشت بعينيها وهي تتطلع اليه بأمل مقروء فاوشك ان يشد بشعره !

تركها وهو يتأفف بنزق ...

هبط بالمصعد الكهربائي لمرآب السيارات التابع للمؤسسة .. وتفكيره يرشده انه يستطيع انتظارها هناك فيكلمها وجها لوجه... اجل سيكلمها هناك حالما يراها ولو استدعى الامر سيهزها من كتفيها حتى تفهم ان تصرفاتها البليدة الجليدية تثيره بطريقة مجنونة لاتحتمل ...

المرآب نصفه او اكثر خال من السيارات .. عبس وهو يحرك رأسه يمينا وشمالا يبحث عن سيارتها الرمادية التي تحسن التخفي بين السيارات بحجمها الصغير ولونها الباهت السخيف الذي لايجذب نظر احد ....

تحرك خطوات هنا وخطوات هناك ... ثم تجمدت خطواته حينما صعقه ما يراه ....



زينب في سيارتها السخيفة وبجوارها سيارة انيقة بيضاء يقودها عامر .. بل عمران .. لا ربما ... اللعنة ما حكاية لخبطة الاسماء لديه هذا اليوم ؟! وما همه من اسم ذاك الموظف في قسم سكرتارية خاله شاهر ... ما يهمه الآن ويشعل حطبه الاخضر قبل اليابس انها .... كانت .... تضحك !

انها حقا .. تضحك ...

وجه العبوس الشرسة المجنونة سابقا الجليدية البليدة المشاعر حاليا ... تضحك !

تمد رأسها قليلا من شباكها المجاور وهي تضحك بخفة مع ذاك الذي لايذكر اسمه ...

تحركت قدما محمود ومجري دمه يغلي في كل انحاء جسده حتى بات يشعر بالهواء الذي يخرج من رئتيه عبر فمه وانفه يتأجج بالنيران .. حتى اذناه كانتا مشعتين بحرارة لاهبة ...

وليزيد اشتعالا حتى الاحتراق الكامل كان الاثنان يلوحان لبعض ويتحركان بسلاسة ، كل في سيارته وبتناغم كان كان كركلة بعير على معدته ...!

عيد ميلاد اسر الغازي

يجاهد حتى يخفي ضحكته بينما يرى نادية تقف بصحبة نهى و نجلاء وبضع فتيات من ارقى العائلات مع امهاتهن ...

وجهها متشنج العضلات من ابتسامة غير حقيقية تخفي خلفها امتعاضها وحنقها بشق الانفس..

انه يعرفها .. لاتعترف بزواج (الصالونات) بل ويغضبها هذا الاسلوب والتفكير ...

وقد استغلت كلا من ابنة خالته واخته هذا الحفل لتحويله لعرض (صالوني) من الطراز الاول ...

والضحية بل الضحيتان كانا التوأمين ...

وقد بدى الامر شديد الامتاع ومضحكا لابعد الحدود وكل واحد من الشقيين يبدي رفضه بطريقته ...

محمود يكاد يتسلق الجدران هربا من العروض ومحمد يحبط الفتيات بصمته المطبق ونظراته الهادئة اللامبالية ...

آاه من هذا الفتى ..

تحولت نظرات آسر الى حيث تقف (الناعمة جدا) محاطة بذراع ماهر بينما ذراعه الاخرى تحاوط زوجته صفية ، والاثنتان تضحكان من قلبيهما لهمسات ماهر التي لايسمعها احد غيرهما ...

أمال آسر رأسه وهو يفكر ...

هل يتعمد ماهر فعل هذا ام انه لايدرك حقا ان عفويته واريحيته في معاملة فاطمة تؤجج نيرانا خفية ...

عينا ماهر التقتا للحظة بعيني عمه آسر ..

رسالة من نوع خاص او ربما اسر وحده من يفهمها على انها رسالة ..

اضاءت نظرات اسر واتسعت ابتسامته ..

كيف فاته ما يفعله ماهر هذه الليلة ؟!!

ماهر يعرف ايضا ...

لكن ترى ما الذي عرفه بالضبط ؟

هل يعرف عن القتيل ام عن حائرته ؟

(الناعمة جدا) بفستانها الرقيق الاخضر تتخفى خلف ضحكاتها الرنانة مع زوج اختها فهل هذا طوق نجاتها من متابعة ما يحصل مع العروض الصالونية لتزويج محمد ومحمود ؟!

تحرك اسر من جلسته المنعزلة بعيدا عن مجاملات الحفل المرهقة ..

عاد للاندماج مع المدعوين وعيناه تبحثان بين الفينة والاخرى عن (بطته)...

بدت اليوم (لطيفة) ببنطالها الفضي الباهت وبلوزتها الوردية .. مع العقدة الازلية لشعرها ..

مؤكد لو سمعت كلامه وتركت له الامر لاختار لها ألوانا خاصة جدا لكينونتها النارية ..

ماذا يفعل .. لااحد يقدر مواهبه هذه الايام!

وها هي (بطته اللطيفة) انسحبت من بهرجة العروض فغافلته وتهربت من المواجهة ..

نظرة لاخته نجلاء وهي تدفع باحداهن لتتعرف بمحمود بينما ينسحب توأمه محمد مبتعدا بخفة كاتما ضحكته ...

تمتم اسر في سره ساخرا

" صغيرتي نجلاء توأماك العزيزان لهما طريق مختلف ..."

بحركة رشيقة اعتذر اسر من محدثه ليقاطع طريق محمد الذي كان يمر بجانبه..

ابتسم بمشاكسة وجهها لابن اخته فيحدق فيه محمد ببعض الاستغراب قبل ان يقول

" هل تحتاج شيئا خالي ..."

لم يرد على سؤاله بل امعن النظر مباشرة لعينيه قبل ان يقول بصوت خفيض

" دوما كنت تثير عجبي واعجابي يا فتى .."

ارتفع حاجبا محمد قليلا متسائلا " انا ؟! "

برقت عينا اسر بالذكاء الحاد الذي حباه الله به قبل ان يقول بنبرة خاصة وهو يتطلع لملامح محمد الهادئة المسيطرة

" هذا الصمت الجبار والهدوء الغامض ... هذا الحنان الفطري في تعاملك مع الجميع .. كل شيء في ظاهرك يخدعن الكثيرين فيظنونه بالوراثة من شخص ابيك لكنك في الواقع خلطة مثيرة للدهشة .. تملك مقدارا مخيفا من السيطرة على الذات .. سيطرة تجنح لقساوة مفرطة احيانا وقد تكون قساوتها اشد وطأة عليك انت اولا .."

للحظة التمع وهج ما في عيني محمد اوشك آسر ان يمسكه بقبضة يده عندما انطفأ في لحظة كل شيء ليقول محمد بنفس الهدوء

" انا صبور فقط ..."

عندها استفزه آسر وهو يشير برأسه ناحية وقوف فاطمة مع ماهر وصفية فيقول بمعنى قاطع في هدفه

" كم اتمنى ان اقول لك خذها ولا تفكر لكن انت من تجعلني ألجم كلمتي في جوفي .. وهذا لايحدث لي الا نادرا .."

هذه المرة ابتسم اسر وهو يرى الصدمة في عيني محمد ثم وهج غضب مستعر قبل ان يحيد برأسه ناحية توأمه محمود



" لاترمقن توأمك المتهور بهذه النظرة ..
انت اعرف به مني .. قد تكونان جاسوسيّ المفضلين لكنكما دوما تجيدا الاحتفاظ باسرار بعضكما لبعض ولاتفشيانها مهما حصل .."

هدأ الوهج تدريجيا قبل ان يقول محمد بهدوء جديد غامض

" لااعرف عن اي اسرار تتكلم يا خالي .."

نظرة خاصة وابتسامة جانبية من آسر قبل ان يرد بثقة

" لا خوف عليك يا ايها الناجي من القتل ..
ستعرف كيف تنجو بروحك دوما ومهما حصل ومهما كانت نتائج خياراتك .. "

تحرك اسر تاركا ابن اخته صامدا بواجهة هادئة بينما عيناه تمران بايحاء عفوي فوق فستان اخضر .. شديد الخضرة .. كخضرة عينيها بالضبط ...

يسبل اهدابه ويتحرك الى حيث يجلس والده مع خاله شاهر فينضم لهما ويشاركهما الحديث لكن اذناه تلتقطان ضحكاتها من وسط كل الضحكات فيعتصر قبضة يده المخفية في جيب بنطاله..

نظرة من ابيه يردها محمد له بابتسامة يتغافل عن ذاك السؤال الصامت فيها ..



احنت رأسها قليلا فغطى شعرها المرسل جانب وجهها بينما تتلاشى ضحكاتها الى .. لاشيء ...

متى ستنتهي هذه المحنة ؟!

متى ستغادر المكان فلا ترى ما ترى ولا تسمع الهمهمات السارية عن اعراس مقبلة...

" انت بخير توته ...؟"

لم يكن سؤالا قدر ما كان دفعة من تأكيد ...

لاتعرف كيف يفهمها ويسندها دون ان يسأل .. دون ان يطلب المزيد من الشرح ..

تمتمت فاطمة لماهر بنبرة رقيقة خافته

" مؤكد بخير .. لاتقلق ... مجرد تعب ..."

يده على خصرها يشد عليه داعما اياها وكأنه يؤكد ما سيقوله

" لن اقلق .. لكني دوما هنا فلا تنسي هذا ابدا .. ودوما سأكون لاجلكم جميعا.."

كم تمنت للحظة ان تنهار باكية على صدره لكنها شدت عزيمتها فرفعت وجهها بحركة تحدٍ، تبرق خضرة عينيها لتقابلها من زاوية محددة خضرة من نوع اخر ...

خضرة عيني محمد اللتين تلكأتا لثوان عليها قبل ان يحيد بنظراته بعيدا يرد على خاله شاهر ...



قربت صفية رأسها من اذن زوجها فتقول له

" نسيت ان اخبرك عن امر غريب حصل قبل بضعة اسابيع في مكتبي .."

التفت لها ماهر بابتسامة ذائبة يحدق في عينيها المتعبتين الناعستين

" اصبح لك اسرارك يا ام شاهر منذ افتتاحك لمكتبك الهندسي الذي تنهكين نفسك فيه حتى ايام العطل.."

تضحك بجذل والارهاق الجسدي يرقق صدى تلك الضحكات فيملؤه شعور عارم بالسعادة ورغبة ان ينفرد بها وحدها .. يعتني بها على طريقته ..

تمتمت صفية وهي تخفي تثاؤبها بشق الانفس

" جاءني رجل شاب في منتصف الثلاثينات .. تقدم لوظيفة المحاسب التي اعلنت عنها قبل مدة .."

سأل ماهر وقد راق له ترنح جسدها المنهك فتميل عليه دون ان تشعر

" ما الغريب في الامر يا غزالة .."

عقدت حاجبيها قليلا بتفكير قبل ان تقول بحيرة " الغريب اني وظفته فعلا وابتدأ العمل معنا ، دوما كان هادئا منعزلا لكن له نظرات غريبة احيانا ! حتى زارتني حوراء بالصدفة قبل يومين .."

تثاءبت هذه المرة فانقطع استرسالها ليحثها ماهر كي تكمل وقد جذبه الموضوع

" ثم ؟! "

حاولت صفية التركيز اكثر وهي تقول

" رأته حوراء في مكتبي الخاص وسألته بعفوية ان كانت تعرفه او سبق لها رؤيته لكنه انكر بأدب ثم خرج .. وبعدها اختفى! .."

تنبهت حواس ماهر بالكامل وهو يسألها بهدوء " ماذا تقصدين اختفى ؟"

ردت وهي تحدق في عيني زوجها تبادله نظرات الارتياب " لم يعد للعمل في اليوم التالي ولايرد على اتصالات المكتب ... اليس هذا عجيبا ؟! "

سكنت ملامح ماهر تماما وكساها غموض محير قبل ان يقول " قلت لك مرارا دعيني اتولى امر التحري عن موظفيكِ.."

عبست صفية وهي ترد عليه

" لاتبالغ ماهر في حمايتك المفرطة هذه.. لقد اصبحت موسوسا بلا داع .. ثم ان لديك ما يكفي من المسؤوليات في المؤسسة فلن اثقل عليك بمهام تخص مكتبي الصغير.."

قال ماهر بنبرة قاطعة

" اعطني كل بياناته حالما نعود للبيت .."

لمحة تمرد تأججت في العينين اللتين ينعسهما التعب فتتمتم" لا احب هذا .."

تبسم وهو يهمس " تعرفين استطيع الحصول عليها بطريقتي.."

تنهدت باستسلام لكنها تقاوم رغم التعب فتقول وهي تميل برأسها لكتفه

" كم اتمنى ان اصعب عليك الامر لتريني كيف ستأخذها بطريقتك!"

فيضحك بخفة مستمتعا بينما عيناه تلتقطان سلسبيل تجر حوراء خلفها لتغادرا الصالة ...

ثم تحركت عيناه على ساعة الجدار الضخمة وفكره يذهب باتجاه اخر فيهمس في سره

" مضت قرابة الساعة ووجه العبوس لم تعد.."

تمتمت حوراء بضيق متزايد

" الى اين تأخذيني سلسبيل ؟ مزاجي ليس جيدا الليلة لاشاركك احدى شقاواتك "

تغمزها سلسبيل وهي تبتسم ابتسامة متلاعبة وتقول

" اممممممممممم كل هذا لان ظافر لم يستطع العودة اليوم ؟"

تنهدت حوراء وهي تدير راسها جانبا وتستسلم ليد ابنة خالها التي تأخذها باتجاه السلم ..

للحظة استعدت لصعود السلم وهي توبخ سلسبيل بالقول

" رويدا رويدا سلسبيل .. انا حامل ولا استطيع مجاراة سرعتك في تسلق درجات السلم .."

لكن سلسبيل اوقفتها قبل ان ترفع حوراء قدمها للدرجة الاولى فتهمس لها

" من قال سنصعد السلم ؟! انتظريني هنا ولاتتحركي ..."

ثم تركتها ومضت عائدة باتجاه الصالة الكبرى بينما تحدق حوراء في اثرها والغيظ يتصاعد في داخلها ...

تمتمت حوراء وهي تعقد حاجبيها

" سلسبيل ... ايتها المجنونة ..! ماذا سأفعل بوقفتي المضحكة قرب الدرج ؟! "

شهقت وذراع قوي تظهر من الظلمة اسفل الدرج لتسحبها عنوة فيرتطم جسدها بصدر رجولي تحفظه وهمسات تجذب الدماء في عروقها

" تبادليني لوعة الهوى ونيران الشوق "

تمتمت اسمه بانفاس متقطعة بين شفتيه الناريتين " ظا...فـ...ر "





يعتصرها بين ذراعيه وتكاد لاترى ملامح وجهه بينما يهمس لها

" عدت لتنامي وسط قلب ظافر .."

هذه المرة هي من قبّلته بجنون وهي تلف ذراعيها حول رقبته بتملك مستعر ..

لهفتها وشوقها اليه وحاجتها الماسة لرؤيته الليلة بالذات جعل حتى الدموع الرقيقة تنساب على خديها..

ابتعد قليلا وهو يلهث هامسا بخشونة

" اه من عطر انفاسك وما يفعله بي.."

بانفاس هائجة اراحت راسها ليستكين على صدره وما زالت تتشبث به بقوة غريبة اثارت

بعض قلقه واعادت اليه بعض تعقله فقال بصوت خفيض أجش

" الليلة ستكون للاشواق فقط وصباحا سنتكلم .."

لم تفعل اكثر من الهمهمة بـ(نعم) وما زالت لاتقوى على الابتعاد عنه ...

تساءل مهدي بابتسامة مائلة

" اين حوراء يا شقية ؟"

تهز كتفيها النحيلين وهي ترد بخفة

" لااعرف ..."

يقترب منها وعيناه في عينيها فيواجهها بالقول

" لقد خرجت معك وعدتِ بدونها .."

تضحك بسلاسة بينما تضع يدها على كتفه تلامسه وعيناها تلمعان بتلك الشقاوة المحببة فتهمس له وهي تقرب راسها منه " لدي رحلة خاصة نهاية الاسبوع القادم يا وسيم.."

تراجعت ابتسامته قليلا بينما يسألها

" الى اين هذه المرة ؟"

ردت وعيناها تقرآن تبدل مزاجه

" رحلة الى اليونان ..."

انحسر ما تبقى من ابتسامته ليسبل اهدابه ويقول بنبرة غامضة " لم تمض اسابيع على اخر رحلة .. الاترين ان رحلاتك كثرت جدا خلال الاشهر الماضية .. لقد بت لااجاريك ولا استطيع السفر معك اغلب الاحيان .."

لم ترد عليه بأي تعليق فرفع نظراته اليها وعندها فقط قالت بغموض هادئ

" هل يزعجك الامر ؟ انا لاأتاخر في رحلات كهذه ... فقط بضعة ايام .."

شعلة غضب .. مجرد شعلة صغيرة اجاد اخمادها دوما لينعم بسعادة خاصة مع سلسبيل ..

لكن تلك الشعلة منذ فترة اصبحت تراوغه فتتأجج بما لايرغب حتى بمحاولة اطفائه ..

سألها دون ان يفصح عن الكثير مما يجول بداخله " مع من ستذهبين ؟"

رفعت حاجبيها وتعبر بالقول الهادئ

" انها المرة الاولى التي تسأل .."

عيناه العسليتان يتأجج في عمقهما وهج الشعلة الصغيرة فالتقطتها سلسبيل بصمت بينما تسمعه يقول " انا تركتك تستمتعين دون اي ضغوط مني .. لكن من حقي ان اعرف مع من ؟"

ردت باختصار مغيظ " مع اصدقاء .."

بدأ الامر يزعجه حقا خاصة وهي تلعب لعبتها الهادئة معه وكأنها تعاقبه على طريقتها فيسألها بنبرة حازمة وقناع من البرود يكتسح ملامحه

" ذكور ام اناث ؟"

ارتعشت ابتسامة محيرة على فمها بينما ترد بميوعة مستفزة وكلمات اكثر استفزازا

" خليط بين الاثنين ... لكن عددنا كاناث سيكون اكثر قليلا والحق يقال .. الا اذا انضم الينا مزيدا من الذكور .."

يده على خصرها تقلصت بينما يهمس بحنق مكبوت وقد فقد اخر ذرة للظهور بالهادئ امامها " سلسبيل ... كفاك اغاظة لي .."



عندها تلاشت ابتسامتها وتطاير شرر ناري من عينيها وهي ترد عليه بصوت خفيض متوتر

" وانت ؟! الا تغيظني وانت كعادتك لاتقول مباشرة ما يزعجك ؟!! لماذا لاتسألني بشكل صريح عما يجول بخاطرك من تساؤلات ..."

عندها سأل بكلمات صريحة مباشرة

" هو تساؤل واحد يا سلسبيل .. من الذي كان يقف جوارك في التسجيل المصور لهبوطك بالمظلة على المركب ؟ لقد سبق ورأيته لكني لااعرف اين ومتى .."

للحظات تواجها بالنظرات قبل ان تقول سلسبيل

" هل مهم ان تعرف هويته ؟"

رد بصوت قاطع " نعم .."

غامت عيناها وهي تقول بسلاسة

" اذن سأسأل وارد عليك يا ابن عمي .."

ثم ابتسمت له وهي تميل لكتفه وتهمس بنبرة تبدو في ظاهرها فقط متدللة خالية البال

" بالمناسبة .. الرحلة كانت لنا فقط .. انا وانت والاشقياء الثلاث ... وربما سينضم الينا ظافر وحوراء مع الغازيين الصغيرين.."

التمعت عيناه تواجهان لمعة عينيها المضادة في صمت ...

تربت على خده وتبتسم لوجهه بعينين دامعتين تأثرا وهي تقول له

" انا فخورة بك صغيري .."

يحمر خداه وعيناه تفيضان بالمحبة والامتنان والتعلق الشديد وهو يرد عليها

" كله بفضلك نانا ..."

ترتجف ابتسامة نادية وتشعر بشعور رائع يراودها كلما ناداها هذا الفتى الطويل النحيل بكلمة (نانا) كما يفعل احفادها..

صوت آسر الغازي جاء ناضحا بالسخرية وهو يقول بجذل

" مبارك ايها النحيف .. (نانا) اخبرتني عن براءة الاختراع التي نلتها .."

يرد له طه بابتسامة واثقة

" شكرا لك عمي آسر .."

لايعلم اسر هل هو فخور بامرأته وما صنعته من هذا الفتى ام انه حقا فخور بانضمام عائلة صفية لعائلته فكانت اضافة حيوية وتجديدا للدماء ...

قال اسر وهي يميل برأسه بابتسامة مستفزة

" اعتقد ان ماهر كان يبحث عنك .."

يبتسم طه وهو ينسحب مبتعدا باتجاه زوج اخته فتتلقاه اختاه صفية وفاطمة تحتضناه بحنان ودفء ومشاركة فرحة لايفهم اهميتها الا هم بينما يتطلع اليهم ماهر والفخر ينضح من عينيه ..

تقترب نادية من زوجها فتعنفه برقة وهي تهمس له " ايها الكاذب الذي لايعرف الخجل من افعاله الصبيانية .."

تتسع ابتسامته وهو يرد عليها

" اليوم عيد ميلادي .."

فتتساءل باغاظة

" وان يكن ..."

ليرد وهو يقترب اكثر منها حتى لامسها

" يحق لي فعل ما اريد .. ومن ضمنها ان اطالبك بالكف عن ملامسة نسرك النحيف.. "

تهز رأسها وهي تضحك منه قائلة

" ايها الغيور المشاكس .. كلما كبرت وابيض شعرك اكثر كلما زاد عشقك لاستفزاز من حولك والتفرج عليهم .."

ثم مالت نحوه تهمس له بوعد غير مشروط

" سأعوضك الليلة بما تريد .. فقط قل وانا سألبي .."

مال هو الآخر جانبا لتلامس شفتاه اذنها فيهمس لها بحرارة

" ترقصين لي وحدي ... وبقميص نوم حريري قصير اسود.. قصير جدا نانا ..."

عندها انفجرت نادية ضاحكة وهو ينظر اليها باستمتاع ...

تحت شجرة كبيرة من اشجار الحديقة الشاسعة اخذت زينب تراقب عن بعد احفاد الغوازي وهم يلعبون معا..

فارس قائدهم واسر وشاهر الصغيران يلاحقان اوامره وكانهم عصبة واحدة لاتنفصم بينما يتمرد غازي عليهم جميعا ويصر على الاستحواذ على الشقيّتين التوأمتين اسرار وجلنار وملاعبتهما بمفرده...

رؤيتهم خففت الكثير عنها ..

جعلها تعود لعهد الشقاوة في حيّهم القديم الفقير ..كم كانت مجنونة وهي تتشاجر



بشراسة مع الاولاد اذا غش احدهم في اللعبة ..

رنة خافته لوصول رسالة نصية جعلتها تعود لواقعها وتخرج الهاتف من جيب بنطالها فتقرأ رسالة جعلتها تبتسم عفويا

(اين بطتي اللطيفة عندما احتاجها؟ كان يجب ان ادعو الجميلة بشرى للحفل فعندها كنتِ ستلتصقين بي كغراء)

لم ترد عليه وهي تعيد الهاتف لجيبها ..
عمها اسر .. هذا الرجل الآسر ...

لقد اصبح جزءا لايتجزأ من حياتها ..

وكم يخيفها احيانا تعلقها الشديد به ..
يخيفها ويفرحها بنفس الوقت ..

وهذه الفرحة تاخذ كل ابعادها عندما تكون معه في المؤسسة تنعم بهيبة الانتماء الخاص اليه .. بينما تتضاءل تلك الفرحة وتنكمش على نفسها تماما حالما تتواجد ابنته سلسبيل حوله وعندها تبتعد زينب بعشر خطوات للخلف تراقب فقط تلك الابوة الحقيقية تفيض من عيني الرجل لابنته .. فتقتلها الغيرة قتلا...!

(لوح ثلجي محنط)

من حيث لاتعلم قفزت الجملة الحانقة لافكارها المتلاطمة ...

اه لو يعلم كم توجعها نظرته لها ...

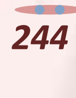
ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تتذكر وجه اخر فتاة وقفت جواره بينما الخالة نجلاء تقدمها له ..

فتاة راقية انيقة كفراشة زاهية بابتسامة تخلب الالباب والاحمق الغبي يرد لها ابتسامتها بضحكة اكثر حمقا حتى بانت غمازاته المستفزة ..

زفرت زينب بقوة ثم اغمضت عينيها تعد حتى رقم عشرة بارتعاش ..

كانت ستغادر الحفل بكل ما فيه لولا انها رفضت الانصياع بعناد لرغباتها الانهزامية..

ان لم تكسب معاركها على الاقل لاتظهر الهزيمة ...



كما انها لم تحضر لاجل الاحمق الغبي ...

بل تتحمل وجوده لاجل اناس تحبهم ويهمونها ...

واليوم فرحة خاصة باخيها الصغير طه وقد حصل على براءة اختراع في تطوير وتقوية موجات البث عن بعد بتقنية جديدة مبتكرة ..

ولاجل طه بالمقام الاول احتاجت ان تلتقط انفاسها قبل ان تعود للداخل بواجهة مسيطرة لامبالية ..

جذب سمعها صوت مواء هريرة فالتفتت باستجابة تبحث عنها ..

تحركت من موضعها تتبع ذاك الصوت ثم لمحت حركة بين الزرع لفراء صحراوي اللون جعلها تبتسم عفويا ..

لاحقت الهريرة الصغيرة وهي تتقافز هنا وهناك ..

لا بد انها احدى هريرات المشاغبتين اسرار وجلنار ..

ضحكت زينب بعفوية والهريرة تصارع احدى الاغصان على الارض وحالما اقتربت منها لتلامسها فاذا بالهريرة تهب متوثبة لتتقافز من جديد وتهرب منها ..

شعور طفولي غريب سيطر على زينب وجعلها تلاحق الهريرة باصرار ..



ارادت ان تلمسها فقط ..

دوما حلمت في صغرها ان تملك هريرة كهذه ...

وصلت بملاحقاتها لغرفة الانطلاق حيث الباب الموارب فتدخل الهريرة هناك دون ان تعير ادنى اهتمام لنداءات زينب المغرية ..

ضحكت زينب وهي تقف عند الباب متخصرة وترى الهريرة تقفز داخل حوض دائري كبير بلاستيكي مملوء بالكرات الملونة ..

تقدمت نحوها وهي تتوعدها بشقاوة

" سأمسكك يا متسللة .. انت اخترتِ غرفة الانطلاق ولاتعلمين انها مسكونة



بعفاريت الشقاوة تتلبس روح كل من يدخلها .."

اخذت تضحك والهريرة تتقافز بين الكرات تهرب من بين يديها اللتين تحاولان الامساك بها ..

اخيرا امسكتها فترفعها بانتصار والقطة تتلوى بين يديها بينما تهلل زينب بطفولية

" لقد تمكنت منك يا شقية .."

اجفلت بعنف حتى اوقعت الهريرة ارضا بينما يأتيها من جانب الباب صوت مستفز كصاحبه

" اخيرا وجدتك وبمفردك .. بعيدا عن عش خالي .."

تراجعت زينب عفويا للخلف حتى ارتطم ظهرها بالحائط بينما تتسع عيناها ارتعابا مضحكا وهي ترى الهريرة تغادر عبر قدمي محمود فيودعها محمود ضاحكا

" شكرا لك بوسي .. كنت خير معين .. قبّلي اسرار نيابة عني .."

ثم دخل بخطوة رشيقة وأغلق الباب خلفه ..

هي لحظات فقط واستعادت زينب سيطرتها فتواجه نظرات محمود الغامضة اليها بينما تستعدل في وقفتها بشموخ ثم بصمت بالغ تتحرك بتجاهل تام له ناحية الباب المغلق....

هي بضع خطوات قبل ان تصل الباب عندما قاطعها محمود بجسده فارتدت للخلف خطوة تناظره بشراسة باردة بينما يبتسم لها باغاظة ويقول بصوت أجش ساخر

" لن تغادري الان .."

حاولت مناورته يمينا ويسارا فما كان منه الا ان امسك ذراعها باصرار يتحداها بعينيه فترد له التحدي وهي تهمس من بين اسنانها وسط صخب قلبها الجنوني

" أفلتني محمود .."

بدى غريبا جدا.. مسيطرا هادئا .. هادئا لدرجة تتمنى لو لديها اظافر طويلة حتى تخربش وجهه !

همس لها بابتسامة صغيرة

" لقد افلتك لفترة طويلة .. يمنعني كثير من الاحترام لصلة قربى بيننا.. "

عندها تحطمت قشرة السيطرة والبرود لتجتاحها موجة جنون فاخذت تتلوى بعنف لتتخلص من امساكه بينما تهدر فيه

" انا لا أمت لك بصلة قربى .. دمي لايقرب دمك "

ازداد عنف جسدها بينما يمسك ذراعها الاخر يكبل حركاتها المجنونة ..

يهزها وهو يقول بصوت مشحون غفلت عن العاطفة المتأججة فيه

" هناك ما هو اقوى من رابطة الدم .."

كانت تنتفض وتصرخ فيه

" دعني محمود حالا .. دعني .. انا اكرهك .. اكرهك .."

وكأنها آذته بشدة فانغرزت اصابعه في لحم ذراعيها وهو يهمس بلهاث

" لاتدفعيني لابعد مما اطيق يا زينب .."

عندها فقط رفعت وجهها اليه حتى بات قريبا جدا من وجهه تغلي بمشاعر لاتوصف فتسخر منه بخشونة قائلة

" وكأنك ترعبني ! اعلى ما في خيلك ... اركبه .."

خصل شعر افلتت من عقال عقدتها فتهدلت حول وجهها الساخن بحمرة خديها ..

عيناها هائجتا النظرات ..

فمها ينطق بالكلمات فتبدو وكأنها جمرات مشتعلة يأسره ان يلمسها و يحترق بها ...

تمتم بحشرجة وعيناه لاتفارقان شفتيها

" ماذا ؟ اعيديها .."

صدرها يعلو ويهبط بجنون بينما تأمره بتقطع " ابتـ...عد .."

ارتعشت ابتسامة على شفتيه وهو يهمس بعذوبة " حقا قد عادت الشرسة المجنونة .. حسن.. وان لم افعل ؟ هل ستضربيني ؟"

ثم يثيرها بمزيد من التحدي مضيفا

" افعليها .. انا انتظر .. هيا يا وجه العبوس أريني .."

في نفس اللحظة التي تحركت قدمها لتركله كان محمود يتجنب الضربة بسلاسة ثم تتواصل محاولاتها اللاهثة دون ان تصيب الهدف وهو لايكف عن تأجيج مزيد من غضبها وكأنه منتعش متلهف غاااارق بما يحدث بينهما

" اخطأتها .. أأأ .. والاخرى .. فاشلة لم تعودي سريعة كما السابق .."

توقفت للحظة تلتقط انفاسها وهي تناظره بحقد بينما يقترب بوجهه منها هامسا

" فاشلة فاشلة .. فاااااشلة .."

وكأنه يمدها بالطاقة فتثور ثورتها الاعنف وتبدأ بمقاومته بالارجل والايدي وحتى بجسدها ..

اصبحت هستيرية وهي تضربه بكل ما تستطيع ان تستخدمه للضرب ...

ولم يكن هو باقل جنونا منها فيأبى افلاتها ولو على موته ! وفجأة دون سابق انذار تناثر شعرها متمردا من عقدته لتضرب وجهه احدى الخصلات الهائجة فيتشنج كله وهو يهمس بانبهار

" يااااا اللّه ...."

توقف الزمن بينهما ..

سكنت بصدمة حركاتها المجنونة الهائجة وهي تستوعب ما يحصل ...

جحظت عيناه وهو يحدق في الامواج المتلوية البنية التي غطت جذعها بالكامل...

همس اسمها متولها

" زينب ..."

ولم يوقظه من تولهه اللحظي الا ضربة موجعة (موفقة) على قصبة ساقه اليمنى ليتأوه مفلتا اياها مرغما

" آآآآآآآآآآآآآه ..."

بينما تجري هاربة منه ..

كما هربت قبل سنوات في حظيرة الخيول في النادي ..

لكن مؤكد لم يكن شعوره آنذاك كنصف شعوره الان .. ابدا على الاطلاق ...

بعد انتهاء الحفل

بيت بلال الناجي

في الطابق الثاني وعند شباك الجناح المطل على حوض السباحة يقف محمد صامتا وبنظرات مفعمة بالتفكير وبعض الحيرة يراقب توأمه محمود ..

ذهابا وايابا .. ذهابا وايابا ...

يتحرك محمود بخطوات نزقة على طول الممر المجاور لحوض السباحة ...

يمرر يديه في خصل شعره تارة ثم يشعثه تارة اخرى ...

مضت نصف ساعة واخاه على هذه الحال..

لايبدو طبيعيا منذ نهاية حفل عيد ميلاد خاله الليلة .. زينب اختفت تماما ومحمود بدى في .. عالم اخر..

سأله همسا خلال الحفل وعاود السؤال في طريق العودة للبيت وهما يستقلان سيارته لكن محمود لايستجيب ولا يرد عليه بشيء!!

في النهاية وعند وصولهم للبيت قال انه سيتنشق الهواء خارجا ثم تركه ومضى ..

الحمد لله ان والديهما لم يشعرا بالامر وقد وصلا البيت قبلهما بسيارة والده الخاصة..

والا كانت امه ستفتح (تحقيقا كاملا) وعلى طريقتها لتفهم كل ما يجري ..

تبسم محمد عفويا وعيناه تلمعان بشقاوة خاصة لاتظهر حقيقتها الكامنة في نفسه الا نادرا ..

تساءل في سره شاردا عن هيئة اخيه في الاسفل

" ترى ماذا فعلت به زينب هذه المرة ؟!"

صوت طرطشة ماء جذبت انتباه محمد لينفجر ضاحكا وهو يرى اخاه قد رمى نفسه في حوض السباحة وبكامل ملابسه !

تمتم محمد وهو يبتعد عن الشباك

" هذا المجنون المتهور لايغلب في امره ليجد منفذا يريحه ..."

غامت عينا محمد مضيفا بصوت أجش يكلم نفسه

" ليتك تملك منافذ حيوية كهذه لتفرغ شحناتك انت الآخر يا محمد ..."

ثم تحرك متوجها لغرفته الخاصة بينما يده تفتح ازرار قميصه الانيق..

خلع القميص عن جسده وبدلا من ان يرميه للسلة المخصصة للملابس المتسخة وجد نفسه يرفع القميص ليحدق عميقا في بقعة عصير لم تختفِ تماما ...

يد ترفع القميص امام ناظريه ويده الاخرى ارتفعت لتلامس مكان البقعة ..

تذكر كيف اجفلت عندما وقف خلفها وناداها (توته)..

فاستدارت بقوة ودون قصد القت بعضا من محتوى كأسها على قميصه ..

احمرت وارتبكت وهي تعتذر وترفع يدها عفويا تمسح قطرات العصير عن قميصه ..

وهو صامت وقد نسي معنى الكلام بينما عيناه متعلقتان بتلك الحمرة الموردة ...

كيف يمكن ان تكون حمرة خدين مميزيتين بها وحدها ؟

انها لم تخجل منه حياء يعشقه في الاناث

وانما خجلت من الموقف ذاته ..

ورغم هذا لا يعلم لماذا هو مسحور مأسور بخجل كهذا بما يفوق تأثره كرجل بحمرة خجل بيلسان العفوي كلما رأته تلك الفتاة صدفة في المزرعة ..

بيلسان تؤثر فيه بطريقة ما ..

لكن فاطمة ... آآآآه .. انها تقتله ...

كيف يملك الطاقة ليقاوم ..

تنشطر دواخله وتحارب بعضها بعضا في معركة لاتسمع فيها صوت سليل السيوف المتقارعة بوحشية .. وحتى الموت ..

صمت .. هدوء تام .. لكنها المعركة الاشرس التي يخوضها وحده من سنوات...

رمى قميصه في السلة ثم تحرك ناحية سريره ملقيا جسده عليه فينقلب على ظهره ويحدق في سقف غرفته ..

(كيف اصف لك يا صغيري شعور من يصحو يوما ليجد نفسه في الشارع حافي القدمين لايملك الا ثياب نوم بالية تستره! في غمضة عين زلزال ابتلع سقف وجدران سكن يأويه فيبتلع مع ركام السكن ذكرياته واعز حاجياته واثمن هدايا تلقاها من اناس يحبهم ويحبونه ..)

منذ ايام لاينفك يستعيد في ذهنه كل ما قالته في لحظات ظنتها هي انها في خلوة مع النفس بينما تحاور الصغير غازي مجازيا في غرفة الانطلاق...

لقد حفظ عن ظهر غيب كل كلمة وما تحمله من شعور عانته ...

وفي كل مرة يستعيد كلماتها يحاول جاهدا ان يعيش نفس ألمها وارتعابها وهي مجرد طفلة في الثانية عشرة..



وكلما عاش ألمها وارتعابها تمنى لو كان معها تلك اللحظات العصيبة يضمها لصدره يخبرها ان لاتجزع ولا تخف لانه سيكون معها مهما حصل..

تمنى لو كان هو .. ساحرها الفاتن ..

ولا ساحر في حياتها سواه ...

همس بلوعة " آه يا ساحرتي انتِ .."

ارخى جفنيه وصورة الفستان الاخضر تثير في داخله شعورا مجنونا بالتملك ..

لايريدها ان تلمس مخلوق .. لايريد لمخلوق ان يلمسها .. يريدها اميرة بفستانها الاخضر في برج قلبه العالي .. العالي جدا ...

بعد منتصف الليل

بيت ماهر الغازي ..

مستلق على جانبه الايمن جوارها ، يرفع وجهه على راحة كفه مستندا بكوعه على الوسادة ، مشرفا عليها ينظر اليه مبتسما وهي تغط بالنوم كطفلة ..

رفع يده اليسرى يلامس بظاهرها صفحة وجهها فتتسع ابتسامته وهو يرى انزعاجها وهمهمتها المعترضة ...



اشفق عليها وقد كانت مرهقة جدا بينما تجادله حول البيانات التي طلبها منها باصرار حال عودتهما البيت بعد حظل عمه اسر .. وعندما استسلمت متذمرة حانقة واعطته ما يريد لم يتركها لترتاح وتنام وقد تملكته الرغبة العارمة لمبادلتها الغرام .. فلم ترفضه ..

لتغفو مستنزفة القوى بين ذراعيه فور هدوء العاصفة العشقية بينهما ..

مال ماهر ليطبع قبلة رقيقة على خدها قبل ان ينسحب بخفة من السرير ..

عندما غادر الغرفة كان ذهنه صاف جدا وراحة كفه تتلاعب بقطعة حديدية

ذهبية عبارة عن شريحة ذاكرة الكترونية ..

تحرك في ظلمة الرواق ليصل للغرفة المجاورة .. غرفة ولده شاهر...

ابتسم وهو يرى شاهر الصغير نائما في سريره يضم لصدره الرجل الالي المتحول الذي يعشقه ويكاد لايفلته صاحيا كان او نائما ..

تمتم ماهر لصغيره بصوت خافت

" ستحظى بأخ قريبا يا صغيري .. وعندها ستتخلى قليلا عن تشبثك بصديقك الآلي هذا .."

ثم قبل رأس ابنه وغادر الغرفة بهدوء ..

في الطابق السفلي دخل مكتبه فيشعل الانوار بينما يتقدم ناحية كرسيه خلف المكتب..

فتح حاسوبه الشخصي وادخل الشريحة في المكان المخصص..

لقد اتعبته صفية جدا حتى جعلها تعطيه المعلومات التي تخص كل الموظفين وليس ذاك الموظف الغريب فقط ..

اخذ يتصفح بدقة المعلومات التي فيها باحثا في البداية عن اسم موظف محدد ..

اوراق ثبوتية .. شهادات دراسة وخبرة ..

تراجع ماهر للخلف بكرسيه وهو يتمتم بهدوء وعيناه تلمعان بقساوة...

حدسه كان في محله ..

كل شيء هنا حول الرجل مزور ولايحتاج حتى للتأكد .. والهوية الوحيدة التي تحمل صورة شخصية كانت غير واضحة على الاطلاق ..!

هذا الرجل وراءه قصة .. وقصة خطيرة ..

الفصل السادس

رغم الألم الا انها اعتادت على مواجهة الآلآم بالمضي قدما لفعل ما يستوجب فعله..

الليلة كانت مضنية لابعد حد ...

مضنية لمشاعرها كانثى لايراها (هو) كأنثى ..

مضنية لقلبها العاشق في صمت يائس ولوعة قاتمة ...

هل سيأتي يوم قريب وتحضر عرسه على .. أخرى ؟!

ترا ... كيف سيكون حريق الألم ليلتها ؟!

للحظة تعثرت خطوتها واختل توازنها فاستندت عفويا على الجدار جوارها ..

أطرقت برأسها وهي تلهث من الوجيعة القادمة ...

اجل ان .. الوجيعة.. قادمة لامحالة ..

لكنها قوية ... اجل قوية .. وليس عليها الا تعلم التعايش معها ...

رفعت فاطمة رأسها وسيطرت على لهاث انفاسها لتبتعد عن الجدار وتعاود التحرك بخطى هادئة عبر الرواق لتصل الى غرفة اختها زينب ..

زينب تحتاجها الليلة .. انها تشعر قي عمق قلبها ان توأم روحها تحتاجها ...

غيابها عن الحفل في منتصفه وبشكل مفاجئ .. ثم اتصالها المرتبك اللاهث وهي تخبرها بوجع في بطنها اضطرها للمغادرة ..

كل هذا لم يخدعها ..

تنهدت فاطمة وهي تقف خلف الباب تسند جبينها على السطح الاملس بينما تسمع صوت بكاء مكتوم ...

دوما كانت زينب هكذا ...

تكبت في العمق .. ولا تطلق العنان لضعفها الا في جوف الليل والكل نيام ..

طرقت على الباب بخفة ودون ان تنتظر ردا دخلت ...

ذابت عينا فاطمة حنانا وشجنا واعجابا في نفس الوقت ...

لم تر اختها بهذا الجمال المؤثر من قبل ..

والانارة الخافته بجانب السرير اضفت المزيد من الرقة عليها ...

بقميص نوم ابيض تجلس وسط سريرها تطوي ساقيها لصدرها شعرها يتموج تموجا ليظلل جسدها كخيمة فاتنة ساحرة ..

ترفع لها وجها محمرا وعينين واسعتين جدا لامعتين بكثير من الدموع المنسابة ..

حدقت فاطمة باشفاق في شفتي اختها المرتعشتين بينما تقترب منها وتهمس لها بالسؤال

" لماذا تبكين يا زينب ..؟ "

ادارت زينب وجهها بعيدا بينما فاطمة تجلس جوراها على السرير ثم قالت لها بحشرجة متقطعة

" اتركيني... ارجوك .... فاطمة .."

رفعت فاطمة يدها لتملس على شعر اختها وترجوها برقة

" اخبريني بالله عليك .."

ثم عفويا اخذت فاطمة تلف بضعة خصل حول اصابعها كما كانت تفعل لاختها

عندما كانتا صغيرتين لتجفل فاطمة بقوة عندما نهرتها زينب بعنف وشراسة غريبة

" اتركي شعري .."

ثم اتسعت عينا فاطمة وهي ترى اختها تلملم شعرها بقسوة لتلفه وتلفه حتى اعادته كعقدة ضخمة ..!

قالت فاطمة تتساءل بحيرة ورجاء

" لماذا تخفين جماله ..؟ لماذا تفعلين هذا بنفسك .. فقط لو تخبريني بالسبب ..."

مالت زينب لتضطجع على جانبها مولية اختها ظهرها ثم تقول باصرار

" اريد النوم .. انا مرهقة وغدا يوم عمل .."

للحظات لم تنطق فاطمة برد ولم تتحرك من مكانها حتى ..

اغمضت زينب عينيها بقوة وداخلها يصرخ مستغيثا وينادي دون صوت مسموع

(ابقي فاطمة .. ارجوك .. نامي بجانبي ..)

لتتنفس زينب الصعداء وهي تشعر بحركة اختها تتمد قربها فعلا وهي تقول باصرار يماثل اصرارها

" تريدين الهرب من ألمك بالنوم ..لابأس .. لكنك لن تحمليني قط على مغادرة غرفتك الليلة ..سانام جوارك شئت ام أبيت .."

الغصة خنقت زينب لكنها كتمت آهة اوشكت ان تند عن فمها ثم شيئا فشيئا استسلمت للنوم وهي تشعر بيد اختها فاطمة تحلّ عقدة شعرها من جديد..

صباح اليوم التالي ...

بيت ظافر الغازي

شفتاه لاتعتقان شفتيها حتى في نومها .. يعشق مولاته في نومها كما في صحوها .. تعترض وهي تهمس باسمه بنبرة ناعسة

" ظا..فر.."

فيضحك بخفة وهو يميل بوجهه ليغرقه في عنقها وهو يهمس

" كفى نوما .. نحتاج للكلام قبل ان يصحو الولدان .."

رمشت بعينيها وهو تمد ذراعيها للاعلى تتمطى بينما كفي ظافر تلامسان جسدها بمشاغبة حارة ..

تضحك وهي تلف ذراعيها حول عنقه ثم تقول بابتسامة رائعة ونبرة انثوية عذبة

" صباح الخير مولاي .."

قبلة خفيفة على شفتيها قبل ان يرد

" قلت لك (صباح الخير) عشرات المرات وبعدة طرق بينما انت غارقة في النوم يا ام

الغوازي .. افضل شيء فعلتُه البارحة اني بذلت المستحيل لاكون معك مساء .. "

للحظة تركزت عيناها في عينيه وابتسامتها تنحسر قليلا ..

تنبه عقله اكثر وحوراء منذ الامس كانت قد اثارت قلقه ...

لم تكن على طبيعتها وهي تبثه عواطف ما يشبه الشوق لكنه لم يكن الشوق فحسب خاصة وهو لم يمض وقتا طويلا بعيدا عنها في سفرته الاخيرة ...

كانت قلقه .. متشبثة .. مرتبكة ..و.. سعيدة ! اجل .. سعيدة بشكل خاص لانه عاد بالامس ... تحديدا ...!

اخذ يلامس خدها باصبعه وهو يقول مبتسما

" خدعتك بالامس اليس كذلك ؟ كنت تظنين اني لن آتي .."

ارتبكت نظراتها وهي ترد عليه بحشرجة

" عندما تأخرت .. يئست من عودتك .."

ضيق عينيه بتركيز للحظة قبل ان يقول بهدوء وحزم

" سنتكلم في موضوع (اليأس) هذا لكن اولا دعينا نعود للخلف اكثر .. فيما هو أهم لنتكلم حوله .."

عضت شفتها السفلى وهي تهمس

" تقصد موضوع تلك السكرتيرة اليس كذلك؟ .."

رد ظافر باسلوب مباشر كان قرره بعد تفكير طويل خلال رحلته

" السكرتيرة او غيرها ليست هي المشكلة .. السؤال هو .. ما الذي يقلقك مني حقا بعد عشر سنوات زواج ؟ ان كانت تحصل بيننا خلافات او حتى تباعد احيانا في بداية حملك مثلا فهذا طبيعي ويحصل لكثير من الازواج فهل يعني اني سأخونك لاجل ارضاء شهوة ؟! "

كانت حوراء تحدق فيه بتركيز وكأنها تواجه معه دواخلها التي لاتهدأ ...

اكمل ظافر

" انا لست حيوانا حوراء .. قد أكون رجلا يحب العلاقة الجسدية ويميل اليها بكثرة لكني انسان قبل ان اكون رجلا .. ولست انانيا لافكر بنفسي فقط .. او اهرع عند اي خلاف لابحث عن معاشرة امرأة غيرك.."

تنهد وهو يراها تحمر انفعالا عفويا فانقلب على ظهره وهو يجرها معه ليحتضنها فوق صدره ووجهها يقابل وجهه ..

شعرها الطويل الكستنائي يثير جنونه فيستمتع بملمسه على خديه ، أرخى جفنيه بينما يهمس بصوت أجش

" انت معشوقتي وزوجتي وام اولادي .. انت قطعة مني لاتنفصل .. "

فتح عينيه ببطء ثم رفع يده ويدفع شعرها لجانب كتفها فيحدق في وجهها المتورد ليراها وكأنها ليست أنسية ..

دوما كان يراها هكذا منذ طفولتها ..

دوما أسرته بحجابها الروحي الذي كان حاجزا بينهما في يوم ما ليغدو الان حجابا خاصا يلفه معها .. هما فقط .. وحدهما ..

يمنحه طاقة من طهر لاتوصف بتأثيرها عليه... حوراء هدية اللّه اليه ...

جاشت المشاعر في عينيه ليصارحها بما لم يخبر به انسانا من قبل ...قال ...

" ساصارحك بسر بيني وبين ربي .. منذ عشر سنوات عندما رضيتِ بي زوجا عاهدت الله ان لاقرب الحرام ابدا ولم اطلب منه الا ان يحفظك لي .."

توسعت عيناها بتأثر بالغ وهي تحدق في عينيه ... ثم همست بحشرجة ويدها تلامس خده

" التوبة لايفترض ان تكون مشروطة يا ظافر .."

يلثم باطن كفها وهو يرد عليها بصدق

" انا لم اشترط .. انا .. توسلت ووعدت.."

ثم جذب راسها ليتسريح على صدره فهناك المزيد مما سيصارحها به ويشعر انه لايقوى على مواجهة عينيها ...

قال بحشرجة " في الاشهر الاولى من زواجنا كنت احلم بك كثيرا .."

همست تسأله وهي تلامس صدره بكفها

" تحلم بي ؟! ماذا كنت تحلم ؟ "

رد وهو يبتلع ريقه ألما لتلك الاحلام المريعة " كنت احلم اني .. افقدك .."

عفويا ذراعيه تشددتا بعنف حولها ليضيف بنبرة تفيض بالألم " لاتتخيلين كم مرة رأيتك .. رايتك .. يا الهي مرارا وتكرارا .. كل ليلة كنت اعيش نفس الألم ..."

رفعت رأسها عنوة عن صدره لتناديه بذهول

" ظافر !"

حدق في عينيها المصدومتين قبل ان يضيف " دوما شعرت ان الله سيؤذيني بك .. سيبعدك عني وافقدك .. دوما أرعبني هذا الشعور اني .... لاستحق طهرك النادر.."

سالت الدموع من عينيها لتميل وتقبل وجهه وهي تقول باعتراف خجول

" انا ايضا احلم .. ظافر .."

عبر ببساطة

" تحلمين اني اخونك .. اليس كذلك ؟"

هزت رأسها وهي تمسح خديها ليقول ظافر وهو يحاوط وجهها بين كفيه " تغلبي على وساوسك حوراء .. فقط لاتستسلمي وقاوميها.. وتذكري كلما هاجمتك .. اني ملكك .. هل تعلمين معنى ان اقول لك هذه الكلمة ؟ انا ملكك .. ولا استطيع ولا اريد ان أكون ملكا لامرأة سواك .. دوما تذكري هذا وآمني به في عمقك .."

بدت مترددة من أمر فعقد حاجبيه باستفهام لتحزم امرها وتقول

" ظافر .. هناك ما حصل البارحة صباحا ولم .. اخبر احدا عنه ..لكن ارجوك لاتغضب لان .. الامر أثر علي .."

سأل بتوجس " ماذا حصل ؟"

تنهدت وهي تشرح له بالتفصيل

" البارحة جاءني اتصال من رقم غريب غير معرف .. كانت امرأة بصوت أجش ثقيل تخبرني انك .. لن تعود من سفرك هذا اليوم للاحتفال بعيد ميلاد والدك .."

صمتت للحظات قبل ان تضيف وهي تسبل اهدابها " قالت انك .. ستبيت عندها .. وستتحجج بالعمل الذي لم تستطع انهاءه.. وذكرت لي حتى اسم الصفقة التي تتباحث حولها مع شركة اخرى.. شركة (.....) والصفقة عن مواد البناء .. وقالت انك ستقول لي قد حصلت فيها تعقيدات تضطرك للبقاء يوما اخر .."

تشجعت وهي ترفع نظراتها اليه فتجد عينيه غامضتين وملامحه ساكنة بشكل عجيب ...!

فتقول بصدق تسترضيه

" اقسم لك انا انزعجت في البداية فقط واوشكت ان اتصل بك لكني هدأت وفضلت الانتظار حتى لااثير مشكلة جديدة بيننا.. صمت وانا ادعو اللّه ان يعيدك ليلة الامس مهما تأخر الوقت .."

تمتم ظافر بهدوء متفكر

" هذا امر عجيب .."

تمتمت حوراء بارتباك وهي تظنه يقصدها

" ماذا ... تقصد ؟"

رد ظافر ونظراته تبدو سارحة " البارحة فعلا اوشكت على تمديد السفر ليلة اخرى بسبب الصفقة التي علمتِ بتفاصيلها من تلك المرأة .. و لم ابلغك باحتمالية بقائي حتى لاتحزني وكنت ما زلت احاول انهاءها والعودة بأول طائرة .. لكني ابلغت مكتبي فقط تحسباً كي يستعدوا لملأ فراغي في اجتماع مهم في اليوم التالي... وعندما استطعت اتمام الامر عدت من فوري ولم اخبر احدا .. حتى سلسبيل اخبرتها بعودتي وانا في الطريق من المطار للبيت .. "

تطلع كل من حوراء وظافر لبعضيهما بينما يضيف ظافر وعيناه تلمعان بشرارة غريبة

" من اتصلت بك .. هي او من وراءها .. على علاقة مباشرة بمكتبي او المؤسسة على اقل تقدير ..."

في بيت بلال الناجي ..

على مائدة الافطار

بلال يتناول افطاره وتركيزه مع نجلاء .. تكاد الابتسامة تفلت منه وهو يتذكر مؤامراتها ليلة الامس ..

لا احد مثله يفهمها ..

قد تخدع ابنة خالتها نهى وهي تجاريها بعروض الفتيات امام التوأمين وقد تشاكس نادية وهي تدعي الجدية بالموضوع في لمحة شقاوة منها لاتنطفئ جذوتها ابدا .. لكن معه هو .. هي كتاب مفتوح .. هي بنفسها من تفتح صفحاتها وتقلبها امامه تتباهى كطفلة فخورة بانجازاتها امام والدها ... حتى لو كانت هذه (الانجازات) ما هي الا مشاكسات انثوية حيوية ...

وليلة الامس .. نجلاء كانت حرفيا تحرك المياه الراكدة في ظاهرها ..

كم يعشق فطنتها المتقدة وعزيمتها المتوثبة لتحقيق اهدافها ..

تتخصر نجلاء وهي تقف بتحفز مصطنع جوار محمود الذي يبدو على استعجال معتذرا عن تناول الافطار بينما يصل اخاه محمد غرفة الطعام في نفس الوقت ليرتفع صوت نجلاء الحازم وهي تشير بسبابتها بالتناوب بين ولديها

" اخبراني الان ماذا قررتما ؟"

اخذ محمود يمرر يده في شعره وهو يزفر انفاسه بقوة بينما يتساءل محمد بهدوئه المعتاد

" عن اي شيء أماه ؟"

ترفع نجلاء ذقنها بتحد وتغلق عينيها للمنتصف وكأنها على وشك التهديد لتقول بنبرة حاسمة

" مؤكد كل واحد منكما لفتت انتباهه فتاة او فتاتين في حفل الامس ما عليكما سوى تحديد الاختيار .."

ثم وجهت تركيزها لمحمود تغيظه بالقول

" انت تحب الشقراوات يا فتى اليس كذلك.. ياسمين ابنة فوزية شقراء بشكل طبيعي دون اصباغ صناعية ..و .. ماذا بك يا محمود ؟! "

اوشك بلال ان يغص بلقمته وهو يكتم ضحكته بينما يرى ولده محمود (يشد بشعره) قبل ان يقول لامه من بين اسنانه

" اعذريني امي .. انا مستعجل .. سلام "

وتركها ومضى بينما تلاحقه نجلاء بالقول

" لديك اسبوعان فقط حتى تختار .."

ثم التفتت لمحمد الذي كان يسبل اهدابه كمن يفكر في شيء بعيدا عن الجميع فتجفله قليلا وهي ترفع صوتها بشكل فجائي

" وانت ايها الصامت الذي سيفقع مرارتي .."

ابتسم محمد بينما يسأل امه بسلاسة

" ماذا فعلت لك اماه ؟ كنت لطيفا طيلة الحفل .."

تكز على اسنانها قبل ان ترد عليه بالقول

" اي لطف بابتسامتك الآلية تلك .. لقد احبطتني شخصيا فكيف بأي فتاة تنظر اليك ..؟!! "

تمتم محمد وهو يتحرك مغادرا

" اعدك ان افكر ..لكن الان علي اللحاق بمحمود قبل ان يغادر لاسأله ..عن امر هام "

يبتسم لها وهو يبتعد بينما تضيق نجلاء عينيها مدعية الحنق وهي تقول

" انت محتال كتوأمك .. لكني لن اصبر عليكما اكثر .."

ما ان غادر محمد حتى انفجر بلال ضاحكا حتى دمعت عيناه ...

بينما نجلاء تجلس جواره بكل هدوء وتلتقط قطعة خبز محمص لتدهن عليها الزبدة بتأنٍ..

هدأت ضحكاته ليمسك كفها وهو يحدق في وجهها ويهمس ببشاشة

" تجيدين اللعب صغيرتي .."

تحرك حاجبيها للاعلى والاسفل وهي تقضم من الخبز وتقول بفخر

" انا ماهرة بالفطرة .."

يعاوده الضحك ثم يرفع يده يقرص خدها ويقول

" ايتها الشقية الحبيبة للقلب .."

تتشبث بكفه وتثبتها على خدها كما يحلو لها ان تفعل فترد عليه بابتسامة واسعة

" تلميذتك في التخطيط .. لكن ... على طريقتي انا .."

ترخي يدها التي تمسك بقطعة الخبز بينما تمتع روحها بملامسة كفه هكذا فترخي اهدابها وتتنهد بجذل ..

ابتسامة رقيقة خلابة على شفتيه وهو ينصحها بالقول " لاتضغطي كثيرا صغيرتي .. فيبدو ان الاثنين معا لديهما ما يفكران به ويتخذان بشأنه القرارات .."

ما تزال تستمتع بدفء راحة كفه على خدها بينما ترد عليه بمكر شقيّ

" انا لااضغط .. انا انشط عقليهما ليسرع اكثر في اتخاذ تلك القرارات .."

بالكاد لحق بمحمود وهو يفتح باب سيارته فيناديه قائلا

" محمود ...توقف .."

التفت اليه محمود .. قدم داخل السيارة واخرى خارجها .. يكاد يدخل بجسده لكنه بقي حيث هو وباب السيارة مفتوح ..

عابس الوجه يحدق في توأمه القادم نحوه فيسأله بنزق وغضب مكتوم

" ماذا تريد يا محمد ؟ انا مستعجل ..."

يرفع محمد حاجبا واحدا وهو يسأل اخاه بابتسامة مشاكسة

" لِمَ كل هذا العنف والغضب ؟!"

للحظة غريبة بدى محمد اشبه بـ... خاله آسر..!!

نفس الطريقة برفع حاجبه .. نفس الابتسامة .. يا الهي كيف لم ينتبه سابقا لهذا الشبه غير المرئي ؟!

ربما لان محمد لايشبه خاله بالشكل الخارجي ابدا ..

دوما كان محمد شبيها بوالدهما ..

شبيه بملامحه وشبيه بطباعه ..

الهدوء .. الصبر .. الـ...

ازداد عبوس محمود فجأة فينفجر بافكاره في اخيه هاتفا بغضب حارق

" الاولى ان تسأل نفسك .. لم كل هذا الصمت منك ؟! كيف تطيق يا رجل ؟!! كيف تطيق ان تكون امامك تستطيع ان تختطفها بيد واحدة ولا تفعل ؟"

انحسرت ابتسامة محمد واتسعت عيناه متفاجئا من هجوم اخيه لكنه يتماسك بينما يتمتم بالقول

" ماذا جرى لك ؟! اهدأ قليلا ..."



ضرب محمود بكفه على حافة الباب المفتوح والنيران التي تشتعل باحشائه منذ ليلة الامس قد تأجج لهيبها بشكل لايوصف فيرتفع صوته اكثر وهو يقول

" اقسم باللّه لو كانت المجنونة اعطتني ولو نظرة تقبل واحدة لما انتظرت لحظة .. لكنت علمتها رغما عن انفها كيف تنتمي لي .."

تقبضت يد محمود على حافة الباب وأخذ يهز رأسه ويهمس بصوت غريب

" دوما لم أكن أفهم .. لم أفهم ما يجري لي كلما رأيتها .. لكن البارحة .. البارحة

فهمت امرا واحدا وسط كل الجنون والرفض والنفور وكلمات الكراهية .."

ارتفع حاجبا محمد وهو يسأله باهتمام

" ماذا فهمت ؟ ماذا جرى بينك وبين زينب لتصبح بهذا الحال الغريب ؟! "

رفع محمود رأسه بحدة ليصرخ في اخيه

" الامر لايعنيك .. "

ثم صعد سيارته وصفق الباب بعنف ومحمد يحدق فيه بتمعن وكأنه ...يدرسه!

اشتعل غيظ محمود من توأمه كما لم يشعر يوما ...



انزل زجاج النافذة ليقول لمحمد من بين اسنانه وعيناه في عينيه تضطرمان بالنيران

" يوما ما ستخسر فاطمة يا محمد ..

ستخسرها فعليا وليس كلعب الاطفال الذي سبق مع خالد وغيره .. وعندها ..سيتحطم قلبك فتاتا ... فتاتا ... ولن تجد حتى النفس لتنحني وتلملم ما تحطم منك .."

وكم شعر محمود بالراحة وهو يرى ملامح اخيه محمد (المثالية بهدوئها) مصعوقة! وعيناه الخضروتان تشتعلان بلهيب مجنون ...

ترك أخاه لنيرانه وشغل محرك سيارته ليغادر مرآب البيت ووجهته الى حيث يجد.. تلك المجنونة التي سلبته عقله و..قلبه ...

بيت ال الغازي (شاهر الغازي)

بملامح مسيطرة عاودت سلسبيل الاتصال وعيناها ترقبان الساعة التي ما زالت تشير الى التاسعة والثلث ..

تمتمت لنفسها وهي تسمع نفس الرد ان (الهاتف مغلق)

" ربما لديه عمل مبكر مع احد المجاميع "

صوت مهدي أتى من خلفها وهو يسأل

" بمن تتصلين ؟"

التفتت لزوجها فترى نظرته المستفهمة الهادئة بينما يعقد ربطة عنقه ..

تعلقت نظراتها بتلك الربطة بينما ترد عليه

" احاول الاتصال بمن سيخبرني عمن كان على ذاك المركب .. انه المسؤول عن تلك الرحلات "

تغيرت ملامح مهدي لغموض سافر جعل سلسبيل تكز على اسنانها ..

اسبل اهدابه وكأنه يسدل الستار المظلم على كل افكاره فتكاد سلسبيل تفقد رباطة جأشها وتصرخ فيه !

لقد اعتادت طباع مهدي واعتادت على مواجهة نوباته من الانغلاق المغيظ نائيا بنفسه عنها وكأنه يعاقبها على طريقته ...

وهو في المقابل يمنحها الكثير كزوج وكعاشق ..

يستجيب بسخاء لجنونها وافكارها الفجائية دون اعتراض .. بل يحب ان يشاركها اغلب نشاطاتها لولا انشغاله بعمله في المؤسسة ..

فقط ما يزعجه .. ان يحصل امر لايعرفه ..

وهناك ما حصل وازعجه جدا ..

وللاسف لن يتغير ابدا .. سيظل في كل مرة يجيد كتمان الامر والتشبث بواجهة البرود حتى يقرر مصارحتها بما يعتمل في نفسه..

تنبهت لرده الهادئ بينما هي غارقة في افكارها حوله فقال " لا داعي.."



رفعت حاجبيها باستفهام هادئ قائلة

" لاداعي ؟! ولماذا ؟ ألم تطلب معرفة اسماء كل من كانوا هناك.."

رفع نظراته اليها اخيرا يحدق فيها للحظات قبل ان يتحرك ناحية هاتفه الموضوع بعناية على منضدة خشبية انيقة ..

التقط الهاتف وفتحه وهو يعود اليها ، لم تكن بحاجة لتسأله عن مصدر الاصوات المنبعث من هاتفه .. لقد عرفته .. انه التسجيل المصور لرحلتها الاخيرة بالمظلة..

تأهبت حواس سلسبيل بانتظار سؤاله ليقدم لها هاتفه وقد اوقف التسجيل عند لقطة محددة وهو يقول

" فقط اخبريني ... من هذا...؟ "

تطلعت سلسبيل وهي تعقد حاجبيها قليلا لصورة الرجل الذي يقف خلف صورتها في اللقطة المسجلة ..

لقد تذكرته .. لكنها لاتعرفه شخصيا..

ردت وهي تهز رأسها نفيا " لااعرفه .. كانت المرة الاولى التي اراه فيها .. "

ثم رفعت نظراتها لزوجها لتضيف ببساطة

" لكنه حاول التكلم معي (مستظرفا نفسه) فأوقفته عند حده كما يستحق .."

عيناها في عيني مهدي ... واللون العسلي في عيني زوجها المتوهج بالغيرة والغضب سرعان ما تغيرت لنظرة اخرى اكثر دافئة لاتخلو من الغيرة ولا ينقصها الغضب لكن ترققها مشاعر رضا .. فقط بعض الرضا ...

اقتربت سلسبيل منه تلصق جسدها بجسده ثم تسأله بهمس دافئ

" هل هذا كل ما يزعجك يا وسيم .. ؟ "

يحدق في وجهها بصمت وشبح ابتسامة عاطفية يمر على شفتيه ..

تمد يدها لتلامس شفتيه بسبابتها وتهمس له ببحة

" هل تغار علي ؟"

ما زال الهاتف بيده المسبلة للاسفل بينما يرد عليها وعيناه تتركزان على شفتيها وهو يقول بصوت أجش

" انظري لعينيه كيف ترمقانك سلسبيل وانت ستعرفين كيف اشعر الآن..."

دون تردد بعنف جرته من ربطة عنقه لتقرب وجهه منها هامسة بمشاعر عاطفية متملكة هادرة كموج البحر الذي تعشقه

" انا لاانظر لعيني رجل غيرك.."

شهقت ضاحكة بارتعاش وهو يعتصرها بين ذراعيه و ... شفتيه ...



في الطابق السفلي على مائدة الافطار ..

تجلس التوأمان على حجر جدهما شاهر بينما تحكيان باسلوبهما المتناوب وكأنهما ترميان كرة من واحدة للاخرى..

عينا اسرار مفتوحتان بانفعال وهي تواصل سرد قصتها بهمس مبالغ فيه لجدها

" ثم دخل محمود واغلق الباب ثم بعدها .. خرجت زوزو تركض منكوشة الشعر حمراء العينين .. بدت مخيفة ! "

يعبس شاهر وهو يسألها همسا كهمسها

" من زوزو .؟"

ترد جلنار وهي تتلاعب بخرطوم فيلها الازرق الذي لايفارقها

" انها زينب جدي .."

ثم ترفع نظراتها الشقية بطبيعتها نحو توأمها اسرار لتضيف باستفزاز طفولي

" بوسي من فعلت بها هذا .. صدقني جدي انها قطة مجنونة واصابت زوزو بالعدوى.."

ابتأست ملامح اسرار وهي ترد على اختها بضيق

" لاتقولي هذا عن بوسي .. هي لم تفعل.."

فتغيظها جلنار وهي تحرك حاجبيها وتصر بالقول " بل فعلت .."



تغضب اسرار اكثر فتكز على اسنانها وعيناها تلمعان بدموع القهر لتصر بخفوت

" لم ... تفعل.."

لتواصل جلنار اصرارها " فعلـ..."

وضع شاهر يده على فم جلنار يقطع كلمتها بينما يأمرهما معا بحزم " توقفا الان.."

بدت الصغيرتان منزعجتين بينما يسرح شاهر مفكرا بمدى صحة هذه القصة المثيرة للاهتمام ...

قال اخيرا وبحزم خاص وهو ينظر بالتتابع في عينيه حفيدتيه

" سنبقي سر زوزو والعدوى التي اصابتها لانفسنا فقط .. اتفقنا ؟ لانريد ان نحرجها.."

ما زال التأثر في عيني اسرار لتقول بحزن

" بوسي ليست مجنونة ياجدي ..."

يبتسم لها شاهر ثم يميل ليقبل خدها ويقول بحنان بالغ " مؤكد ليست كذلك يا حبة الفراولة .. ربما زوزو اصابتها عدوى من نوع مختلف لكننا سنكتم السر في كل الاحوال اليس كذلك ؟"

هزت الفتاتان رأسيهما بطاعة وهما تؤكدان

" نعم جدي .."

قبّل الاثنتين معا ثم يصرف انتباههما عن تلك القصة وهو يشدد احتضانهما ويسأل

" اذن.. من ستخبرني سبب مقاطعة المدرسة لهذا اليوم ؟ من صاحب الفكرة الشقية ؟"

لترد الفتاتان بصوت واحد جهوري فخور

" جدنا آسر ..."

تعالت ضحكات شاهر فتشاركه حفيدتاه الضحكات الهستيرية لتدخل نهى وفي يدها حفيدها الاكبر (آسر الصغير) وهي تبتسم بحلاوة وتتساءل

" ما سبب هذه الضحكات ؟ الاتشاركونا ؟"

أفلت اسر يد جدته ليركض ناحية جده يقبله وهو يقول بنشاط



" صباح الخير جدي "

ثم يجلس جواره على كرسي قريب ليبدأ بالتهام افطاره بطريقة فوضوية بينما تنظر اليه نهى بغير رضا فتوبخه بالقول

" ليس هكذا يا صغيري .. لاتتعجل في تناول الطعام ولاتكن فوضويا هكذا على المائدة .. انه امر غير لائق..."

اعتذر اسر الصغير ليحاول تناول طعامه بهدوء قدر المستطاع بينما تلتفت نهى لزوجها فتجد ابتسامته المشعة بانتظارها ..

تميل نحوه تقبل خده وهي تقول

" ألن تخبرني بسبب هذه الضحكات الحلوة منذ الصباح ؟"

ينظر لعينيها فتتسع ابتسامته وهو يرد

" انه اخي وابن خالتك الشقي يا قارورة العسل"

تضحك برقة للقب الذي يطلقه عليها ويمس قلبها بشكل خاص فتقبل حفيدتيها وهي تسألهما بينما تجلس جوار زوجها

" اخبراني انتما بما فعل جدكما آسر "

الاكثر سرعة هي جلنار الخاطفة للاضواء لتسارع باخبار جدتها

" جدنا آسر اعطانا اليوم اجازة من المدرسة بمناسبة عيد ميلاده "

غص آسر الصغير بلقمته بينما تتطلع اليه نهى بعتب لتوبخه مرة اخرى وهي تقول بمعنى مبطن

" لااعلم هل غصصت بلقمتك لانك لاتسمع الكلام وتتناول طعامك بطريقة خاطئة ام لانك تشعر بالذنب لخدعتك الصباحية الصغيرة وانت تخبرني بأن سبب تغيبك عن المدرسة لانك تشعر بالتعب الشديد ..."

رفع آسر الصغير عينيه لجدته ووجهه متورد ليقول ببعض الارتباك

" للسببين معا جدتي .."

فيضحك شاهر مرة اخرى بينما يميل جانبا ليهمس لنهى

" آسر الكبير بلا ريب سيفسد الاجيال القادمة .."

في الشارع العام ....

قلبه يخفق بقوة..

يخفق ويخفق وتتقافز نبضاته فترتج خطوات قدميه اللتين تلاحقانه..

اجل .. هو يلاحقها..

ما إن رآها تسير في الشارع حتى سارع ليركن سيارته جانبا فيترجل منها ويسير خلفها..

لم يفعلها في حياته...

لكنه منذ الصباح وحواره الناري مع محمود وهو يشعر بجنون الرغبة للقيام بأي عمل مجنون..!

الا يحق له ببعض الجنون ..؟

الا يحق له ان يكون انانيا ولو ليوم واحد..؟ لساعة او حتى عشر دقائق.. ؟!

اجل .. يحتاج ان يكون انانيا معها اليوم..

ان يقترب منها حتى وان خاف عليها من نيرانه المكبوتة ...

يحتاج .. ان يُشعرها بوجوده..

علّه يجد متنفسا لما ترتج له خطواته...

وربما ستعلم ان الصمت احيانا هو قناع مضحك يخفي ما يخيفه هو شخصيا..

وكم يخاف عليه ... منه ...

يا الهي ... يحتاج اللحظة .. ان يتلفظ بحروف اسمها مناديا فتلتفت اليه بوجهها الذي يحفظ ملامحه ويراها .. كيف يريد ان يراها ؟!

متفاجئة ؟ فرحة ؟ ام متسائلة في خجل ؟

" فاطمة .."

تأوه في سره هامسا لنفسه وهو يتشرب ملامح وجهها (آآآآآآآآآآآآآاه .. متفاجئة ومتسائلة في خجل و... ربما فقط .. فرحة ..)

لاول مرة يراها تتهرب من عينيه فتثور رجولته طلبا لتملكها بينما يسمعها تسأل بصوت رقيق

" محمد ؟! ماذا تفعل هنا ..؟؟ "

(ستفقد فاطمة .. ستفقد فاطمة)

يا الهي كلمتين ترن في اذنيه فتلطمه على وجهه وتفتت قلبه !

الغبي محمود يظن ان قلبه سيتفتت لفقدانها ولايعلم انه يتفتت غيرة للفكرة وحدها دون حدوثها ...

تنبه لنفسه وهو يقف قبالتها كالصنم لايرد على تساؤلها ...

تنحنح وهو يجلو حنجرته ليسألها بنبرة طبيعية " اليس لديك محاضرات اليوم ؟"

عيناه انسابتا بجرأة عليها .. من قمة شعرها المربوط للخلف كذيل حصان ووجهها الفاتن الخالي من اي تبرج نزولا لقميصها الفضفاض الابيض المورد بكميه الطويلين ثم بنطالها الجينز وحذائها الرياضي الابيض...

ردت عليه وهي تبتسم بطريقة غامضة محببة اقرب للشقاوة العفوية

" لا .. لدي.. لكن بعد الظهيرة.."

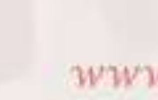
كانا وسط الشارع على الرصيف وقليل من المارة من حولهم يتحركون بعشوائية ..

احدهم ارتطم بكتفها فاعتذر منها وتابع مسيره بينما يعبس محمد عفويا ليقترب جدا منها وهو يقول بصوت أجش

" دعينا نتحرك من وسط الطريق .. اخبريني ماذا تفعلين هنا وانا ساساعدك لانجاز ما تريدين .."

عندها فقط رفعت نظراتها اليه تحدق فيه.. زلزلته من قمة رأسه حتى اخمص قدميه ..

زئير مجنون لأسد غاضب يمزقه بمخالب عشقه من الداخل... يريد ان يتحرر ... !





أسبل اهدابه يخفي لهاث ألم العشق الذي يتلاعب بانفاسه فيسألها بهمس حاد

" اخبريني فقط ..."

ترد عليه بارتباك وتردد ..

" لاشيء .. كنت..اريد شراء قطة لزينب .."

رفع نظراته لها تذوب الابتسامة في حرارة ما يحتدم بصدره ..

حاجز غير مرئي عزلهما عن كل الضوضاء الخافتة حولهما بينما يسألها بعذوبة وعيناه تلمعان " قطة ؟"

ردت بهمس وعيناها تتسعان بشكل ساحر

" نـ..عم .."

هل صدرها يعلو ويهبط بانفاس متسارعة ام عيناه تخادعانه لترضيانه ؟!

يا الهي .. هل لسعتها بعض من حممه فاحمر وجهها ام وجنتيها بتخضبهما الفطري تغريانه؟!

فجأة قالت بشجن وهي تسرح بنظراتها بعيدا عنه

" عندما كنا اطفالا صغارا .. لطالما كانت ترغب زينب بقطة خاصة ذات فراء فضي .."

همس في سره وهو يحدق في نظرة الشجن التي انعكست في عينيها

(" قولي لي ما حلمتِ به وانت طفلة واقسم بالله سأحققه لك ..")

انه يوم جنونه الخاص ... وسيكمله ويتشرب تفاصيله حتى اخر قطرة...

قال بسلاسة والزئير المتملك يعلو

" سارافقك واساعدك في الاختيار .."

لم يلتفت لنظرة الذهول التي شعّت من عينيها بينما يتحرك جوارها في دعوة صامته لاتتقبل النقاش لتتحرك معه ..

كانت تشع سعادة كطفلة وهي تضاحك القطة الفضية في قفصها الخاص بينما تدفع ثمنها للبائع ...

سعادتها هذه اولى الكنوز التي يغتنمها من القرب الحقيقي منها فكيف الحال به لو كان سببا في سعادتها حقا ؟!

عيناه حادتا نحو قطة صغيرة الحجم معروضة مع باقي القطط ..

لونها صحراوي محمر وعيناها خضراوتان ..

منذ دخل المحل وقد جذبت انظاره لكنه تشاغل عنها الى حين ليركز مع فاطمة وهي تبحث عن القطة المفضلة لزينب ..

دون تردد اقدم على تنفيذ ما قرره وكان ينتظر انشغال فاطمة عنه ..





بينما تشكر فاطمة البائع وتحمل قفصها اذا بمحمد يغلق عليها الطريق وهي تراه يحمل قطة صغيرة ناعمة في قفص اخر اصغر حجما من قفص قطة زينب ..

سألت بعفوية بينما عجزت عن تفسير نظرته المتفحصة وابتسامته الصغيرة

" لمن هذه ؟ لابد انها لاسرار ..."

لم تتغير نظرته ولا ابتسامته بينما يرد عليها " بل لك انت ..."

لماذا يفعل هذا بها الآن ؟!

ألا يشعر بما تعانيه لتبقى صلبة متماسكة امامه ؟!

الايكفي انها بذلت المستحيل لتتصرف بشكل طبيعي بينما يصر على مرافقتها فتعجز عن رفضه كما تعجز عن دحر مشاعرها اليائسة نحوه..

ما به اليوم ؟ يا الهي لماذا اليوم تحديدا تلتقيه صدفة في الشارع ؟

لماذا اليوم تحديدا ينظر اليها هكذا كما لم ينظر اليها يوما ؟

الا يشعر انه يعذب انوثتها التي تتعطش للاستجابة له ؟

لكن .. الى اي شيء تستجيب ؟

ماذا يعني كل ما يحدث اليوم ؟

ماذا يعني ؟!!



هل اصبحت تخدع نفسها بتفسير نظراته ؟

هل تبحث عن ارضاء لجرحها ليلة الامس وهي تقف بعيدا صامته تراقب الفتيات اللواتي يطمحن لتنال احداهن قلبه وتحمل اسمه ؟

هل ...

" انها هدية تخرجك .."

انقطعت افكارها المحتدمة بالجملة التي ألقاها ! تتطلع اليه تحاول التماسك قائلة بهدوء ظاهري

" لكن تخرجي بعد اكثر من شهرين.."

يرد وعيناه تشعان بشكل عجيب

" اعلم ... انا انتظره.. "

ترتبك اكثر وتتشوش وهي تهمس

" محمد انا ...لم..."

يقاطعها قائلا وهو يسبل اهدابه

" انا ما زلت بانتظار ردك على سؤال قديم.. ايهما تريدين ان اناديك فاطمة ام .. توته...؟ "

فغرت فمها قليلا وعيناها تتسعان ليتركها ويمضي ناحية منضدة الدفع ..

يقف هناك يمازح البائع وهو يدفع له ثمن القطة بينما فاطمة ما زالت متسمرة مكانها تلهث في حيرتها منه و..من نفسها ..

مؤسسة الغازي – الناجي

مكتب اسر الغازي

دخل محمود مباشرة بعد قرع خفيف على الباب وهو يلقي تحية بنبرة قليلة الصبر تخفي الكثير مما يعتمل في نفسه

" مرحبا خالي .."

نظر آسر من فوق نظارته لابن اخته ثم خلعها ببطء ليضعها على سطح مكتبه ويتراجع للخلف في كرسيه تاركا ما كان يقرؤه في حاسوبه ويتفرغ للقنبلة الموقوتة التي توشك على الانفجار ...

تمتم وهو يريح ساعديه على ذراعيّ كرسيه الجلدي

" امممممممم زيارة صباحية بلا موعد .."

اقترب محمود ليقف قرب كرسي انيق يواجه مكتب خاله ليسأل بشكل مباشر وعيناه تموجان بالتمرد والثورة

" اين زينب ؟ متى ستأتي ؟ طاقم السكرتارية في الخارج لايعرف عنها شيئا.."

شابك آسر اصابع كفيه امام وجهه بينما يستند بكوعيه على ذراعي الكرسي ليسأل بهدوء شديد وعيناه مثبتتان على محمود

" ماذا حصل ليلة الامس ؟"

تقبضت يد محمود بينما يرفع ذقنه ليقول باصرار متجاهلا الرد على السؤال

" ارجوك خالي احتاج ان اكلمها .. اليوم تحديدا ولن انتظر للغد .."

أمال آسر رأسه جانبا ليقول بنفس الهدوء

" امنحها مزيدا من الوقت .."

يد محمود المتقبضة ارتفعت للاعلى في حركة اعتراض تلقائي فيضيف آسر بابتسامة صغيرة لاحت على فمه

" ثق بخالك يا فتاي الذي كبر .. "

قبضته ترتعش انفعالا وهو يتساءل بنبرة قوية ونظرة ثورية واعتراف ضمني لامراوغة فيه

" لم لااقترب .. دعني افعلها .."

رد اسر بسلاسة تناقض تعقيد ما يقوله

" ستقاومك بجنون ولن تقنعها وربما بل شبه مؤكد .... ستخسرها .."

هذه المرة لم يحتمل محمود وانهال بقبضته على ظهر الكرسي امامه وهو يتساءل بعنف

" لماذا ؟ لماذا ؟ انا مشتت منذ ثلاث سنوات بل قبلها بكثير .. لا أكف عن التساؤل لماذا تقاوم الاقتراب ..؟ "

تنهد آسر ليقول بنبرة ساخرة

" لااحب الاحاديث العاطفية هذه لكني مضطر ان اشذ عن القاعدة .."

ثم استعاد تركيزه وثبات نبراته ليضيف بتوبيخ هادئ

" انها تحمي نفسها يا مغفل .."

عقد محمود حاجبيه وهو يتساءل " مم؟!"

رد آسر ببساطة وتفهم عميق

" من خسران نفسها .. من محو شخصها وكينونتها .."

تراخى عبوس محمود للحظة قبل ان يكمل آسر كلامه مفسرا المزيد

" زينب نارية جدا .. متمردة بشراسة على اي واقع يُفرض عليها وتشعره ينتقص منها ... كرامتها عزيزة جدا لدرجة لعينة ! وروحها غالية لاترضى لها بالانكسار ... "

اخذ محمود يهز رأسه ويتساءل بدهشة وحنق في ذات الوقت

" ومن سيمس كرامتها او يكسر روحها ؟!! انا ؟!!!"

فأوضح آسر بالقول

" بل ما تمثله لها يا احمق .. انت محمود الناجي .. هل تدرك القيمة التي يحملها اسمك ؟!"

اتسعت عينا محمود بشدة بينما يتمتم وهو يستوعب المعنى " هذا جنون .."

رد آسر بابتسامة صغيرة مغيظة

" وقلبك اختار الجنون ..."

ثم اخذ يحرك انامله وكأنه يصرفه وهو يقول

" ارحل الآن ... وعندما تكون مستعدة سأخبرك .."

تحرك اسر في كرسيه ليتقدم بجذعه للامام يلتقط نظارته مرة اخرى وهو يعاود القراءة من شاشة حاسوبه ويقول بمشاكسة " بطتي اتصلت بي تعتذر عن الحضور اليوم لانها .. متوعكة ..! "

للحظة خانته اللهفة لتبرز في صوته وهو يسأل خاله

" هل هي ... حقا ؟! "

شقت ابتسامة عريضة فم آسر بينما يحيد بنظراته من الحاسوب لمحمود مستمتعا بنظرة العاشق القلقة في عيني المتهور

ليقول آسر متأوها " آه آه يا ابن الناجي .. تعيداني للذي مضى .."

بدى محمود حائرا وهو يعود لعبوسه ..

الافكار في رأسه تتضارب مع مشاعره ..

ساله آسر بشكل مباغت وبنبرة متفكهة

" هل تحب بطتي ؟"

تعلقت عينا محمود بعيني خاله بينما يعاود آسر السؤال وبنبرة جدية بطيئة

" هل .. تحبها ؟"

عندها رد محمود بملامح شرسة وعناد صلب لن يتزحزح مهما حصل

" انا اريدها ..."

عادت الابتسامة الجذلى لوجه آسر وهو يناغشه بالقول

" (اريدها) ! كم هي كلمة شاملة تفسر كل شيء ... ألم اقل لك سابقا .. تحمل اسم الناجي في الهوية لكن تفضحك عيناك بهوية الغازي .."

بدى محمود في واد آخر والاندفاع لتحقيق مبتغاه يشع من عينيه ليحذره آسر بشكل صريح مباشر " احذر يا فتى ..تعلم الصبر .. رغم ان تهورك يعجبني وينعشني .. لكن الصبر مهم جدا احيانا .."

تمتم محمود وداخله يغلي بالكثير

" لااستطيع الصبر خالي .. على الاقل لااستطيع ان اظل على بعد نفس الخطوات منها .. يجب ان تفهم ان لا عودة للخلف ابدا..."

فرد آسر بذكاء وهو يغمز له

" اذن لاتظل على بعد نفس الخطوات لكن دعها تظن... انك ما زلت تفعل .."



ثم ابتسم بخفة ليعاود اهتمامه بعمله على الحاسوب وهو يشاكس بالقول

" يقتلني الفضول لاعرف ما حصل بينكما ليلة الامس عندما تسللت من الحفل للبحث عنها .."

زفر محمود بقوة بينما يغادر مكتب خاله وضحكات آسر الغازي تلاحقه ..

دخل ماهر مكتب اخيه مهدي بينما يقول باسلوبه العملي وهو يتحدث لظافر الذي كان يقف جوار مهدي

" ظافر لم استطع ان انتظر حتى عودتك لمكتبك .. انا على عجلة من امري .. اريدك بأمر مهم .."

تحرك ظافر وهو يقول " انا انهيت عملي مع مهدي وكنت في طريقي اليك لامر مهم ايضا .. تعال معي لنتكلم ونحن في الطريق.. لدي اجتماع مهم بعد اقل من ربع ساعة"

غادر الاثنان وهما يلوحان لمهدي مودعين ..
تحرك مهدي ليجلس على كرسيه بهدوء ..

هناك ما لايستطيع تجاهله ...

كما لايستطيع الافصاح عنه لاحد وتفسيره بشكل يفهمه الاخرون ..

حتى سلسبيل يعجز عن ايصال ما ينتابه..

الامر ليس غيرة فقط ...

هناك امر ما لايعجبه في ذاك الرجل ..

الغريب ان سلسبيل أكدت له انها لم تره في حياتها من قبل ...

بينما مهدي يقسم انه رآه في مكان ما ..

لكن اين ومتى ....؟ لايعرف ...!

التقط مهدي هاتفه وعاود تشغيل التسجيل فيعتصر ذاكرته عصرا دون الوصول لنقطة ضوء ...

كم يتمنى لو يخبر ماهر عن الامر فربما يستطيع مساعدته .. لكنه لايريد ان يظهر كمن يشك بسلسبيل ...

خاصة ان ماهر هو الوحيد الذي يعرف ما حصل منذ سنوات مع رياض ..

تأفف مهدي وهو يرمي هاتفه جانبا ويسترخي في كرسيه يحاول مرة جديدة ليتذكر .. (متى واين) ...

استمع ماهر بصبر واهتمام لموضوع المكالمة التي وردت لحوراء بينما يجاري الخطوات المتعجلة لابن عمه ظافر

في النهاية همس ماهر بصوت خفيض بينما يدخلان مكتب ظافر

" سأحاول تتبع المكالمة التي وردت لحوراء وبنفس الوقت سأجري تحقيقا بنفسي حول من علم بموضوع تأجيل عودتك المحتملة ليلة الامس .."

جلس ظافر خلف مكتبه بينما يضيف ماهر " لكنني لا اعدك اننا سنصل لشيء .. المكالمات التي ترد بهذه النوعية غالبا تتم عبر اتصالات الشبكة العنكبوتية" ثم جلس ماهر قبالة مكتب ظافر وهو يقول بتركيز

" الموضوع الاخر قد لانصل لشيء ايضا وقد يكون احدى سخافات الفتيات اللواتي يلقين بانفسهن عليك .. فربما احداهن علمت عبر واحدة من الموظفات هنا .."

رد ظافر بهدوء

" انا لدي سكرتير واحد هو مدير مكتبي كما تعلم وفريق عمل يستلم توجيهاتي عبره .. والسرية واجبة وتسريب معلومات كهذه يقلقني .. يجب ان نحاول الوصول لتلك الفتاة .. حتى لو كان الامر مجرد لعبة نسائية يجب ان نحاول لنتأكد .."

صمت ماهر للحظات قبل ان يقول

" لاعرف ان كان ما سأقوله لك الان له علاقة ام مجرد مصادفة .. لكن ان يتكرر امرين غريبين والرابط بينهما حوراء فهذا امر لايعجبني .."

عبس ظافر وهو يتساءل بتشنج قلق

" ماذا هناك .. افصح ماهر .."

قال ماهر بهدوء واختصار

" حصل امر غريب في مكتب صفية الهندسي .. موظف جديد تقدم للعمل عندها ثم غادر فجأة واكتشفنا ان اوراقه الثبوتية مزورة "

عقد ظافر حاجبيه وهو يعلق بالقول

" هذا يحصل كثيرا ليحصلوا على عمل .. ما الغريب فيه ؟ وما علاقة حوراء ..؟ "

رد ماهر

" الغريب ان حوراء كانت قد ذهبت لزيارة صفية في مكتبها وهناك رأت الرجل بالصدفة ويبدو انها قد ألتقته سابقا او شبهت عليه فسألته بعفوية ان كانت التقت به سابقا لكنه انكر .. وفي اليوم التالي الموظف لم يحضر واختفى تماما .."

احساس بالاستنفار للخطر سيطر على ظافر بينما يسأل بتصلب

" هل لديك صورة له ؟"

رد ماهر وهو يقدّر مشاعر الخوف التي تنتاب ظافر

" لا .. لاشيء .. الصورة الوحيدة في نسخة الهوية المزورة غير واضحة على الاطلاق .. والرجل اختفى تماما .. ابحث عنه في كل مكان ولا اجد له اثرا ... "

هب ظافر واقفا على قدميه ليقول بصوت مشحون " لن احضر الاجتماع .. سنذهب معا لنسأل حوراء عنه .."

يتجول في المزرعة ويلقي التحية هنا وهناك والابتسامة الذائبة لاتفارق شفتيه...

خدر لذيذ يسري في كل كيانه ...

يصهر جلده ليظهر على محياه ومشيته..

هل شعر يوما بسعادة عارمة كهذه ؟

كل هذا لانه منحها هديته الاولى ..؟

اول هدية حقيقية منه ..

جزء من قلبه منحه لها ..

السخاء بالقلب طواعية للمعشوق لايضاهيه شعور اخر ...

صراخ من بعيد أجفله .. صراخ متوجع انثوي جعله يهرول تلقائيا باتجاه مصدره ..

في احدى الحظائر وجد بضعة عمال يسحبون جسدا بمريول ابيض متسخ ..

ركض محمد حتى وصل ليصدم برؤية بيلسان وعاملان يجرانها من كتفيها بحذر بينما عامل ثالث يحاول السيطرة على بقرة مهتاجة بشكل غريب ..

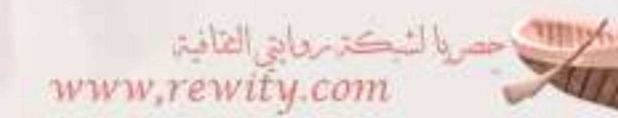
اسند العمال ظهر بيلسان للحائط بينما يراها محمد تتوجع والعرق يتصبب من جبينها وتبدو ذراعها اليمنى مصابة لاتستطيع تحريكها مع هذا يدها اليسرى تتحرك بهلع لتسحب ملابسها وتغطي ساقيها ثم تتأكد من حجابها انه لم يتزحزح عن رأسها ..

سأل على عجل ماذا حصل بينما يطلب من احد العمال استدعاء الاسعاف..

شرح له عامل اخر ان الدكتورة بيلسان كانت تكشف على احدى البقرات التي كانت تتصرف بعصبية وشراسة وبينما هي تفعل ركلتها البقرة بقوة فاوقعتها ارضا ثم اخذت البقرة تتحرك بهستيرية في المكان لتدوس فوق ذراع الدكتورة ..

عبس محمد وهو يأمرهم ببعض الترتيبات حتى تأتي الاسعاف ثم تقدم ناحية بيلسان فتأثر لرؤيتها مغمضة العينين وهي تعاني الألم بصمت ، وجهها الابيض باهت وشفتاها شاحبتان..

انحنى ليجلس على ركبته وهو يسألها برقة واهتمام



" اصبري دكتورة .. ستأتي الاسعاف قريبا .. فقط دعيني أتاكد انه لايوجد كسر .."

عندها فقط فتحت عينيها لتكون تلك العيون السود الشيء الوحيد النابض فيها..

همست له وعيناها الرائعتان تناجيانه

" اتوسل اليك .. فقط احضر لي غطاء يسترني .. جوربي تمزق .."

كان مذهولا .. بمعنى الكلمة مذهول ومتأثر و .. معجب !

كل هذا الألم الذي تعانيه من اصابتها ولا تفكر بشيء الا ستر ساقيها بجوربهما الممزق ؟!!

بيت ماهر الغازي ..

هل يمكن ان تعود يوما للوراء ؟

ان تعيش لحظة من طفولتك مضت بحسرة فتعود لتلك اللحظة وتعيد تشكيل مشاعرك (لحظتها) ...

وبدلا من تنهدات الحسرة والاماني التي لاتتحقق ترى نفسك تضحك وتضحك وانت .. تلاعب حلمك ..

ولم يكن الحلم الا بقطة ذات فراء فضي مميز ...



علا صوت ضحكات زينب وهي تتمرغل على ارضية الحديقة المعشوشوبة والقطة (فضة) كما اسمتها تتقافز فوقها باستمتاع وألفة وكأنها تعرفها منذ الازل !

استلقت زينب على ظهرها لترفع عاليا بين كفيها قطتها فضة فتقول وهي تنهت من تعب اللعب

" انت ثقيلة جدا يا فضة .. لكنك رائعة الجمال .. اسرار ستجن غيرة منك .."

انزلتها لصدرها فتستكين القطة هناك وتبدو قد اضناها التعب ..

اخذت زينب تملس عليها بينما عيناها تحيدان جانبا للقطة الصغيرة ذات اللون المحمر التي تستلقي بكسل قربهما دون ان تشاركهما اللعب ..

قالت زينب بابتسامة عريضة

" ستأتي فاطمة وتعتني بك وتدللك كما يجب فلا تقلقي.."

تنهدت وهي تغمض عينيها وتترك لشمس العصر تلامس بشرتها السمراء كما تشاء..

لم يخرجها مما هي فيه الا هدية فاطمة..

وكأنها حقنتها بمهدئ ..

لا .. ليس مهدئا فحسب بل علاجا مريحا وان لم يكن فعالا تماما ...



ما حدث ليلة الامس قلب عالمها وحطم اسوارا واسوارا بنتها عبر السنوات ..

اسوارا تخصه هو وحده ..

اكثر عقدها تعقيدا ...

لا .. لايمكن ان تسمح له بالاقتراب ..

لايمكن ان تفكر حتى بحقيقة ما جرى بينهما ..

لاتريد .. ولن تريد ابدا ..

انه قرار اتخذته منذ سنوات ..

ان كانت صفية قوية كفاية لتواجه بشموخ مجتمع ماهر فانها تختلف عن اختها..

لاتملك قوتها .. ولاتملك صبرها ..

وماهر شخصية لاتتكرر ..

" شعرك مليء بالحشائش .."

هبت فزعة وافزعت فضة معها فقفزت بعيدا بينما زينب تقف على قدميها والجنون يتطاير من عينيها وهي تحدق فيه يقف على بعد خطوتين منها ..

صرخت به

" كيف دخلت هنا ؟ ومن سمح لك ان تتعدى على خصوصيتي وانا بمفردي في البيت ؟"



اقترب محمود خطوة وعيناه لاتكشفان عن دواخله بينما يرد عليها بلا مبالاة

" شعرك مشعث جدا وعقدته القبيحة س.."

صرخت به تقاطعه

" لادخل لك بشعري .. ولا اسمح لك بأن تعلق تعليقات حميمية وخاصة كهذه ..."

احتدت نظراته ليقترب بخطوة كبيرة منها يحاصرها بجسده وهو يهمس بصوت مبحوح

" سأفعل ما أشاء .. وسأقترب بحميمة كما اشاء .. ولن تتخلصي مني مهما فعلت زينب .. مهما فعلت ..."

اطلقت صوتا مزمجرا وهي ترفع قبضتها لتلكمه فامسك تلك القبضة بقسوة بين اصابعه قبل ان تصل خده ..

عيناه في عينيها بينما يهمس لها بحرارة

" لم استطع الا ان آتي .. لأطمئن عليك فقط .. لااريد الضغط عليك حاليا .. "

ترتجف .. ومصدر ارتجافها الذي يضعفها في قبضتها تلك التي لايفلتها من اصابعه ..

أضاف بابتسامة شقية

" وبما اني اطمأننت برؤية جنونك مع قطتك الجديدة فيسعدني ان اتركك لتعاودي اللعب يا وجه ... العبوس .."

قال اخر كلمة بهمسة حارة جعلت

ركبتيها تذوبان ..

همس اخيرا

" الى اللقاء ..."

اتسعت عيناها برعب وهي تراه يرفع قبضتها

المأسورة نحو فمه ..

استنفرت خلاياها الدفاعية وبحركة

واحدة مباغته كانت تلكمه على وجهه

بقبضتها الاخرى!

تأوه ضاحكا وهو يفلتها بينما تهرب منه ..

مرة جديدة وليست اخيرة ... وقطيطاتها

تركض وراءها ..

خرجت من محاضراتها وقد قارب آخر العصر

وهي ما زالت تشعر بالنشاط ..

نشاط وحماس و... فرح ..

يا الهي .. فرح ..

قلبها ينتفض بالفرح ..

وكأن هريرات صغيرات متحفزات يتراقصن

حول قلبها ..

لديها قطة ... !

ستبكي .. تقسم بالله ستبكي ..

لاتطيق ان تعود للبيت وترى قطتها ..

محمد اهداها ... قطة ...

حتى انها كانت في عالم آخر بعد عودتها للبيت مع القطتين .. ولم تستطع التركيز مع زينب التي احتضنتها بشدة تشكرها على القطة الفضية ..

بدت زينب منهارة تأثرا وهي الاخرى كانت منهارة عاطفيا من الداخل ...

ترى .. ماذا سيحصل في تخرجها ؟

لقد قال انه ينتظره ...

هل يعقل ان محمد يكن لها شعورا خاصا ؟

هل حقا يفعل ؟!

صوت رجولي من الخلف فاجأ افكارها

" مرحبا فاطمة ..."

التفتت فاطمة ببطء وابتسامتها الساحرة تتبخر شيئا فشيئا لتواجه صاحب الصوت المألوف ...

اتسعت عيناها وهي تحدق بقامته الطويلة وكتفيه العريضين ووسامته الطبيعية المميزة .....

بدى .. مختلفا .. عما تتذكره ..

هادئ .. هادئ جدا دون صخبه الذي تعرفه...

ابتسم لها فبانت وسامته اكثر بينما تنطق اسمه

" خالد ؟! "

الفصل السابع

" خالد ؟! "

للحظات بدت دهورا عجزت عن قول كلمة اضافية ... رؤية خالد مرة اخرى لم تخطر في بالها يوما ..!

لقد تاهت ذكراه مع ما تاهت من ذكريات المراهقة المخجلة ...

عبء .. من جملة الاعباء التي حملتها على ظهرها وهي تبدأ مسيرتها في الدرب الذي اتخذته منذ ما يقارب الاربع سنوات ..

وكلما سارت خطوات جديدة واثقة كلما رمت بضعا من اعبائها خلفها غير نادمة ...

لقد تعلمت ان لا ندم ..

بل تتحمل المسؤولية بنضوج ..

عادت تحدق في وجهه ...

لقد كبر حقا وتغير بشكل لاتعرف تحديده ...

غموض .. هدوء ..

نظراته غامضة في هدوئها .. حتى ابتسامته الناعمة على شفتيه غامضة ...

يا الهي كم تغير ؟!

تبعد نظراتها المتفصحة عن وجهه ويتورد وجهها وهي تهمس في سرها توبخ نفسها

" ايتها الغبية كفي عن تحديقك الساذج فيه .. لقد تغير وماذا ان تغير ؟! .. انه في السابعة والعشرين الان .. النضوج يحكم الجميع بمرور السنين .."

صوته جاءها أجشا واكثر قربا ودفئا وهو يسألها " كيف حالك فاطمة ؟"

ابتلعت ريقها احراجا من رغبتها لتركه في اقرب وقت بينما ترفع نظراتها اليه لتقول بابتسامة مجاملة

" بخير الحمد للّه .. كيف حالك انت ومتى عدت ؟"

عيناه تتمليان فيها دون ان تسرفا النظر ..

ليرد بتأن " قبل .. ايام ..."

تكاد لاتصدق كم تغير !!

حتى نبرة صوته وهو يتكلم تغيرت ..

الآن تتذكر تلك التفاصيل الصغيرة التي بهرتها فيه وهي مراهقة ..

عيناه هاتان كانتا تفترسان وجهها افترسا..

كانتا تشعرانها بالنشوى والتميز ...

لتتحول تلك النشوى خلال بضعة شهور من خطبتها الى ... ضيق ونفور وحتى تقزز !



فقد اصبح (الافتراس) جنونيا حد الهوس..
تغذيه غيرة مرضية شرسة واوهام مرعبة
في معانيها ..

كم تبدو تلك الايام بعيدة وكأنها لم
تكن طرفا فيها وانما فقط متفرج !

استعادت فاطمة احساسها بالزمان والمكان
حولها لتتلفت عفويا وكأنها تخشى ان يراها
(احد ما) معه فتقول بتعجل

" الحمد .. لله .. على السلامة .. اعذرني
يجب ان اغادر الان .."

خطوة تحركتها ليتحرك معها خطوة
اخرى وهو يترجاها بصوت رجولي

" بضع لحظات فاطمة لن تؤثر عليك ..
كنت اول شخص اسأل عليه عمتي حال
وصولي ارض الوطن .."

عندها تذكرت فاطمة امرأ وشعرت
بالتقصير ناحيته لتقول بعفوية وهي تنظر
اليه " عفوا .. نسيت ان اعزيك بوفاة
والديك .. كان امرا مروعا ومؤسفا حصول
ذلك الحادث قبل عامين .."

تمتم وعيناه لاتفارقان عينيها

" شكرا لك .."

ليعاجلها بالقول حتى يطيل الحديث

" انت في سنتك الجامعية الاخيرة اليس
كذلك ؟"

عيناها تتنقلان هنا وهناك بعيدا عنه وخوف غريب ولذيذ يلامس قلبها ..

تعترف ..انها تخشى ان .. يراهما ... محمد ..

ردت وهي تبغي انهاء الحوار

" نعم .. لم يتبق الا شهرين على التخرج .. وانت هل انهيت دراستك العليا ؟"

فيرد بنبرة غامضة مبهمة مظلمة ..

" انهيتها .. وانهيت زواجي ايضا ..."

ارتفع حاجبا فاطمة وهي تعاود النظر اليه وتتساءل بعفوية

" هل تزوجت وتطلـ...؟! اسفة .. لم أكن اعرف .."

ابتسامة واسعة على فمه بينما يناغشها بخفة " اذن لاتتابعين الا اخبار الوفيات في عائلتي .."

لم تسمح بمزيد من الألفة التي يبتغيها خالد بوضوح لتقول بهدوء واسلوب شبه رسمي

" أنا اسفة لكل ما حدث معك .."

انحسرت ابتسامته قليلا وتضيقت عيناه بسؤال انعكس في كلماته وهو يقول

" تبدين مختلفة ..اكثر هدوءا وانغلاقا.. كنت مشعة اكثر .. فما الذي غيرك ؟ "

رفعت ذقنها قليلا وهي ترد بنفس النبرة

" كلنا نتغير خالد..او ربما نستعيد اتزاننا "

رد بنظرات مشعة وصوت مبحوح

" افضلك عاطفية منطلقة كما تركتك فاطمتي.."

قطعت عن عمد لفظ اسمها وهو يتملكه بحرف (الياء) فتتجاهل ما يحاول فعله لتقول بلطف بارد مصطنع " خالد عن اذنك .. لقد تأخرت فعلا .."

تحركت هذه المرة بتصميم بينما تسمعه يقول بخفة

" أراك في الجوار يا ابنة الحي..."

في المستشفى ..

غرفة الطوارئ

على سرير ابيض معزول بستارة من نفس البياض ترقد بيلسان بعد ان تم تجبير ذراعها ..

عيناها متعبتان لكن وجهها استعاد لونه الطبيعي الوضاء ..

بابتسامة حلوة سألها محمد الذي يجلس جوار سريرها على كرسي حديدي

" هل تشعرين انك افضل ؟"

ردت له بنعومة صوتها وهي تتحاشى النظر في عينيه مباشرة

" اجل... المسكن سريع بمفعوله .."

اتسعت ابتسامته وبدى متسليا من حمرة خديها القانيتين ليقول لها مطمئنا

" الكسر ليس خطرا فلا تقلقي.."

ردت بسكينة مؤثرة

" لست قلقة .. الحمد للّه على كل حال.."

انه يتساءل ... ما هذا الذي فيها ولايستطيع نكران انجذابه اليه ..؟!

كيف يذوب عشقا لرؤية ظل فاطمة من بعيد بينما تؤثر في وجدانه تلك الهالة المضيئة من بيلسان ؟!

عبس قليلا دون ان يشعر ليسمع صوت بيلسان تقول بحرج

" شكرا لك دكتور محمد على كل شيء.. لقد اتعبتك كثيرا معي اليوم .. بامكانك المغادرة لاداعي لبقائك اكثر.."

تراخى عبوسه لينظر اليها مجددا وهو يسأل

" الا زلت مصرة ان لانخبر والديك ؟"

بدت ملائكية بمعنى الكلمة وعيناها الواسعتان تفيضان بالمحبة الخالصة بينما تقول برقة وحنان بالغين

" انهما كبيران بالسن وانا وحيدتهما فلا اريد اقلاقهما علي .. ما زالا يعاملانني كطفلة صغيرة هشة قابلة للكسر .."

أمال محمد رأسه وهو يتطلع اليها بتفكر فيباغتها الاحمرار مجددا وهي تضيف على عجل

" هما ... هما يظنان ان لدي عملا اضافيا في المزرعة سيؤخرني قليلا.. عندما استعيد قوتي سأعود للبيت كالمعتاد وأخبرهما انه مجرد حادث بسيط "

قال محمد بهدوء وهو يسبل اهدابه باسما

" سأبقى معك اذن حتى تقرري العودة .."

جزعت وهي تقول بحرج فظيع

" لا .. لا داعي يا دكتور .. ارجوك .. انا استطيع تدبر امري بمفردي .. صدقني لااحتاج ... لشيء .. "

دون ان يرفع نظراته اليها قال " بل تحتاجين .. وانا سأعيدك للبيت بنفسي عندما ..."

قاطعته قائلة بحزم خفي هذه المرة

" اعذرني دكتور محمد .. لااستطيع .. انا اقدر جدا شهامتك .. لكن صدقا لن يكون مناسبا عودتي معك .. حقا اعتذر لااقصد ان اكون ... لكن انت تعرف .."



رفع عينين وهاجتين بالاعجاب والرضا بينما يقول لها " لاتتعبي نفسك بالشرح .. انا مقدر لما تقولينه واحترمه جدا .."

بدت مرتبكة خجلة لابعد حد لكن الاصرار واضح في عينيها فيبتسم لها ويقول بخفة " حسن .. اذن ليس هناك ما يمنع ان ابقى معك لحين شعورك بالتحسن وعندها سأطلب لك بنفسي سيارة اجرة .. سأكون مطمئنا عليك اكثر .."

تمتمت ووجهها المستدير يشتعل احمرار مبهرا لرجولته " صدقا لاداعي لتتعب نفسك و .."

يقاطعها بالقول الجذل " تتكلمين كثيرا بيلسان وانت تحتاجين الراحة حتى تستعيدين قوتك .."

وقف على قدميه لينهي الجدل بينما يقول لها بمشاكسة رقيقة " لاتقلقي .. سأبقى خارجا ولن ازعج خلوتك .. وعندما تكونين جاهزة سنتدبر امر سيارة الاجرة.."

اصابعها الصغيرة ترتبك في تشبثها بالغطاء الابيض الخفيف فيتذكر الحادث في المزرعة وتلك الشقوق في جوربها الاسود الممزق عند نهاية ساقيها وقدميها والتي اظهرت بياض بشرتها الناصع ..

كانت نظرة عفوية منه عندما طلبت غطاء يسترها .. وحقا احتاجت ذاك الغطاء ..

عاوده العبوس وهو يستدير بكل جسده بينما يسمع تمتمتها الرقيقة

" شكرا ..."

غادر الغرفة غارقا بالتفكير ...والتحليل

شعور غريب ينتابه مع بيلسان ..

شعور منعش لحواسه انه يقف على حدودها لايتجاوزها وبنفس الوقت يشعر بالفخر لانه يشارك في حماية تلك الحدود ..

فتاة نادرة لاتقدر بثمن ...

هنيئا لمن سيملك قلبها..

بيت ظافر الغازي ...

بعد مغادرة ماهر جلس ظافر على الاريكة ببطء وتفكير متوتر مشدود لكن عينيه لاتفارقان حوراء التي تقف امامه تحاول الابتسام لطمأنته بينما تقول له برقة

" لاتقلق ظافر ... ارى الامر لايستوجب القلق على الاطلاق "

ما زال يحدق فيها بصمت لتعاود المحاولة وهي تخلع حجابها ثم تجلس برفق الى جانبه ، تمسد على بطنها بيد بينما تمد يدها الاخرى لتمسد على ظاهر كفه وهي تهمس له بمشاكسة حلوة

" انت ربما تغار لاني تعرفت على الرجل في مكتب صفية .."

ملامح ظافر متوترة جدا بينما يقول وهو يحاول السيطرة على نبرات صوته

" الامر لايعجبني على الاطلاق حوراء .. هناك امر غير اعتيادي استشعره وحتى ماهر رغم انه لم يفصح لكني اقرؤه في عينيه .. وانا اثق بحدس ماهر الأمني الى ابعد حد .. "

صمت للحظة قبل ان يميل نحوها يلف اصابع كفه حول رقبتها ثم يتنهد بعنف وهو يسند جبينه على جبينها هامسا

" ارجوكِ ... فقط لاتغادري البيت بمفردك هذه الايام حتى نفهم حقيقة الامر .. مهما حصل لاتخرجي الا برفقة احدهم .."

ابتسامة صغيرة تلاعبت بفمها الذي يعشقه بينما تحاول تهدئته بالتدلل العذب

" هل ستحبسني خلف اسوار قصرك مولاي؟"

ابتلع ريقه وهو يهمس بجدية

" انا أعني ما اقول يا حوراء .. غدا سيأتي الرسام الخاص لتصفي له ملامح الرجل مع صفية .."

ابتعد عنها قليلا وهو يعاود السؤال بألحاح

" ألم تتذكري اين رأيته ؟"

ردت حوراء وهي تشفق عليه من خوفه عليها

" لا يا قلب حوراء .. انا اسفة ..ليت بيدي ان اريحك من بعض قلقك .. "

ثم مالت نحوه تتوسد صدره فيغمرها بين ذراعيه زافرا انفاسا قوية بينما تضيف هي بنبرة تشع دفئا

" الله خير حافظا وهو ارحم الراحمين .. وسترى كيف سنكتشف اننا اصبحنا مهووسين بالقلق والموضوع ابسط بكثير من كل هذه التخيلات السوداوية .."

صمت ظافر ولم يرد بينما يشدد من احتضانها فيلصقها بصدره التصاقا وهو يردد

" لاتخبري احدا بالامر .. دعينا نتأكد اولا.. لااريد اثارة فزع قد يكون غير مبرر فعلا ..."

هزت رأسها وهي تغمر وجهها اكثر في صدره ويدها تحاوط بطنها حيث صغيرها الجديد الذي لم يولد بعد ..

اتصال هاتفي فيرد عليه ماهر عبر سماعة السيارة وهو يقول بنبرة لاتعبر عن شيء

" مرحبا محمود ... "

يأتيه صوت محمود غريبا بعض الشيء ..

متحفز .. مبتهج .. قلق !

لم يستطع ماهر ان يحدد لكنه يفتح الباب لكل الاحتمالات مع ابن عمته ..

" ماهر .. اريد ان اكلمك بموضوع مهم .. مهم جدا ..."

ابتسم ماهر ابتسامة صياد ليسأل محمود بلطف ماكر وعيناه تشعان بالرضا

" خيرا يا ابن عمتي ؟"

فيرد محمود سريعا

" انه امر يخص .. زينب ..."

عندها فقط كانت ابتسامة الصياد على فم ماهر تتسع اكثر واكثر لتعلن انتصار صبره لحصول ما كان ينتظره منذ زمن ...

رد ماهر بشقاوة خاصة " انا عائد للشركة سنتلاقى هناك ونتحدث...مطولا ..."

بيت اسر الغازي

مساء في غرفة الانطلاق

تستلقي نادية على ظهرها بملابس رياضية خفيفة وبسيطة بينما يجلس حفيدها الاصغر غازي على بطنها وهو يصيح بانطلاق مبتهج

" هيا نانا .. هيا نانا ..."

تضحك نادية من قلبها ثم تعاود اللعبة معه فترفع جسده الصغير عاليا ثم ترفع ساقيها بشكل متعامد مع جذعها وتضع الصغير مرتكزا ببطنه فوق باطن قدميها وتتركه هناك شبه معلق بالهواء طائرا محلقا بحرية (كما يعتقد هو) فينادي ويصرخ بابتهاج ...

كانت تنزله من فوق قدميها عندما دخل اسر غرفة الانطلاق وتقدم منهما بخفة بملابس رياضية كملابسها فيستلقي قربها على جانب جسده يبتسم بمشاكسة للنظرات العابسة في عيني حفيده الغيور المتملك ..

يعض على طارف شفته السفلى بينما يمد يده عن تعمد ليتلاعب بفتحة بلوزة نادية وهو يتحدى غازي بالقول

" انها امرأتي يا فتى .."

يزداد عبوس غازي وتقدح عيناه شررا فيمد يده الصغيرة لتبعد يد جده عن بلوزة (نانا)..

تكتم نادية ضحكتها وهي تحذر اسر همسا " توقف عن اغاظته .."

لكن آسر لايرتجع وهو يعاود امساك بلوزة نادية ويزيحها قليلا كاشفا عن كتفها فيلامس بشرتها ويقول باستمتاع وتحفز

" يجب ان يتعلم الدفاع عما يملك .."

بملامح اشد عبوسا واصرارا مال غازي بجذعه ليزيح يد جده آسر بخشونة ثم ينام برأسه على كتف جدته يضم كتفها براحة كفه الصغيرة ويناظر آسر بتحد بينما نادية غارقة في الضحك ..

تمتم غازي في وجه جده

" نانا تحب غازي ..."

انفجر اسر ضاحكا باستمتاع رهيب قبل ان يميل بوجهه وهو يمد يده في نفس الوقت ليرفع يد حفيده لفمه ويضع جانب راحة كفه الصغير بين اسنانه يضغطها بخفة وكأنه يعضه !

اغرورقت عينا غازي بالدموع لكنه أبى ان يبكي كما أبى ان يحاول سحب يده من بين اسنان جده .. وما زال يناظر آسر بذاك التحدي ...

كانت نادية من سحبت يد حفيدها وهي توبخ آسر بالقول

" اترك الصغير .. كيف تجد الوقت والتفكير لتشاكس الجميع ..؟!"

يضحك آسر بخفة وهو يستلقي جوارها على ظهره فيحدق بالسقف ويقول ببعض التفكير الشارد

" هناك أمر يحصل .. أشم رائحته عن بعد ولا استطيع تحديد مصدره .."

سألته نادية باهتمام وهي تمسد على ظهر الصغير تراضيه

" ما الذي جعلك تشعر هكذا ؟ الا تستطيع ان تكون أكثر تحديدا ؟"

رد آسر بعينين متقدتين ذكاء

" هناك أمر يخفيه ماهر عني .. ودعوة الغد في بيته متعلقة بما يخفيه .. وظافر ايضا .. انه اكثر غموضا على غير عادته واكثر تشبثا بحوراء هذا المساء تحديدا .."

صمتت نادية للحظة قبل ان تقول

" لااستطيع ان أعلق بشيء عن ماهر لانه دوما شكّل لي لغزا يصعب فهمه .. اما ظافر فأنا اشاطرك الاحساس ذاته وان لم اربطها مثلك مع دعوة العشاء غدا في بيت ماهر.."

أدار آسر رأسه جانبا يطالع حفيده الذي غفا على كتف جدته ليقول بهدوء وسلاسة

" احساسي لايخطئ ابدا .. هذا متعلق بذاك ..."

صباح اليوم التالي .. مكتب آسر الغازي

بينما يقف قرب مكتبه يقرأ في اوراق مهمة بيده يرمق بطارف عينه زينب التي تقف جواره بتوتر تحاول اخفاءه مذ دخلت عليه مكتبه قبل لحظات ليقول لها اخيرا

" مرحبا ببطتي الشاردة من العش "

جاء صوتها متحشرجا بعض الشيء

" احتاج لاكلمك عمي .."

رفع آسر كل نظراته وانتباهه اليها ليضع الاوراق جانبا على مكتبه وهو يتساءل بحاجب واحد مرفوع

" عمي ؟!"

رآها كيف تبلع بريقها قبل ان تقول بمواجهة نارية طالما اعجبته وراقت لمزاجه

" اعتقد من الافضل ان اناديك عمي لاني .. لن اعمل في المؤسسة ابتداء من اليوم .."

بابتسامة صغيرة جانبية ناغشها بالقول ذي المعاني المبطنة

" ما زلتِ حائرة بانتمائك بطتي .."

اهتاجت نظراتها وهي تقول بلهفة عاطفة خاصة تكنها له ويفهمها تماما

" انتمائي لك لن يتغير ابدا عماه .. انت تمثل لي شيئا كبيرا جدا .."

هل سبق واعترف لنفسه ان هذه الفتاة تؤثر به ؟! ام انه شاخ فعلا واصبح عاطفيا !

تمتم في سره ساخرا " يا حسرة على شبابك يا آسر الغازي والشيخوخة برقة عواطفها تهاجمك !"

لينطق بسخرية من نوع آخر وهو يرد عليها

" لااحب ان ينعتني احدهم بـ(شيء) مهما كبر هذا الـ(شيء) في نظرك .."

رآى التراجع يُخفِت من توهج نظراتها وهي تقول بعناد

" الافضل ان اغادر وابدأ في البحث عن وظيفة جديـ..."

قاطعها بالقول الحاسم والنبرة القاسية

" تهربين ..."

ابتلعت ريقها مرة جديدة وهي تقول بهمس

" عمي.. انا .."

نهرها بالقول الذي يشع صرامة

" انا السيد آسر يا فتاة .. وانت في مكتبي الشخصي الذي لااسمح لاي كان بالتواجد فيه ..."

التمعت عيناها بدموع شفافة رقيقة وألجمت لسانها حرقة في القلب لاتعرف سبيلا للتحرر منها فيضيف آسر بنفس القسوة وهو يميل قليلا نحوها

" انت تحرقين ريشك بغباء .. اسوأ ما ستفعلينه هو الهروب بدلا من مواجهة اخر نقاط ضعفك واكثرها تأثيرا عليك .."

أطرقت برأسها فهتف بها بحدة

" انظري الي عندما اكلمك .."

رفعت وجهها اليه تناظر عينيه المتقدتين ليقول لها

" هل ستضيعين تعب اربع سنوات من البناء واثبات الذات وتعودي للخلف عشرات الخطوات ؟ اقسم باللّه ان فعلتها لن اسمح لك حتى بمناداتي بعمي .. لايشرفني انتماءك الضعيف المتخاذل الي .."

توسلته باعتراف صعب على روحها

" انا اسفة .. انا لست قوية .. ليت لي .. ليت لي بعضا من ... جيناتك... اتوكأ عليها لارفع ... هامتي .."

اتسعت عينا آسر وقد اذهلته حقا بما قالته للتو ..!

ألهذه الدرجة ؟!!

لكن لا .. لن يكون آسر الغازي ان ترك هذه الفتاة تخرج من اخر معاركها مع النفس دون ان ترفع راية النصر ..

هذه الفتاة المتوهجة التي جذبت نظره بكبريائها منذ اول مرة رآها وهي في الثالثة عشرة تحتاج ان تسد احساسها بالنقص وتتقبل ما اخذته الحياة منها بروح رياضية وهمة عالية وشراسة لاترحم لاقتناص التعويض في القادم..

قال آسر بهدوء شديد وتركيز عال

" لاتحتاجين جيناتي ولا جينات غيري .. لديك الجبروت في جيناتك انت بطتي ..



جبروتك هذا يسحق شعبا بأكمله ويفتت

قلوبهم بوحشية لو شئتِ وأجدتِ

استخدامها.. وانت حققت الكثير خلال

بضع سنوات هنا .. تحتاجين دفعة صغيرة ..

صغيرة جدا .. لتعبري و .. تجتاحي ..."

اخذت تحدق فيه بانبهار ...

يدرك ما يجول بخاطرها ..

انها تغلي بالحماسة الان .. الحماسة والامل

والرغبة بالتصديق ..انها مستعدة للمواجهة

رغم كل المخاوف التي تكبلها..

وقد أتته هذا الصباح .. تحتاجه.. لا

لتنسحب بل لتسمع منه ما يشعل فتيل

المقاومة ..

لم يعد يهمه حقا ان ترتبط بمحمود او لا ..

هذه الفتاة اعجوبته الصغيرة ..

قد لاتحمل جيناته لكنها فخره وتربية

يديه ..

عفويا ابتسم لها وهو يقول

" الان .. انا اريد لهذا الجبروت ان يبدي

شراسة اقوى دون ان تنسي تشغيل هذا .."

واشار باصبعه على جانب رأسها ثم تمايلت

ابتسامته على شفتيه وهو يغمزها ويضيف

" وهذا ...."

ليشير بنفس الاصبع للاسفل ناحية مكان

قلبها ..

ثم حرك يديه ليضعهما في جيبيه يطالع الشحنات المتقافزة في عينيها ثم يسأل بتفكه ساخر

" ماذا الآن ؟ هل ستحضرين للعمل في الغد ام استسلم مرغما لاغراء عزيزتنا بشرى ؟"

تمتمت وهي تشمخ بذقنها " سآتي ..."

تحرك ملتفا حول مكتبه ليجلس على كرسيه وهو يقول بسلاسة

" بما انك ازعجتِ صباحي بنواحك العصفوري وأخذت الكثير من وقتي الثمين جدا فبعد اعادة تفكير ... انا لدي شرط لاستمرارك في العمل عندي.."

رفع عينيه لها فاستمتع برؤية وجهها المرتبك المتسائل ليضيف بابتسامة مشاكسة مستفزة

" عقدة شعرك الكريهة هذه صبرت عليها لثلاث سنوات واكثر .. يكفيني صبرا وانا اراقبها تتضخم بسخافة كل يوم .. منذ اللحظة اريدها ان تختفي .."

اتسعت عيناها بصدمة بينما يضيف بنظرة معبرة

" منذ اليوم لم يعد مناسبا ان تتخفي من نفسك خلفها يا بطة .. مهما بلغت ضخامتها فهي لن تخفيكِ عن الاعين ..

اعترف اني لااعرف السر الحقيقي وراء اهميتها عندك لتتمسكي بها هكذا وان كنت استطيع التخمين ببعض الاحتمالات التي من المؤكد ان احدها صائب وهذا غرور مني بلا ادنى شك .."

رغما عنها ضحكت واحمر خداها الاسمران فراقه الامر ليضيف بمكر

" اريني احتيالك على عقدتك .. وربما ستحتالين علينا نحن الاثنين .. أو .. قد يزداد عدد من تحتالين عليهم يا ربيبة اسر الغازي "

ردت بابتسامة غامضة وهي تطرق بنظراتها

" حاضر سيد آسر ..."

قرابة غروب الشمس في بيت ماهر الغازي

قريبا من جهة باب الصالة الانيقة يقف ظافر يخفي توتره وتململه بشق الانفس بينما يهمس لماهر الذي يقف جواره

" ألم ينتهي الرسام بعد ؟"

رد ماهر بابتسامة عملية

" اهدأ ظافر .. "

لكن ظافر بدأ صبره ينفد وهو يسأل بخفوت

" لماذا لم تدعني ابقى معها ؟"

نظر اليه ماهر بهدوء ونفس الابتسامة على فمه

" لانك متوتر وتوترها معك .. وانا اريدها هي وصفية بذهن صاف حتى تصفاه .. انا نفسي تركت صفية بمفردها حتى لاشوش على ذاكرتها الصورية .."

عينا ماهر انتقلتا تلقائيا من وجه ظافر لوجه عمه الذي اقترب ليقف جوارهما وهو يسأل بنبرة جدية وان لم تخلُ من اسلوبه الساخر " هل سيخبرني احدكما لماذا اشعر ان اجتماعنا العائلي هذا اليوم ليس لاسبابه اللطيفة المعلنة ؟"

أطرق ظافر صامتا بينما اتخذ ماهر قراره بمصارحة عمه وهو يقول بشكل مباشر

" هناك أمر قد يكون تافها وقد يكون مهما يحتاج للتركيز منا جميعا .. لكني لم أرد ازعاجكم قبل ان أتأكد عماه .."

سأل آسر باختصار ونبرة آمرة

" ماذا هناك ؟"

توترت قبضتا ظافر بينما يرد ماهر

" سأخبرك .."

عينا شاهر ترقبان ابن اخته محمود بتمعن..

الفتى لم يعد يخفي نظراته الجريئة لزينب...

والفتاة تتجاهله ببساطة وقد بدت حقا مختلفة هذا المساء بالثقة التي تشع من كل نظراتها وحركاتها وسكناتها وتلك الضفيرة الطويلة المذهلة التي تتراقص على ظهرها بدلال خاص..

اثارت ضجة صغيرة بين نساء العائلة وهي واجهت تلك الضجة بهدوء عجيب ..

اخفى شاهر ابتسامته وهو يفكر ان حفيدتيه الشقيتين ما زالتا تعتقدان ان (زوزو) كانت مصابة بفايروس ما تلك الليلة في بيت اخيه آسر..

سأله بلال الذي كان يجلس جواره وهو يميل قليلا

" هل هناك امر مقلق لانعرفه يا شاهر ؟"

التفت شاهر لبلال يتساءل ببعض العجب

" ماذا تقصد ؟"

رد بلال وهو يشير ناحية وقوف آسر مع ماهر وظافر " اقصد ما يحدث هناك اضافة لوجه ظافر المتوتر .."

ادار شاهر وجهه الى حيث اشار بلال ليتنبه لأول مرة لتوتر ظافر تحديدا ..

منذ بداية الجلسة وهو منشغل بحكاية محمود وزينب وكان يبغي محادثته على انفراد ...

قال شاهر اخيرا

" يبدو ان هناك امرا ما فعلا .. دعنا ننتظر قليلا عسى ان يعود آسر ونسأله دون ان نثير فضول وارتياب النساء .."

تبسم بلال وهو يسبل اهدابه ويقول

" نجلاء مرتابة منذ البدأ عندما اختفت حوراء ومعها صفية ولم تقتنع بتفسير ماهر وهو يخبرها ان صفية تريد ان تري حوراء بعض ملابس الاطفال الجديدة التي ابتاعتها لها .."

رآها تغادر الصالة فأوشك ان يخطو ليلحق بها عندما امسكته يد توأمه محمد وهو يقول له بخفوت

" اهدأ يا مجنون .. يا متهور .. الى اين تذهب؟! الا يكفي انك تلاحقها بنظراتك حتى فرت بجلدها منك ؟!"

عبس محمود وهو يلتفت لمحمد ويقول

" هي لم تهرب مني .. مؤكد ذهبت لتساعد صفية .. انا فقط اردت .."

قاطعه محمد ليقول بروية وصبر

" اردت ماذا يا احمق ؟! ان توقفها وتكلمها وسط بيت ماهر ؟! ماهر سيطحنك طحنا ان تجاوزت الحدود معها .."



بملامح هجومية قال محمود

" هو نفسه لاحق صفية حتى نالها فلم يطحنني انا ؟!! ثم اني اخبرته برغبتي في الارتباط بها .."

فيرد عليه محمد بتعقل

" وقال لك اصبر قليلا ولاتكن كالثور !"

يتأفف محمود وهو يقول بضيق

" هو يقول اصبر وعمي اسر يقول اصبر وانت تقول لي اصبر وهي في الواقع من تطحن صبري ببرودها نحوي وتجاهلها اياي .. لكن اقسم بالله ستكلمني اليوم كأي انسان طبيعي .. لااعتقد اني اطلب الكثير .."

أفلت محمود ذراعه من قبضة اخيه وتحرك بخطى ثابته محددة الهدف ليغادر الصالة مستغلا انشغال الاخرين عنه ..

تنهد محمد فاقدا الامل بجنون اخيه ..

ثم سرحت عيناه عفويا لمن تحمل قطتها وكأنها تحمل قلبه هو ..

متى ينتهي الشهران ؟ متى ...؟

لقد اتخذ قراره وحالما ينتهي الشهران سيخبرها .. سـ....

صمتت افكاره المستقبلية وقلبه يلتاع لرؤيتها الحالية وهي تمرغ وجهها الرقيق في فراء القطة ..

جف فمه وتشنج جسده باستجابة فطرية..

لماذا يصبر ؟ لماذا ؟

ما الذي يجعله يتشبث بالشهرين هكذا ؟

صوت صغير في اعماقه يرد عليه

" لانك ما زلت غير واثق تماما .. لانك رأيت الحلم متجسدا في وجه مستدير نوراني هو وجه بيلسان .. بينما الواقع يلهث خلف فاطمة .. فاطمة فقط.."

اخذ محمد يهز رأسه وكأنه ينفضه من هذه الافكار المقلقة ..

انه مدرك تماما لكل ما يحصل له ،

مدرك ان أهم ما يريد هو عند بيلسان

لكن تبقى فاطمة هي مراد القلب الوحيد..

ابتسم طه وهو ينظر لاخته المبتهجة بقطتها فيقول

" (عسلية) تشبهك جدا فاطمة .."

رفعت فاطمة وجهها وهي تتساءل بقلب خافق " حقا ؟!"

فيطيل طه النظر لاخته ثم ينزل نظراته لقطتها التي تتمرغ دلالا بين ذراعيها فيقول ببشاشة

" نعم .. فراؤها بلون شعرك وعيناها كعينيك .. وبصراحة احببتها اكثر من (فضة) قطة زينب "

قلبها يقرع في صدرها والتساؤلات العاطفية تجعل انفاسها تتسارع كلما وقعت عيناها عليه ..

خجلت ان تتخبر احدا بأن القطة هدية من محمد فأبقت الامر دون تحديد امام الجميع..

تجرأت ورفعت نظراتها نحوه حيث كان يقف جوار محمود لتجده الآن يقف بمفرده وعيناه ... آآآه من عينيه .. انه ينظر اليها نظرة قد لاتفهمها تماما او تستطيع تفسيرها بالكامل لكنها نظرة تأسر انوثتها بقبضة نارية فتتفتح بطريقة مشتعلة لم تشعرها يوما ...

وكأنها في تناغم عجيب مع رجولته الفياضة ..

ليس انوثتها فحسب بل هي كلها في تناغم واستجابة جائعة لكل ما فيه ...

قاطع افكارها المحمومة صوت اخيها طه وهو يتساءل باستغراب " لماذا تأخرت صفية ؟ وما معنى ما يحدث؟"

احمرت فاطمة فتخفي احمرارها بفراء قطتها وهي تتساءل بحرج رقيق

" ماذا ... تقصد ؟"

رد طه بتفكر

" هناك امر مريب حصل اختاه وماهر يستقصي عنه بطريقته .."

تنبهت فاطمة لفحوى كلماته فتستعيد تركيزها وهي تحول نظراتها نحو ماهر وتسأل " كيف عرفت ؟"

يرد طه بعينين تنضحان ذكاء عبقريا مميزا " انظري لوقفة ماهر التي تبدو هادئة في ظاهرها لكن اصابع يديه غير مسترخية .. وتوتر طفيف في حركة حاجبيه .. يبتسم باسلوبه المعهود لكن نظراته تسرح هنا وهناك بين وجوهنا .. هناك ما يقلقه وكأنه يخصنا جميعا .."

ارتفع حاجبا فاطمة عاليا وهي تلتفت لاخيها الصغير وتهمس اسمه بذهول

" طه ! "

ابتسم طه وهو ينظر لاخته ويتساءل

" ماذا ؟! "

ترمش بعينيها وهي تتقول بانبهار

" انها المرة الاولى التي .."

فيقاطعها بابتسامة اوسع قائلا

" تكتشفين اني املك عينين تقرآن خارج المواد العلمية والبحوث الدراسية ؟"

قالت بحنان

" ليس هذا بالضبط .. لكنك كنت تبدو دوما منشغلا بفكرك عنا يا صغير .."



دفء غير اعتيادي شع من عينيه وهو يحول نظراته الى حيث تقف نادية تضاحك نهى ونجلاء فيقول طه بحب عميق " نانا علمتني ان افكر بالاخرين من حولي ولا يستغرقني التبحر بالعلم حتى لاافقد تواصلي الحميمي مع عائلتي .."

دمعت عينا فاطمة فتميل نحوها لتخطف قبلة من خده وهي تقول بحشرجة التأثر

" انت محظوظ بالخالة نادية .."

يلف ذراعه حول كتفها ويقبل جبينها وهو يقول بصوت هادئ يشع بالصدق

" انا محظوظ بكم جميعا فاطمة .."

تضحك فاطمة برقة وتضم رأسها اكثر لكتف اخيها الذي يفوقها طولا بمراحل..

بينما عيناها بفطرة انثوية تلتقطان نظرات محمد اللتين باتتا الان تشتعلان بوهج خاص.. وهج اقرب لتفسير الغيرة ..

أم ... ربما هي مخطئة ؟!

كانت تمشي في الممر الذي يربط البيتين عندما شهقت وقبضة صلبة تلتف على ساعدها و تسحبها بعنف فتديرها بنفس الوقت لتلتف ضفيرتها حولها وتستقر على كتفها الايمن بينما ترتطم عفويا بصدره وهي تقول بعينين متسعتين

" آآآآآآآآآآآه .. افزعتني ؟"

حاولت ان تبعده عنها لكنه تشبث بها وهو يتحرك ويجرها معه الى جزء مخفي كحديقة صغيرة على جانب الممر فيدفعها لترتطم بالجدار وهو يسألها عابسا

" لماذا لاتلقين التحية علي مثلما تفعلين مع محمد ؟"

اخذت تدلك ساعدها وهي تنتفض من الداخل والخارج..

هذه المرة كانت مستعدة له ..

صحيح لم تتوقع ان يتجرأ على ملاحقتها هكذا لكنها في كل الاحوال مستعدة..

لن تخيب ظن نفسها بـ... نفسها ..

كما لن تخيب ظن عمها آسر الذي منحها الكثير ولم يبخل ...

تكتفت وهي تقول بعنفوان بارد يناقض الاشتعال في قلبها " لقد القيت تحية المساء عليكما انتما الاثنين معا "

لغيظها لم يبدُ مستاء !

بل شعرته وكأنه يدعي الاستياء والحنق ..

قال لها وهو يعقد حاجبيه " كنت تنظرين لمحمد فقط فكيف اعرف ان التحية تشملني ؟"

ردت وبعض الحنق تسرب لكلماتها

" تكلمت بصيغة الجمع فبديهي تشملك ايها الذكي .."

فجأة ابتسم ! اجل .. هذا الاحمق الغبي المتهور المغرور الذي تحبه منذ طفولتها يبتسم وغمازاته اللعينة تسخر من عنفوانها الكاذب امامه ..

اقترب منها يقف قبالتها يهمس اسمها

" زينب ..."

ارتعشت واحساس داخلي يطلق صفارات الانذار المدوية وبهستيرية صارخة بينما يخرج صوتها همسا

" دعني اذهب محمود "

مد كفه ليسنده على الجدار خلفها يمعن النظر لعينيها وتلك الابتسامة اللعينة منه تأثيرها رهيب .. رهيب جدا ..

قال بصوت أجش

" اريد ان نتكلم ... بل ان نسعى لتغيير نوعية الكلام بيننا .."

تقاوم بشراسة كل خلاياها التي تحثها على الهرب ..

تستطيع ان تهرب في اية لحظة ..

تستطيع ركله ولكمه وغرز اظافرها في وجهه .. لكنها لن تفعل ..

لن تهرب .. ابدا ....

غمر نظراتها الشجن وانعكس ضوء الغروب في عينيها بينما ترد بالقول

" ليس بيننا كلام من الاصل ليتغير "



بدى مسترخيا تماما لكنها لم تغفل عن ذاك الاصرار المرعب في عينيه وهو يقول لها بحلاوة " اذن نبدأ بكلام ترضينه ثم نغيره مستقبلا لما يرضيني .."

واجهته بقول مباشر

" لاتضغط اكثر مما يجب .."

يهز كتفيه ويبرم شفته السفلى وهو يقول

" انت من تضغطين علي وعلى نفسك ..لماذا لاتحاولين اخذ الامور ببساطة ؟"

ردت ويدها ترتعش فتمدها للخلف تلامس الجدار خلفها وتقول

" انت تضيع وقتك معي .. لكنك ستدرك هذا عاجلا .."

عاود الابتسام فتقضبت اصابعها على الجدار بينما يقول لها بصوت مبحوح

" هذه اطول محاورة هادئة جرت بيننا منذ رأيتك لاول مرة في حياتي .. هل تعلمين.."

لم تعد تطيق .. حقا لم تعد تحتمل هذه الخلوة معه ..

لقد قالت ما عندها ويكفيها لهذا اليوم من المواجهات ..

لابأس ببعض الهروب التكتيكي ..

اليس هكذا علمها معلمها المغيظ آسر الغازي؟!

قالت وهي تتأهب للانسحاب بكرامة

" يجب ان اذهب لبيتنا .. نسيت ان اطعم فضة .."

تحركت للجانب فتحرك معها وهو يقول بشقاوة تلمع في عينيه الجريئتين

" دعيني آتي معك و اساعدك .."

حاولت التشبث بقناع الغضب وهي تقول له باسلوبها العدائي معه

" عد للداخل يا محمود والا ستتحول المحاورة الهادئة الى مجزرة .."

يقترب منها جدا فتتراجع للخلف لاهثة بينما يشل ردة فعلها لثوان وهو يرفع يده

يلمس ضفيرتها بيد مرتعشة كارتعاشة صوته وهو يهمس لها بصوت مبحوح

" اقتليني لو شئت .. انا راض .."

تمتمت اسمه بلهاث مجنون " محمود ! "

مرر انامله على طول ضفيرتها ليهمس مسحورا " لم أكن أتخيل ان شعرك قد وصل لهذا الطول... ضفيرتك مذهلة .."

ما ان ذكر شعرها حتى تقافزت شحناتها .. ضربته على يده تبعدها بعنف وقد استعرت نيران في قلبها ..

تحاول التقاط انفاسها بصعوبة بينما تتمتم بعنف

" انت .. انت .. لا ... "



لم تستطع حتى التعبير من فرط حنقها فيناظرها بدهشة ثم يسألها بصدق

" لماذا تغضبين بهذا الشكل كلما تحدثت عن شعرك ؟"

تدفعه بكل قوتها في كتفيه وتحاول الافلات من محاصرته لكنه يمنعها وهو يضع كلتي كفيه على الجدار فيحاصرها بطوق ذراعيه ويقول برقة ذائبة " زينب .. انا احاول جهدي حتى اصبر .. "

ترتجف من شدة الانفعالات والمشاعر المجنونة التي تتزاحم في داخلها لتهمس بوجع وهي تناظره بتحد لذاتها قبل ان تتحداه هو " لايوجد ما تصبر لتناله .."

يحدق في عينيها مبهورا طائعا لسحرهما مع لون الشفق ليقول بكلمات نبعت من قلبه

" وجه العبوس.. لايليق بك ابدا ..!

بركتان من العسل كهاتان العينان تسبحان وسط وجه اسمر يتحدى اشعة الشمس ان تنال منه .. لايليق بسحر كهذا ان نناديه .. وجه العبوس "

تلمع عيناها بانهيار موشك فتتوسله جديا هذه المرة

" محمود... توقف .."

يرد بشقاوة حارة " انا حتى لااتحرك خطوة واحدة نحوك لاتوقف.."



ترد بغيظ وهي تقاوم انهيارها

" تعرف ما اعني .."

فترتعش ابتسامة على شفتيه وهو يقول مجادلا

" وانت تعرفين ما اعنيه ايضا .."

ابتلعت ريقها لتحاول المواجهة باسلوب اخر فقالت وهي تدعي التعقل

" دعنا نكن اقارب فقط .. اعدك ان .. احسن التعامل معك وان ... آآآ.."

ضربة منه على الجدار اسكتتها بينما يقول من بين اسنانه

" انا اصبر .. واثبت خطواتي مكانها وألجم لساني واقيد احلام يقظتي ... كل هذا افعله .. لكن ان تطلبي مني لعبة جديدة كلعبة (الاقارب اللطيفين) هذه فأنا لااحبها .."

كان قريبا جدا ..

قريبا بشكل مخيف مريع ...

قالت بحذر " ابتعد ... محمود ..."

يبتسم بشراسة وهو يقول بصوت أجش متلاعب " لا .. ليس هكذا .. قوليها محمووووووود .. باستفزازك القديم .."

تنظر اليه وتحاول مرة اخرى لتنقذ نفسها دون اللجوء للهروب فتواجهه بالقول و بتأكيد لايقبل الشك

" ما تسعى اليه لن يحدث .."

لم تتراجع ابتسامته قيد أنملة وهو يرد عليها بوعد هادر

" سيحدث .. اقسم لك .."

تقبضت يداها تقاوم بضعف فتجد في ضعفها ذاك قوة لتهمس له برجاء صادق يمس القلب

" لاتقسم .. فقط ارجوك .. افهم .."

لحظات طوال .. عيناه في عينيها قبل ان يقرر الرد بغموض

" ما دام يهمك لهذه الدرجة فسأحاول ان أفهم لكني لاعد بالتطبيق .."

ابتعد قليلا ليستدير بجسده ويتكأ جوارها على الجدار متكتفا وهو يقول

" انا بانتظارك هنا حتى تطعمي (فضة) وتعودي .."

فتحت فمها لتعترض بعبوس لكنه سبقها للقول بابتسامة جذلى وصوت مبحوح

" لافائدة من الاعتراض وتأخرك أكثر سيجعل العائلة ترتاب بتواجدنا بمفردنا لفترة طويلة .."



زفرت بقوة ووجهها يتخضب بحمرة لذيذة ثم تتجاهل النظر اليه وهي تتحرك بخطواتها عابسة تسبح افكارها ومشاعرها في دواماتها المتناقضة ..

لكنها تقسم في داخلها انها لن تغرق مهما حدث ومهما كانت الضغوط ..

دخلت صفية تتبعها حوراء وهي تقول بهدوء بينما تحدق في عيني زوجها قائلة

" لقد انتهينا .."

يبتسم لها ماهر بينما يتقدم ظافر من زوجته وهي يتساءل بقلة صبر وصوت خافت

" اين الصورة ؟"

كانت صفية من ترد وهي ما زالت تنظر لزوجها بتمعن " الرسام ينهي تفاصيلها الاخيرة وهو ينتظر ماهر .."

تمتم ماهر وهو يتجه للباب " ذاهب اليه ..."

يراقب آسر ما يجري وملامحه لاتبدي اي انفعال بينما يركز نظراته على ظافر وحوراء ويسمع ولده يسأل

" ألم تتذكري اين رايته من قبل ؟"

عقدت حوراء حاجبيها بانزعاج وهي ترد

" لا .. الامر حقا متعب ومزعج انك تعرف يقينا هذا الوجه دون ان تدرك هويته فعلا..! ربما بسبب النظارة الطبية ذو الاطار السميك التي كانت يرتديها في مكتب

صفية جعلت الامر محيرا .. لكني متأكدة اني رأيته من فترة ربما طويلة .. الرؤيا تبدو مشوشة في عقلي حول المكان والزمان لكن وجهه مطبوع في رأسي لسبب ما .."

رفع ظافر نظراته لصفية التي تلتزم الصمت فيسألها " وانت صفية ألم ترينه سابقا قبل ان توظفينه ؟"

ردت صفية بثبات ويقين

" لا للاسف ... انا واثقة انها كانت المرة الاولى التي التقيه فيها عندما جاءني متقدما للعمل .."

ما زال آسر صامتا يستمع ويرى وينتظر ...

بعد عشر دقائق...

سبق عودة ماهر ببضعة لحظات دخولا متعثرا حائرا عابسا لزينب يتبعها محمود بابتسامة شقية جذبت نظر شاهر قبل ان يحول الاب نظراته لدخول ابنه ماهر ...

شيء ما في ولده جعله يقلق ..

يقلق بشكل جدي ..

سأله بلال باهتمام " ماذا هناك يا شاهر ؟! ماذا يحدث للاولاد ؟ "

فيرد شاهر وعيناه تنتقل لاخيه آسر

" هناك امر جدي يا بلال .."

يحمل ماهر لفافة ورق بينما يمد ظافر يده وهو يتساءل

" هل هذه الصورة ؟ أرني اياها ماهر .."

نظرة خاطفة من ماهر لعمه آسر جعلت الاخير في حالة تنبه كامل ..

اذن الامر جدي فعلا ...

عاد ماهر بكل اهتمامه لظافر قبل ان يقول بتأن

" فقط اجلس قليلا يا ظافر .. اريد ان ترونها جميعا فربما سيتعرف عليها المزيد منا .."

عبس ظافر بشدة وهو يتساءل بفطنة

" تبدو غريبا !! تقول (منا) ؟! هل عرفته انت؟ "

للحظة صمت ماهر قبل ان يقول بهدوء

" اظن اني موقن من معرفته .. فقط ارجوك اجلس مع حوراء لاعرض الصورة .."

بعد لحظات ساد نوع من التوتر والتوجس والكل يولي انتباهه لماهر بينما يفتح اللفافة الورقية ويمررها عليهم واحدا واحدا وهو يقول بنبرات ثابته لاتعبر عن شيء

" اريدكم جميعا ان تنظروا بتركيز لهذه الصورة ، انه رجل توظف عند صفية لفترة بسيطة ثم اختفى بشكل غامض ،

حوراء تعرفت عليه ايضا دون ان تتذكر اين رأته سابقا .. امعنوا النظر رجاء وتفحصوه ثم اخبروني ان كان اي منكم رآه ايضا في اي وقت او مكان ... ليس هناك ما يقلق .. ربما هو شخص فضولي لا اكثر لكن الحذر واجب .. لذلك اتمنى من الجميع التركيز بملامحه .."

كانت نهى ونجلاء اول من ابديتا عدم معرفتهما به بشكل قطعي وقد أيد الامر كلا من شاهر وبلال بينما ظلت نادية تطالع بتركيز وقد بدت متشككة دون ان تفصح ..

تحرك آسر خطوة ناحية زوجته عندما وقفت سلسبيل على قدميها تقترب من ماهر وهي تقول بتركيز

" انه نفس الرجل في الذي رافق رحلة خاصة للمنتجع السياحي في الشمال قبل اكثر من اسبوع ، رحلة للتحليق بالمظلات فوق البحر.. رغم انه لم يكن يرتدي نظارات طبية وقتها .. لكني شبه متأكدة انه هو نفسه .."

صمت مطبق وهدوء تام عمّ المكان بينما يقف مهدي هو الاخر جوار زوجته عاقدا حاجبيه ينظر بتدقيق للصورة بينما تسأله سلسبيل " اليس كذلك يا مهدي ؟ اليس هو نفس الرجل في التسجيل المصور ؟ "

بتوتر شديد رفع مهدي نظراته لاخيه ماهر وهو يقول " نعم .. انه هو .."

ظافر يحني رأسه منذ ان رأى الصورة وحوراء تهمس في اذنه " هل انت بخير ؟"

لايرد ظافر بينما يسمع ماهر يسأل مهدي

" اي تسجيل ؟"

اخرج مهدي هاتفه من جيبه وشغل التسجيل وهو يقول " هذا ...."

التفت ماهر ناحية حوراء يسألها " هل شاهدت هذا التسجيل من قبل يا حوراء؟ "

التوتر يزداد والكبار صامتون ينتظرون بحكمة وصبر الى ماذا ستؤول الامور بينما تتقدم حوراء تنظر للتسجيل في شاشة الهاتف وقد توقف عند لقطة معينة حيث يظهر الرجل في الزاوية وهو يحدق في سلسبيل فترد حوراء بتوتر مشحون

" نعم ولكن .."

تتردد فيشجعها ماهر بالقول الغامض

" لكن ماذا ؟"

ردت وهي ترفع عينيها لابن خالها قائلة

" عندما أراني مهدي التسجيل انا لم التفت للرجل الذي يقف خلف سلسبيل في الزاوية كنت منشغلة بالنظر اليها وهي تضحك لعدسة الكاميرا ...لكني .. واثقة اني رأيته في مكان ما .. "

عندها قال ماهر

" تقصدين انك رأيته قبلها اليس كذلك؟ هل تذكرين اين ام تريدين مساعدة ..؟ "

تدخل مهدي وهو يقول بتأكيد

" انا ايضا واثق اني رأيته قبلا .. اقصد قبل رؤيتي للتسجيل المصور .. لكني لااذكر اين ومتى ..؟"

قال ماهر وملامح وجهه جامدة لاتعبر عما يفكر به " وانا ايضا رأيته .. والظرف الذي رأيناه فيه جعلكم لاتتذكرونه بشكل واضح لكني لم أنس وجهه.. وقد عرفته الان بشكل مؤكد بعد ان شككت بالصورة المرسومة مذ وقعت عيناي عليها.."

ثم التفت لظافر الذي ما زال يحني رأسه بصمت ليقول له ماهر بيقين

" اظن انك يا ظافر قد عرفته ايضا ..."

عبس مهدي وهو يسأل بضيق " من هو ؟!! "

رفع ظافر وجها متجهما تغلي ملامحه بتعابير غضب هادر بينما يقول من بين اسنانه

" قبل ثلاث سنوات ..في المستشفى عند ولادة غازي .. انه طبيب التخدير الذي ضربته.."

عندها شهقت حوراء وهي تضع يدها على فمها وتقول بجزع

" يا الهي .. اجل .. ذلك الطبيب الذي ظل يوبخني لاني لااتحمل الآم الطلق ! كنت اعاني الآما شديدة في صالة الولادة واصرخ رغما عني وهو دخل الصالة استجابة لاستدعاء الطبيبة ثم اخذ ينظر الي باشمئزاز غريب ويردد بهمس مسموع لي (مدللة من الاثرياء) ..."

اقترب محمود من زينب فيسألها بهمس قلق

" هل عرفته انت ايضا ؟ هل سبق ورأيته ؟ "

فتهز رأسها سلباً ..

اما محمد فعيناه لم تنزلا عن فاطمة وهو يقرأ توترها الخاص فيتوجس منه !..

عفويا جسده تحرك نحوها وهي تتقدم خطوة وتقول ببعض الارتباك

" عفوا .. هل لي بكلمة ..؟ "

التفتت صفية لاختها الصغرى اولا تنظر اليها بقلق مفاجئ بينما تبعتها باقي الانظار لتتسلط على فاطمة ..

تقدم ماهر نحوها وهو يسأل بترو

" نعم توته .. ؟ "

خيال محمد اصبح خلفها تماما بينما قلبه يخفق بجنون وهو يسمعها ترد على ماهر بالقول

" انا ايضا رأيته ... قبل شهر او اكثر .. داخل الحرم الجامعي .. اتذكره جيدا لانه اوقفني وانا اخرج من القسم وسألني ان كنت طالبة هناك فرددت بـ(نعم) فظل يطرح اسئلة كثيرة عن طبيعة الدراسة عندنا ومستواها مدعيا .. ان الامر يخص اخته الصغرى .."

تلكأت بعض الشيء قبل ان تضيف وهي تبادل النظر للعيون المحدقة فيها

" لقد .. رأيته مرة اخرى .. ظهر اليوم عندما أتت زينب لتقلني بسيارتها من احدى مواقع العمل التي كنت ازورها لغرض مشروع التخرج .. كنت افتح باب السيارة للكرسي المجاور لزينب عندما رأيته يمر بنا يقود سيارة بيضاء .. نظر الي وجها لوجه وبدى للحظة بتعابير غريبة وكأنه مغتاظ ! ثم ابتسم بسماجة وزاد سرعة سيارته فجأة ليبتعد عن ناظري .. لم أعر الامر اهتماما تصورت ان رؤيته كانت صدفة وهو شخص غريب الاطوار فقط "

اغمض محمد عينيه وهو يهمس اسمها بخوف يقبض قلبه " فاطمة ..."



الفصل الثامن

" دعونا نهدأ قليلا .."

جملة بسيطة وحاسمة في نفس الوقت أطلقها آسر الغازي وهو يتحرك برشاقة وخفة وملامح وجهه مبهمة ليجلس بهدوء جوار اخيه شاهر ..

جملة كان لها تاثير مخدر جعل الصمت والتنبه يخيم على الجميع ..

بلال احنى وجهه قليلا ومسبحته في يده فأخذ يحرك خرزاتها برتابة وبحكم العادة بينما ذهنه متوقد تماما يحسب حساباته حول كل سمعه للتو..

شاهر عيناه لاتحيدان عن ابنه ماهر ينتظر منه مزيدا من التوضيح والادلاء برأيه ..

امسك ماهر بذراع زوجته صفية التي بدت مشدوهة من شدة الصدمة بينما عيناها تتسمران بهلع على أختها فاطمة ..

تلقائيا تحركت نادية لتقترب من زوجها فتميل بجذعها لتهمس في اذنه

" اظنني رأيته سابقا لكني لااريد اثارة فزع الاولاد .."

رفع عينيه لزوجته وبابتسامة صغيرة لاتعبر عن شيء قال بخفة وسيطرة مثيرة للاعجاب

" كنت اعرف .. لااخطأ في قراءتك ابدا"

ربّت آسر على ذراع كرسيه وهو يطلب من نادية الجلوس عليه بينما تتنقل عيناه بنظرات خاطفة سريعة على كل فرد في عائلته ...

اخته الصغيرة التي تحاول ان تستوعب تسارع الاقوال من حولها وابنة خالته نهى التي بدت بأشد التوتر وان كانت تخفيه بأناقة !

ظافر محني الرأس وحوراء تمسد فوق ظاهر كفه بينما وجهها شاحب بوضوح مقلق ..

ماهر يسند زوجته مدركا لمصدر هلعها الاكبر ... عائلتها الصغيرة ... وتحديدا اختها فاطمة التي تبادلها النظر بابتسامة مطمئنة رغم الارتباك الواضح في عينيها الخضراوين ..

مهدي بدى شديد التوتر وهو يناظر سلسلبيل بانفعال قلق مكتوم بينما تظهر سلسبيل تماسكا ولامبالاة شجاعة .. محنكة صغيرته وتجيد اخفاء انفعالاتها ..

توأم ال الناجي كل يهتم بفتاته على طريقته ..

محمد يكاد يغلي غضبا وتملكا منفلتا ..

يكاد يشعر به يوشك ان يفقد سيطرته الحديدية ليجر فاطمة من ذراعها يخفيها خلف هامته ، يقاتل بروحه ان استدعى الامر ليحميها من اي خطر محتمل ..

اما المتهور محمود فيبدو على غير طبيعته النزقة .. ليظهر هادئا متماسك الاعصاب وبنفس الوقت شديد التحفز ..

ابتسامة عفوية صغيرة وهو يرمق (بطته المقاتلة ذو الضفيرة) تمسك بذراع اخيها طه وتبدو عابسة ومتحفزة هي الاخرى ..

تكلم آسر اخيرا بنبرات واضحة ومعان محددة

" لدينا متطفل ! هذا افضل وصف له حاليا حتى نتبين الى اي مدى يجيد التطفل .. ما سنفعله حاليا اننا سنعيش حياتنا الطبيعية حتى نجمع المعلومات الكاملة .. وهذه مهمة ماهر بالتأكيد وخلال اربع وعشرين ساعة لاغير .. "

عيناه تثبتتا عند ابن اخيه ليهز ماهر رأسه موافقا بصمت..

ثم اخذت نظرات آسر تتنقل بينهم مرة اخرى وهو يرفع ذراعه ليضعها بتراخ فوق حجر نادية بينما يضيف بسلاسة

" لابأس ببعض الحذر الذي يجب ان يتوخاه الكل وربما سنحتاج لاضافة مزيد من الحراس الشخصيين .. "

عاود الالتفات ناحية ماهر ليقول بابتسامة مشاكسة تخفي كل يفكر فيه

" الآن .. شغل لنا على الشاشة التلفازية الكبيرة ذلك التسجيل الصغير لاخر مغامرات صغيرتي الجريئة .. أحب ان انظر للمتطفل بنظرة اكثر عمقا وتفحصا .."

تحرك ماهر لينفذ والكل يتأرجح بين استرخاء وتوتر بينما صوت الاطفال يصل اليهم وهم يلعبون بضوضائهم في الحديقة الخلفية الكبيرة ...

بعد ساعات ..

يحمل شاهر الصغير نائما على كتفه بينما يراقب حركات صفية المتوترة والشاردة في نفس الوقت ..

يراها كيف ترفع الكؤوس ثم تتركها تتسرب باستسلام من بين اصابعها لاصابع يد الخادمة..

تحركت الخادمة لتغادر مع اخر حمولتها من اثار الجلسة العائلية لهذه الليلة .. وقبل ان تغادر فعليا انحنى ماهر ليأمرها ببضعة تعليمات وبصوت خافت فتهز الخادمة رأسها بامتثال ثم تخرج من غرفة الصالة ..

ناداها اخيرا

" صفية ..."

التفتت نحوه تحدق فيه وكأنها تفاجأت بوجوده في نفس المكان معها ...



تقدم اكثر حتى اصبح على بعد بضعة سنتيمترات فيرفع كفه يحتوي وجهها وهو يقول بصوته المبحوح

" تعالي لترتاحي قليلا .. اليوم كان طويلا وشاقا عليك .."

اخذت انفاسها تتسارع وصدرها يعلو ويهبط لتقول بتجلد واعتراف ضمني

" كنت اظنك تبالغ ! نقمت عليك الى ابعد .. حد .. لانك احضرت .. الرسام .. وجعلت حوراء تقلق من اوهام وشكوك !.. لكن الان .. الان انا مصدومة .. انا مصدومة يا ماهر.. مصدومة ..."

عيناها تتوسعان اكثر واكثر مع تكرارها لكلمة (مصدومة)...

ابتسم بهدوء وابهامه يلامس خدها وهو يقول بسلاسة

" انت ليس لديك خبرة بأمور كهذه بينما هو صميم عملي منذ سنوات في مؤسسة ضخمة .. لذلك مؤكد من حقك ان تريني اثرت فزع حوراء وظافر دون مبرر كافٍ .. واعترف اني احيانا ابالغ في شكوكي حول مصادر الخطر .."

رفعت تلكما العينين المتوسعتين اليه لتهمس بهدير غاضب مباغت

" ماذا يريد من اختي ؟! لماذا فاطمة ؟! انها أرق من النسيم .. كما انها لاتنتمي لعائلة الغازي .."

عبس ماهر قليلا ليقول بنبرة قاطعة

" توته من عائلة الغازي يا صفية .. انا اراها هكذا وبالتالي اي متابع لعائلتنا سيراها كما اراها .. هي وزينب وطه جزء مني .. جزء من دماء الغوازي وان لم يحملوه في عروقهم .."

هدأ الهدير في داخلها فتشوب ملامحها الوهن وهي تتمتم

" انا مرهقة فعلا واحتاج ان انام لاستعيد تركيزي وطاقتي .."

تتسع ابتسامته ثم يميل ليقبل خدها وهو يقول بعذوبة

" طلبت من الخادمة ان تعد لنا غرفة والدتك ..سنبيت مع اخوتك الليلة .."

التمعت عيناها بالعشق المتفرد له ..

عشق متفرد كتفرد شخصيته فتهمس وهي تميل برأسها لكتفه الاخر تتوسده كما يتوسد شاهر الصغير كتف ابيه

" دوما تثير انبهاري بقدرتك هذه .. كيف تستطيع في لحظة ان تكونَ (انا) بينما تتصرف في نفس اللحظة كـ(أنت) ؟!!"

يضحك بخفوت وهو يحاوط خصرها بذراعه ملتزما الصمت ..



الظلام يكاد يسود حوله لولا الانارات الخافته بينما يسير الهوينا في طرقات الحي الراقي ..

بيت ماهر لايبعد الا بشارعين عن بيتهم لكن الطريق يبدو في الظلام أطول بشكل مقلق !

هل يقلق لانه ربما يرى نفسه بعيد عنها ..؟

انه لايستطيع انقاذها فيما تعرضت لمكروه؟

يضيق صدر محمد بحدس موجع ..

يشعر ان فاطمة في خطر ..

لايعرف كيف ولماذا ..

لكنه فقط يشعر بهذا ... وبقوة ...

بعد دقائق ..

في الجهة الاخرى من الشارع مقابلا لبيت ماهر حيث ظلمة تخفيه يستقر محمد بوجهته ليقف ساكنا وعيناه تنظران يسارا ناحية البيت الآخر الخاص بعائلة صفية ...

قلبه الليلة يسبق عقله باشواط فيشعر انه غير قادر على تهدئة دواخله ...

انه يريدها .. لايطيق ان تبقى بعيدة عن ناظريه بعد اليوم ...

لايطيق احساسه بالقيود التي تكبل اقترابه منها ..

انه يريدها .. يريدها ..

يريدها معشوقة امتلكت قلبه منذ مراهقته بتلك الرقة والنعومة الفطرية ..

بتلك الابتسامة التي تشع منها فتدغدغ القلب وتتملك الوجدان ...

يريدها كأمراة تخصه وحده ..

اجل يريد انوثتها ليمتلكها بين ذراعيه فلا يشبع منها ..

لقد استنزف تماما ولسنوات وهو يمنع نفسه حتى النظر اليها ...

يريد فاطمة وتوته معا ..

يريدهما كلتيهما .. يمتلك فاطمة بروحها المزدانة بقوة ناعمة وطيبة متأصلة تعكس عمق شخصيتها..

ويريد توته بدلعها الرقيق وجمالها العذب ..

يريدها ... و آه من عذابه فيها ...

آه ... والف آآآآآآآآآآه ...

الجنون يعبث في نبضات قلبه وما وقوفه هنا بعد منتصف الليل الا غيض من فيض ذلك الجنون ...

لم يحتمل وهو يفتح هاتفه النقال ليتصل بها .. كل ما حدث هذا المساء كان مربكا ومبعثرا لكل حواسه ..

" مرحبا .. فاطمة .."

يغمض عينيه بينما ينطق جملته تلك بهمس مبحوح تتأجج النيران في نبراته

فيأتيه صوت فاطمة الناعس مذهولا وهي تتمتم " محمد ! ماذا حصل ؟"

صوتها فعل به الاعاجيب ..! تشنجت كل عضله في جسده فيعجز للحظات عن الرد ..

يا الهي .. كيف يأخذها ؟!

الآن .. في التو واللحظة كيف يحصل عليها ؟

ماذا يفعل حتى يهدأ الليلة ؟

لقد اوشك ان يجن خلال سهرة العائلة ليكلم ماهر ويطلبها للزواج ..

لقد فتح فمه فعليا لينطقها عندما كانوا يوشكون على المغادرة نهاية السهرة لولا عيناه اللتان طرفتا للحظة ناحية أبيه الذي

ادرك بطريقة ما جنون ما ينوي الاقدام عليه ليهز والده رأسه بـ(لا) ...

عندها فقط استفاق من جنون اللحظة ليحني رأسه ويغادر على عجل ..

كل الاسباب المنطقية حول ظروف العائلة الجديدة والمقلقة لم تتشفع عند قلبه المنهار من وجد العشق ورغبة التملك ...

فلم يغمض له جفن وشاركته الاشواك الحارقة سريره تنغزه بضراوه وتحرقه في كل مكان ..

ليجد نفسه يهب من سريره ويرتدي ملابسه ثم يهيم على وجهه في الشوارع الهادئة حتى وصل اليها ..



" محمد .. اتوسل اليك أجبني .. لماذا تلتزم الصمت ؟!!! هل انت بخير ؟ هل الجميع بخير .."

نبرات الضعف في صوتها تثير رجولته لابعد حد .. تجعله يذوب امامها ...

همس اخيرا

" انا .. قلق جدا عليك .."

كان دورها في الصمت فيبتلع محمد ريقه بصعوبة قبل ان يضيف متسائلا

" اخبريني .. هل تذكرتِ المزيد عن .. ذاك الرجل ..؟"

عندها ردت بصوت خافت

" لا .. لم اتذكر ان كنت رأيته اكثر من من تلكما المرتين.."

يصمت وغليان مشاعره يشوش عليه فيأتيه صوتها أشد نعومة حتى ارتجف جسده بالكامل واذنه تلتقط ذبذبات نعومتها

" لاتقلق علي .. انا قوية بما فيه الكفاية.. لن يخيفني ولن يستطيع أذيتي .."

أفلتت منه الامور وهو يقول بهمس مجنون

" سأقتله ان حاول لمس شعرة منك .."

بدت مصدومة وهي تردد اسمه

" محمد .."

فيعلو هدير جنونه وتنعكس في نظرات عينيه دون ان يشعر وهو يقول بقسوة مفرطة

" انا جاد فاطمة .. اقسم سأقتله ان حاول.."

صوت انفاسه المتوحشة تتخللها ذبذبات رقة انفاسها المتسارعة عبر الهاتف فتقتله بالهمس الغامض الانثوي بفطرته

" ما دمت معي .. فلم يبق هناك .. ما اخشاه.."

للحظة لم يستوعب !

عضلة قلبه تتقلص بشكل عجائبي ..

هل سيموت الآن ؟!

" تصبح على خير محمد .."

كان كالابله وهو يرد عليها بشكل آلي

" تصبحين .. على خير .."

ما زال الهاتف على اذنه عندما انقطع الخط وساد الصمت ومرت لحظات وهو في نفس الحالة ..

ليدرك اخيرا وقفته المضحكة ..

ارخي ذراعه لتهبط الى جانبه والهاتف في راحة كفه ..

ما زالت عضلة قلبه تتقلص بوجع ...

لكنه وجع لذيذ...

عيناه شعتا باحساس لايوصف ..

رفع نظراته عاليا وابتسامة ترتعش بالعواطف الضارية تمر على شفتيه فيهمس بوعد ثائر مجنون

" انت لي معشوقتي .. لي وحدي.."

سيارة فارهة بلون كحلي خطفت قربه فتلفت نظره في سكون الليل ..

للحظة عبس وهو يلمح هيئة سريعة للسائق..

ذهنه ترجم ما رآه ...

فيتمتم وحاجباه ينعقدان بشدة

" هل اتوهم .. ام انه ... يشبه.. خالد ؟!"

صباح اليوم التالي

ابتسامة حالمة كمزاجها لاتفارق شفتيها.. ليلة الامس كانت ليلة احلام عاطفية لم تراودها حتى بمراهقتها .. !

يتورد وجهها وهي تتذكر بعضا من تلك الاحلام وهي .. بين ذراعي محمد ..

يا الهي .. هل حلمت انه .. يقبلها ؟!

تخضب وجهها بينما تسارع للنظر لساعتها تتمتم بلهاث دافئ توبخ نفسها

" ايتها العاطفية المجنونة توقفي عن سخافات المراهقات والا ستتأخرين عن المحاضرات .."

وقفت على قدميها وتلتقط باقي شطيرتها لتقضم منها بينما ترفع حقيبتها لتعلقها على كتفها ..

كانت تتوجه للباب الخارجي عندما دخل ماهر من باب المطبخ وهو يقول بابتسامة

" صباح الخير .."

لسبب طفولي توهج وجهها بمزيد من الاحمرار ! وكأن ماهر يستطيع قراءة افكارها ويرى صورا من احلامها المجنونة التي تستعيدها في عقلها الصغير منذ استيقظت في الصباح الباكر ..

ردت وعيناها تتوسعان ببراءة طفلة مذنبة

" صباح .. الخير .. ماهر .."

ارخي ماهر جفنيه بينما تتسع ابتسامته الغامضة وهو يتقدم بخطواته من جهاز اعداد القهوة ليبدأ بتحضير القهوة له وهو يسأل بخفة

" اين وجه العبوس ؟"

ترد بتسارع تخفي حرجها الداخلي

" لقد .. خرجت للعمل منذ ساعة .."

يحرك اصابعه على سطح الخزانة المرمري بينما يقول بهدوء

" عنيدة ! ستتعبني جدا حتى تطيعني في هذه الفترة .. لقد اخبرتها ان تنتظرني لنذهب سويا .."



قالت فاطمة ببشاشة

" لاتقلق كثيرا يا ماهر .. لااظن ان ذلك الرجل سيفعل المزيد من سخافاته.."

التفت ماهر نحوها يحدق فيها وهو يفكر في سره ان فاطمة متفائلة دوما .. انه امر جيد لكن يقلل من اهمية الحذر الواجب ..

سألها بلطف وهو يراها مستعدة للمغادرة

" هل ستذهبين بسيارتك ؟"

فترد وهي تهز برأسها ايجابا

" نعم ..سآخذ سيارتي .. اليوم ليس لدي الا محاضرات في الجامعة ولن أخرج لأي موقع ميداني .. "

التفت ماهر لقهوته ليصبها في القدح وهو يقول باسلوب سلس

" جيد .. لكن .. توخي الحذر ولا تبقي بمفردك في اي مكان .."

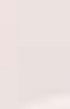
تمتمت فاطمة وهي تفتح الباب

" حاضر .. ولاتقلق .."

غادرت فاطمة بينما يرتشف ماهر قهوته ببطء ..

ذهنه صاف تماما الان ..

يحتاج لمعلومات محددة عن ذاك الطبيب حتى يخرج بنتيجة نهائية وعلى اساسها .. سيتصرف ...



بيت آسر الغازي

غرفة الانطلاق

وسط ضجيج مرح دخلت حوراء تتبعها الخادمة بصينية افطار كبيرة فتضعها على الارض كما طلبت منها حوراء بينما تخفي الخادمة ضحكاتها من المنظر امامها ...

غادرت الخادمة وحوراء ببطنها الكبيرة نسبيا تقف ضاحكة وهي تشاهد مصارعة الوحوش امامها !

ظافر يصارع ولديه اللذين يلهثان من التعب ويأبيان الاستسلام لوالدهما ..

تناديهم بالقول

" كفوا عن العبث وتعالوا لنفطر معا .."

فلا تحصل الا على صيحة ذكورية حماسية من فارس وهو يهاجم والده ليتلقى والده الهجوم ببساطة ويلف ذراعه حول وسط ابنه ثم يقلبه على ظهره ارضا..

في نفس اللحظة يطلق غازي صوتا جهوريا وهو يهاجم اباه ليكون نصيبه كنصيب اخيه .. ملقاً على ارضية الغرفة والثلاث غارقين في الضحك اللاهث ..

يستلقي ظافر جوارهما منهكا بينما تتقدم حوراء لتقف قربهم ..

يناظرها ظافر بعينين لامعتين ويمد كفه نحوها .. تستند اليه لتجلس على الارضية وهي تمد ساقيها امامها وتستند بكفيها للخلف ..

كف ظافر تمتد لظهرها تدلكه ثم يشاغب بحركات من نوع اخر وهو يلامس خصرها ويهمس غامزا

" هل استطيع تناولك كأفطار ؟"

تضحك حوراء بينما يتحفز الولدان ليهبا على قدميهما ويهاجمان والدهما المستلقي بضراوة دفاعا عن امهما التي توشك ان تتعرض للالتهام ..

هدأ الجميع وتحرك الولدان لصينية الطعام وهما يتضوران جوعا ..

ما زال ظافر على استلقائه وعيناه لاتفارقان وجه حوراء ..

مدت كفها تلامس وجهه فيلثم راحة كفها بفمه فتهمس له بخفوت

" انا سعيدة انك قررت اليوم ان لاتذهب للعمل .. لم تنم جيدا ليلة الامس .."

ما زال يلثم كفها وهو يرد عليها

" ازعجت نومك اليس كذلك ؟ وانت لاتنامين براحة بسبب الحمل لاثقل عليك انا بتشبثي بك .."

رفع نظراته لها ليضيف بنبرة مبحوحة

" سامحيني .. لم استطع الا احتضانك طيلة الليل .. الامر خارج عن ارادتي.."

تبتسم له بتفهم وهي تقول

" لابأس .. المهم انك تشعر افضل الآن .."

يتطلع قليلا للولدين ثم يعاود النظر نحوها وهو يقول بنبرة خافته

" امي لم يعجبها اني ابقيت الولدين في البيت ففاتهما يوم مدرسي .."

ردت حوراء وهي تناظر ولديها المستغرقين في تناول طعامهما بفوضوية

" لاتريدك ان تستغرق بالخوف علينا بسبب حكاية ذاك الطبيب .. لكني أفهم حاجتك للبقاء معا اليوم بل وسعيدة .."

سكنت ملامح ظافر واسبل اهدابه بصمت..

قالت حوراء بجدية وهي تميل بصعوبة نحوه " اياك ان تشعر بالذنب لانك ضربت الطبيب ذلك اليوم قبل سنوات .. انت اذكى من ان تعتقد انك السبب في تطفله الان حولنا.."

رد ظافر دون ان يرفع اجفانه

" قد لااكون السبب الرئيسي لكن مؤكد فقداني لاعصابي كان احد الاسباب .."



مالت حوراء اكثر بجذعها وهي تعاني من حملها لكنها أصرت ان تصل بشفتيها لخده ثم تهمس لاذنه بشقاوة

" لو لم تضربه لوقاحته معي كنت سأخاصمك.."

تشهق بمفاجأة وهي يسحبها اليه لتستلقي جواره ورأسها على كتفه .. ترفع عينيها لوجهه وهي تعبس قليلا لابتسامته الشقية الموحية فتحذره همسا

" اياك ان تفعل شيئا .. لاتبدأ بحركاتك الجريئة امام الولدين "

يلامس ذقنها بين اصبعيه ويقول بصوت أجش

" انها غرفة الانطلاق مولاتي .. قبلتنا الاولى العاصفة كانت هنا .. ام هل نسيتِ ذلك الفستان الاحمر الذي اوشكت ان امزقه عليك .."

وضعت يدها على فمه بشهقة استهجان بينما عيناها ترتفعان قليلا لتتأكدا من انشغال الولدين عن هذا (الحوار الساخن)..

يضحك ظافر من قلبه بينما يشدد من احتضانها رغما عن مقاومتها الممتعة له..

ظهرا ... الجامعة ...

مباشرة حال خروجها من بوابة الجامعة الكبرى وجدته امامه بقامتها الطويلة وكتفيه العريضين اللذين تكادان تسدان عين الشمس ...

لم تبتسم لابتسامته وابقت تعابير وجهها متحفظة بينما يلقي السلام بخفة

" مرحبا .."

لم تنطق بشيء وهي تنظر باستفهام صامت عن سبب وجوده هنا فيرفع كفيه للاعلى بحركة تدعي البراءة الشقية وهو يقول لها

" لاتنظري الي بعجب هكذا .. انا مجرد مرسال .."

تمتمت فاطمة بتوجس " مرسال ؟"

رد بملامح بشوشة لم ترها سابقا

" عمتي تدعوك للغداء .."

قرعت اجراس الخطر داخلها وكانه سمع صدى رنين تلك الاجراس فيقول بنفس الملامح والنبرة " وقبل ان تفترضي شيئا هي لاتحاول الجمع بيننا او اي شيء من هذا القبيل .. ببساطة هي تشعر بالفرح انها لم تعد وحيدة بما اني عدت لاستقر هنا ، وتريد ان تعيد لبيتها بعض البهجة وتبدأ بدعوة كل من كانت تعرفهم سابقا ..."

ثم يغمزها مضيفا " حسن .. اعترف ربما ابتداؤها بك لان لديها بعض الامل .."

اخذت فاطمة نفسا عميقا قبل ان تقول بنبرة جدية " خالد انا ..."

سارع خالد ليقاطعها بالتساؤل الذي يحمل ملامة رقيقة

" لماذا لانتعامل كاصدقاء .. كمعارف..؟"

احتاجت بعض الوقت لتفكر في صياغة الكلمات المحددة لتعطي المعنى المطلوب ودون ان تحرجه ..

وقبل ان تتكلم قال هو وبنبرة جدية هذه المرة وان لم تخلُ من العاطفة

" اتمنى ان تمنحيني الفرصة لاعوض تصرفاتي الحمقاء معك في السابق..وربما عمتي شعرت ايضا اني احتاج لهذا لابدأ صفحة جديدة .."

عندها ردت فاطمة ببعض التلكؤ

" خالد .. الامر ليس مناسبا .. انت تعرف ان هذا غير لائق ولا صفة مقبولة احملها لاذهب لألبي دعوة عمتك .."

ارتعشت ابتسامة باهتة على فمه قبل ان يقول بنظرات مبهمة

" حتى لو اخبرتك اني مستعد ان لااحضر الدعوة؟"

فتساءلت فاطمة وهي تشعر بالدهشة حقا

" اذن لماذا ؟"

أسبل اهدابه ليقول بصوت أجش

" لاني اريد ان اشعر انك سامحتني

وزيارتك لعمتي تعني الكثير لي .. انا حقا مشفق عليها .. لانها تبدو كئيبة جدا بعد وفاة والديّ وانت تعرفين ان لا عائلة لها غيري منذ وفاة زوجها ثم ولدها .."

رددت فاطمة بتعاطف واعتذار في نفس الوقت

" حقا .. انا اسفة .. لكن .. لااستطيع..

وصدقني انا نسيت الماضي بكل ما فيه "

رفع نظراته اليها وان بدت غير ثابته بعض الشيء لكنه قال بصوت خافت

" لابأس .. لن اضغط عليك .."

ثم استعاد حيويته وبشاشته (الجديدة عليها) ليقول

" بالمناسبة انا اسكن حاليا مع عمتي

فبيت والديّ يحتاج للكثير حتى يصبح صالحا للسكن .. البارحة مررت به مساء وكان شديد الكآبة .."

ارتاحت اخيرا انه تكلم في موضوع اخر

فردت بابتسامة لطيفة مجاملة

" انصحك ان تمر به صباحا فالليل والظلام لبيت غير مسكون منذ سنوات يوحي بالكآبة دون سبب حقيقي .."

تحرك خطوة ليبتعد وهو يقول

" سأعمل بنصيحتك .. ربما غدا او بعد غد .. فأنا مشغول جدا بافتتاح مكتبي الجديد .. الى اللقاء .."

لوح لها بيده مودعا ثم يوليها ظهره وهي تقول له بارتياح اكبر

" وفقك اللّه .."

سارت بخطواتها المتمهلة حتى وصلت سيارتها لتركبها وتنطلق عائدة للبيت..

اخر النهار في مكتب شاهر الغازي

يجلس اسر جوار اخيه على اريكة جلدية وماهر يقف امامهما وهو يتكلم بتتابع بينما والده وعمه ينصتان بتركيز عال

" رائد عبد القادر .. كان يعمل كطبيب تخدير في مستشفى (...) التي ولد به غازي قبل ثلاث سنوات وبضعة اشهر .. وبتلك الفترة تم لفت نظره اكثر من مرة لسوء تعامله مع بعض المرضى ثم خُصِم جزء من راتبه وهو ما اعتبره تحيزا وتملقا من ادارة المستشفى للعائلات الثرية وخاصة عائلة الغازي وهذا كان على مسامع الجميع هناك

.. بعدها وبأكثر من عامين اكتشفت المستشفى انه يبيع ادوية مخدرة بشكل غير شرعي وبالتواطئ مع بعض العاملين في مذخر الادوية .. وانه ايضا كان لديه سلوكا غير نزيه مع بضعة نساء من الممرضات والنزيلات في المستشفى.. ادارة المستشفى حرصا على سمعتها اكتفت بالتحقيق الداخلي ثم طرده لاساءته لقدسية المهنة وحرصت على تسريب ما حصل لباقي المستشفيات لتمنع توظيفه و دون ابلاغ رسمي للشرطة خاصة انه لم يترك دليلا قويا يستندون اليه .. لهذا هو منذ ثمانية أشهر هو بلا عمل رسمي ويعمل كممرض غير مرخص يعطي الحقن للمرضى في شقته التي يقطنها في حي مشبوه لكن كل الدلائل تشير انه في الواقع يستخدم هذه الواجهة كمصدر للتربح بتسويق الادوية المخدرة وبيعها للمدمنين وايضا يشتبه باجرائه عمليات اجهاض غير شرعي .."

اتكأ ماهر على حافة مكتب ابيه بينما يواصل سرده المسهب للمعلومات

" لايخفي كرهه للاغنياء والذي يركزه بشكل خاص اقرب للهوس على عائلة الغازي فلا يكف عن ذمهم وألصاق التهم غير الاخلاقية بهم سواء على الصعيد الشخصي او على صعيد العمل في المؤسسة.."

سأل آسر بهدوء شديد

" ما تسلسل تحركه الفعلي نحو العائلة..؟"

رد ماهر وعيناه تلمعان بقسوة تلقائية

" تحركاته المريبة حول العائلة لااستطيع ان اعرف متى ابتدأت بالضبط .. مؤكد هو اجرى مراقبة عامة اولا وبطريقة ما تركيزه استهدف النساء .. ربما لانه جبان ويخشى مواجهة الرجال او ربما ببساطة لان معظمنا رآه واقصد انا وظافر ومهدي وقد نميز شكله فيخشى كشف نفسه وهذا قد يفسر ايضا لماذا لم يقترب من حوراء لانها سبق ورأته هي الاخرى في المستشفى .. تحركاته المريبة يشوبها بعض السذاجة وقلة الاحتراس مما يكشف قلة خبرته بهذه الامور .. اول تحرك كان ناحية فاطمة يبغي التعرف عليها بشكل واضح وبخدعة مستهلكة اشبه برجل يريد التودد لفتاة ، ربما كان يخطط لاغواء فاطمة نظرا لصغر سنها .. ثم تحرك ناحية العمل في مكتب صفية باوراق مزورة وحالما تعرفت عليه حوراء انسحب واختفى ويبدو انه في وقت عمله مع صفية تجرأ بغباء على اللحاق بسلسبيل يبغي اغواءها هي الاخرى وباسلوب صلف شبه مباشر ووقح .. واخيرا ملاحقة جديدة لفاطمة عندما رأته في المرة الثانية .. هذا ملخص سريع وغير دقيق تماما لما توصلت اليه بعد سهرة

الامس وربطها بما جمعته من معلومات حتى الان .. وحاليا الدكتور رائد مختفي تماما منذ البارحة ولا احد يعلم اين هو ومتى سيعود لشقته العفنة .. لكني سأواصل البحث عنه والتحري اكثر عن تحركاته نحونا "

انامل آسر تطرق بتتابع هادئ على ركبته بينما يقول بملامح صلبة ساخرة بعض الشيء

" هناك أمر اخر لم تعرفه بالامس ايها الفتى الذهبي .. قبل اسابيع قليلة لمحته نادية خارج المشغل يتكلم مع احدى العاملات المتهربة خلال ساعات العمل وبديا منسجمين عاطفيا .. وهو انسحب سريعا

حالما اقتربت منهما نادية واكتفت مصلحتي الاجتماعية بتوبيخ الفتاة وتحذيرها من مغبة افعال كهذه خاصة والفتاة اقرب لمراهقة .."

ضيّق ماهر عينيه وهو يقول بتفكير

" انه حقا يتابع النساء باهتمام خاص .. ما الذي يبغيه ؟ ان ينتقم منا بأذية احداهن ؟ هل يدرس الاحتمالات ليخطط كيف يستدرج احداهن ويختطفها مثلا ؟ "

عندها نطق شاهر وبتشكك واضح وحيرة قلقة " الصورة فيها خطأ ما .."

سأل ماهر بتنبه

" ماذا تقصد أبي ؟"



أطرق شاهر قليلا وهو يعقد حاجبيه قبل ان يقول معبرا عن بعض افكاره

" هناك امر ما لااستطيع تحديده .. لكن اشعر بوجود خطأ في نظرتنا للامور .."

عندها سأل آسر

" ماذا عن المرأة التي اتصلت بحوراء و أخبرتها عن موضوع الصفقة واحتمالية تأخر ظافر في سفره؟"

رد ماهر " ما زلت ابحث لاتأكد عماه .. لكن قد يكون الامر حدث مصادفة في هذه الفترة وقد لايتعد ان يكون مجرد (انتقامي نسائي) كتلك السكرتيرة التي طردها ظافر قبل فترة فربما لديها صديقة داخل المؤسسة تؤازرها وتنقل لها اخبار ظافر .."

ما زال شاهر مطرقا يفكر وآسر يراقب اخيه باهتمام كبير وكأنه ينتظر منه ان يضع قطعته الخاصة ليكمل الاحجية ..

لكن شاهر لم يضف المزيد ..

اخيرا وقف ماهر على قدميه ليقول

" الحراسة وضعتها للجميع حتى نمسك بذاك المدعو رائد ومنذ الغد كل فرد من عائلة الغازي والناجي سيكون تحت مراقبة غير مرئية نوعا ما حتى لاانتبه رائد اننا اكتشفناه .."

في مرآب مؤسسة الغازي – الناجي

كان يوما مرهقا لابعد حد ...

لم تبالي بنظرات العاملين في المؤسسة وهم يحدقون بصدمة سخيفة في ضفيرتها الطويلة ولم تهتم لمناغشات عمها آسر وهو يناديها (بطتي ذات الضفيرة) لكنها ابدا لم تستطع تجاهل محمود الذي يبدو وكأنه مستعد دوما لانتظارها كلما غادرت مكتب آسر الغازي لاجل عمل خارجي يكلفها به فتراه دوما في وجهها ونظراته تلاحق حتى صعود ونزول انفاسها فضاقت في صدرها تلك الانفاس !

تمتمت بغضب وهي تصعد لسيارتها

" الغبي الذي يرفض ان يفهم .."

كانت تضع حزام الامان عندما كتمت شهقة المفاجأة بينما (الغبي) يفتح باب المقعد المجاور ليصعد جالسا جوارها وهو يبتسم باغاظة في وجهها ..

اللعنة على هذا القلب الفاضح بنبضاته المجنونة ..

عقدت حاجبيها لتسأل ببرود

" ماذا تفعل هنا ؟"

ارتخى بظهره للخلف وهو يعيد الكرسي بضع درجات بميلان زائد بينما يقول مدعيا الجدية

" اتمنى ان تكون قيادتك سلسلة .."

زجرته بالقول " انزل محمود .."

عبس قليلا وهو يوبخها باستفزاز

" اخفضي صوتك لو سمحت لدي صداع لم أنم ليلة الامس بشكل جيد .."

ارادت ان تستفزه هي الاخرى فسألت بسخرية " ولماذا لم تنم جيدا ؟! لاتقل بسبب خوفك من (البعبع) ؟"

أمال رأسه يبتسم بحرارة وغمازاته تشق خديه بينما يرد بنظرات شقية تركزت على ضفيرتها السارحة على كتفها

" بل بسبب هذه الضفيرة ... اولا .."

ثم يرفع نظراته لعينيها يمعن النظر وهو يضيف بنفس الشقاوة وان لم تخلُ من غيظه الشخصي

" ثم خروج مريب غير متزن لاخي المتزن ليعود بعد منتصف الليل بوجه غريب ..."

باهتمام عفوي سألت زينب

" ما به محمد ؟"

رد بسؤال مشاغب يفيض بمعان خفية

" لو اخبرتك اسراره هل ستخبريني اسرارك ؟"

ثم يتوسلها برقة وصبيانية جذابة تليق به

" فقط سر واحد .. ما سر غضبك الشديد كلما تكلمت عن شعرك ؟ وما سر تغيير العقدة الكريهة لضفيرة طويلة ؟"

ردت بحنق منفلت

" هذان سران يا غبـ..."

قطعت الكلمة وهي تعض شفتها السفلى فتتعلق عيناه على تلك الشفتين وهو يهمس بجذل

" سعيد ان تراعي مشاعري فلا تنطقي الشتيمة.."

اشاحت بوجهها بعيدا عنه لتقول بنبرة هادئة تفيض شجنا

" انها ليست .. شتيمة .. لكن فقط .. لم نعد صغيرين ليفلت بها لساني امامك.."

ينظر لجانب وجهها الذي بات يقرؤه بوضوح اكبر ..

الاعتراف بمشاعره نحو زينب وتحديد رغبته بالحصول عليها فتح امامه ابوابا عديدة كانت مغلقة مستعصية في عقله الذي يبدو انه كان متحجرا لسنوات ..

استكشاف زينب عاطفيا رحلة مذهلة تأسره وتعذبه وتزيد من هيامه فيها ..

تريد المقاومة والابتعاد في هذه اللحظة..

لذلك لم يضغط عليها عاطفيا اكثر خاصة وهو مصر على مرافقتها هذا المساء فيسأل بتذمر فكاهي

" هل سنبيت ليلتنا هنا ؟"

أمرته زينب بهدوء

" ترجل من السيارة لاعود لبيتي .."

رد وهو يمد ذراعه ليسحب حزام الامان

" لقد طلب مني ماهر ان اعود معك لاحميك من (البعبع) .."

بتحفز خفي واتهام واضح قالت

" (البعبع) لايخيفني واتمنى فقط ان يحاول الاقتراب مني ليرى .. اما انت فكذاب

بشكل فاضح .. فلو شاء ماهر لعاد معي هو بنفسه لا ان يطلبها منك.."

رد ببساطة وهو يبتسم في وجهها ببراءة

" لكنه مشغول وسيبقى لساعات اخر في المؤسسة لذلك طلب مني وبكل لطف .. مرافقتك .."

تأففت بصوت عال وهي تنطق اسمه بغيظ فتمد اسمه عفويا

" محموووووووووود ..."

حالما نطقتها سمعت صوت حزامه يفك مرة اخرى وفي لحظة كان يميل نحوها مقتربا جدا منها ..

لهثت وهي تنظر في عينيه المشتعلتين بعاطفة تريد التحرر بينما يهمس بحشرجة

" آآآآخ من وعدي لك ..."

حاولت استجماع شجاعتها ورباطة جأشها فترفع يدا مرتعشة تدفعه في صدره باضطراب وهي تقول بتهديد واهن تحاول قمع (وهنه) بشجاعة ملفته

" عد.. لكرسيك والا اقسم بالله ستنال .. مني ما لايسرك .."

رغم الشجاعة الملفته لكن .. وهنها هذا لايحبه !

انه ليس وهن عاطفي لانثى لذيذة تثير مشاعره كرجل ..

بل وهن حزين يجعل شخصيتها النارية تبهت وتتراجع وتنمحي ملامحها الثائرة التي يحبها..

وهنها هذا يجعله يشعر برغبة عارمة في طمأنتها .. في تدليلها كطفلة حتى يزول توترها وتضحك بانطلاق ..

يوما ما عندما تصبح له .. سيجعلها تصرخ حنقا ثائرا تطالب بتدليله لها ..

ابتسم بحلاوة بينما يتراجع في كرسيه ليعيد ربط حزامه وهو يقول باغاظة رقيقة

" اذن دعينا نبدأ الرحلة ما دمتِ متعجلة..."

في نفس الوقت في مكان آخر ....

فتحت باب شقتها بتوجس بينما تنظر اليه بخوف داخلي مهول ..

كيف ستخبره ؟ كيف ؟

دون ان ينظر اليها او حتى يلقي التحية دخل بخطوات نزقة لتطل من عينيه مباشرة نظرات الاشمئزاز وهو يشم روائح الشقة غير المستساغة ..

تمتم بقسوة

" ألن تتعلمي بعض النظافة من عشرة الاثرياء ؟! الا يكفي هذا الاثاث البالي القبيح لتضيفي عليه قذراتك .."

احساس المهانة بات رفيقها الذي اعتادت عليه .. هي من اختارت المهانة عندما رخصت نفسها ومنحت جسدها بغباء لرجل لايستحق فبات لزاما عليها ان تسير معه في الطريق الذي يحدده فلم يعد لها طريق آخر ولا ملجأ تعول عليه وقد طردتها امها من البيت بينما اخاها يتوعدها بالقتل ...

جلس على احد كراسي مائدة الطعام ليأمرها وكأنها جاريته

" احضري الطعام انا جائع ..."

هرولت بخطوات متعثرة وقلبها ينبض في صدرها خوفا ورعبا ..

وضعت له صحنين من الطعام ووقفت جواره تعتصر يديها بقلق وترقب ..

تأمل ان يتحسن مزاجه فتصارحه بما حدث رغما عنها ..

أجفلت وتراجعت خطوة للخلف وهو يدفع الصحنين بعنف ليقعا ارضا وتتبعثر محتوياتهما من الطعام ثم يصرخ فيها

" ايتها الغبية .. هذا مالح جدا .."

ترتعد في داخلها لكنها تتحامل على نفسها لتقترب منه ثم ترفع يدا مرتعشة لتلامس كتفه تحاول امتصاص نقمته وربما حتى اغوائه ليهدأ .. قالت برقة انثوية وتدلل تدربت عليه بحكم الحاجة ...

" لماذا تعاملني بهذه القسوة اليوم ؟"

رفع نظراته اليها وهي تقف جواره ليقول بابتسامة قبيحة

" لانك غبية وفاشلة .. وكاذبة.."

ابتلعت الاهانة وتواصل ملامستها لكتفه وقد بدأت تستشعر ارتخاء عضلاته فتقول بتلك النعومة التي تستهلك طاقتها

" انا لم أكذب.. عليك .. لقد حاولت .. اقسم لك انا حاولت .. لاحقته كثيرا وحاولت اغوائه لكنه .."

قاطعها بنفس الابتسامة والنبرة المهينة

" لكنك لم تعجبيه كفاية .."

ابتلعت ريقها وعيناها تتلبدان بالدموع فلم تعرف ما تقول ليضيف وهو ينظر اليها بتذمر حاقد

" حظي تعس ! لو كنت املك امرأة فاتنة كفاية وراقية بمستوى مرغوب لكنت حققت مرادي .."

رغما عنها تساقطت دموعها مدرارا على خديها وهي تشعر بانهاك مفاجئ !

لم تفتأ تتساءل .. ماذا ينتظرها بعد في هذه الحياة التعسة التي انغرزت فيها قدماها في وحل قذر ؟!

فجأة ترققت ملامحه واتسعت ابتسامته التي كانت تراها يوما جذابة ليرفع يده ويمسك بكفها التي ما زالت تلامس كتفه بشرود فيرفع كفها الصغير لفمه وبدلا من ان يلثمها عض راحتها بقسوة وهو يناظرها بنفس الابتسامة ..

تأوهت ما بين ألم و اثارة و ..بعض الراحة..!

اذن سيعاشرها .. وستجيد عندها اخباره انها فقدت وظيفتها التي سعى بنفسه لتحصيلها لها ..

وظيفة كانت تعرف انها لن تستمر فيها طويلا .. ليس بسبب خططه الغامضة المريبة فحسب وانما لانها كانت فوق قدراتها بكثير وقد زوّر لها اوراقا لاتحصى ليثبت العكس ..

شهقت وهو يسحبها بعنف من خصرها الصغير لتشتعل بينهما رغبة جسدية وفي ثوان كان يدفعها بقسوة فتسقط على الارضية الخشنة وتتأوه ألما ، وبينما ينزل اليها بجسده وملامح وجهه اقرب للشيطانية قال لها بصوت كالفحيح

" ايتها الكاذبة .. منذ يومين فقدتِ وظيفتك ولم تخبريني .. لكن لابأس .. كنت أتوقع الامر .. الآن .. دعينا نلهو بطريقتي لنعوض بعض الخسارة ..."

وفعل .. وكان لهوا قاسيا .. قاسيا جدا على جسدها الضعيف الذي يئن من شدة الوجع فتعض شفتيها تكتم الشكوى ..

المهم انه علم بالامر وانتهى ..

وسيعاقبها بطريقته التي تمتعه ..

فليفعل ما يشاء ...

الفصل التاسع

بعد ثلث ساعة كانت زينب تركن السيارة على جانب الطريق وبوابة بيت بلال الناجي تبعد بضعة امتار فتقول بنزق وهي تمسح على جبينها

" ها قد وصلنا ..انزل لو سمحت انا متعبة واريد العودة للبيت .."

نظر اليها جانبا وهو يقول ببساطة

" خذينا لبيتك وانا سأعود لبيتي مشيا على الاقدام .."

زمجرت بصوت عال وهي تلتفت اليه وتقول من بين اسنانها

" قلت لك انزل والا سأخرجك من سيارتي ركلاً ..."

كتم ضحكته بينما يميل قليلا نحوها يناغشها بالقول " هل كان صعبا جدا مرافقتي ؟ انا حقا سهل المعشر وممتع ..."

حدجته بنظرة نارية فيضيف وعيناه تتمليان من وجهها

" صحيح كان الصمت مريعا بيننا طوال الرحلة لكني كنت مستمتعا بشكل لايمكنني حتى وصفه .."





تكز على اسنانها وهي تسأله بقلة صبر

" وما متعتي انا يا خفيف الدم ؟!"

تمتم بثقة وهو يبتسم باغاظة

" ان أكون قربك .."

اوشكت حقا ان تصفعه !

رأى هذا واضحا في عينيها .. ولسبب ما يثيره اكثر انها لم تفعل !

بل اكتفت بالقول الناري

" يا الهي .. كيف تطيق نفسك وانت بهذا الغرور ؟!! .."

ثم اشارت بسبابتها المرتعشة رغما عنها وهي تأمره

" انزل محمود ..."

في هذه العزلة .. والانارة الخافتة ..

لايجد نفسه مستعدا حقا لاطلاق سراحها ..

لايجد لديه القدرة على منحها سكينة الابتعاد عنه ..

انها تقاومه باسلوب جديد أشد فتكا من اسلوب الهروب منه ..

انها تقاومه بمواجهته ..!

يكاد يشعر بخلاياها تتصارع ..

تريده و... لا تريده ...

لكنه يريدها و ... يريدها ..

اقترب منها وهو يفك مربط حزامه بينما يقول بهمس حار

" قولي كلمة واحدة ترضيني وسانزل في الحال .."

تراجعت للخلف حتى ارتطم ظهرها بالباب بينما تحذره بهياج عاطفي باغتها كما باغته ..

" اياك ان تقترب اكثر .. لاتختبر صبري ووعودا قطعتها على نفسي فلا اريد ان اخلفها .."

ما زالت تتصارع ..بين انجذاب ونفور ..

وهو صريع هواها .. قتيل عشقها ..

يا الهي .. هل هناك أروع من الشعور بالتحرر؟

ان تقول بعلو صوتك (انا عااااااااااااااشق)؟

همس وكأنه يتوسل وصالها

" اية وعود .. ؟ ها ؟ اية وعود ؟ اخبريني بوعد واحد يخصني وسأفتح الباب في الحال واتركك مع سيارتك الاعجوبة هذه .."

صدرها يعلو ويهبط ..

هو يعلم انها قادرة على طرده الان ..

وهي ايضا تعلم ..

ومجددا انها لاتفعل ..!

اخيرا ردت وانفاسها تهدر مع كلماتها الموجعة المتوجعة

" وعد ان اجعلك تبتعد عني دون خسائر لكلا الطرفين .."

لم يشعر الا بيديه تحيطان بساعديها تنغرز اصابعه فيهما يقربها منه ويهزها هزا بينما تقاومه وهي تهدر

" آآه محمود ! ابتعد عني يا مجنون "

ظل يهزها ليسحبها فجأة اليه يكاد يحتضنها لصدره ويقاوم ان يفعل ..

لكنه لم يستطع منع نفسه من القول بشراسة

" وعد مني يا وجه العبوس اني لن اخسر ابدا ما اريد ..."

تتسع عيناها بهلع من نوع ما بينما يعاود هزها وهو يقول بتأكيد يشتعل في عينيه

" وانا .. اريدك... انت ... هل تسمعين ؟ هل تشعرين ؟ انا .. اريدك .. انت ..."

فاقدة للقدرة حتى على الرمش بعينيها وهي تحدق فيه بصدمة ...

فجأة دفعها وهو يفلتها بنفس الوقت وخلال لحظة كان يخرج بعنف من سيارتها وهو يأمرها بحدة

" اذهبي ..."

آخر الليل ..

بيت بلال الناجي

نظر محمود مباشرة في ساعة يده في دلالة واضحة حالما دخل توأمه محمد جناحهما..

لم تطرف عينا محمد ناحية اخيه الجالس على الاريكة بتحفز ليلقي السلام عليه بهدوء ثم يتوجه ناحية المطبخ يعد لنفسه كوبا من الشاي ..

سأله محمود بحاجبين معقودين وهو يكتف ذراعيه على صدره

" هلا اخبرتني اين كنت حتى هذه الساعة؟"

يرد محمد دون ان يتطلع اليه

" اتمشى في انحاء الحي .. الجو رائع.."

كز محمود على اسنانه فيقلد صوت اخيه ساخرا وهو يقول

" الجو رائع ..."

ثم يقف على قدميه ويواجه محمد بالقول المغتاظ " منذ متى تخفي عني ما يجول في داخلك ؟! ماذا يحصل معك ؟ قل لي .. صارحني .. البارحة خرجت في حال لتعود في حال غريب .. واليوم تغيب حتى عن المزرعة فيتصلون بي ليسألوا عنك بينما تغلق هاتفك ثم تعود مساء بحالك هذا الذي يستعصي علي تماما فهمه .."

بالهدوء ذاته الذي يخفي عواصف مجنونة استدار محمد ناحية حوض الصحون فيغسل كوبه ويضعه جانبا ثم يتحرك بخطى ثابته مغادرا المطبخ ومتوجها ناحية غرفته متجاهلا النظر لاخيه وهو يقول له

" تصبح على خير .."

زفر محمود بقوة بينما يدخل محمد الغرفة ويغلق الباب خلفه ..

هدأت ثورة محمود ليبدأ شعور بقلق حقيقي يكتنفه ..

الامر هذه المرة مختلف .. ومحمد يبدو ليس بخير على الاطلاق ..

استلقى محمد على سريره فاردا ذراعيه جانبا ومغمضا عينيه ..

تمتم بصوت خافت وكأنه يهمس لنفسه

" يجب ان اتماسك واهدأ .. يجب ان امنحها الفرصة ولا اتعجل الحكم .. "

انعصرت اصابع كفيه على غطاء السرير بينما يتذكر ما حصل هذا اليوم ..

كان قد قرر ان يلحق بها صباحا وهي ذاهبة للجامعة ثم ظهرا وهي تغادر عائدة للبيت ..

الشعور انها في خطر كان (ومازال) يسيطر عليه ..

اطمأن لدخولها الحرم الجامعي ليغادر بسيارته هو الاخر مرتاحا انها لم تشعر بملاحقته اياها ...

لكن .. بدلا في ذهابه للمزرعة وجد نفسه يعود مجددا للحي الذي يقطنه ..

اشتباهه برؤية خالد ليلة الامس جعل الوساوس تسيطر عليه لذلك توجه لبيت عائلة خالد المهجور منذ وفاة والديه وعندما لم يجد احدا هناك والبيت ما زال على نفس الحال ارتاح قليلا وان لم تهدأ وساوسه ..

قضى النهار يحاول السؤال هنا وهناك لكنه لم يصل لشيء ..

اراد الذهاب لبيت عمة خالد الوحيدة لكنه شعر انه فعل طفولي ان يزور المرأة دون معرفة حقيقية فقط ليسألها عن ابن اختها ..

وهكذا ذهب متأخرا لعمله في المزرعة ليقضي هناك ساعة لااكثر قبل ان يخرج ليلحق موعد مغادرة فاطمة ..

ويا ليته حقا .. لم يفعل !

تجمدت حواس محمد وتصلب جسده بالكامل لمجرد الذكرى ..

ذكرى رؤيته لفاطمة وهي تقف مع خالد تتكلم معه ..



لايعرف اي قوة جبارة امتلك ليمنع نفسه من الذهاب اليهما واشباع خالد ضربا ..

ظل يجلس في سيارته يعتصر المقود بين اصابعه وهو يراقب بانفاس ثقيلة وجه فاطمة وحركات جسدها ..

يعترف انها بدت متحفظة .. لكنها لم تتفاجأ حقا برؤيته ..

وهذا ما أوجعه واشعل نيرانه بشكل لايحتمل...

كونها لم تتفاجئ هذا يعني بشكل قاطع انها ليست المرة الاولى التي تراه فيها ..

ترى .. كم مرة رأته حقا ؟

هل يتصل بها ؟ يبدو .. غريبا !

الا يبدو غريبا أم لانه يكرهه بشدة فيريد ان يراه غريبا ؟!

لايريد ربما ان يعترف ان هدوء خالد (الجديد) نقطة تحسب لصالحه ...

كاد محمد ان يمزق غطاء سريره وهو يستعيد المشاهد مرة بعد اخرى بعد اخرى ثم يتساءل بهمس عنيف وكأنه فاطمة تقف امامه وهو يلومها

" لماذا لم تكوني حاسمة معه ؟! لماذا ؟! هل نسيتِ ما حصل آخر مرة ؟ ام هل نسيت خطبتك اللعينة اليه وما فعله بك ؟"

هب على قدميه بحركة واحدة وكأنها قفزة أسد مجروح وجرحه لايبرأ ابدا...

اخذ يتحرك في غرفته بجنون وداخله يغلي بالغيرة القديمة القاتلة ..

خطبتها قبل سنوات لخالد حطمت روحه قبل كبرياءه .. لقد اوشك ان ينهار تماما ليلة حفل الخطبة وهو يراها سعيدة متأبطة ذراع خالد بفرح مراهقتها وكأنه تحقق احلاما خيالية ...

لكنه بذل المستحيل ليتجلد ، وأصر على حضور الحفل مع العائلة ليدفع الثمن باهظا ليلتها فيعود لغرفته هذه ويغلق الباب بالمفتاح ثم يجلس على سريره ساهما واثار تجلده تتسرب منه شيئا فشيئا ليسمح اخيرا لرجولته اليافعة وهو ابن العشرين ان تعترف بالخسارة والألم ..

ثم اخيرا ضربت تلك الرجولة الفتية بمقتل عندما شعر بدمعة ساخنة تسيل على خده ..

تلك الليلة .. علم يقينا ان عشقه لفاطمة سيظل محفورا في وجدانه ابد الدهر..

وكانت تلك الدمعة ثمنها غال عنده.. غال جدا ...

عاد محمد لواقعه فيقف وسط غرفته يستعيد رباطة جأشه فيشجع نفسه بالقول

" هذه المرة مختلفة .. هذه المرة فاطمة مختلفة .. "

يتكلم عن الاختلاف بثقة مهزوزة بالغيرة العمياء التي يمسك جمرها بكف قلبه..

بعد يومين

في المزرعة

يشعر بالارهاق الشديد ..

ليلتان لاينام الا بضع ساعات ..

لقد تكلم مع ماهر مطولا عن موضوع ذلك الرجل المتطفل وماهر حتى الآن لم يستطع ان يصل اليه رغم كل المعلومات التي حصل عليها ..

ما يطمئنه ان جميع افراد العائلة بمن فيهم الاطفال لديهم حماية خاصة ...

حتى والده يجري تحرياته الخاصة عن ذلك الطبيب الذي يبدو اقرب لمهووس..

وقد توصل لبعض الاماكن التي يتواجد فيها واعطاها لماهر الذي ما زال يتقفى اثار الرجل هنا وهناك ..

تنهد وهو يسير في دربه بين الحظائر ويلقي السلام على العمال الذين يمرون به ..

رؤيتها صباح اليوم وهي تذهب لجامعتها كانت مضنية جدا ..

هل تزداد جمالا ام انه يزداد وجدا ؟!

يشعر ببعض السكينة انه لم ير خالد مرة اخرى ..

ربما انتهى الامر فعلا وهي صدته باسلوبها الناعم .. حتى لو لم يعجبه الاسلوب لكن المهم انها صدته ووضعت له حدا حتى لايعاود التقرب منها ..

عبس فجأة وهو يرى الدكتورة بيلسان من بعيد بمريولها الابيض وذراعها ذي الجبيرة ! أمتلأت نظراته دهشة وهو يتقدم نحوها ويرى كيف قصت ذراع المريول حتى يلائم وضع الجبيرة ..

سأل عفويا ببعض الاستياء

" ما الذي أتى بك ؟! "

حالما التفتت اليه تخضب وجهها بحمرة قانية .. بدت مرتبكة وشديدة الرقة والعذوبة .. بخجل خاص يرسل له اشارات لاتخطئها رجولته !

تلقائيا احنى وجهه وهو يسمعها ترد بصوت بشوش تفضحه رعشة مميزة

" انه العمل ...صباح الخير دكتور محمد "

تنحنح وهو يشعر بالتشوش من هذه الاشارات التي تنطلق منها عفويا وببراءة واضحة ثم قال " صباح الخير .. اعتذر ان نسيت القاء التحية .. لكن دكتورة بيلسان لم يكن هناك داع لتأتي اليوم .. انا اعطيتك اسبوعين اجازة وليس يومان ! .."

استعاد صوتها ركازته وهي تقول بثقتها المميزة



" انا احب العمل ولااطيق البقاء حبيسة الجدران دون ان انجز امرا مفيدا .. لاتقلق علي .. اذا شعرت بالتعب سأعود للبيت من فوري .."

رفع عينيه اليها وهو يقول بنبرة ثابتة ونظرات غير مباشرة

" اتمنى حقا ان تفعلي هذا .. ولاتثقلي على نفسك .. "

للحظة عيناه مرت بعينيها ليراها تشيح سريعا بنظراتها بعيدا ويعود وجهها للتخضب بالحمرة فتقول على عجل وهي تتحرك متعثرة بعض الشيء

" عن اذنك .. دكتور.."

راقبها تكاد تهرول بخطواتها المتعثرة لتبتعد عنه فانتابه شعور بالسوء لذنب لم يقترفه ...

عصرا ..

خرجت فاطمة من الحرم الجامعي يتبعها من بعد بضعة خطوات السائق الذي لم يكن الا حارسا شخصيا في الواقع وظّفه ماهر خصيصا ليأخذها لأي مكان ويلازمها كظلها خارج الجامعة ..

يومان من هذا التتبع خنقها تماما واشعرها بالحصار ...



ربما ... شعورها بالضيق .. لانها كانت تأمل بحصول شيء ولم يحصل ..

كانت تأمل ان يسعى محمد لرؤيتها لكنه .. لم يفعل !

ما هذا التشوش المريع الذي تعيشه مشاعرها .. ؟

ما هذه الحيرة التي تعذب قلبها؟!

تنهدت بينما ترفع رأسها وتعيد شعرها للخلف بحركة انثوية عفوية جذبت انظار البعض اليها ..

رأت السيارة البيضاء المخصصة لها وقد اصبحت على مرمى نظرها فتنفست الصعداء لتحث الخطى تريد الوصول اليها بسرعة ..

فجأة توقفت خطواتها وهي ترى على بعد مترين منها سيارة كحلية مركونة الى جانب الطريق و.. خالد يفتح باب السائق ليترجل منها مبتسما وعيناه في عينيها ..

ارتبكت وخالد يتقدم نحوها برشاقة وجاذبية واوشك ان يصل اليها عندما خطف من جانبها خيال ضخم ليقف سدا منيعا بينها وبينه ..

اوشكت ان تفقد فاطمة اعصابها لتلامس ذراع سائقها وحارسها وهي تقول له موضحة

" أرجوك... لاداعي لهذا .. انا اعرفه ..."

بدى خالد عبوسا مستاء ومتسائلا بنفس الوقت بينما ينسحب السائق بنفس الرشاقة ويبتعد بنفس المسافة تاركا لفاطمة حيزها الخاص وهي تكلم خالد باعتذار

" اسفة خالد .. انه حارس شخصي وضعه ماهر "

اظهر خالد تعبيرا متعجبا وهو يسأل

" مم يحميك ماهر بالضبط ؟"

شوحت فاطمة بيدها وهي تقول بضيق صدر متزايد

" لاتهتم امر لايستحق كل هذا التوتر .."

تنبهت انه يخفي احدى يديه خلف ظهره وعندها عادت الابتسامة لوجهه بينما يحرك ذراعه ليظهر يده المخفية وهي تحمل باقة ازهار رائعة من الورد الابيض ..

همست فاطمة بانشراح تلقائي وهي تحدق في الازهار باعجاب عفوي ..

" باقة خلابة .."

قدمها لها وهو يهمس بصوت أجش

" الخلاب للخلاب .."

رفعت عينيها عن الباقة لتنظر في عينيه باضطراب فيبتسم لها وعيناه تفيضان بالعشق القديم بينما يضيف المزيد وبنفس الهمس

" انها لك فاطمتي .."

تسارع قلبها من شدة الاضطراب وشعرت للحظة وكأنها علقت في الفخ !

تمتمت بعجز عن احراجه بكلام مباشر

" خالد ارجوك .. انا .."

يقترب منها حتى لامست الباقة صدرها فيقول بحرارة عاطفية

" انت ماذا فاطمتي ..؟ لست مرتبطة وليس لديك علاقة بأحد .."

اتسعت عيناها ذهولا ليضيف مفسرا

" اجل.. لااخجل ان اقولها .. لقد تتبعت اخبارك قبل ان اتجرأ وافاتحك برغبتي في الارتباط بك مجددا .."

ابتلعت ريقها وتشعر بصداع رهيب اخذ ينبض في صدغيها ..

كانت ما تزال تفكر كيف تخرج من هذه الورطة عندما فاجأها خالد وهو يمد يده الخالية ليحاول امساك يدها وهو يقول بهمس شبه متوسل

" أعطني فرصة اخرى فاطمتي .."

وقبل ان تمس يده يدها .. وقبل ان تتراجع هي خطوة للخلف حتى تتفادى ملامسته .. سبقهما معا شهاب ناري دفع خالد في كتفيه وارجعه بضع خطوات للخلف...

هدر محمد وهو يتقدم بغضب مجنون ويمسك بخناق خالد

" حاول ... فقط حاول ان تلمسها مرة اخرى وسأقطع يدك.."

بدى خالد هادئا جدا بينما محمد يغلي بجنونه ، دفعه مرة اخرى وهو يلتفت ناحية فاطمة المشدوهة يناظرها بغضب لم تره يوما في عينيه ثم يصدمها اكثر وهو يمسك بذراعها ويحاول سحبها قائلا بهمس قاس

" تعالي معي .. سأعيدك للبيت .."

شعرت فاطمة بالضغط بشكل لايوصف ..

ماذا يحصل حقا ؟

ولماذا تشعر بالاذلال هكذا ؟!

لماذا تشعر انها كلعبة جميلة يريد الجميع تحريكها على مرامهم دون ان يمنحوها حق الاعتراض والتصرف كما تراه مناسبا ..

فجأة قال خالد بهدوئه العجيب

" ومن انت لتلمسها هكذا ؟ بأي صفة تهينها امامي وتقلل من شأنها وكأنها قاصر اساءت التصرف .. "

نصف استدارة من محمد ناحيته ليقول لفاطمة من بين اسنانه

" عودي للبيت مع السائق يا فاطمة .. لدي ما أفعله الان .."

انفجرت فاطمة دون شعورها لتقول بنزق

" محمد أرجوك توقف عن هذا .. لم يحصل شيء ..."

حالما انطلقت الجملة من فمها ندمت عليها...

امواج من ارتعاب تضرب قلبها وهي تحدق بانطفاء شعلة الغضب في عينيه لتتوهج شعلة اخرى بغضب مخيف من نوع آخر ..

يتمتم بشفتين شحبتا فجأة

" لم يحصل شيء ؟!.."

ثم تتأجج نيران ذلك الغضب في نظراته لتكسو ملامحه القسوة الساخرة وهو يقول

" حقا لم يحصل شيء ولم يتغير اي شيء ! "

قلبها يفقد نبضاته وهي تهمس اسمه

" محمد ..."

تركها ببساطة فيتجاوزها بخطواته ليقترب من السائق ويقول بلهجة آمرة

" أعدها للبيت ..."

ثم تحرك مبتعدا وفاطمة تتحرك خلفه خطوة .. خطوتين ... ثم تتوقف قدماها وهي تناديه بهمس باكٍ

" محمد ....."

عند بوابة البيت كان السائق يسألها باسلوبها العملي البارد

" هل ستخرجين انستي ؟ هل تحتاجين لشيء مني ..؟ "

ما زالت تخنق رغبتها بالبكاء لترد وهي تلوح له

" يمكنك الذهاب لن اغادر البيت.."

غادر السائق بينما دخلت فاطمة البيت ودون ان تشعر توجهت مباشرة لغرفة زينب ..

(صباح اليوم لم احب وقوفك مع عمران الهلامي الضحكة .. هل فكرتِ للحظة انه قد يكون متواطئا مع (المتطفل) الذي يبحث عنه ماهر ؟ (متطفل وهلامي الضحكة) انهما يشكلان ثنائيا حقا ! منذ الغد سأكلم خالي شاهر عن ارتيابي بمدير مكتبه وربما سيجدون خلف ضحكته البشعة رجلا بشعا ايضا من الداخل ..)

زمت زينب شفتيها حنقا وهي تقرأ رسالته المستفزة لثالث مرة ،ثم رمت بهاتفها بعيدا..

الغبي يرفض ان يفهم ..

يتلاعب حول الكلمات ولايكف عن استخدامها باسلوبه الملتوي لارسال رسائل عاطفية خاصة تبعثر نبضات قلبها وتشوش على تركيزها في قتاله ..



منذ يومين وهو يتبع نفس الاسلوب ..

لم يعد يواجهها تماما لكنه يتواجد حيث تكون وعيناه تلاحقان كل حركة ونفس منها دون ان يبدي تحركا فعليا نحوها..

اغمضت زينب عينيها ووجهها يتوهج بحمرة الخجل ..

(وانا .. اريدك.. انت ..)

جملة تهاجم افكارها وحواسها وتتركها كمحاربة مستنزفة القوى بعد ان خاضت حربا ضروس لاترحم وما زال امامها المزيد لتقاتله ..

زفرت انفاسا لاهثة وهي تأبى تفسير الامر وتحليله ..

وما الفائدة ؟!

حقا ما الفائدة ؟

محمود الناجي ليس لها سواء ارادها او لم يردها ..

المشكلة فيها هي وقد اصبحت مدركة ومعترفة بهذا ..

لذلك لاتريد الانغماس بتحليل المشاعر ..

وانما توظف عقلها وطاقاتها الداخلية لتحقق هدفها ..

وهدفها حاليا .. النجاة بقلبها ..

ان سقط قلب في المعركة واعلن استسلامه فهي كلها .. بكليتها .. ستسقط وتتحطم..

فتح باب غرفتها دون استئذان مما جعل زينب تجفل قليلا ثم تراجع شعور الاجفال اللحظي يمتد شعور القلق وهي تحدق في وجه اختها فاطمة التي تبدو على وشك الانهيار ..

اخذت دموع فاطمة تجري على خديها وهي تنادي اختها بجزع وقدماها تترنحان بخطوتهما " زينب ..."

لتهب زينب من على سريرها وتتقدم خطوات متلقفة اختها بين ذراعيها وهي تسألها

" ما بك فاطمة ؟! لماذا تبكين هكذا ؟"

تجهش فاطمة بالبكاء على كتف اختها وهي تقول بتقطع بين شهقاتها

" لقد ارتكبت... خطأ ...فظيعا .. يا الهي لااعرف ...ما الذي.. اعتراني .. كنت حائرة .. متضايقة .. و .. و ... يا الهي ..."

عقدت زينب حاجبيها وهي تجر اختها لتجلسا معا على السرير بينما تقول لها بنبرة ثابته وحازمة

" اهدأي فاطمة ارجوك .. احكي لي ما حصل .."

رفعت فاطمة وجهها المتوهج بالبكاء لاختها لكن عينيها الخضراوتين كانتا اكثر توهجا بشعور لايمكن الخطأ في تفسيره .. لتعكسه فاطمة بالهمس الذي ينضح حزنا ولوعة " انا احب .. محمد .."

تجمدت ملامح زينب صدمة وهي تحدق في عينيّ اختها ثم التزمت الصمت وفاطمة بوجهها المتوهج تبوح بالكثير..والكثير..

بعد عشر دقائق او اكثر اعطت زينب مناديل ورقية لاختها حتى تجفف دموعها بينما تقول لها بنبرة ما زالت الصدمة تلونها

" يا الهي فاطمة .. تحبين محمد لهذه الدرجة ؟! كل هذا يجري معك ولم اشعر بك يوما ؟!! "

ردت فاطمة وهي تحني رأسها

" لقد اخفيت الامر حتى عن نفسي .."

عندها قالت زينب بصوت انفعالي

" لافائدة من الاخفاء فاطمة .. عليك اما اخذه لك او اقتلاعه عنوة من قلبك .. وتحملي مسؤولية خيارك في كلتي الحالتين .."

رفعت فاطمة وجهها لتقول بصدق ونبرة مختنقة بالعاطفة

" كنت انوي اقتلاعه .. اقسم لك .. حتى اني كنت استعد لفكرة زواجه من اي فتاة اخرى .. لكن .. لكن لااعرف ما جرى لي مؤخرا ... اشعر بالارتباك منه ومن المشاعر المتناقضة التي يرسلها لي فلا افهم حقا ما يريد .. يثير حنقي احيانا بغموضه وعجزي عن فهمه .."

أطبقا زينب فكيها للحظة قبل ان تقول بغيظ " انهم يثيرون الحنق حتى لو انفتح لسانهم وثرثروا .."

عبست فاطمة قليلا وهي تسأل بحيرة

" ماذا تقصدين ؟"

ردت زينب بتهرب

" لاشيء ... لاشيء ..."

ازداد عبوس فاطمة وهي تتفحص زينب بحيرة اكبر فاشاحت زينب بوجهها وهي تتنحنح قبل ان تقول بثبات

" دعينا نركز معك الآن .. اسمعيني فاطمة .. "

صمتت زينب لحظة ثم نظرت مباشرة في عيني فاطمة لتضيف بجدية تامة

" ان كان محمد يهمك حقا فاخبريه بموضوع خالد .. ورغم كرهي لهذا الـ(خالد) الا اني اشاركه الرأي انك لست بقاصر ولايحق لمحمد محاسبتك الا اذا ارتبط بك رسميا .. لذلك تصرفي كناضجة ووضحي الموقف الذي من المؤكد ان محمد فهمه بشكل خاطئ .. خاصة مع باقات الزهور (الخلابة) كما وصفتها .. "

رمشت فاطمة للحظة بينما زينب تضيف المزيد وعيناها تشعان تحفزا

" ان لم يفهم محمد ولم يثق بك فهو لايستحقك.. وانا بنفسي من ستساعدك في اقتلاعه .."

اشفقت زينب على اختها وهي تراها تتوجع منذ الآن لفكرة (اقتلاعه) ..

لهذا السبب .. لهذا السبب يجب ان لاتستسلم هي الاخرى لهوى القلب ..

احيانا القلب يتخذ مسارات غبية لاتتلائم مع قساوة الواقع ..

يال سخرية القدر ...!

هي وفاطمة تقعان في نفس الورطة ..

لكن على الاقل فاطمة ستجيد التجانس مع محمد الناجي والعيش كأميرة على ارض طبقته الثرية المترفة ذات الاصول العريقة ..

بينما هي .. لن تستطيع ابدا ان تعيش في ارض لاتعترف بكيانها الخاص الذي بنته بشق الانفس .. ارض تزدري تواضع اصلها ولاتعترف بها كما هي ... كما تحب ان تكون .. كما جاهدت لتكون ..

ابتدأت الشمس في المغيب وفاطمة تتحرك بشرود هنا وهناك حول البيت..

ساعة تجد نفسها في الحديقة الخلفية وساعة تجد نفسها في الممر الذي يفصل البيتين عن بعض .. وساعة تجد نفسها في المرآب الخلفي تناظر سيارتها بتحفز ...

كانت تفكر وتعد الكلمات والجمل التي ستواجه بها محمد صباح الغد ..

اجل لقد قررت ان تذهب اليه في المزرعة وتحدثه وجها لوجه لتشرح له كل ما حصل مع خالد منذ ان رأته للمرة الاولى بعد عودته للوطن ...

كانت متحمسة جدا وهي تتخيل ملامح محمد كيف ستنفرد قليلا .. وربما .. ربما سيفكر ان يصارحها .. سيفكر انها الفرصة المناسبة لتوضيح كل الامور بينهما ..

اجل .. زينب على حق ..

يجب اتخاذ القرار..

محمد ليس بغبي ..

ولو صارحته بموضوع خالد فمؤكد سيصارحها هو بمشاعره ..

هذا ان كان يحمل لها مشاعر خاصة فعلا..

تفاعلت داخلها المشاعر واخذت انفاسها الناعمة تتسارع وهي تحدق في بوابة البيت الخارجية الضخمة ..

لم تشعر الا بقدميها تأخذانها هناك ..

تقدم منها احد الحراس وهو يسألها باحترام شديد " هل تحتاجين لشيء آنستي ؟"

كان داخلها يموج بالكلمات التي لاتحتمل الصبر والانتظار لصباح الغد ..

تنظر في وجه الحارس وتكاد لاتميز ملامحه ..

ضج داخلها برغبة التحرر ودون شعورها قالت وهي تتقدم لتتجاوزه

" انا سأخرج لبعض الوقت .. مشيا على الاقدام .. انا .. ذاهبة .. لبيت عمي بلال"

بدى الحارس مرتبكا وهي يلاحق خطواتها وارتبك باقي الحرس بينما تأمرهم بفتح الباب ليقول احدهم

" آنستي .. الظلام سيخيم قريبا والسيد ماهر لم يعد بعد وقد..."

قاطعته فاطمة بحزم وكذبة (بيضاء) وجدت في شقاوتها حافزا اكبر لها

" لقد اتصلت بماهر واخبرته وهو لم يمانع .. افتحوا الباب .."

بتلكؤ فتح احد الحرس البوابة لتغادر فاطمة وهي تشعر بنفسها وكأنها تطير ..

قلبها ينبض بقوة رهيبة في صدرها بينما تتشبث بشجاعتها وتهور اللحظة ..

الامر كان منعشا جدا وهي تسير بخفة بين الطرقات ولم يخفت انتشاؤها الا عندما واجهتها بوابة اخرى .. بوابة آل الناجي..

عندها فقط شعرت بالحمق !

ما الذي أتى بها هنا ؟!

هل جنت ؟!!!

كانت ستعود من حيث أتت عندما فتحت البوابة ليطل منه حارس شاب وهو يكاد يهرول نحوها ويعتذر ويقول

" اسف انسة فاطمة .. هل تأخرت بفتح البوابة ؟ تفضلي انستي .. تفضلي .."

بوجه محمر هزت رأسها وخطواتها تكاد تريد اخذها للوراء بدلا هي تدفعها للامام دفعا ..

دخلت حتى وصلت الباب الداخلي وتشعر بالخزي من جرأتها للقدوم الى هنا ..

يا الهي كيف ستخرج من هذه الورطة ؟!

وجدت نفسها امام خالتها نجلاء التي ابدت اولا استغرابها ثم شع وجهها بفرح غريب بينما تسحبها لتدخل وهي تقول لها

" اخيرا فكرت في زيارة خالتك نجلاء ؟"

تتعثر فاطمة وهي تتلفت يمينا ويسارا خوفا من ان تلتقي بمحمد بينما تقول لخالتها بوجه متوهج بالحمرة

" اعتذر خالتي .. كنت اشعر ببعض الضيق فخرجت سيرا على الاقدام في شوارع .. الـ.. الحارس في الخارج .. ظنني أتيت لزيارتكم فأدخلني .."

عبست نجلاء مدعية الحنق وهي تقول

" اذن لم تأتي لزيارتي حقا ! ولولا ذاك الشاب المسكين المرتبك في بوابة بيتي التقطك من الشارع لما كنتِ دخلتِ .."

ضحكت فاطمة بارتعاش لم تسيطر عليه بينما تضيف نجلاء بتوبيخ حقيقي من نوع آخر

" لكن كيف تسيرين بمفردك والشمس غابت يا فتاة ؟! ماهر سيغضب منك في ظل الظروف الحالية وذاك المتطفل الذي يترصدنا .."

تمتمت فاطمة ببعض النزق

" حقيقة جزء من شعوري بالضيق هو فرض الحراسة على كل خطواتي .. انا اعلم ان ماهر يفعل هذا لمصلحتي ولا ألومه هو محق في مخاوفه .. لكن خالتي لايجب ان نستسلم لتهديد فارغ من ذاك الرجل .. لن يجعلنا نغير حياتنا لاجله .. كما انه لو اراد اذيتنا مباشرة لفعل مع احدنا منذ زمن طويل .."

ردت نجلاء بتفكير

" كلامك صحيح ويغيظني شخصيا ان استسلم لمخاوفي بسبب متطفل مثله .. لكن لاتنسي ربما هو يخطط ويرتب الامور ويتحين الفرصة المناسبة ليفعلها .."

هزت فاطمة كتفيها بينما عيناها تعاودان النظر هنا وهناك خوفا من لقاء محمد فتسارع للقول معتذرة من خالتها

" حسن خالتي اعتذر لازعاجي لكم .. سأعود للبيت الان .. لو علم ماهر اني خرجت بمفردي سيغضب مني .."

لكن نجلاء تشبثت بذراعها وهي تقول بحزم امومي لذيذ

" اين تذهبين يا فتاة ؟! ستتعشين معنا وسأخبر ماهر بنفسي عن هروبك يا شقية ليعاقبك عند عودتك .. لذلك لاتحلمي بالعودة الآن .. بعد العشاء عمك بلال او احد التوأمين سيعيدك بسيارته .."

ابتلعت فاطمة ريقها واخذت تتلاعب بخصلات شعرها بارتباك بينما تناظرها نجلاء بطارف عينها وتقول ببراءة مصطنعة تدعي بعض القلق

" ربما ستساعديني لاكتشاف سر محمد الليلة .. لقد عاد عصرا للبيت بوجه متجهم ولم ينطق بكلمة ! "

ثم تنهدت عن عمد وهي ترى ارتباك فاطمة الواضح ثم تقول بنبرة شاكية

"بدى متضايقا جدا هذا الكتوم .. ماذا أفعل له وهو لايخبرني بما يضايقه ؟! "

تخضب خدا فاطمة بحمرة قانية مما جعل نجلاء تبتسم برضا فتدفعها برقة وهي تقول

" اذهبي للصالة ستجدين عمك بلال بمفرده شاركيه جلسته وانا سألحق بك بعد قليل حالما انهي اعداد العشاء .. محمود في طريق عودته للبيت ومحمد سينزل بعد قليل كما أظن .."

دفعة اخرى من نجلاء جعلت فاطمة مرغمة ان تتحرك عبر الصالة المفتوحة لتمر بالدرج تتجنب النظر اليه خوفا من نزول محمد لتصل اخيرا للصالة الداخلية المفضلة لدى عمها بلال ..

كان الباب مورابا فأخذت نفسا عميقا وهي تقترب بخفة خطواتها تحاول السيطرة على ارتباكها وحرجها وهي تلوم نفسها داخليا على تهورها وحمقها ...

وقبل ان تستأذن بنقرة على الباب جاء صوت محمد من داخل الصالة ليجمدها مكانها وهو يقول بنبرة جليدية

" انا مستعجل ابي .. اريد ان اخطبها باسرع وقت .."

فيرد الاب بنبرة تفيض استغرابا

" لماذا هذا التعجل المفاجئ ؟! يا ولدي تمهل قليلا وتأكد جيدا انك واثق تماما من اختيارك .."

كان قلب فاطمة يخفق بعنف دون ان تعلم السبب ... فيأتيها صوت محمد كسهام مسمومة تستهدف قلبها وتصيبه بمقتل

" انا واثق .. لقد اخترت الدكتورة بيلسان كزوجة لي .. انها طبيبة بيطرية تعمل في المزرعة .. من عائلة محترمة والاهم فيها أهم ما اريد .."

لثاني مرة تتكرر المأساة ...

لثاني مرة الصدفة البحته تقودها لتسمع من فمه هو تحديدا ما لايفترض ان تسمعه ..

انسحبت ودموعها تجري على خديها ...

انسحبت بخطوات مترنحة مذبوحة بالألم..

لاتعرف كيف غادرت بيت آل الناجي ..

تسمع صدى لنداءات باسمها لكنها مؤكد تهيؤات ..

في الشارع تسير والوجع لايحتمل ..

تمر من شارع لشارع وقد تاه منها طريق العودة لملجأ بيتها الآمن ...

ظلمة تشق بطن ظلمة وخطواتها تبتلعها الظلمات ..

اصوات ولهاث ونداءات خافته غريبة ثم فجأة جسد يلتصق بها من الخلف وذراع تقيدها وكف يغلق فمها بمنديل ذو رائحة نفاثة لتسود الظلمة من حولها تماما ...



الفصل العاشر

نظر بلال ببعض الصدمة لوجه ابنه المحتقن بانفعالات مبهمة تكاد تطفو على السطح بل توشك على الانفجار ..

عندما دخل عليه الصالة قبل قليل معربا عن حاجته للتكلم في موضوع لايحتمل التأجيل تصور للحظة ان سبب توتره الشديد لانه سيطلب صراحة وباصرار لايقبل الانتظار خطبة فاطمة حتى لو كانت الظروف العائلية لاتسمح حاليا بوجود ذاك الخطر المبهم من الطبيب المترصد ...

لكن بالتمعن الآن فأن تعابير وجه ولده لم تعطه انطباعا ايجابيا ليصدمه بالقول انه يريد الزواج من فتاة تعرّف عليها مؤخرا ...

يعترف ان الصدمة ألجمت لسانه للحظات بينما يسمع ابنه يضيف بنبرة جليدية تناقض كل الاشارات المتفجرة التي تنطلق من جسده المتوتر

" انا مستعجل ابي .. اريد ان اخطبها باسرع وقت .."

رد بلال بنبرة تفيض استغرابا بينما يتفحص ولده بذهول " لماذا هذا التعجل المفاجئ؟! يا ولدي تمهل قليلا وتأكد جيدا انك واثق تماما من اختيارك .."

ملامح محمد لاتتغير فقط انفاسه تتسارع اكثر واكثر مما اقلق بلال جدا ..

ولده الرزين يبدو قد فقد رزانته حتى آخر قطرة ..!

عيناه تشتعلان بطريقة .. غريبة .. وكأنه .. وكأنه يعاني سكرات الموت ! ليبهره وهو يقول بصوت يفيض قساوة نارية

" انا واثق .. لقد اخترت الدكتورة بيلسان كزوجة لي .. انها طبيبة بيطرية تعمل في المزرعة .. من عائلة محترمة والاهم فيها أهم ما اريد .."

حركة بسيطة عند باب الصالة لكن بلال لم يهتم بها بينما جل تركيزه على ولده يبحث عن الطريق الاسلم لمحاورته بمنطقية ...

ساد الصمت المطبق للحظات حتى رفع بلال يده لتستقر على كتف ولده فيتلمسه ببعض القلق ثم يقول وهو يرفع يده عاليا نحو جبينه " هل انت مصاب الحمى ؟! جسدك دافئ.."

نظرات محمد بدت الآن حقا كما المحموم وتعابير وجهه الجليدية اخذت تذوب وتذوب لينجلي وجه من العذاب الخالص بينما يهمس محمد بصوت متحشرج غير مستقر النبرات " ان كنت تريد .. مساعدتي لأشفى .. أعني لآتزوج بيلسان ..."

للحظة ابتسم بلال بحنان أبوي وهو يرى مكنونات القلب تتسربل من عيني ولده الخضراوين ليقول بلال بهدوء

" بني ... دوما كنت شخصية مميزة في نظري .. هذه القوة التي تملكها في داخلك تعطيك هذا التميز .. انا وانت متشابهان وغير متشابهين بنفس الوقت .. لكن اظننا متفاهمان بطريقتنا حتى دون كلمات .. لذلك دعنا نكشف الاوراق ما دمت قد وصلت لمفترق طرق وتوشك ان تخطو الخطوة الاولى في طريق لارجعة فيه وان كنت أظنك لست جديا حقا بتلك الخطوة وذاك القرار ..ولهذا أتيت الي .. أليس كذلك ؟"

حدق محمد في عيني أبيه وكأنه يتوسله ليقول بنبرة تفيض بحرقة قلب مكلوم

" انا اتعذب ابي .. حجيم من العذاب المستعر يحرق فؤادي .. لم اعد استطيع الاستمرار هكذا .. فاطمة لم ... لم .."

تلكأت الكلمات على لسان محمد فيرى بلال كل العذاب والغضب يتأججان مجددا فتنهد بلال وهو يقول بابتسامة تفهم

" دعنا اولا نبدأ من البداية .. انت تهوى فاطمة ومنذ صغرك .. حدث الكثير الذي قد تسبب بتباعدك عنها .. لكنك منذ مدة شعرتك قد توصلت لقرارك الاخير واوشكت ان تنفذه وتطلب يدها للزواج من

ماهر لولا اني منعتك للظروف التي تمر بها العائلة فلم يكن مناسبا ان تطلبها بهذه الطريقة .. الآن هلا اخبرتني بما حصل ليجعلك بهذا الحال ؟ "

فتح محمد فمه ليتكلم عندما دخلت امه فجأة وهي تبدي بعض القلق قائلة

" محمد .. الحمد لله انك هنا .. هلا خرجت خلف فاطمة لاني قلقة عليها ؟ لقد جاءتنا في زيارة قبل قليل وطلبت منها ان تذهب للصالة تجالس اباك حتى انهي اعداد العشاء لكن الآن جاءني الحارس يقول ان الفتاة غادرت وبدت ليست بخير .. ناداها ولم ترد عليه .. انا قلقة عليها لانها لاترد على هاتفها وهي قد جاءتنا اصلا سيرا على الاقدام ..."

كانت عينا محمد تتسعان بطريقة اخافت امه فتسأله بقلق شديد وهي تطالع بلال في نفس الوقت

" ماذا هناك بني .. محمد .. محمد .."

بينما تناديه كان هو يخرج راكضا كالمجنون ...

يوشك ان يصل لبيته بينما ينصت لسؤال عمه عبر السماعة المكبرة للسيارة

" اخبرني بكل ما توصلت اليه فيما يخص تلك العاملة في المشغل ؟"

فرد ماهر

" لاشيء مفيد حقا .. العاملة مراهقة قليلة الذكاء ويبدو ان امي كانت توبخها كثيرا لقلة استيعابها العمل واوشكت ان تطردها في احدى المرات عندما تسببت ببعض الخسائر لولا تدخل عمتي نجلاء .. من الواضح ان رائد استغل بلادتها وخدعها بسهولة معطيا اياها اسما مزيفا له واخبرها انه يفكر بافتتاح ورشة صغيرة للمنسوجات وقد يضمها للعمل معه ويبدو ايضا انه تلاعب بمشاعرها موحيا بارتباط مؤكد بينهما.. الفتاة لاتعرف شيئا عنه على الاطلاق وكل ما قاله لها كذب في كذب بينما كان يهوى سؤالها بكثرة عن المشغل والعاملات فيه .. "

أتى صوت آسر الغامض وهو يرد بتفكه

" حسن .. اذن ما زلنا نلف وندور مع متطفلنا الصغير دون ان نمسكه بين ايدينا ..
تذكرت لعبة الثعلب التي كنا نلعبها في طفولتنا مع باقي اطفال الحي ..."

ابتسم ماهر عفويا وهو يتخيل (اسر الغازي) يلاحق احدى الفتيات الصغيرات متقمصا دور الثعلب بينما الفتاة المسكينة تفرفر منه كدجاجة مرعوبة ...

ابتسامة ماهر تراجعت بينما يتساءل

" ما زلت افكر بكلام والدي .. ما الذي يراه خاطئا في الصورة ؟ انا اجمع المعلومات وأرى الصورة شبه مكتملة "

قال آسر بتفكير

" احيانا شاهر تكون له نظرة روحانية صافية تستطيع ان تصفها استشعارا من نوع خاص .. أظنني فهمت ما يرمي اليه وبت اؤيده .. "

تنبه ذهن ماهر تلقائيا وبينما هو يلتفّ يمينا بسيارته ليدخل الشارع المؤدي لبيته قال بتركيز

" اخبرني عماه .."

رد آسر بنبرة غامضة

" نلتقي غدا ونتحدث مطولا في مكتبي .. لكن المهم ان لاداعي للقلق .. الى اللقاء يا فتانا الذهبي .."

عبس ماهر باستغراب وبعض الحيرة بينما يغلق الاتصال مع عمه ..

جملة عمه (لاداعي للقلق) فيها معان تخالف اعتقاده .. هل يا ترى هو يبالغ برؤيته لذلك الطبيب ؟

وبينما هو يفكر رن هاتفه برقم محمود واوشك ماهر ان يرد عليه بينما يقترب بسيارته من بوابة بيته لتتوقف يده عن ضغط الزر وهو يلتقط وجود محمود امام

ناظريه واقفا بتوتر شديد برفقة حراس البوابة الذين لايقلون توترا عن ابن عمته... !!

الوضع كله لايبشر بحصول خير..

قرابة الفجر

بيت ماهر الغازي

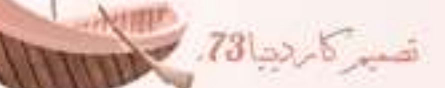
في غرفة شاهر الصغير تجمع الاطفال بملابس النوم يغمرهم الحماس لفكرة خروجهم من البيت بها ..

تشاركهم سلسبيل مرح اللعب بالالعاب الالكترونية بينما حوراء تجلس على الارضية المفروشة بالسجاد الوثير وتمد ساقيها امامها مستندة بظهرها للحائط ..

تناظر سلسبيل باشفاق وقد بدت ابنة خالها شاحبة بعض الشيء لكن تجيد التمثيل امام الاطفال وتجيد ألهاءهم عما يحدث في الاسفل ...

خنقت حوراء دموعها خنقا ...

تعاود الدعاء بكل جوارحها ليحمي الله تلك الفتاة الرقيقة فاطمة ..



تحاول التماسك جهدها حتى لاتنهار مفجوعة لاختطاف فاطمة وما قد تكون تتعرض له حاليا .. لاتريد ان تفقد اعصابها امام الاطفال وتثير ذعرهم خاصة ان ولدها فارس يراقبها باهتمام وكل فترة يأتي اليها ويسألها نفس السؤال

" هل انت بخير أماه ؟"

فتبتسم له وتطمئنه انها متعبة قليلا بسبب الحمل الذي بات ثقيلا جدا ..

اغمضت حوراء عينيها وهي تستند برأسها للجدار وتعض بشفتها السفلى ...

في الواقع (جسديا) هي ليست متعبة فحسب وانما بعض التقلصات تأتيها بين

الفينة والاخرى لكنها تأبى الاعتراف بهذا وتتجاهله ...

" هل انت بخير يا حوراء ؟"

فتحت عينيها لترى سلسبيل تقف امامها تنظر اليها بتدقيق وبعض القلق..

لتجيد حوراء التغلب على ما تعانيه جسديا فتقول بهمس واهن تعترف ببعض ما يعتريها

" انا متعبة .. لكني اعجز عن النوم .. لااستطيع الكف عن التفكير بفاطمة وما تعانيه في هذه اللحظات ..."

تصلبت ملامح سلسبيل بقسوة بينما تجلس جوار حوراء على الارض ثم تهمس لها

" لو كنت اعرف ان ذاك الحقير بهذه الخطورة لكنت رميته في عرض البحر في ذاك اليوم الذي تجرأ فيه على الكلام معي بوقاحة .."

تنهدت حوراء وهي ترد

" لا فائدة من كلمة (لو) .. فلا تفكري بها كثيرا يا سلسبيل .. ستجعلك تغضبين وتستهلك طاقتك دون فائدة .."

رددت سلسبيل بهدوء " اعرف هذا .. لذلك احاول تجاوزه .. يكفي ما يعانيه مهدي معي.."

سألتها حوراء باهتمام

" ما به مهدي ؟ هل هناك خلاف بينكما "

ردت سلسبيل بنظرات شاردة

" انه يشعر بالتوتر وبعض المسؤولية منذ ان علمنا قبل ثلاثة ايام بموضوع المعتوه ذاك.."

تساءلت حوراء بدهشة

" المسؤولية ؟! ولماذا ؟"

فترد سلسبيل

" ابتداء لانه يشعر انه لم يحمني كما ينبغي من ميولي المجنونة لركوب المخاطر كما يسميها .. يفكر لولا سماحه لي بتلك المغامرات وفعل ما يعجبني لما لفتُ انظار رجل مريض معتوه وتجرأ علينا اكثر واكثر ليختطف احدى بناتنا... "

زفرت سلبيل وهي تضيف بحنق ضمني

" انه لايقولها صراحة (كعادته) ولكني اشعرها .."

علقت حوراء بتأييد

" اظنك محقة .. افكار كهذه قد ترد على ذهن مهدي .."

فتلتفت اليها سلسبيل وتقول

" الامر الثاني والاهم .. هو يلوم نفسه لانه لم يتذكر الرجل مباشرة من التسجيل المصور .. لم يكف عن لوم نفسه .. كما يشعر بالغضب من ذاته لانه لم يحاول البحث عنه من البداية وسؤال ماهر لمساعدته .."

حوقلت حوراء لتضيف بعدها

" سبحانه من ارادنا ان نمر بهذا الوقت العصيب .. كل خطوة خطوناها وكأنها كانت تأخذنا لهذه اللحظة العصيبة..."

انفتح باب الغرفة ليطل منها ظافر ..

لمحهما جالستين على الارض فاقترب منهما وهو يقول لسلسبيل

" مهدي يريدك في الخارج .."

هزت سلسبيل رأسها وهي تقف على قدميها برشاقة وتتحرك بخفة ..

مرت بأخيها فتميل بوجهها لتطبع قبلة على خده وتناغشه بالقول

" اذهب والتصق بحورائك .."

لم يبتسم ظافر .. فقط لم يستطيع اخذ الامر كمزحة تلطف مزاجه ..

تحرك ناحية زوجته ليجلس جوارها كما كانت تفعل اخته سلسبيل ليمد يده يلامس بطنها وهو يقول بصوت أجش " كيف انت الآن ؟ الا تشعرين ببعض التحسن ؟ كنتِ شديدة التوتر لدرجة مقلقة .."

تبتسم له حوراء وتميل برأسها ليستقر على كتفه ثم تهمس له " اشعر بالراحة فقط لانك معي .."

يحاوط جانب وجهها بكفه فيعتصر رأسها قليلا على صدره وهو يهمس " لا شيء يعادل راحتي انا لانك امام ناظري.."

عند باب الغرفة الذي اغلقته سلسبيل خلفها للتو تقف بمواجهة زوجها الذي ما زال التوتر يشع منه اشعاعا ..

حاولت التخفيف عنه وهي تمد يدها تلامس كتفه وتقول

" هل ستذهب مع ابي وعمي في الموعد مع الوزير ؟"

فيهز مهدي رأسه بـ(نعم) وهو يضيف

" اجل .. سارافقهما للموعد في الساعة الثامنة صباحا .."

ابتسمت له قليلا وهي تقول

" ستكون الامور بخير وسنجدها ونجد ذاك المعتوه ..."

ابتلع مهدي ريقه بينما تتجهم ملامحه ملتزما الصمت فتقترب منه سلسبيل وتواجهه بالقول

" اياك ان تشعر بالذنب يا مهدي .."

فتشحب شفتاه وهو يحركهما قائلا

" لا أكف عن التفكير بالفتاة .. لا أكف عن التفكير اني كنت سببا بطريقة ما لما تتعرض له الآن .. كان يجب ان ابلغ ماهر باكرا عن شكوكي بذاك الرجل .. وعندها كنا سنحصل على معلومات اكثر مما يجعلنا نصل اليه قبل ان يصل هو لمبتغاه منا .. داخلي يغلي بالكثير يا سلسبيل وأكاد افقد اعصابي بالكامل ... "

عندها قالت سلسبيل بقسوة انتقامية

" وفّر غليانك للقادم لاننا قريبا سنجده .. وسنجعله يدفع ثمن مضاعفا لكل ما جعلنا نعانيه .. اقسم باللّه سأكون اول من ينتقم منه اذا آذى فاطمة بأي طريقة..."

فجأة التفت ذراعي مهدي حولها ليضمها بقوة لصدره هامسا قرب اذنها

" فقط ارجوك لاتغادري بيت ماهر .. أبقي هنا حتى نجد فاطمة ونجد ذاك السافل.. "

فتحتضنه سلسبيل هي الاخرى وهي تعده بالقول " لاتخف .. لن اغادر ابدا .. لاتقلق من هذه الناحية وركز فقط في المساعدة لايجاد اسرع الطرق للوصل اليها .."

اسفل الدرج يقف ماهر بوجه جامد التعابير يتحدث باقتضاب عبر الهاتف يلقي ببعض التعليمات المحددة والتحضيرات الخاصة

يقف جواره كلا من طه و صفية التي تبدو بملامح شرسة قوية تسلل اليه احيانا تعابير الهلع والانهيار فتقمعها قمعا وتشحذ همتها للتركيز مع زوجها بسيطرة تامة على الذات ...

لاتشعر بنفسها وهي تتشبث تارة بذراع اخيها طه وتارة اخرى بذراع زوجها ..

بينما يجتمع في الصالة و منذ ساعات كلا من اسر وشاهر وبلال لينضم الجميع لهم قبل قليل ...

اغلق ماهر الهاتف ثم التفت قليلا للخطوات التي تقترب منه فيسأل ابن عمته محمود

" اين محمد ؟"

ليرد محمود بتعابير رابطة الجأش

" ما زال يهيم على وجهه في الشوارع والطرقات يبحث عنها كالمجنون ..."

لم تتغير ملامح ماهر ليسأل المزيد

" هل ما زالت زينب تصرخ تريد الخروج "

للحظة فقد محمود سيطرته وهو يقول بصوت يفيض ألما وعجزا وقهرا

" لقد هدأت الان .. انها في غرفتها مع خالتي نادية وامي ... وخالتي نهى ايضا"

هز ماهر رأسه بلا معنى بينما يسمع صوت الاطفال قادما من الطابق العلوي ليعلق قائلا

" سلسبيل ستجيد الاعتناء بحوراء والاطفال فقط ابعدوهم عن جو التوتر .. حوراء بدت شاحبة جدا وهذا سيؤثر على وضعها كحامل .."

فقدت صفية اعصابها لتصرخ دون شعورها والدموع تهطل بجنون على وجهها

" تطمئن على الجميع وتتعامل ببرود مع التي ضاعت منا لانعرف اين هي وماذا حصل لها.."

امسك ماهر بوجه زوجته بين كفيه ليقول بثبات وسيطرة

" يجب ان تتماسكي اكثر .. احتاج ان اخرج لاكمل البحث عن فاطمة وانا مطمئن انك لن تنهاري ..."

اتسعت عيناها برفض تلقائي فتبعد كفيه وتمسح دموعها وهي تستعيد سيطرة على النفس وهي تقول بنبرة قاطعة

" سآتي معك ..."

اشاح ماهر بنظراته عنها لينظر لوجه طه الممتقع.. الفتى رغم كل شيء يظهر سيطرة على النفس اكثر من اخته الكبرى ...

قال ماهر بهدوء

" اعتني بصفية وزينب يا طه .."

تحرك ماهر جانبا عندما تحركت معه صفية لتقف في طريقه وتتشبث بذراعه تغرز اصابعها في لحمه وهي تقول بنفس الثبات والاصرار

" قلت لك سآتي معك ..."

عندها حدق ماهر في عينيها يبثها الكثير من طلب الدعم عبر نظراته ليلحقها بكلماته وهو يقول بصوته المبحوح

" ان كنت تريدين مساعدتي لاعادتها فابقي هنا .. الوضع خطير ولن اخفي خطره عنك لاني اعرف مدى قوتك .. ان قدمت معي ستشتتين تركيزي معك وانا احتاج لكل التركيز حتى اصل اليها .. "

ارتعشت شفتاها في اول بادرة للتراجع فتتلفظ باسمه وكأنها تتوسله هذه المرة

" ماهر .."

لكنه يعاود توضيح المزيد وعيناه باتتا تشتعلان بكل كلمة ينطقها

" احتاج ان اكون شديد القساوة وبلا رحمة وانت ستكبلينني .."

شيئا فشيئا تراخت اصابعها وهي تحدق في عينيه لتهمس بحشرجة

" انا اثق بك .. انت ستعيدها ..."

رد بوعد رجل لايعرف الخوف او التراجع

" ولو كلفني حياتي سأعيدها ..."

بيت بلال الناجي

بخطوات واسعة كان محمود يصعد كل درجتين معا على السلم حتى وصل نهايته ثم تحرك بتوتر خطواته حتى وصل الجناح الخاص به مع توأمه ..

تنفس الصعداء وهو يدخل ليرى محمد امامه ...

جالسا على الاريكة يحني رأسه بالكامل للاسفل ويحيط رقبته من الخلف بكفيه وقد استند بمرفقيه على ركبتيه ..

اقترب محمود وشعوره الارتياح يتراجع ليسيطر عليه الغضب والقلق وهو يهدر باخيه " ستقتل نفسك بكتمانك لما يقهر روحك هكذا .. "

جاء صوت محمد بنبرة غريبة وان شابها بعض التحشرج الذي يدل على حالته

" اتركني بمفردي محمود .. احتاج للخلوة لاعيد تجميع و تنظيم افكاري "

عبس محمود وهو يقترب منه اكثر ويقول

" كيف اتركك بمفردك .. انت تبدو غريبا جدا .. وتجعلني في قلق مستمر فأظل مرة آتي هنا ابحث عنك ثم تارة اعود لبيت ماهر حيث الكل مجتمعون هناك نحاول ايجاد طرف الخيط للوصول لفا...."



فجأة اجفل محمود بينما يهب محمد واقفا على قدميه فيتحرك بخطوات نارية يغادر الجناح ليلحق به محمود يكاد يركض حتى يلحق بخطوات اخيه حتى وصل الدرج فيناديه

" محمد .. محمد ... توقف ..."

لكن محمد لم يتوقف وتوأمه خلفه وقبل ان يتمكن محمود من ايقافه كان محمد خارج البيت ليركب سيارته ويعاود الانطلاق بسرعة جنونية ...

بحركة واحدة كان باب الشقة يفتح على مصراعيه بعنف ليدخل ماهر يتبعه بضعة رجال اشداء تتحرك عيناه بمسح سريع للمكان الذي يوحي بالقذارة وبينما تخرج المرأة تولول كان رجاله ينتشرون في الشقة الصغيرة يبحثون عن اي ضالة تفيدهم ...

المرأة حالما رأت وجه ماهر امتقع وجهها وشهقت برعب وهي تتراجع للخلف امامه..

تحركت عينا ماهر يتابع رجاله وكل واحد منهم يخبره بهزة واحدة من الرأس ان لاوجود لشيء مهم هنا ..

تقدم ماهر خطوات من المرأة القصيرة وهو يقول بقساوة مرعبة

" اذن معنا تغريد التي تسرب الاخبار لعشيقها السافل .. تُرى محاولاتك القذرة لاغواء محمود الناجي هل كانت بتدبيره ايضا ام هو اجتهاد شخصي منك ؟ "

اتسعت عينا تغريد بصدمة بينما يضيف ماهر بتحقير لها

" اجل .. هذا هو السبب الحقيقي لانهاء توظيفك في المؤسسة ولم يكن بسبب سوء ادائك فقط كموظفة جديدة .. لقد كنت الاحظ كل افعالك وانت تحومين حوله .. فتحك لازرار قميصك .. جلساتك الفاضحة امامه .. ملاحقتك اياه في كل ارجاء المؤسسة وتقصي اخباره .. هل ظننته شابا غرا ساذجا توقعينه في حبائلك العفنة وتساعدين عشيقك في تدبير الجرائم ؟ "

انهارت تغريد على ركبتيها وهي تلهث بالقول اليائس المحطم

" لم يكن بيدي .. انا كنت مجبرة .. سيد ماهر ارحمني ... انا .. انا..."

انحنى ماهر ليجلس القرفصاء امامها فيقول بنبرة حادة كالسيف باردة كالجليد

" حسابك فيما بعد .. اخبريني حالا اين اجد رائد وربما حينها افكر ان ارحمك .."

اخذت ترتجف وتختض امامه ثم شهقت بعنف وهو يقبض على شعرها بشراسة ويهز رأسها صارخا فيها

" اين رائد يا حقيرة ؟"

من بين وجع الروح ودموع القهر همست باستسلام وكأنه تستسلم للموت

" لقد غادر شقتي قبل قليل .. ربما قال سيعود لشقته فلديه بعض الاعمال ..."

نفضها ماهر من يده بقسوة ليقف على قدميه ويسأل بنفس النبرة المرعبة

" سؤال اخير .. لماذا تعيشين هنا وهو يعيش بشقة اخرى ؟"

رفعت وجها خانعا وهي تهمس بالرد

" انه .. لايحب ان يسكن شقته .. اي شخص اخر .. دوما رفض حتى زيارتي له هناك.."

تحرك ماهر بخطوات تنهب الارض نهبا بينما يلقي اوامره بابقاء اثنين من رجاله معها ليتبعه الباقون في صمت وطاعة ...

بدخول مشابه لدخوله لشقة تغريد كان ماهر يتصدر الدخول لشقة رائد ليجد الحقير امامه جالسا على احد كراسي مائدة الطعام الصغير الدائرية وقد كان للتو يغرز ابرة في فخذه بوضع عمودي ..

تقدم ماهر والرجل بدى للحظة مجفلا خائفا ثم تتحول نظراته لشيء اخر ..

وكأنها النهاية !

نظر ماهر لتلك الابرة اولا ثم لصحنيّ طعام على المائدة قبالته وبضعة ارغفة من الخبز ..

بنفس التحرك كان رجاله ينتشرون في ارجاء الشقة بحثا عن ضالتهم بينما رائد يحدق في عيني ماهر بابتسامة صفراء !

سال ماهر ببساطة وهو يشير للحقنة في يد رائد " هل هذه ابرة انسولين ؟"

ليرد رائد بتعابير بشعة حاقدة ملأت وجهه الشاحب

" مؤكد السكر لن يصيب واحدا من طبقتك المترفة .. المرض والخسارات الفادحة من اختصاص الفقراء فقط ومن لاظهر لهم .."

لم يرد عليه ماهر بينما يبذل جهدا جبارا ليمنع نفسه من تحرير رغبته المتوحشة بتقطيع هذا الحقير بيديه المجردتين ..

لكنه يعلم بالخبرة ان الهدوء والبرود يحتاجهما حاليا ...

حدسه يخبره بأمر يقلقه ...!

عاد اغلب رجاله من حملة البحث بتعابير سلبية ونفس هزة الرأس التي تخبر ماهر انهم لم يجدوا شيئا ..

ليسأل رائد بنبرة مغيظة مستفزة بحقارتها

" هل تبحثون عن شاي وسكر ؟"



ليخرج اخر رجال ماهر من غرفة في الزاوية فينادي رئيسه قائلا

" سيدي .. تعال لوسمحت .. هناك ما يجب ان تراه..."

حادت عينا ماهر نحو رائد فيراه يشمخ بخيلاء وغرور ثم يبتسم بطريقة اكثر بشاعة من سابقتها ...

تحرك ماهر وهو يقول لباقي رجاله

" دعوه يأكل .. لااريد ان يصاب باغماء الان.."

دخل ماهر الغرفة الضيقة وتعابيره اشمأزت عفويا من الروائح فيها ..

على جانب الحائط تراصت عدة صناديق كارتونية وقد فتح رجاله بعضها وبدى واضحا انها زجاجات تحوي مواد سائلة مختلفة ..

عيناه تحركتا سريعا نحو لوح خاص كبير على الجانب المقابل للصناديق ..

اتسعت عينا ماهر وهو يقترب من اللوح فيستوعبه بلمحه خاطفة ..

اللوح عبارة عن صور وقصاصات ورق وجرائد ومطبوعات وملاحظات بخط اليد وكلها تدور حول امر واحد ..

عائلته ... وبالاخص .. نساء عائلته ...

بسيطرة حديدية اخذ ماهر يقرأ الملاحظات التي كتبها هذا المعتوه كما يبدو جليا من الاسلوب ...

لقد كان يخصص جزءا لكل شخص او جهة مع بعض الصور ويضيف عليها باستمرار اي ملاحظات جديدة او خطوات مستقبلية ..

- رجال ال الغازي وال الناجي يصعب الوصول اليهم حتى عبر النساء ..
- تغريد الغبية بمؤهلاتها المحدودة لم تستطع حتى اغواء اصغرهم سنا والعازب بينهم (محمود الناجي) ولم تستطع معرفة اي معلومات مهمة وصحيحة عن اي شيء يخص الشركة او تحركات الرجال ..(غبية جدا)
- الغبية تم طردها من العمل (اتمنى لو حظيت بأمرأة حقيقية استخدمها بشكل فعال) ..

نادية – نجلاء – نهى

- الطريق اليهن لايكون الا عبر المشغل والمشغل مغلق للاسف على تشغيل النساء فقط ..
- علاقتي الجديدة باحدى العاملات ستؤمن لي بعض المعلومات التي قد تفيدني ..
- للاسف خسرت العاملة قبل ان ابدأ بها!

- وللاسف ايضا ليس هناك اي ماض شائن يخصهن ولا بوادر ظاهرة عن ارتباط عمل المشغل بالمؤسسة ..

سلسبيل الغازي

- محلها السخيف لاقيمة مادية له ورحلاتها المجنونة هنا وهناك للترفيه مكلفة احيانا..
- حادة وعنيفة في ردود افعالها اذا ابدى احدهم لمحة اعجاب بها ..
- ملاحظة : هذه المرأة اعجبتني جدا .. جذابة كأمها .. خسارة في مهدي الغازي فأنا اولى بأمرأة نارية مثلها..

حوراء الناجي

- مجازة حاليا من عملها بسبب الحمل
- سمعتها محترمة كأبيها
- لاتخرج الا برفقة زوجها غالبا الذي يبالغ بحمايتها والكل يعرف جنونه بها.. الحقير لن انسى ابدا انه ضربني يوما..
- نشاطاتها محدودة بالجمعيات الخيرية
- لم استطع التوصل لأي شيء يثبت تورطا ماليا غير نزيه عبر هذه النشاطات..

صفية

- امرأة جدية قوية وصلبة .. محكنة في العمل رغم صغر سنها نسبيا ...
- خلال عملي معها كمحاسب في مكتبها لم استطع التوصل لأي تورط في تهرب ضريبي او عمولات غير شرعية ..
- ليس هناك اي ترابط عمل بين المكتب ومؤسسة الغازي –الناجي...
- كنت سأغادر المكتب فعليا حتى لو لم تتعرف علي حوراء الناجي، اضاعة للوقت وادعاء العمل كمحاسب ممل جدا..

زينب (مهمة جدا)

- للاسف لم استطع الوصول للتعامل مباشرة معها .. مقربة من اسر الغازي شخصيا ..
- اشتباه في وجود علاقة عاطفية مع رئيسها السبعيني
- لادليل حتى الان..
- متزمتة باردة لاتلتفت لمحيطها في الشارع.. لاحقتها اكثر من مرة وحاولت افتعال اي وسيلة لاثارة انتباهها لكنها كالثور المربوط في ساقية ! لاتنظر يمينا ولا شمالا ...
- محدودة العلاقات كما يقتصر يومها على العمل والبيت فقط ...

- حتى الآن صعب جدا ايجاد منفذ للتقرب منها ومحاولة اخيرة فاشلة للحاق بسيارتها عندما رأتني اختها فاطمة .. لكنني لن أيأس ..

فاطمة

- ستنهي دراستها الجامعية
- فتاة جميلة تبدو غبية كتغريد ....!
- ليس لها نشاطات غير الذهاب احيانا للنادي مع بضعة صديقات محددات ..
- لاعلاقات مع شبان ولا خطبة مرتقبة في العائلة .. (كانت مخطوبة وهي مراهقة وفسخت لاسباب تقليدية)
- هادئة الطباع عموما ومنطوية نوعا ما
- ليس لها علاقة بأي عمل يخص المؤسسة..
- لذلك لا فائدة من تكرار محاولة التقرب منها لانها واقعيا (بلا اهمية)

ظلت اخر كلمتين تترددان في اذن ماهر

(بلا اهمية .. بلا اهمية .. بلا اهمية ..)

ادرك في لحظة ما يجري ..

لقد كان يبحث في الاتجاه الخاطئ !

هذا المعتوه لم يختطف توته ..

ليس هدفه الاختطاف ابدا ..



انه يريد معلومات ليشوه سمعة العائلة ..

فقط .. لاغير !!

همس وشعور رهيب يعتصر قلبه

" يا الهي .. توته .."

عند باب الصالة وقفت نجلاء وبعينين دامعتين اشارت لزوجها ان يأتي ..

تحرك بلال مستأذنا من الجميع بينما يغادر الصالة مع نجلاء وهي تهمس في اذنه باختناق

" محمد لايرد علي .. اتوسل اليك بلال حاول ان تتصل به انت .. محمود ايضا عجز عن التواصل معه .. الفتى سيفقد عقله بحثا عن فاطمة المسكينة .. يا الهي الصغيرة الرقيقة المسكينة .. لااعرف ما جرى لنا.. حسبنا الله ونعم الوكيل .."

اخذ بلال يهدأ زوجته لتميل وتجهش بالبكاء على صدره فيحتضنها وهو يردد

" انه ابتلاء من الله والمؤمن مبتلى صغيرتي.. تشجعي ولاتيأسي .. نحن نحاول جهدنا سلوك اكثر من درب حتى نصل اليها .. "

رفعت نجلاء وجهها تمسح خديها وهي تنظر في عيني زوجها بأمل قائلة



" اجل .. سنجدها .. ان شاء الله سنجدها قبل ان يصيبها اي مكروه .. اسر ابلغ اعلى المستويات ليبحثوا عنها وانت ايضا كلفت من يجوبون المدينة طولا وعرضا حتى يصلوا اليها .. وماهر ... ماهر لن يدخر جهدا حتى يجدها بنفسه وقبل غروب الشمس .."

اخذ بلال يمسد على شعر زوجته وهو يقول بهدوء يخالف القلق الرهيب في اعماقه

" سنجدها باذن الله .. دعيني احاول الاتصال بمحمد .. وان كنت اظنه لن يرد حتى على اتصالاتي .."

هدر صوت مهدي وهو يتحرك ذهابا وايابا في الصالة

" الحقير كان يخطط ويدبر لاشهر .. يا الهي اشعر بالعجز ونحن نجلس هكذا والساعات تمر دون نتيجة .."

تطلع اليه ظافر بصمت دون ان يعلق بشيء بينما قال آسر بنبرة هادئة " كل واحد منا اجرى خطواته الخاصة لايجاد طارف خيط يوصلنا لفاطمة و اتكلنا على ماهر بالتصرف على ارض الواقع مع هذا علينا ان ندعمه بالتفكير العقلاني بكل الاحتمالات فربما فاته وفاتنا شيء خاصة بعد صدمة الاختطاف وهذا ما اراه ظاهرا على وجهك شاهر .."

قال جملته الاخيرة وهو يوجه كلامه لاخيه الذي يقف قرب الشباك يتطلع عبره بشرود ..

التفت شاهر بينما اسر يضيف المزيد يحثه على توسيع دائرة الافكار بينهما

" ألن ترمي القطعة الناقصة من الاحجية يا اخي .. "

عقد شاهر حاجبيه قليلا بينما يقول

" انها ليست قطعة ضائعة من احجية .. لكني في البداية شعرت اننا ننظر للصورة الكلية من الزاوية الخطأ .. والآن اختطاف فاطمة جعلني بحالة صدمة لاني لم اتوقعه على الاطلاق .."

اقترب مهدي وهو يتساءل

" ماذا تقصد ابي ؟ "

فكان اسر من يرد وبسلاسة عجيبة

" يقصد ان رائد هذا وحسب ما جمعه ماهر من معلومات حوله تتميز تحركاته بالسذاجة وقلة الحنكة كاقترابه من المشغل وكان يمكن ان تتعرف عليه نادية فهو لايضمن انها لم تره في المستشفى عند ولادة غازي حيث اننا حضرنا بالفعل فيما بعد وتواجدنا هناك سويا وايضا كيف يعمل لدى صفية في مكتبها وكان يمكن ان يأتي زوجها ماهر لزيارتها في اي وقت ويتعرف عليه .. "



عندها قال شاهر في تناغم مع كلام اخيه

" كل هذا لاينسجم مع فكرة ان لديه مخطط ذكي وصبور طويل الامد متقن وحذر لتنفيذ غاياته الاجرامية فينتهي بخطف احدى النساء ! .. لا اراه لديه هذه العقلية الاجرامية الصبورة المنظمة .. قد يبيع المخدرات ويفعل الفواحش لكن ان يخطط ويدبر بتأني فهذا لايقنعني .. ثم اين التخطيط في اختطافه لفاطمة ليلة الامس ؟! انه جبان نذل حقير ويبدو ان لديه غرور بذكائه المحدود فيتهور حيث يجب ان لايفعل لكنه يظل جبانا ولن يقدم على فعلة الاختطاف او القتل معنا ... ارى اننا ننظر لما يحصل بطريقة خاطئة .. الصورة مكتملة لكننا ننظر اليها من الزاوية الخطأ ولذلك نحللها بشكل خاطئ .."

عندها فقط تدخل ظافر قائلا

" حقا كنت اتساءل بنفس الاتجاه .. لماذا يختطف فاطمة الآن ؟! ولماذا فاطمة تحديدا ؟ كل فتياتنا ونسائنا وحتى اطفالنا كان يمكنه ان يختطف ايا منهم في اية لحظة فنحن لانضع حراسات مشددة وهو يراقبنا منذ اشهر .. لماذا اختار ان يفعلها الآن ؟ ما يشوشني اكثر هو ملاحقته الخاصة لفاطمة .."



فرد آسر وهو يغمض عينيه ويعيد رأسه للخلف مسترخيا على ظهر كرسيه

" من يقول انه كان يلاحق فاطمة بشكل خاص ؟ لقد كلمها مرة واحدة فقط .. واما الثانية فانا ارجح انه كان يلاحق زينب لا فاطمة .. وما حصل ان زينب كانت بالصدفة ذاهبة لتأخذ فاطمة من الموقع الميداني.."

تمتم مهدي بوجل وهو يفسر الامر لنفسه اولا " انه يلاحق النساء او يستخدم النساء للملاحقة .. لكن غاياته لاتكمن في الاختطاف او جرائم عالية المستوى.. ما يبغيه جرائم من نوع اخر تليق بنجاسته .."

ردد آسر وهو ما زال يغمض عينيه

" انه يتحرى ... يريد الوصول لنقطة محددة واظنه جازما يبحث عن فضيحة قذرة تخص العائلة فينشرها .. اعترف ان اختطاف فاطمة اربك عقلي منذ ليلة الامس لاني لم اتوقعه على الاطلاق كشاهر بالضبط "

فتح آسر عينيه ليحرك يده مخرجا هاتفه وهو يقول بنبرة غامضة

" سأتصل بماهر .. اتوقع ان تشوش الصورة قد تلاشى لديه هو الآخر ومؤكد سيحتاج لفكرة ينطلق منها ليبحث من جديد .. رائد ليس هو من اختطف فاطمة .."

الفصل الحادي عشر

خرج ماهر من تلك الغرفة الضيقة وهو يجاهد للحفاظ على قوة اعصابه ...

عليه ان يتأكد اولا ..

عليه ان يقطع الشك باليقين ..

العائلة كلها تعتمد عليه ...

اقترب من ذاك المعتوه الذي يأكل طعامه بشهية مفتوحة !

قال ماهر بنبرة صوت هادئة

" اذن تهتم بنساء العائلة كأي جبان.. "

التفت رائد بوجهه ناحية ماهر ليقول بتفكه وفمه مملوء بالطعام

" مفتاح اي رجل نساء عائلته.. انهن نقاط الضعف الازلية ... "

فيبتلع طعامه وقبل ان يضع لقمة جديدة أضاف وهو ينظر بحقد لايوصف

" كما ان النساء ثرثارات بطبيعتهن ... فلا تلمني للمحاولة للوصول الى اسراركم العظمى عبرهن .. لقد اصبحتم شغلي الشاغل منذ طردت من عملي باجحاف سافر.. وفي اليوم الذي خطوت فيه مغادرا ارض المستشفى لاخر مرة مكللا بالعار خاسرا لكل ما سعيت لاجله حتى اكتسب

هيبة ونفوذا واحتراما .. في ذلك اليوم المشؤوم رأيت اعلانا ضخما في الشارع عن افتتاح مصنع جديد لمؤسسة الغازي - الناجي .. عندها تذكرت وجوهكم المتعالية الحقيرة .. ظافر ومهدي و .... انت.. فاقسمت ان افعل المستحيل لاراكم مذلولين بالخزي والعار ... ان اكتشف احقر ما تخفونه لتظلوا بالصورة اللامعة التي تبهر الناس .. حتى وان فشلت ماذا سأخسر اكثر مما خسرت في حياتي ..؟! "

ما زال ماهر يناظره بصمت غامض ليغمز رائد له وعيناه تلمعان بالخبث والاستفزاز وهو يضيف المزيد

" على العكس انا لااشكو ... فمتعة المحاولات لاتضاهى باثارتها وانا برفقة نسائكم الفاتنات على اختلافهن .."

في لحظة كان ماهر يقلب المائدة ثم يقلب رائد بكرسيه للخلف حتى وقع على الارض مصدوم الملامح ليميل ماهر اليه يبتسم في وجهه بنظرات قاتلة وهو يقول له

" لديك ميول انتحارية ..."

ظهر الوجه الاكثر قبحا لرائد وهو ينفث انفاسه القذرة في وجه ماهر ويقول بحقد كالسم الزعاف

" وماذا بقي لامثالي من ميول ؟! الانتحار هو العلاج الناجع لنتخلص من هذه الحياة العفنة غير المنصفة .. نعيش فيها غارقين بازبالكم ننظفها لكم ونحن ممتنين ! لذلك لا تشتكوا لاننا نحب اللعب بقذارة معكم .."

ثم رفع كفيه وهو يضيف بمزيد من الحقد والكره وحتى القهر

" يداي هاتان بكل قذاراتهما تهويان تلويث انظف ما تحمونه بحياتكم.. يداي هاتان كانتا تبغيان فعل المزيد مما يحرق قلوبكم لوعة من احساس الخسارة .. ما هو العدل ؟! ها ؟ ما هو العدل ؟ ان اقضي حياتي يتيما اناضل حتى اصبح طبيبا ..

فعلت كل شيء حتى انهي دراستي .. سرقت من زملائي وابتززت استاذتي بفضائحهم .. زورت وغششت حتى حصلت على الشهادة .. لكن.. لاشيء تغير .. ما زلت لا املك الا القليل.. بلا حسب ولا أصل فلا تنظر لي الا النساء الرخيصات .. بينما انتم تحصلون بالولادة على كل شيء .. كل شيء .. لتكونوا كما انتم الان .. مغرورين متعجرفين ... وكيف لا وانتم تملكون الحسب والنسب والاصل العريق والسمعة الممتازة فلا تقترون الا باجمل النساء وافضلهن .. نساء مميزات لم استطع الاقتراب منهن او حتى لفت انظارهن او اثارة اهتمامهن.. فشلت ... فشلت ... كما فشلت

في كل شيء في حياتي .. لم استطع سلب اي شيء منكم حتى سمعتكم النظيفة فشلت في تلطيخها ولو ببعض القذراة "

لم يبدِ ماهر اي لمحة تأثر ليتطلع ببرود شديد ناحية يدي رائد اللتين ما زالتا مرفوعتين للاعلى بتحفز حاقد فيقول ماهر بعدها بهمس شرس

" سأستمتع باحراق يديك هاتين .. لكن عليك الانتظار لان لدي عمل اهم .."

ثم وقف على قدميه ليأمر رجاله

" احضروه ..."

بيت ماهر الغازي

خرجت نادية من غرفة زينب وهي تشعر بالاجهاد .. الفتاة شديدة العنف في ردة فعلها وقد اتعبتها جدا حتى تماسكت وهدأت واقتنعت بالانتظار ...

وان كان عنفها دليلا واضحا على شدة ضعفها وقلة حيلتها ...

تفاجأت نادية وهي ترى امامها محمود يقف وكأنه كان بانتظارها فسألته بهدوء

" ماذا تفعل هنا يا محمود ؟"

فيرد محمود وهو يتململ في وقفته

" اردت الاطمئنان .. عليها .."

عندها قالت نادية بغموض

" انها افضل الان .. لكنها لسبب ما تشعر بالذنب وتحمل نفسها المسؤولية .."

عبس محمود وهو يتساءل بلهفة عاطفية افلتت منه

" لماذا ؟! لماذا تفعل هذا بنفسها ؟"

نظرت اليه نادية بتفحص قبل ان تقول

" لااعرف بالضبط .. ظلت تتكلم عن (نصيحتها الغبية الرعناء) .. لكنها لم توضح اكثر .. فقط كانت تضرب على رأسها بهستيرية حتى استنزفت قواها وخمدت افعالها .."

تقدم محمود بتهور ناحية باب الغرفة المغلق وهو يقول

" دعيني اكلمها خالتي .. ارجوك .."

منعته نادية بالقول الحاسم

" تأدب يا ولد .. الى اين تذهب ؟! هل جننت لتدخل غرفة الفتاة هكذا ؟"

اخذ محمود يشد بشعره وهو يقول بتوتر

" انا اسف .. لم اقصد ..لكن احتاج ان اكلمها .. اشعر انها تحتاج للتكلم معي .."

نظر في عيني نادية فيقول بثقة اذهلتها

" انها تغضب مني على الدوام وغضبها هذا سيجعلها تنفس عن مكنونات قلبها وما يقض مضجعها كما لاتفعل مع اي انسان اخر .."

للحظة صمتت نادية قبل ان تلتفت وهي تقول بغموض

" انتظر هنا .. دعني اكلمها .."

مرت دقائق طوال اوشك محمود ان يفقد فيها اعصابه ويتصرف بتهور منفلت منه لتُفتح الباب فجأة وتطل منه خالته نادية يتبعها ...... ظل ..

لزينب ...

تحركت نادية قائلة

" سأنزل للاسفل أعد لنا جميعا الشاي .. إلحقا بي بعد قليل .."

بينما تبتعد خطوات نادية كان محمود يراقب زينب بانفاس تتسارع قلقا ولهفة عليها ..

تطأطأ رأسها وتبدو بملابسها البسيطة وضفيرتها المستقرة على كتفها وكأنها طفلة مراهقة محطمة ...

اقترب منها يقول لها بصوت مبحوح

" زينب ... انظري الي ..."

لم تفعل بينما ترد عليه بصوت مجروح بالألم متقطع بشعور العجز والضياع

" انا خرجت لاكلمك .. فقط لاقول لك.. أردت ان اقول اني .. انا يا محمود .. انا .. "

اقترب منها اكثر يقف على بعد بضعة سنتيمترات ويهمس لها

" لست انت من يبقى خلف الجدران يشعر بعجز احمق كهذا .. انت اقوى من هذا بكثير يا زينب .. فقط .. تذكري ان فاطمة تحتاج قوتك .. تحتاج دعاءك .. تحتاج ان تجدك صلبة عندما تعود لنا بالسلامة فترتمي في احضانك .."

اخذ كتفاها المحنيان كرأسها يرتجفان ..

تمزق قلبه وهو يراها تقاوم بكاءها هكذا.. لم يشعر الا وهو يمسكها من اعلى ذراعيها فيقربها منه حتى لامس رأسها صدره ليقول لها بهمس يفيض بالعاطفة " ابكي زينب .. ابكي واخرجي من دوامة القهر .. "

وكأنها كانت بانتظاره ليقولها ..

ليحررها من الكبت الحقيقي الذي تمارسه على مشاعرها .. بعيدا عن هستيرية عشوائية لاتعبر بحق عن فجيعتها ... بكت وبكت وجسدها يختض بعنف بين كفيه..

تقف نادية عن مسافة منهما تراقبهما وتتألم لكل هذا الوجع الذي يصيب قلوب فتية ...

شمس الظهيرة تنعكس على باب حديدية صدئة بعض الشيء ليفتحها محمد ويدخل من خلالها عابرا بخطواته المسافة القليلة التي تؤدي لباب البيت الخشبي المزخرف ...

وعند ذاك الباب الضخم تطلع محمد حوله يلقي نظرة متفحصة حوله باحثا عن اي اشارة قد ترشده .. البيت ما زال يحتفظ برونقه رغم قدمه وقلة صيانته ..

اضاع بضع ساعات في البحث حتى وصل لهذا العنوان ..

انتظر وانتظر وهو داخليا يستعد و يحضر نفسه للكلمات التي سيستخدمها للوصول لاهدافه ...

انه يفرض على نفسه حالة تبلد عاطفي ..

بل تجميد بالكامل ..

عقله فقط في حالة نشاط رهيب ..

لو فتح الباب لجنون ما يشعره سيفقد عقله دون ادنى شك ...

بسيطرة جبارة مد يده ليضغط زر الجرس ومر بعض الوقت حتى سمع صوت خطوات ثقيلة ثم تنفتح الباب الخشبية وهي تصدر صوتا مزعجا لتطل من خلفه امرأة عجوز نسبيا او تبدو اكبر من سنها لهموم جسام حملتها في حياتها ...

حياها محمد بابتسامة هادئة وهو يقول

" مرحبا سيدتي .."

تتوكأ المرأة على عصاها بينما ترفع يدها الاخرى لتحرك نظارتها الطبية على وجهها وهي ترد عليه بلطف يذكره منها

" مرحبا بني .. عفوا من انت لم اميزك .."

رد محمد بنفس الابتسامة التي يجاهد لابقائها على وجهه

" انا محمد الناجي .."

تهللت اسارير المرأة وهي تفاجئه بسحبه من ذراعه و تقول له بترحيب

" آآآآآآ .. انت ابن بلال الناجي .. تذكرتك الان .. كنت اصغر سنا في حفل خطبة ابن اخي على قريبتك .. تعال بني .. تعال وادخل .. مضى زمن طويل لم يزُرني احد .."

عقله يستوعب الكلام بل يتلقفه بتركيز عال بينما يستسلم لسحب المرأة له حتى اجلسته في صالة الضيوف..

جسلت جواره على الاريكة القديمة الطراز كقدم كل شيء هنا ثم قالت بتنهيدة شوق لماض جميل

" بلال الناجي .. جارنا القديم ووالدته الطيبة رحمها اللّه من خيرة النساء .."

استعد محمد لتوجيه دفة الحوار الى حيث يريد.. لا وقت لديه للمماطلة كثيرا ..

فقال برفق

" كيف حالك سيدتي .. مضى زمن لم نرَك .. وقبل ايام التقيت صدفة في الشارع بـ.. خالد .. وسألته عنك .."

تعكر صفاء تعابيرها بينما تقول بتعابير اخرى حملت الهم والغم

" لاتكلمني عنه .. لقد تبرأت منه كما تبرأ منه والداه قبل ان يتوفيا رحمهما اللّه.."

بدت كمن تريد الافصاح عن المزيد فالتزم محمد الصمت ينتظرها ان تفصح ولم تخدعه فطنته لتبدأ العمة في نفث كلماتها التي تضج بالألم والحسرة

" لااستطيع تخيل ان هذا الفتى التائه هو اخر بذرة لعائلتنا العريقة .. انه الذكر الوحيد المتبقي الذي يحمل اسم والدي ..

هل تعلم بني .. كانت عائلتنا مزدهرة برجالها ذو السمعة الطيبة والاخلاق الرفيعة .. اسأل والدك عن تاريخ بيت العائلة .. بيت والدي الذي سكنه اخي وزوجته من بعده رحمهم اللّه جميعا..

مؤكد الغالي بلال يعرف كل هذا .."

تسترسل اكثر في الماضي وهي تقول بمزيد من الحزن والشجن وان شابه بعض الفخر

" بيتنا كان كقصر مهيب وسط تلك المنطقة المميزة .. كان القصر الوحيد تقريبا ثم اصبح الاثرياء يحبون الاقتراب منا فيشترون الاراضي من حولنا حتى ضجت المنطقة بالقصور والبيوت الفارهة لتتحول لحي سكني وراق .."

تبسمت في وجه محمد ثم ربتت على يده وهي تكمل ذكرياتها

" والدي رحمه الله اعجب جدا بوالدك وقد رآه نعم الرجل المكافح العصامي لذا ساعده لشراء بيت وهو بيتكم الحالي في نفس الحي .. وان كان على الطرف الآخر من مكان قصرنا .."

شعر محمد ان الحوار يتجه بعيدا عما يريد فسارع للقول وان بدى متأنيا

" خالد قال انه يعيش معكِ .. فهل سيستقر هنا في بيتك ام سيعيد تجهيز بيت العائلة..."

تغيرت ملامح العمة بالكامل لتهدر بحنق شديد " من هذا الذي يعيش معي ؟! لا حول ولا قوة الا بالله .. لم أره الا مرة واحدة عندما عاد من الخارج بعد غياب لسنوات كان هذا قبل اسابيع وقد طردته حالما علمت غاياته من زيارتي .. لقد جاءني يدعي انه بحاجة للمال ويريدني ان اوقع اوراقا لبيع بيت والدي .. هذا الشاب الفاسد.. حطم والديه برعونته وتصرفاته الحمقاء ..

يدعي الافلاس وانا اعلم يقينا انه يملك المال فقد اورثه والده الكثير في حسابات مصرفية خارج البلد .. وامواله مستثمرة فعليا في مشاريع كثيرة .. لكنه يريد بيع اصله وبيع قصر ابيه وجده في رعونة جديدة منه.."

(قبل اسابيع) ...اخذ محمد يفكر ..

اذن خالد هنا منذ اسابيع ..

متى قرر الاقتراب من فاطمة ؟

يا الهي ...الصبر .. يا الهي امنحني الصبر..

سأل محمد بصوت متحشرج

" سيدتي .. انا احتاج لأمر مهم من خالد .. انها أمانة علي استردادها منه .."

نظرت اليه العمة باشفاق واحساس بالخزي وهي تقول

" اذن ضاعت الامانة بني .. مع ابن اخي تضيع كل الامانات والاخلاقيات .. عوضك وعوضنا على اللّه "

عضلة قلب محمد تنتفض في صدره ..

ابواب الجحيم تكاد تتحطم اقفالها المنيعة فيقاوم ويقاوم ويتحمل بينما يسأل بثبات

" هل لديك اي عنوان له .. او اي معلومة قد ترشدني اليه.."

هزت المرأة العجوز رأسها نفيا فارتخي رأس محمد للامام ويداه تتقبضان بعنف فوق ركبتيه فيسمعها تضيف بحسرة

" مؤكد يؤجر شقة فخمة ليعيش فيها تاركا قصر العائلة مهجورا وكئيبا وهو يرفض اجراء اي اصلاحات له .. حاولت حثه.. حاولت حتى توسله ارضاء لوالديه اللذين ماتا بحسرتهما عليه .. قلت له جرب ولو لليلة واحدة ان تبيت بين جدرانه التي تحكي حكايات الزمن الجميل فربما عندها ستحن وتعيد التفكير لكنه اكتفى بأن رد علي بعنجهيته المنفرة (من سيفكر بغباء اني قد اقضي ولو ليلة واحدة بين خرائب القصر) ؟"

ثم اخذت العمة تستغفر اللّه في مزيد من الحسرة غافلة عن عيني الشاب الذي يجلس جوارها وقد انعكس في خضرة تلك العينين لمعان الحدس الذي لايخطأ..

في الحديقة حيث تركها محمود اخيرا ليدخل البيت يحضر لها بعض الطعام تتناوله بعد صيام لما يقارب يوم كامل ...

لقد لازمها كظلها منذ ان جعلها تبكي بانهيار امامه .. لكنه لم يعاود الكلام عن فاطمة فقط منحها رفقة هادئة بل هدنة من كل شيء ..

هدنة احتاجتها بشدة دون ان تثقل على نفسها بالتفسيرات والحروب الداخلية ...

بدى كل شيء في حالة هدنة من حولها ..

حتى الخالة نهى بدت على غير طبيعتها فتسارع لاحتضانها كلما رأتها وهي تبكي بتأثر و تطمئنها ان فاطمة ستعود..

حقيقة تشعر بالذهول من هذه المرأة التي كما يبدو انها لن تفهمها على الاطلاق..

اخذت زينب تلامس القطتين معا (فضة وعسلية) ثم تهمس لهما بحشرجة " ستعود الينا فاطمة .. انا اشعر بهذا .. ستعود قبل طلوع شمس الغد .. ماهر .. لن يسمح لها بالمبيت خارجا ليلة ثانية ..."

شعرت بخطوات تقترب منها فظنته محمود فالتفت له عفويا عندما هبّت على قدميها تركض شاهقة وهي ترى هيئة ماهر ..

خطواتها تثاقلت وهي تنظر لتجهم ملامحه المخيف .. اختنقت وغاص قلبها لقعر هاوية التكهنات المرعبة ..

فتحت فمها لتنطق فلم تستطع ليبادرها ماهر بالقول " زينب .. بماذا تحدثتما انت وفاطمة قبل خروجها لبيت عمتي نجلاء ؟ "

ارتبكت زينب للحظة بل وتورد وجهها وهي تحدق في عيني ماهر ..

ليقول ماهر بكلمات دقيقة لاتحتمل الانتظار

" اخبريني زينب .. كل شيء .. انت تعرفين من انا .. ربما انقاذ فاطمة يعتمد على ما ستقولينه .. حتى لو كانت مجرد اسرار فتيات تخجلين من البوح بها امامي لكن الان لا وقت اطلاقا للخجل والاخفاء ..

الحارس الذي وضعته لها اخبرني الان فقط عن ذاك الشاب الذي تكلمت معه فاطمة امام بوابة الجامعة وعن تدخل محمد فيما بعد واوشكا على الشجار .. الغبي لم يخبرني قبلها ظنا ان الموضوع لايستدعي الاهتمام وانه فقط من المعارف يتودد لها .. حتى انه لم يلتقط اسمه ! ويصف ملامحه و هيئته كأي شاب اخر من البلد .. طويل عريض الكتفين داكن الشعر بني العينين هادئ الطباع حسن الهندام .. لاشيء مميز استدل بها على هويته .. ومحمد مختفي لايرد على اتصالات احد .. لذلك ليس لدي غيرك ليخبرني ..."

كان ظل محمود يتحرك عن مسافة وهو يحمل صينية الطعام لكن كل تركيزها كان مع ماهر وهي تستعيد كل كلمة تبادلتاها هي وفاطمة مساء الامس ، هل هناك ما يفيد حقا من سرد اسرار فاطمة العاطفية وما تشعره نحو محمد ؟

عاد ماهر ليقول بتحديد

" كما اريد ان اعرف سبب ما اخبرتني به خالتي نادية للتو انك كنت ترددين

صباحا وخلال هستيريتك ان ما حصل لفاطمة بسبب نصيحتك لها .."

كان يحدق بقوة في عينيها بينما تقول بتردد " فقط .. كانت متضايقة وانا نصحتها ان .. تخرج سيرا على الاقدام لـ.."

قاطعها ماهر باسلوب حاد لم يستخدمه معها من قبل بينما يقول ببعض القسوة والشراسة

" لاتكذبي وتراوغي .. انا احفظك كخطوط كفي .. لذلك كوني صريحة معي .. قد تظنين ان لاشيء مهم مما قالته لك فاطمة بالامس لكن دعيني انا من يقرر مدى اهميتها .. لقد وعدت نفسي ان اعيد فاطمة ولو كلفني الامر حياتي

وسأفعل هذا دون تراجع .. لكن الوقت يداهمنا وما زلت ابحث عن طريقي اليها.."

عندها ترقرقت الدموع في عيني زينب وتكاد تختنق بغصتها والرعب الذي يعتصر قلبها لتهمس معترفة بكل شيء

" انا نصحتها ان .. تذهب لمحمد .. وتشرح له ما حصل مع خالد .. كانت تبكي ومنهارة لان محمد فهم الموقف بشكل خاطئ .. لكن .. لكن اقسم باللّه انا لم أقل لها ان تذهب في التو واللحظة .. تصورتها ستذهب اليه في الصباح التالي وتكلمه على انفراد .."

جحظت عينا ماهر وهو يقول بقلب واجف

" خالد ؟! هل تعنين خالد .. خطيبها السابق؟"

وعندما هزت زينب رأسها ايجابا ودموعها تسيل على خديها كان ماهر ينتفض شراسة وهو يمسك بساعدها يهزها ويأمرها بالقول

" تماسكي الآن .. قولي لي كل شيء .. كل تفصيلة قالتها لك بالامس .."

قبلها بساعتين ...

في قصر مهجور ...

اشعة الشمس التي ملأت الاجواء حولها تزعجها وتمنحها شعورا متزايدا بالضيق ..! ربما لانها ما زالت تشعر بصعوبة في تركيز نظراتها على شيء منذ ان فتحت عينيها قبل دقائق لتجد نفسها في هذا المكان ..

كل ما استوعبته حتى الآن انها محتجزة على سرير منفرد مفارشه مصفرة بوضوح ورائحة عفن الرطوبة والغبار تملأ الاجواء..

كما استوعبت بصدمة انها مستلقية على ظهرها (اجباريا) لان يديها مقيدتان لجانبي السرير بحبال قاسية تربط كل معصم لطرف ، و خرقة بالية تلتف حول رأسها تشد فمها بخشونة حتى تعجز عن اطباقه فتبثت لسانها وتشعر بطعم الخرقة يثير غيثانها أكثر..

ينتابها شعور غثيان رهيب وتشوش في عقلها وهي تجاهد لتستعيد تركيزها ..

انه شعور الضياع ذهنيا ...!

خيالات الامس كلها كانت مظلمة ومتداخلة غير واضحة المعالم ..

حاولت اكثر واكثر تعتصر ذاكرتها وفجأة يبرز من قلب ظلمة ذكرياتها وجه اختها زينب ...

تلقائيا ترقرقت عينا فاطمة بالدموع وهي تحدق في السقف فتحرك فمها بعجز تنطق اسم اختها وكأنها تناجيها لكن لاينطلق اللسان بنداء الروح لتوأمتها ...

اغمضت عينيها تعتصر دموعها ..

اخذت تتماسك وهي تفكر في سرها

" لاتنهاري الآن يا فاطمة .. اهدأي .. فكري ماذا حصل بالامس ...ماذا حصل بالامس ؟ "



فجأة داهمها وجع يقطّع القلب أربا وهي تشق ظلمتها ليتحرك خيالها بمسيرتها عند غروب الشمس حتى وصلت لبيته .. لقد ذهبت... اليه ... بقدميها ...حرفياً!

ذهبت لمحمد بتهور غبي لتشرح له .. لتفهمه .. لـ.... تسمع منه كلمة طالما حرّمت على قلبها ان يحلم بسماعها ..

لم تكن تريد الا تلك الكلمة .. يا الهي ليمزق محمد قلبها بسيف كلمات أخر تركت قلبها مثخنا بجروح لن تندمل ...

أجفلت فاطمة وهي تشعر بملامسة على ساقيها المكشوفتين من تحت تنورتها فترفع رأسها بصعوبة لتختض بصدمة جديدة وقد جحظت عيناها الدامعتان وهي ترى امامها ... خالد .. جالسا على حافة السرير قريبا من ساقيها وهو يبتسم !

كل ذاكرتها أنجلت في لحظة واحدة من الزمن ...

كل الماضي البعيد والقريب تجلى امامها وكأنه كائن ضخم من لحم ودم يواجهها ساخرا من ضعف ذهنها الوقتي الذي انكر وجوده ...

اخذت تحرك رأسها بهستيرية وتلتقط كل ما حولها بوضوح كامل ...

كل خلايا جسدها اصبحت في حالة استنفار وهي تتعرف على تلك النقوش الخاصة بجدران القصر المهيب لاكثر العوائل عراقة في اصولها ... آل الرابح ..

كانت تلهث بجنون فيتحرك جسدها بنفس الجنون بينما تكتشف وجودها فعليا في هذا البيت المقفر فلا تشعر بأي لمحة حياة فيه .. بيت كان يعج يوما بكل ما هو راق وجذاب ويزغلل العيون انبهارا...

بيت .. حلمت في احدى لحظات المراهقة باليوم الذي ستسكنه وتكون سيدته !

" اهدأي فاطمتي..انت في بيتك وقصرك.. لاجلك فقط غضضت النظر عن بيعه .."

ترنحت فاطمة بانهيار داخلي باغتها فتتجمد حركة جسدها بينما تعاود النظر لوجه خالد .... خالد الرابح .. خطيبها السابق .. الذي ظنته بغباء تغير بينما ما تراه في عينيه الآن لايوصف الا بنظرات رجل مجنون ....او يوشك على الجنون !

ارتعد جسدها بينما تشعر بملامسته لساقيها مرة اخرى فتحاول بعنف ابعادهما وهي ترفس لتشعر بقساوة يديه على ساقيها وهما تثبتانهما مكانهما ثم يأمرها بنبرة حادة منخفضة

" لاتجبريني ان أكون قاسيا اكثر و أشد ساقيك كذراعيك.."



قلبها يرتعد في صدرها بينما تنظر لتلك القسوة المشعة من عينيه .. قسوة غير طبيعية على الاطلاق ليصدمها اكثر و قسوته تتلاشى في رمشة عين ويعاود الابتسام بطريقة جعلتها تنفر منه الى درجة التقزز ...

عاود ملامسة ساقيها وهي تبذل جهدا خرافيا لتسيطر على ردة فعلها بينما تشحذ همتها لتجد مخرجا من ورطتها المرعبة هذه ... كلماته اللاهثة كانت تجرح مسامعها وهو يهذر بهوس مرضي واضح

" اخيرا فاطمتي تحقق الامل .. املنا نحن الاثنين .. لن يبعدك عني احد مرة اخرى... لا ماهر ولا ....محمد الناجي ..."

فجأة اقترب منها وعيناه تشعان بما اثار ريبتها بنواياه الآن .. ولم تخطئ في تفسيرها وهو يمد يدا مرتعشة تلامس وجهها وشفتيها هامسا بصوت خشن

" ومن هو ليحلم باخذك مني الآن وقد عدت تحديدا لاستعادتك ... ال الناجي لايحملون حتى دماء عريقة في شرايينهم .. ولن يتجرأ احد منهم على التطاول والطمع بما أملكه انا .. انا خالد الرابح .. من كان جدي يعطف على والدهم المحدث الثراء.."

اتسعت عينا فاطمة برعب متزايد .. كلماته اكثر جنونا من نظراته ..

هل هذا خالد حقا ؟

انها لاتتذكر انه كان هكذا؟

بل ربما كانت غارقة باوهام المراهقة واحلامها فلم تتنبه يوما لتلك العنجهية والترفع فيه ...

ألهذا كان يكره عائلة الغازي ؟ لانهم عائلة لاتقل عنهم عراقة بل هي اكثر شهرة وصيتها ذائع في البلد من اقصاه الى اقصاه لجمعهم بين العراقة والنفوذ والثروة الطائلة ..

الآن بدأت الخيوط تترابط في عقلها ...

الآن فهمت فقط لماذا كان يشعر بكل ذاك الغضب منهم ...

هذا الحقير المريض يريد ان يشعر دوما انه بمقام اعلى من غيره ..

ربما لهذا اختارها قبل سنوات ..

لانها من أصل بسيط ترضي نزعته للشعور بالتفوق ...

وبينما هي ذاهلة في افكارها شعرت بيده تتجرأ لتلامس مفاتنها الان وتعبث بازرار قميصها وهو يهمس بنبرة تتقطع باللهفة

" طوال سنين الغربة كنت احلم بامتلاكك .. امتلاك بالكامل .. روحك وجسدك.."

أخذت فاطمة تتحرك بمقاومة وعيناها الخضراوان تقدحان شررا بينما مقاومتها تزداد مع تزايد جرأة لمساته لتبدأ بتحريك ساقيها بعنف تحاول ضربه او دفعه...

اهتاجت عيناه بغضب جنوني يقابل شراسة عينيها ونظرة القتال التي تشع منهما

كبل حركات جسدها الذي يقاومه بينما يهدر " اذن لم يخطئ ابن الناجي باستكشاف روحك التي تشابه القطط فيشتري لك واحدة .. لن انسى ابدا لمعان عينيك وانت تأخذين منه هديته .."

ثم بحركة واحدة اصبح جالسا فوق ساقيها وذراعاه تمتدان ليلامس باصابعه كل ما يشاء وهي تتلوى بعنف فيقول المزيد وبعنف مجنون

" مؤكد في غيابي استغل كل فرصة ليستكتشف جسدك باكرا كما اكتشف روحك .. ألم يسبقه لذلك ابن خاله ماهر ... زوج اختك المغفلة ..؟ "

للحظة جمدت حركاتها وعيناها تتوسعان حتى اخرهما وتكاد لاتصدق حقارة ما يتفوه به ... ان يتهم ماهر في فترة خطوبتهما القصيرة انه يكن الحب لها في الخفاء كان جنونيا بما يكفي لتدرك ان مريض بالشك والوساوس ،

لكن ان يصل الآن لهذه الافكار المقرفة فهذا لايعادله شيء آخر ... انه مجنون .. مجنون بالفعل ..

وكأنه يقرأ ما يجول في عقلها فيتأوه وعيناه تبدوان بنظرات محمومة ليهمس بحشرجة " انت سبب جنوني ومحنتي .. مذ سافرت وانا اقضي ليالي محموما باحلامي حولك فلم املك الا ان اتزوج لاسد جوع جسدي اليك بأي امرأة .."

يميل بجذعه نحوها ويغرق وجهه في تجويف عنقها يتشممها وهي تكاد تفقد وعيها اشمئزازا .. تطلق اصواتا غير مفهومة حتى لاذنيها ولكنها تأبى الاستسلام وهي تتحرك بعنف تحت جسده ..

يبدو هو بعيدا .. بعيدا جدا عن شراستها في مقاومتها له بينما يقبل عنقها بهوس ويفيض لسانه بمزيد من خلجاته المريضة

" لكني اخطأت التقدير .. تزوجت ولم استطع ...ان ... ان .. امتلك جسدها .."

فجأة يداه اخذتا تتحركان بخشونة مؤذية فيرفع وجهه ذو السحنة المرعبة بتعابيره يقابل وجهها الممتقع ليصرخ

" رميت نقصي على زوجتي واتهمتها بالبرود لانها لاتثيرني كفاية .. بعد شهرين او ثلاث تطلقنا ثم ابتدأت محنة اخرى .. لم اترك بيت دعارة في شوارع لندن لم احاول فيه .. تحملت عشرات ردود الافعال من

قاذورات النساء .. ما بين مشفقة ومتسائلة وساخرة ... حتى جن جنوني في احدى الليالي فضربت احداهن بشكل مبرح اوشكت ان اقتلها .."

شهقة مكتومة ندت عن فمها بينما تتلقى منه صفعتين مباغتتين ليعاود صراخه

" سجنت .. انا خالد الرابح سجنت لعامين بسبب عاهرة رخيصة ... لهذا مات والداي .. لهذا السبب قتلا وهما يقطعان الطريق بجنون حالما علما بسجني .."

تنظر اليه وعقلها يستوعب بخطفات سريعة كل ما يقوله فيحرك يده ويلامس خديها

الاحمرين اللذين صفعهما قبل لحظات ليقول بضحكة بشعة

" تظنين اني ابالغ ؟! لا .. لا ايتها القطة الشرسة .. اول شيء فعلته عندما خرجت من السجن ذهبت اشكو علتي للاطباء .. كلهم اجمعوا اني لاشكو من من مانع عضوي والامر كله نفسي لاكثر .."

يده هبطت لعنقها النحيل يعتصره بين اصابعه وبنظرة مرعبة تعاودها حمى الهوس يهمس

" كله بسببك انت .. انت علتي .. وانت شفائي .. فاطمتي .."

كانت تختنق .. تختنق من كلماته وانفاسه.. تختنق من ثقل جسده .. تختنق من اصابعه التي تعتصر عنقها .. تختنق من احساسها بالعجز عن الدفاع عن نفسها ...

بدأت تشعر باصابعه تفتح ازرار قميصها فتبكي وهي تشحذ همة جسدها للمقاومة من جديد ...

هذه المرة نالت منه صفعات متتالية أشرس واكثر عنفا جعلتها تشعر ان كل شيء يظلم من حولها ...

اغمضت عينيها وهي تتلقى المزيد من الصفعات وشعرت بنفسها بل بروحها تطفو بعيدا عن جسدها ...

هل هي تستسلم ؟

هل هذه هي النهاية ؟

صوت بعيد ... صوت تحبه .. صوت دافيء ضاحك يفيض طيبة وحنانا

(صغيرتي الناعمة .. تخدعين الجميع بنعومتك هذه .. لكنك مقاتلة لايستهان بها.. فاطمة ..)

قلبها يناديه (بابا .. بابا ... خذني من هنا)

يلتفت اليها بوجهه ذو الملامح الرقيقة فيبتسم لها وفجأة تتغير ملامحه ليصبح كوجه وملامح ... ماهر ...!

خنقتها العبرة وراحة مخادعة تهدهدها ..

تريد ان تصرخ لتستنجد به لكن ماهر يبدو بعيدا هو الآخر فقط يناديها

(توته .. لن اقلق عليك ابدا .. تذكري انك قوية ... قوية ...)

غاب وجه ماهر وتكاد تغرق تماما في ظلمتها عندما شعرت بفمها يتحرر من قيده وصوت بغيض يجرح مسامعها بالقول

" ستكونين لي .. انت شفائي .. انطقي باسمي .. ألهثي بكلمات الحب والهيام كما كنت تفعلين قبل سنوات .. "

اختنق صوتها في حنجرتها لتشرق ظلمتها فجأة عن صوت يهواه القلب ويذوب عشقا في صاحبه

(سأقتله ان حاول لمس شعرة منك..)

فلم تشعر الا بلسانها ينطلق لتصرخ عاليا

" محمممممممممممممممممممممد ..."

عندها فقط نالت ضربة جنونية على جانب وجهها ادخلتها عنوة في ظلمة الاستسلام ...

اوقف سيارته على جانب الطريق قريبا من ذلك القصر الكبير ...

ترجل منها ليلتف للخلف ناحية الصندوق الخلفي يفتحه ويبحث عن اي شيء يمكن ان يساعده فلم يجد الا مفكا كبيرا ليلتقطه ويغلق الصندوق ثم يتحرك بخطوات سريعة وخفيفة يقطع بحذر وتنبه

مسافة خمسين متر تقريبا تفصله عن البوابة الامامية بينما عيناه تشعان بغضب بدائي يحكم سيطرته عليه لاجل ان يصل لهدفه فيراقب بذهن متحفز كل شيء حوله ..

فجأة وقبل ان يخطو محمد خطوة اخرى خرجت سيارة عبر بوابة القصر وبحركة رعناء جنونية التفت في الاتجاه المعاكس تنهب الارض نهبا وهي تبتعد عن ناظري محمد ...

اول ما لاحظه محمد ان من يقود السيارة هو خالد فعلا ولم يكن معه احد ولو ظاهريا فيحث خطاه راكضا ناحية تلك البوابة التي ما زالت مفتوحة فيدخل مباشرة متوجها باتجاه الباب الخشبية الامامية ..

حاول جهده فعل المستحيل لفتحها لكن لم ينجح ..

تحرك ملتفا حول القصر متوجها لجهة المطبخ يبحث عن باب آخر اكثر سهولة واستجابة لمحاولاته ...

كان يلهث وهو يحاول النظر عبر الشبابيك بحثا عن اي أثر ...

وصل لباب خلفي حديدي .. اخذ نفسا عميقا وزفره ببطء قبل ان يحاول كسر قفل ذاك الباب ...



مر وقت ليس بالقصير وجبينه ينضح عرقا وبعد عدة محاولات استطاع زعزعة احكام القفل ليبدأ بدفع بقوة بكتفه حتى انفتح الباب اخيرا ...

تحرك عبر مخزن المطبخ الذي دخله للتو ثم غادر المطبخ وهو يلاحظ الجرذان التي تركض هنا وهناك ..

كان تائها وهو يتلفت يمينا ويسارا في بهو القصر يحاول تذكر خارطته من المرة اليتيمة المشؤومة التي دخله فيها في ليلة الخطبة الكارثية قبل سنوات...

تسلق درجات السلم وانفاسه تتسارع اكثر واكثر ... حدسه يخبره ان فاطمة هنا ..

انه يشعرها .. يشعرها بين جدران هذا القصر الكئيب الموحش ...

كان يركض بين الغرف المتعددة يفتح ابوابها المغلقة يبحث عن اي اثر لفاطمة وهو ينادي باسمها ...

اخيرا .. لمح غرفة بابها مفتوح عكس الاخريات .. قلبه ينعصر وهو يتقدم نحو ذاك الباب وكل حواسه تخبره .. انها هناك ...

يتقدم بانفاس ثقيلة وخطى محطمة وعينين مفجوعتين تناظران معشوقته الملقاة على ذاك السرير ...

يقترب وهو يشعر بالدموع تتجمع في عينيه
وهو يراها فاقدة الوعي مربوطة المعصمين
وجهها يحمل اثار الضرب ، قميصها شبه
ممزق وساقيها مكشوفين حتى الفخذين !

نفض رأسه بعنف فترامت قطرات الدمع من
عينيه على خديه ...

تماسك في لحظات وتحرك سريعا وهو
يفك قيد معصميها ثم يلملم الشرشف
المصفر حول جسدها وبينما يحاول حملها
بحذر بين ذراعيه .. أنّت أنينا ثم فجأة
اخذت ترفس وتضرب وتقاوم بهستيرية ..

ضمها لصدره أكثر يهمس بصوت ملتاع
بالعشق ثابتا بالصمود

" فاطمة .. فاطمة .. انظري الي .. حبيبتي
فاطمة ... هذا انا .. لاتخافي .. "

فجأة استكانت كل حركاتها لترفع وجهها
نحو مصدر صوته فينشق داخله بلهب نيران
لاتشتعل الا لاجلها ..

وجهها العذب يخبره الكثير مما يقتله حيا
بينما تهمس شفتاها المجروحتلن الجافتان

" محـ...مد ..."

يضمها أكثر اليه ويقسم اغلظ الايمان لن
يفلتها هذه المرة بينما يهمس لها

" لاتقلقي .. كل شيء سيكون بخير .."



تحرك بها محمد مستديرا لتجمد خطوته

وهو يواجه عند الباب المفتوح وقفة خالد

وهو يمد ذراعه للامام وفي كفه يحمل

مسدسا يوجهه مباشرة نحو محمد

نظرات خالد كانت تفيض بما هو اكثر من

الحقد والمقت .. نظراته تفيض بالجنون ..

نظرة سريعة من محمد لرأس فاطمة الذي

استسلم على كتفه ثم عاد باهتمامه وكل

تركيزه لذاك المجنون يبحث عن وسيلة

يخرج بها فاطمة من هنا سالمة ..

قال خالد وهو ما زال على نفس الوقفة

" اذن انت من وصل اليها قبل ان يصل

الحبيب ماهر .. حقيقة اثرت اعجابي يا ابن

الناجي ..."

يقترب خالد خطوة فيلتقط محمد ما

التقطه سابقا ولم يفكر به جديا الا بعد

فوات الاوان .. تلك النظرات غير الثابتة

الزائغة التي تشي بمرض نفسي في صاحبها

همس خالد بصوت غريب وكأنه يهذي من

حمى " لكن للاسف وصلت متأخرا ..

فاطمة ... لم تعد تصلح لك ولا لغيرك ..

لقد انتمت ...لي.. انا وحدي... و رغما عن

انوفكم جميعا .."

يا الهي ... فاطمة .. يا الهي !!

يرتعد جسده وتثقل انفاسه بينما اخذ العرق يتصبب منه .. ووسط هذا الجحيم ما زال عقله مستنفرا يواصل حثه على التماسك وفي هذا الاحتدام لم يشعر بنفسه الا وهو يخطو بعنف نحو خالد يصرخ فيه

" ايها الحقير النجس .. هل تظن ان قيمتها بجسدها الذي تتبجح بانتهاكه ..؟ فاطمة ستظل اغلى واطهر بكثير من ان ينجسها قذر مجنون مثلك .."

عندها خرج همس غير مفهوم من فم فاطمة ويداها تتشبثان بياقة قميص محمد..

تعلقت عينا خالد بها .. ثم غرقت عيناه بيأس اقرب للموت قبل ان يقول بحشرجة

" اذن فانت لاتهتم ... اذن .. فانا خاسر .."

ما زال يوجه المسدس ناحية محمد بينما صدر محمد يعلو ويهبط بقوة وهو ينظر ينظر ليديها المتشبثتين به ..

عندها علم .. فقط عندها أيقن .. ان فاطمة تستحق حياته كلها ..

تستحق ان يموت لاجلها ..

تستحق ان يعطيها انفاسه لتعيش بها وقلبه لتنبض بحب رجل غيره لو شاءت ..

قال وعيناه لاتفارقان وجهها

" هل ستقتلني الآن ؟ وان يكن .. ستجد الف رجل غيري يمنحها روحه وقلبه كما تستحق .. لن تستطيع قتل كل الرجال لمنعهم الوصول اليها .."

ثم رفع عينيه يحدق في عيني خالد بثقة راسخة وقناعة لاتقهر ..

عندها قال خالد بنفس الملامح ونفس النبرة وهو يحدق في فاطمة

" ان لم تكوني لي ... فلن تكوني لغيري... وداعا فاطمتي .."

في لحظة اتسعت عينا محمد بذهول وهو يستوعب مقصده وفي اقل من لحظة اخرى كان يستدير بفاطمة حتى اولى خالد ظهره ومع صوت الاطلاقة كان محمد يحدق في وجه معشوقته وهو يتلقى الرصاصة من الخلف ..

يسمع همسها باسمه وهو يكاد يترنح من اصابته ليخترق مسامعه صوت اطلاقة جديدة ..

الفصل الثاني عشر

" هل ستقتلني الآن ؟ وان يكن .. ستجد الف رجل غيري يمنحها روحه وقلبه كما تستحق .. لن تستطيع قتل كل الرجال لمنعهم الوصول اليها .."

حدق خالد للحظة في عيني ابن الناجي وهما تشعان بالثقة ...

ثقة قهرته وحطمت الباقي من عقله ..

وهل كان هناك (باق) حقا ؟!

كيف يمكنه ان ينظر بتعقل لجسدها الناعم وهو بين ذراعي رجل آخر ؟!

كيف يمكنه ان يبحث عن فتات تعقل يستوعب بها صورا لرجال اخرين يحملونها ..

رجال يملكون قلبها كما ملكه ابن الناجي ...

هذا القلب وسط هذا الجسد لن يكونا هما الاثنين متعة متخمة لأي رجل

روحه تحتضر مع عقله ...

تتشابك المشاعر والوساوس وكأنهما يحضران النعش لما يموت فيه ببطء ..

مع تحرك فوهة المسدس قليلا لمستوى رأسها النائم على صدر (محمدها) خرجت الكلمات من فمه " ان لم تكوني لي ... فلن تكوني لغيري... وداعا فاطمتي .."

احساس الاقتراب من الموت يمنحه لذة استبدادية .. تدفعه للمزيد ..

رؤية الدم المتدفق من ظهر ابن الناجي جعلته مجنونا بإراقة مزيد من دمه ودمها..

ان يمزق شرايينهما معا باظافره فينزفان حتى الموت ..

هستيرية من اللذة سيطرت عليه لتجحظ عيناه ويتحمس لضغط متتابع على زناد مسدسه عندما سبقه صوت رصاصة ودوي انفجاري في رأسه فينطفئ بعدها كل شيء وكأنه ما كان هناك .. اي... شيء !

صرخة حوراء رجّت الجدران بينما يركض بها ظافر حاملا اياها بين ذراعيه وهو يهبط درجات السلم قفزا والاطفال يتصارخون من حوله ...

سلسبيل تصرخ في مهدي ان يلحق اخاها ونجلاء تضع الحجاب على رأسها وتسارع لاهثة الانفاس في إثرهما..

دخل طه على اخته زينب فيجدها جالسة على سريرها متكورة على نفسها ...

اقترب وهو يكتم تنهيدته ..

جلس على السرير قربها وهو يقول

" انا احتاجك زينب ..."

رآى كيف مرت ارتجافة في جسدها دون ان ترفع اليه وجهها الذي تغمره في ذراعيها المتشابكين فوق ركبتيها ...

مد يده يلامس رأسها وهو يفصح عن دواخله

" حقا احتاجك .. اشعر باحساس يقتلني لاني لاافعل شيئا لانقاذ فاطمة ..."

صوت نحيب مكتوم يصدر عنها بينما يتحشرج صوت طه وهو يضيف " صفية ستنهار وهي تدعي التجلد .. تحوم كشبح في ارجاء البيت .. والان .. الآن .. تستلقي على سرير فاطمة تأبى مغادرة غرفتها .. ولاتفلت الهاتف من يدها تحدق فيه كل بضع لحظات تنتظر اي شيء من ماهر .."

خنقته العبرة فتقطعت كلمات وانحدرت دموعه وهو يقول بجزع

" اخشى ان .. نفقد فاطمة .. انا .. خائف زينب .. خائف لدرجة مرعبة .. لا استطيع ان اتخيل اي مكروه حصل لفاطمة .. انا .. انا ..."

عندها فقد قدرته على مواصلة الكلام ليجهش في بكاء مرير .. يبكي بطفولية تناقض خشونة صوته ..

لم يشعر الا بذراعي زينب تطوقانه وتشاركه البكاء المرير الخانق ....

اقتربت نادية منهما تصاحبها نهى ..

الاثنتان تنظران بعجز عن فعل او قول شيء يبعث الطمأنينة ..

لقد قيل كل شيء ..

والدعوات تلهج بها القلوب في صمت رتيب موحش ...

همست نهى بصوت باك مختنق قرب اذن نادية " كلميه انت .. انك والدته .."

تحدق نادية في دمعات نهى المنحدرة على خديها فتفتح فمها لترد عندما علا فجأة اصوات سيارات الشرطة والاسعاف لتخفت تدريجيا وسط ذهول الاربعة ...لكن دون ان تختفي الاصوات تماما !

كانت زينب اول من ابتعد عن طه لتقفز من سريرها تهرول مغادرة غرفتها ليركض خلفها طه ونادية تناديهما معا ...

بعد ساعة .. في مستشفى الولادة ..

تطلعت نجلاء لحفيدتها المتناهية في الصغر وعيناها تدمعان بتأثر عجيب لم يحصل لها حتى مع بولادة اطفالها ...

اصابعها تلامس زجاج النافذة التي تطل على غرفة الخدج بينما تسمع صوت مهدي يأتيها من الخلف مناديا اياها بنبرة لم تتنبه لغرابتها " عمتي نجلاء .. "

تهمس لابن اخيها مهدي بتأثر بالغ

" الا تبدو الصغيرة رائعة ؟ كحمامة بيضاء صغيرة شديدة الرقة والنحول .. تليق بها نعومة الحمامة وسحرها .. "

ثم تضيف ضاحكة بمناكفة ودمعاتها تسيل على خديها

" انا من سأسمي حفيدتي هذه المرة .. سأسميها هديل .. هديا الحمام .. ظافر سينهار مع حورائه الصغيرة جدا البيضاء هذه .. سيقضي باقي عمره يلاحق الاثنتين ابنتي وابنته برهاب القلق .."

ثم التفتت فجأة بابتسامتها الرقيقة وهي تمسح دمعات التأثر لتسأل بحيوية

" اين عمك بلال ؟! لقد اختفى فجأة من غرفة حوراء بينما المجنون ظافر يعتصر ابنتي بين ذراعيه بلا حياء او خجل امامه.."

ذبلت ابتسامتها وهي تلتقط شحوب وجه مهدي لتنتقل عيناها عفويا ليده التي تحمل الهاتف ...

سألت بصوت متحشرج بالهلع

" هل وجدوا فاطمة ؟! "

ابتلع مهدي ريقه بصعوبة ليتضاعف هلعها وهي تقترب منه تتشبث بياقة قميصه تسأله ببعض فقدان الاعصاب

" انها بخير اليس كذلك ؟! هي بخير وبلال اختفى لانه ذهب ليطمئن عليها .. انها في البيت صحيح ؟ مؤكد ماهر اعادها لحضن اختها صفية .. "

رفع مهدي كفيه ببطء حتى لامس كتفي عمته فيقول بصبر

" وجدوا فاطمة .. اصابتها .. ليست بالخطيرة لكنها في المستشفى .. "

اخذ قلب نجلاء يقرع كالطبل وهي تتشبث بياقة مهدي اكثر واكثر .. عيناها في عينيه وتقرأ فيهما ما يوجع قلب امومتها فتسأل بهمس مبحوح

" هل محمد بخير .. اخبرني يا فتى .. هل ولدي بخير ..."

شحب وجه مهدي اكثر فتتسع عينا نجلاء في رعب خالص ليتراخى جسدها تماما بين ذراعي ابن اخيها وهي تنادي باسم ابنها

" محمم...مد ... "

بعد اسبوع ..في المستشفى العام ..

حالما دخل محمود الغرفة رآى اخاه يحاول ان ينهض بنفسه ليغادر السرير فتقدم بخطوتين واسعتين حتى وصل اليه ومنعه بالقوة وهو يعيده ليستلقي موبخاً اياه

" كم مرة قلنا نفس الكلام ايها الثور العنيد ... جرحك عميق والاصابة كانت بليغة جدا .. لايفترض ان تتحرك من مكانك لاسبوع آخر .. سأفقد ما تبقى من شعري وانا اشده على الدوام بسببك .."

يضغط محمد بقوة على اسنانه يتحمل الوجع وهو يغمض عينيه بينما يستسلم مجبرا لكفيّ توأمه وهما تدفعانه برفق للاستلقاء مرة اخرى على السرير

قال محمود بغيظ

" انت ستقتلني يوما بعنادك وصلابة رأسك هذه .."

تبسم محمد رغم الألم بينما تسترخي اجفانه فيطبقهما وهو يرد عليه ممازحا باستفزاز

" اقتلك ام اجعلك تجهش في البكاء كالاطفال ؟"

اتسعت ابتسامة محمد وهو يسمع اخاه المتهور يشتم ...

لقد اخبرته امه كل شيء عما حصل في ذلك اليوم العصيب قبل اسبوع ..

اخبرته عن انهيار محمود بالبكاء حالما خرج الطبيب ليطمئنهم ويخبرهم انهم استخرجوا الرصاصة بسلام من منطقة



حساسة قرب الحبل العصبي للعمود الفقري..

اخبرته كيف ان توأمه لم ينم لساعات طويلة ملازما سريره رافضا بشكل قاطع ان يعتني به احد غيره ...

تنهيدة رقيقة من فمه وهو يفكر بغيرة تملكية ...

(ترى من أعتنى بها هي ... ؟)

(من لازمها ومنحها من قوته ودعمه ؟)

لا احد يكلمه بتفصيل يومي يحتاج ان يعرفه عنها ..

ولولا انه يسأل الممرضات عنها ويتأكد انها بخير لما اطمئن ابدا ...

آآآآآه ... متى سيملك القوة في جسده ليذهب اليها بنفسه ويراها بعينيه هو ..

معشوقته وخيالها الرقيق الذي تتعلق به انفاسه ... روحه تهيم بعيدا عن قبضة اصابع سيطرته ..

مذ فتح عينيه في المستشفى بعد العملية الجراحية وطمأنوه بما حصل وما آلت اليه الامور وهو يعيش اسيرا في فقاعة لحظة محددة من حياته ...

تلك اللحظة التي تلقى فيها الرصاصة في ظهره وظن انها النهاية ... لحظة تبدو بطيئة جدا بكثرة تفاصيلها التي يستحضرها في عقله ...

كيف كان يحدق في وجهها الصغير الذي انغمر في مكان قلبه تختبئ فيه ويداها تتشبثان به بقوة وكأنها تريد الموت معه..

عندها وهو يسمع صوت الاطلاقة الثانية كان يلقي الشهادتين ويستودع معشوقته ربه ليحميها...

تقطعت انفاسه انفعالا وتأثرا وعاطفة لاحدود لها .. كما يحصل له في كل مرة وهو يتذكر تلك اللحظة ...

همس محمد متسائلا بصوت مبحوح متقطع

" لقد غادرت ....المستشفى.. ظهرا... اليس كذلك ؟ "

اسبل محمود اهدابه وهو يغطيه باحكام كـ(أم رؤوم) ثم تأخر قليلا بالكلام قبل ان يرد بمراوغة

" نعم غادرت .. ولاتبدأ باسئلتك التي لاتنتهي عن تفاصيل لاتعني شيئا .. انت ضعيف وتحتاج للراحة والسكون فالتقط انفاسك وكفاك ثرثرة .."

رغما عنه تملكه الاحباط وفاض بين جنباته عتب العاشق ليقول بعدها

" خرجت ولم تأتي لتراني ....! اسبوع كامل لم تفكر حتى بزيارتي .."

ساد الصمت لفترة مما جعل محمد يفتح عينيه فيبتسم عفويا وهو يتطلع لوجه توأمه العابس الذي يحدق فيه بغيظ ..

لم يطق محمود تلك الابتسامة الصغيرة من محمد .. لم يطق انه يجهل تماما ما يفكر به اخاه ويعجز على تصوره وفهمه ..

سأل محمود مغتاظا وعبوسه يتضاعف

" اصبحت غريب الاطوار منذ اصابتك ! هل الطلقة كانت في رأسك ام ظهرك ؟!! "

همس محمد بنفحة من دفء انفاسه

" ربما ..في قلبي ..."

تلاشى عبوس محمود تدريجيا ليصمت بشكل مختلف وكأنه يفكر بعمق ..

كان ما زال يحدق في عيني محمد اللامعتين وتلك التعابير التي تكسو ملامحه فيبدو عن يقين وبلا اي تحرج او اخفاء .. عاشق مجنون ...

قال محمود اخيرا وبترو متعمد

" عامة .. هي زارتك كثيرا وانت نائم ..."

عبس محمد متفاجئا عاتبا بالقول

" حقا ؟! لماذا لم تخبرني ؟ لقد سألتك مرارا وانت كذبت .."

رد محمود بغموض

" استحلفتني ان لا اخبرك .."

سأله محمد بلهفة

" كيف هي ؟"

رد محمود بنفس النبرة السابقة

" صامته .. صابرة .. قوية .. متماسكة..
لكني اخشى انها ربما تتجلد بكل هذه الصفات من الخارج فقط حتى لاتظهر ضعيفة منهارة امامنا .."

حرك محمد ذراعه بصعوبة وهو يمدها نحو اخيه يمسك معصمه فيهزه ويقول بهمس عاطفي ثوري

" اريد ان اراها .. احضرها الي بأي طريقة يا محمود.. اخدعها لو شئت وادخلها وهي تظن اني نائم... او اخبرها ان حالتي ساءت واطلبها للكلام لامر عاجل ... اكذب كما تشاء .. فقط اجعلها تأتي لاراها .. "

تمتم محمود وهو غير مصدق لما يسمعه من اخيه " لاحول الله ولا قوة الا بالله ..
توأمي الرزين جن تماما !! "

ما زالت عينا محمد تناشدان اخاه ليضيف محمود بحزم يشبه حزم نجلاء الامومي

" ستراها عندما تخرج الاسبوع المقبل ان شاء الله .."

قال محمد بنبرة جدية تفيض بمشاعر اشد قوة وتملكا " احتاج رؤيتها ... اريدها قربي .. يا الهي ... لا اطيق صبرا لاستعادة ولو بعض قواي ... "

ابعد محمود يد اخيه عن معصمه فيعيدها تحت الغطاء بينما يقول بنظرة تعجب ساخر

" هل استبدلوك في غرفة العمليات ام ماذا حصل بالضبط ؟ أعد لي توأمي لو سمحت اكاد اتوه مع الكائن الجديد الذي احتل جسده ! "

زفر محمد بقوة بينما يسأل بقلة صبر

" اين ماهر ؟"

رد محمود وهو يسحب كرسيا ليجلس قرب السرير

" سيأتي لزيارتك عند المغرب .. هكذا قال لي .. منذ الصباح وهو مشغول بانهاء محضر الشرطة واقفال القضية تماما.."

تمتم محمد ونظراته تجمدان بالذكرى

" الحمد للّه .. "

قال محمود مسترسلا

" نعم الحمد للّه .. الشرطة اقتنعت تماما انه لم يكن بيده الا ان يقتله فورا والا كان سيطلق مزيدا من الرصاص عليك انت وفاطمة ويقتلكما معا .. "

برودة جليدية زحفت لجسد محمد الواهن بألم جرح ظهره بينما يقول من بين اسنانه بتأكيد قاس

" كان سيفعلها بشكل مؤكد .. خالد هذا كان مجنونا قذرا ... "

التمعت عينا محمد بشدة بينما محمود يناظره واسئلة لاتحصى تدور في خلده منذ ايام .. ليجد نفسه يفصح عن اهم سؤال

" اخبرني محمد ... كيف عرفت ؟"

تلاشى الجمود وذابت القسوة بينما يتساءل محمد باستدراك " ماذا ؟"

عاود محمود السؤال بشرح مقصده اكثر

" كيف عرفت انه خالد وليس الطبيب المعتوه ؟! كيف سبقتنا بالمعرفة وانت كنت بمفردك بلا مصدر للمعلومات ؟ "

استكانت ملامح محمد ثم تسرح عيناه فيما حدث قبل اسبوع ..

خضرة عينيه تتغير بتغير مزاجه مع كل جملة وذكرى ...

ابتدأ بالقول المتحشرج

" عندما اخبرتني امي ان فاطمة اتت لزيارتنا وخرجت بحال غريب دون ان يشعر بها احد .. علمت انها .. قد سمعت كلامي الابله مع ابي ..."

تساءل محمود بفضول

" اي كلام ؟"

ليرد محمد بمراوغة

" لايهم الآن .. فقط ما يهم انها سمعته .."

مط محمود شفتيه باعتراض صامت بينما يواصل محمد ذكرياته باحساسه المروع الذي سيظل يتذكره ابد الدهر

" خرجت بعقل غيبه الجنون ابحث عنها في الشوارع .. لم اشعر بنفسي ماذا افعل حقا .. كأن نار شبت في جسدي وانا اركض كالمعتوه هنا وهناك ابحث عشوائيا عن اطفائها بأي وسيلة .."

التفت قليلا لمحمود قبل ان يضيف بدهشة من الذات

" لا اذكر حتى اين ذهبت حقا ! كم مستشفى دخلت .. كم ضابط شرطة تكلمت معه .. كم رقما اتصلت به .. كم شارعا بحثت فيه .. لقد فقدت رشدي بشكل كامل ولحسن الحظ لم اتسبب بحادث او اذى لاحد في الطريق.."

زفر بقوة وهو يعيد وجهه ليحدق في سقف غرفته بينما يواصل هذره

" لم استعد وعيي الا وانا اركن السيارة جانبا على قارعة الطريق ورنين الهاتف لايتوقف .. كنت انت تواصل رنينك المزعج .. اظن الوقت كان قرابة الفجر "

كان قد التفت لاخيه مرة اخرى مع اخر جملة فيبتسم محمود له ويقول

" اقسم باللّه انت كنت مجنونا بشكل كامل وهستيري ذلك اليوم .."

رد محمد بنظرات تغرق اكثر في لجّة مشاعره المحتدمة في تلك الساعات العصيبة التي اختار ان يعيشها بمفرده

" وقد ادركت ساعتها اني اتصرف بجنون حقا .. لذلك اجبرت نفسي ان اهدأ اجباريا من كل هذا الجنون الذي يستنزف طاقتي بشكل خاطئ... استطعت ايصال نفسي الى حالة انعزال عن اي مشاعر فدبّت الروح في عقلي فقط يعمل بسرعة قياسية .."

نظر اليه محمود بعجب واعجاب ليردد

" يال جبروتك يا توأمي ... احيانا اظنك .. مخيفا حقا .."

لم يلتفت محمد لما قاله محمود بينما يستغرق اكثر في ذكرياته وكأنه يعيش تلك اللحظات العقلية الخاصة حيث خلايا الدماغ تعمل بلا توقف وفي اتجاهات متعددة فيقول معبرا عن افكاره

" كان الطبيب هو هدفي اولا .. استرجعت كل المعلومات التي علمتها مسبقا من ماهر وانطلقت .. توجهت لشقة المعتوه فعلا وطرقت بابه فلم يرد احد وجار له اخبرني انه لم يعد لشقته منذ يومين .. عدت لسيارتي وانا في حال مختلف .. كان هناك خاطر جديد يطرق باب عقلي .. خاطر استحوذ علي بشكل غريب .."

سال محمود باهتمام بالغ " ما هو ؟!"

عندها فقط تركزت عينا محمد في عيني توأمه وكأنه يجري معه نفس المحاورات التي اجراها مع نفسه

" لماذا لم يختطفها وهي في طريقها لبيتنا؟ لماذا اختار ان يكون وقت الخطف وهي تغادرنا ؟! "

ظل محمود يحدق في عيني اخاه ويرى انعكاس صورته في خضرة عينيه فيسأل باستغراب

" لكن ما الفرق ؟"

فيرد محمد بنبرة هادئة

" الفرق كبير .. وهذا ما جعلني اشك .."

رمش محمود بعينيه ثم قال

" انا لاافهم ماذا تقصد ..! ما الذي جعلك تشك ؟.."

وضح محمد مقصده بالقول وعيناه تلمعان فطنة " لو كان حقا يراقبنا بدقه لكان استغل كون فاطمة تسير بمفردها في الشارع ليفعل فعلته وهي في طريقها لبيتنا.. والا كيف يضمن انها ستغادر بمفردها ايضا؟! ثم لماذا كان ينتظرها لتغادر بيتنا من الاساس ؟! ولماذا تلك الليلة بالذات ؟ ما هو المميز في تلك الليلة ليقتنصها وهي تسير على القدمين وكأنها لم تفعلها من قبل .."

عبس محمود بتفكير وهو يلتقط طارف الخيط لمسار افكار اخيه فيردد بعدها بالمزيد من المعلومات التي تؤيد كلام محمد " هذا صحيح .. كما ان فاطمة وزينب كثيرتا التحرك في شوارع الحي مشيا على الاقدام حتى بعد غروب الشمس.."

فأكمل محمد ببداهة

" وماهر لم يضع الحراسة الشخصية الا منذ يومين فقط .."

ارتفع حاجبا محمود وسيل من الافكار تترابط في رأسه ليرى ما حصل عبر تحليل اخيه بينما يسمع محمد يضيف المزيد

" شعرت بالارتباك الشديد .. وانقبض قلبي باحساس غريب انني اضيع الوقت .. لذلك عدت لبيتنا واختليت بنفسي .. حدسي يقول لي انه ليس الطبيب وعقلي يطمأنني في كل الاحوال ان ماهر سيطرق ذاك الباب للتأكد ...ثم .. جلست جلسة مع نفسي احصر عقلي وافكر في كل شيء ... في كل تفصيلة ... "

فيسأل محمود مستدركا

" هل كان هذا عندما اتيت للبحث عنك ووجدتك تجلس هناك وحدك في الجناح ..؟ "

رد محمد بهدوء مسهبا بتتابع في تحليلاته ذلك اليوم " اجل ... السؤلات كانت تتقاذف في رأسي كألعاب نارية .. لماذا فاطمة؟ لماذا فاطمة؟ ثم وجدت نفسي اتساءل بجدية .. لماذا فاطمة حقا ؟ لماذا الان ؟ ان يختار فاطمة دونا عن البقية امر غريب .. ! ان كان الطبيب يبحث عن مال وابتزاز او حتى انتقام باختطاف شخص عزيز علينا فالاولى ان يختار الاكثر قيمة من وجهة نظره ومؤكد سيختار من يحمل دم الغازي او الناجي او احدى زوجاتهم ... المنطق يقول ان يختار سلسبيل مثلا او حوراء او حتى احد الاطفال او ربما الخالة نهى او الخالة نادية او .. امنا وهي الاكثر قيمة لانها تحمل دم الغازي وزوجة للناجي.. العقل لايملك الا ان يفكر هكذا ... فاطمة في نظر الناس هي اخت زوجة ماهر لاغير ... انتمت للعائلة بالنسب... وهي لاتملك فعليا مالا خاصا بها ولا علاقة مباشرة مع احد من العائلة .. ثم عدت بافكاري لما استوقفني اولا ... لماذا لم يختطفها وهي متوجهة لبيتنا ؟ لماذا اختار ان ينتظر خروجها ويختطفها وهذا غير مضمون له.. ! من يخطط لاشهر في مراقبة وتقرب ما الذي يجعله فجأة يتهور هكذا وكان بامكانه فعلها قبلا بسهولة اكبر.. الا اذا كان مهووسا بها بشكل خاص وهذا ايضا غير منطقي ...

هو لم يحاول التحرش بها كما فعل مع سلسبيل مثلا ولم يقترب منها في محيط الجامعة مثلما فعل مع صفية وهو يلتحق للعمل بمكتبها.. لم يكن لدينا اي اثبات انه كان يلاحق فاطمة بشكل خاص وخطر لي ربما عندما رأته فاطمة للمرة الثانية كان يلاحق زينب لا هي ... ثم .. الم يكن يستطيع اختطاف صفية او سلسبيل وهما تتحركان لاماكن عامة اكثر بكثير من فاطمة ..."

صمت محمد للحظات قبل ان يتابع

" كل الدلائل اخذتني لطريق واحد ..

انه ليس برائد ... ليس الطبيب المعتوه...

الامر اصبح فجأة منطقيا بعد ان كان غير منطقي على الاطلاق ...ولا مبرر له ..

وعندما اصبح منطقيا دخلت في دوامة جديدة ..اذن من اختطفها؟! ولماذا اختار ان يختطفها في الذهاب وليس الاياب ؟ سرعة التقاطها تدل على التهور وربما .... الغضب ...

وعند فكرة الغضب اخذ عقلي يعطيني اشارات اختزنها سابقا دون ان التفت اليها ...

ثم أتيت انت في خلوتي تلك وكنت تلومني وتقول انك تتنقل هنا وهناك ما بين بيت ماهر وبيتنا قلقا علي.. وعندها توهجت الاشارات المختزنة فجأة .. انه خالد.. خالد وما التقطته منه من نظرات وتصرفات مريبة ..

خالد الذي سبق ورأيته يحوم بسيارته قرب بيت ماهر وكان قادما من الشارع الذي يفضي لبيتنا.."

شعّت عينا محمد بعذاب يحمل بين طياته غيرة لاتعرف الاستكانة فيقول بصوت أجش

" الغيرة .. شوشت علي في تفسير تلك الاشارات بشكل صحيح وبوقت مبكر حال التقاطها .. عندما رأيت .. فاطمة لاول مرة تقف مع ذلك الحيوان امام بوابة الجامعة مزقتني الغيرة تمزيقا .. كنت في صراع معها حتى اخمدها واركز بكل طاقتي مع فاطمة .. عفويا كنت التقط تلك النظرات التي تفلت من عيني خالد لثوان فقط .. نظرات زائغة غير ثابته اقرب لمن يعاني اختلالا نفسيا ومشاعر غاضبة مضطربة ... لم تكن النظرات المنفلته فقط وانما ذاك الهدوء الغريب المحسوب وكأنه يؤدي دورا تدرب عليه مرارا ليتقنه.. دور لشخصية اخرى تخالف شخصيته ... انه حتى لم يكن متفاجئا بردة فعلي العنيفة معه بل بدى في كامل الاستعداد وكأنه .. يدرك .. ما يحصل بيني وبينها..."

ابتسم محمود دون شعوره فيسأله بغموض

" وماذا عنها هي ..؟ هل تظنها ادركت مدى عشقك المجنون لها ومنذ سنوات ؟"



اغمض محمد عينيه واعتصر قبضتيه الى جانبي جسده بينما يرد بحشرجة

" انها لاتعرف .. بل العكس .. تظن العكس .. تظن انها .. ليست كل الحياة لي.. تظن انها ليست كل العذاب كما هي كل العشق .. والادهى اني واثق انها تظن الان بأني .. ساتخلى عنها بعدما حصل .. آآه يا محمود .. لو كنت رأيت ما رأيته انا ذلك.. اليوم ... "

حاول محمود ان يخفف عنه وينصحه بتأن

" محمد .. حاول ان تنسى ما رأيته .. ان كنت حقا تريدها .. انساه ودعها تنساه .."

فتح محمد عينيه بقوة وهو يوجه نظراته المشتعلة نحو اخيه ليقول باصرار تملكي

" انا لن انسى ابدا .. ما حصل هناك ربطنا ببعض الى الابد وعليها ان تفهم هذا .. "

صمت محمود وهو يحدق في عيني اخيه ثم قال اخيرا

" كن حذرا يا محمد .. الامور كما تغيرت معك .. تغيرت معها .. "

هدأت نظرات محمد ليرخي اجفانه وهو يقول بغموض

" انا اعلم .. صدقني انا اعلم اكثر مما تتصور ..."



عصرا في بيت ماهر الغازي

غرفة فاطمة ..

على سريرها مستسلمة لاحتضان زينب المتشبث بها بينما تعيش هي مع نفسها .. تشارك كمتفرجة صامته في جلسة خاصة سرية بين عقلها .. و قلبها ..!

العقل يعترض ويوبخ ويهاجم ثم يتراجع احيانا .. والقلب يدافع ويثور ثم يتخاذل احيان اخر ...

العقل يحاسبها والقلب يدميها ..

اخذت زينب تدندن باغنية قديمة اخترقت صمتها في تلك الجلسة ...

رفعت فاطمة رأسها لتحدق في وجه اختها وتسأل

" انها اغنية امي اليس كذلك ؟ كانت تغنيها لنا وهي تضفر جدائلنا .."

ارتعشت ابتسامة زينب وهي تهز رأسها بـ(نعم) فتحدق في وجه اختها الشاحب وتقول بحشرجة

" فاطمة .. سامحيني لاني لم أكن معك .. لاني لاول مرة لا اتواجد حولك وانت تتعرضين للاذى .. دوما حدسي كان يقودني اليك بطريقة ما لانقذك .."

تحجرت نظرات فاطمة وعبست قليلا قبل ان تعيد رأسها ليستقر على صدر اختها وهي تقول بنبرة غريبة

" محمد كان موجودا .. ربما حدسك قاده هو لانقاذي هذه المرة .."

القلق يسيطر على زينب فتبتلع ريقها ثم تمسد على شعر اختها وهي تسأل بحذر

" انت بخير ؟! أصدقيني القول فقط .. هل انت بخير ؟"

بنفس النبرة الغريبة ردت فاطمة

" انا قوية .. هذا ما اعرفه .. ان كان هذا يطمئنك ..."

عاودت زينب السؤال بألحاح

" هل انت قوية كفاية لتكوني بخير ؟"

لكن فاطمة صمتت ولم ترد ...

طرقة خفيفة على الباب لتطل بعدها صفية ...

شعرت زينب بتشنج جسد فاطمة بين ذراعيها ..

دوما فاطمة ضعيفة امام صفية .. ضعيفة بطريقة خاصة وتسندها بطريقة خاصة ايضا ..

انها تدرك ان فاطمة تقاوم الافصاح ..

لذلك هي تتهرب من الكلام مع صفية حيث لامجال الا للافصاح عن مكنونات قلب مكلوم وروح متألمة ..



تقدمت صفية بخطواتها من السرير وعيناها تتركزان على فاطمة لتسأل بحزم لم يخلُ من دفء ومحبة وخالصة

" هل انتِ بخير حبيبتي ؟"

عندها قررت زينب ان تدفع بفاطمة لتلك المواجهة المؤجلة .. مواجهة الافصاح..

ابعدت فاطمة عنها وهي تقول بهدوء

" ساترككما .."

لكن فاطمة تشبثت بذراعها وهي تقول ببعض الحدة " لا .. ابقي ..."

ثم استعدلت بجلستها على السرير ويدها ما زالت تتشبث بذراع زينب لتواجه بعدها وجه اختها الكبرى وتقول بسيطرة على النفس

" نعم بخير .. و سأعود للجامعة الاسبوع المقبل .."

للحظات طالت ظلت صفية تحدق في عيني اختها الصغرى وقد شعّ منهما التمرد !

لكن هذه الصغيرة ربيبتها .. وهي تعرفها اكثر مما تعرف نفسها ..

سألت صفية بهدوء وهي تجلس على حافة السرير

" هل تريدين التكلم معي ..؟ "

وعلى غير اسلوب فاطمة الناعم المعتاد ردت بحدة قاسية وعيناها تلمعان بشدة

" لاداعي لشعور الذنب القاتل الذي يطفح من عينيك اختي .."



توجع قلب صفية وكأن امها ماتت للتو !

توجعت وهي تشعر ان ما تعانيه (الناعمة) تتحمل ولو بعض مسؤوليته ..

توجعت وتوشك ان تأخذها في حضنها ولاتفلتها ابدا حتى تطمئن انها حقا بخير..

تمتمت صفية رغما عنها

" اشعر اني .. خذلـ.."

قاطعتها فاطمة بحدو وعنف اكبر وهي تقفز من على السرير لتقف على قدميها

" توقفي عن تحميل نفسك فوق طاقتها .."

اخذت زينب تنقل نظراتها بين فاطمة المهتاجة في مقاومتها للـ(افصاح) وبين

صفية التي تدعي الهدوء والوجع يطفح من عينيها.. توجعت هي الاخرى بينما تهمس في داخلها وهي تطالع عيني صفية

" ماذا فعلنا بك اختاه ؟ حملناك الهموم فلا حتى تشتكين ..!! "

تذكرت تلك الايام وصفية بعمر التاسعة عشرة تركض للعمل صباحا ثم تعود راكضة عصرا تعطي الدواء لوالدهم وتناغشه وتدلله ثم تساعدهم في واجباتهم المدرسية بينما امهم تطهو طعام العشاء البسيط فلا تملك صفية الوقت حتى لتأكل معهم بل تأخذ القليل وهي تغادر راكضة مرة جديدة لتذهب للمعهد الذي شاركت به لتحسين مؤهلاتها ...

ولا تعود الا اخر الليل فتهجع بجسدها المنهك على الاريكة البالية ورأسها في حجر امهم ثم تدعو طه لتحتضنه بين ذراعيها .. فتغفو هكذا لساعة او ساعتين حتى تأتي هي وفاطمة وتسحبانها لغرفتها لتنام براحة على السرير ..

ثم ... تطلع شمس غد جديد ...

ومشوار ركض متواصل جديد ..

دمعت عينا زينب وخنقتها غصة قاتلة بينما تهب على قدميها هي الاخرى لتوبخ فاطمة لاإراديا وصوتها يرتعش بالبكاء المكتوم

" فاطمة ! ماذا جرى لك ؟ ماذا فعلت لك صفية لتواجهيها بقسوة هكذا ؟ "

بدت فاطمة وكأنها صدمت وعيناها تتوسعان ثم يخفت بريقهما تدريجيا لتتمتم

" اسفة .."

قالت صفية بنفس الهدوء وان كان التوجع يزداد " لاعليك ... ربما بت انانية واريد فقط من يخبرني اني لم ارتكب خطأ معكم .."

اقتربت منها فاطمة تقف قبالتها تماما لتقول لها بإنهاك مفاجئ " انا بخير .. بخير .. فقط دعوني انسى ما حصل .."

امعنت صفية النظر في عيني اختها قبل ان تسأل بثبات وحزم



" وماذا حصل ؟ اخبريني فاطمة عما حصل هناك ؟ اريد ان اعرف ..."

انقبض قلب زينب وهي تحدق بانهيار فاطمة الوشيك بينما تبدو صفية صامدة مسيطرة عازمة على نيل الاجابة ..

اخذ جسد فاطمة يرتعد وملامحها الناعمة تقسو بينما تبيض شفتاها وهي تقول بصوت مبحوح " ماذا تريدين ان تعرفي ؟! هل تريدين تفاصيل ملامساته لجسدي ؟!"

عفويا رفعت زينب يدها لفمها تكتم شهقتها بينما تراقب هذا الصراع بين اختيها وكأنهما في خضم امواج عاتية فتتشبثان ببعض تشبثا ..

فاطمة تقاوم دوامات الصراع وصفية تمسكها بحزم حتى لاتفلت وتضيع منها في تلك الدوامات ...

أكملت فاطمة وصوتها المبحوح الساخر يرتجف بهول ما تشعره .. بل ما شعرته في تلك اللحظات ..

" عفوا لااستطيع ان اصف تفاصيل كثيرة ابعد من هذا .. استطيع ان اصف على وجه الدقة كيف ابتدأ بملامسة ساقيّ .. فتتقلص معدتي نفورا ثم انتقل لملامسة مفاتني والعبث بازرار قميصي فاوشك ان اتقيأ .. لاصل الى لهاثه العفن عند عنقي وهو يتوسلني الحب المرضي الذي يكنه لي .. واستطيع ان ... ان ..."

تقطع صوت فاطمة وباتت انفاسها قوية وملامحها مرعبة ..

ارادت ان تصرخ زينب وتقول لها (كفى توقفي) لكن صفية سبقتها وهي تقف على قدميها اخيرا وتمسك بساعديّ فاطمة تحثها بالقول الصارم

" ان ماذا ؟ أكملي ..."

صرخت فاطمة فجأة

" ان اصف صفعه المفجع لي وانا اقاوم كغريقة .. كان يتجاسر بيديه على كل جسدي يطالبني النطق بحبه .. كما كنت افعل وانا مراهقة مغفلة .. وعندها .. وعندها ... لكمني على جانب وجهي فافقدني الوعي .. اجل فقدت الوعي صفية .. لم اقاتل كفاية .. فقدت الوعي ولم اكن مقاتلة مثلما توقعني ابي ... فقدت .. فقدت ... الـ.. الـ... وعـي... ولم اشعر الا بوجود محمد حولي .. يا الهي .. رآني هكذا .. شبه عارية ضعيفة منتهكة مربوطة المعصمين وكأني جارية قذرة في سوق نخاسة .."

خارت قوى فاطمة بين ذراعي صفية التي سالت دموعها مدرارا بينما تجهش زينب بالبكاء فتنهار على ركبتيها تفرغ قهرها بلكم السرير امامها حتى اوجعتها قبضتاها...

هبطت صفية درجات السلم حتى وصلت الطابق الارضي .. وجدت ماهر بانتظارها عند باب المطبخ ...

اقترب منها الى منتصف المسافة بينما تكمل قطع الباقي نحو زوجها وهي تهمس له " متى عدت ؟ هل انتهى كل شيء ؟"

رد بهزة ايجاب من رأسه وهو يحتويها بين ذراعيه ويسأل " كيف هي ؟"

عيناه اشارتا لفوق فترد صفية بحشرجة رغم تماسكها

" تركتها نائمة في حضن زينب متشبثة بكف طه بعد انهيار كامل بالبكاء .."

بثبات سأل ماهر

" هل اريتها التقرير الطبي لتطمئن اكثر..؟"

ردت والوجع يعاودها

" اظنها تعرف .. لكنها تعاني من امر آخر .. هناك ما يوجعها ماهر ..."

ثم تسأله بهمس

" لماذا لاتكلمها بنفسك ..؟ "

فيرد وملامحه تتصلب

" ليس بعد .. اشعر اني سأؤذيها فهي ليست مستعدة لمواجهتي .. في المستشفى كانت دوما تهرب بنظراتها مني .."



ارتعش صوتها بألألم المبرح الذي يمزقها

" تظن انها ... خذلتك .."

قست ملامحه وهو يقول بضراوة

" والواقع اني من خذلتها ولولا اني لمحت سيارة محمد قريبا من قصر الرابح لتأخرت أكثر حتى وصلت اليهما معا ... كنت متوجها لاغادر الحي بأكمله قاصدا عنوان الشقة التي كان يسكنها ذاك السافل المختل.."

اخذت صفية تواسيه بالقول الصادق

" لاتقل هذا يا ماهر .. لولاك لقتلهما معا ذاك المجنون الذي ابتلينا به .."

ملامحه ما زالت قاسية متصلبة فترفع كفها تلامس لحيته الخفيفة النابته وهو يهمل حلاقتها فتهمس له

" انا قلقة عليك .. قلقة انك تحمل نفسك ذنب إراقة دمه .. لااريد ان اشعر انك ... انك تعاني وربما تفكر لو .."

قاطعها بالقول الحاسم الذي بهرها بقسوته ونبرته الجليدية

" لا تقلقي من هذه الناحية ابدا .. لو عدت بالزمن للوراء لاعدت فعل ما فعلته .. بل اني كنت سأقتله في كل الاحوال حتى لو لم يكن يهدد حياة فاطمة ومحمد بشكل مباشر .."

اتسعت عينا صفية بصدمة بينما يضيف ماهر بقسوة رهيبة اشد من سابقتها

" من يتعدى على عرض عائلتي او يحاول تعريض احد افرادها لخطر الموت عامدا متعمدا ليس له مني الا الدم ..."

همست صفية باسمه مصعوقة

" ماهر ! "

رد بهدوء شديد " هذا انا .. وانت في داخلك تعلمين من انا فلا تدعي الصدمة صفية .. افعل ما يستوجب فعله واضع حدود الحماية لكل ما يهمني في هذه الحياة .."

للحظات ظلت صفية تتطلع اليه بنفس الصدمة ثم شيئا فشيئا تراجعت صدمتها

ووجدت نفسها تميل برأسها ليستكين على صدره تحاوط جذعه بذراعيها وهي تهمس له " انا احبك كما لاتستطيع التصور .. "

يبتسم ابتسامة صغيرة وهو يهمس لها بصوته المبحوح " بل استطيع التصور غزالتي ..صدقيني استطيع .."

بعد ساعتين ..

في المستشفى

يجلس اسر قرب اخيه على اريكة جانبية وبينما يتطلع شاهر بتفكير غامض ناحية محمد الذي يستلقي على سريره مغمض

العينين كان اسر يبتسم ابتسامة جانبية سرية وهو ينظر لابن اخيه .. فتى الغوازي الذهبي ...

كان ماهر يقف باعتداد غامض قرب بلال بينما يرد على اسئلته حول الوضع العام لموقفه القانوني وكل المساعي التي تم بذلها لمنع النشر حول القضية ...

اتسعت ابتسامة اسر بينما يرى ماهر كيف يتملص بلباقة من سؤال بلال حول مصير الطبيب رائد ..

مسكين ذاك المتطفل ... اوقعه سوء حظه الشديد بيد ماهر الغازي ...

سمع اسر همس اخيه شاهر قريبا من اذنه

" هل انا وحدي من يشعر ان محمد يوشك على القاء قنبلة ؟!"

اتسعت ابتسامة آسر ورفع حاجبا واحدا بينما يرد عليه بالقول الهامس

" القنبلة انفجرت اصلا يا اخي الصغير .. ما ستراه الآن هو توابع انفجارها فقط .."

دخل محمود عبر الباب عابس الوجه فيتجه نحو سرير اخيه فيفتح محمد عينيه متطلعا له ثم .. يبتسم ...

حقا اوشك اسر ان ينفجر ضاحكا ..

التوأمان حيويان جدا .. بينمها ترابط مثير..

كل واحد منهما يكمل الآخر ويستفز الآخر ويشحذ همته بطريقة لايفهمها الا هما فقط .. وكأنها لغتهما السرية المميزة..

سأل بلال وهو يتطلع لمحمود

" اين والدتك ؟"

رد محمود وهو ينظر لابتسامة توأمه بغيظ

" قالت ستذهب لتطمئن على صفية واخواتها .."

ثم يضيف بغيظ متفاقم

" ورفضت ان آخذها بنفسي مفضلة صحبة السائق ...! "

أطرق شاهر برأسه يكتم ضحكته بينما يميل نحوه اسر فيسأل بتفكه

" اياك ان تخبرني انك لاتعرف لماذا هذا المجنون المتهور يبدو عابسا ناقما على اختنا الصغرى ؟"

فيرد شاهر

" عليك عن تسرع باعطاء الدروس المكثفة لبطتك والا هذا المتهور سيفاجئنا جميعا بخطواته غير المحسوبة "

ارتفع صوت محمد بنبرة ثابتة جذبت اهتمام الرجال في الغرفة وهو يقول

" لو سمحتم اود ان اتكلم بموضوع مهم .. "

ثم يوجه نظراته بشكل خاص ناحية ماهر ليضيف " موضوع معك يا ماهر .."

عينا محمد انتقلتا لابيه فلا يبد بلال اي اشارة وكأنه يترك له الخيار ...

ماهر بدى شديد الهدوء .. شديد التركيز.. فيما عدا هذا كان شديد الغموض ..!

قال محمد اخيرا وعيناه في عيني ماهر

" بعد اذن والدي .. ماهر ... انا اطلب منك يد فاطمة للزواج .."

ابتسامة اسر المستمتعة اخفاها وهو يقف على قدميه متحركا ناحية الشباك موليا الجميع ظهره بينما يردد في داخله

" كم هو ممتع ان يمتلك الانسان عائلة مجنونة مثيرة للاهتمام هكذا .."

فتتسع ابتسامته بمزيد من الهمس لنفسه

" وهل هناك امتع من رؤية كائن ابيض حمائمي الهيئة والاسم تجري دمائي ودماء اجدادي الغوازي في عروقه ؟! يا لها من خلطة ... حمامة غازية ...!"

رغم حديث النفس المتراخي لكن حواس آسر كانت في قمة التنبه مع الجميع بينما يعم هذا الصمت المترقب في الغرفة ..

كان ماهر اول من ابدى تحركا وهو يخطو بهدوء خطوة ناحية محمد قائلا بهدوء عجيب

" الا تريد ان تتطلع اولا على تقرير الفحص الطبي لها ..؟ "

صوت شاهر علا مناديا اسم ابنه باستهجان واضح وهو يقف على قدميه مصدوما

" ماهر ! "

استدار اسر بكل جسده ليتكتف وهو يراقب بدقة ما يحصل بينما يلتفت ماهر برأسه فقط ناحية ابيه ليقول بسخرية خشنة قاسية

" انه يطلبها للزواج ابي كأي فارس نبيل .. وكيف لايكون وهو من كان شاهدا ومنقذا لها في تجربتها المريعة .."

ثم عاود ماهر الالتفات لمحمد وهو يضيف بنفس النبرة

" هل احضر لك التقرير ام ستثق بي عندما انقل لك فحواه شفويا ...؟ "

بدى محمود قلقا وهو ينقل نظراته بين محمد وماهر لكن توأمه كان متماسكا تماما بل حتى مسترخيا وهو يرد

" لااريد و لايهمني هذا التقرير ... كما اني واثق في قرارة نفسي انه لم يحصل شيء .."

بدت نبرة ماهر اشد سخرية وقسوة وهو يقول " حقا ..؟! ألا يهمك ان تتأكد على الاقل ومن جهة طبية مخولة تثبت لك بالدليل القاطع انها ما زالت .. عذراء ؟"

تقدم شاهر بخطوات عنيفة ناحية ابنه موبخا اياه بخشونة

" يا الهي .. ماهر ماذا جرى لك ..؟ هل جننت ؟ "

عندها اتسعت عينا آسر وهو يحدق بتلك النظرات التي شعت من عيني ماهر ...

بدى ماهر في اوج قساوته .. قوته .. جبروته و ... ضعفه ..!

قال ماهر بنبرة حادة كالسيف القاطع

" لن اسمح لمخلوق ان يمس كرامتها ولو بكلمة او نظرة ... مهمن كان ولأي سبب .. فاطمة جزء مني كما زينب وطه ... وما يخصني اقاتل لاجل حمايته حتى الموت .."

كان محمد بهدوئه العجيب وسيطرته الجبارة من اضفى على الاجواء هدوءا غريبا مؤثرا وهو يقول بتركيز على كل كلمة

" انا لا يهمني ان كان ذاك الحقير البائس اغتصب عذريتها حقا ام لم يفعل ... فاطمة ستبقى هي فاطمة .. وانا اريدها هي تحديدا دون غيرها ... زوجة لي .. اريد ان اكون انا رجلها وسندها وحاميها .. "

تراجعت المشاعر التي طغت على تعابير ماهر ليكسو الغموض ملامحه بينما يعاود النظر لمحمد ..

ما زال بلال صامتا لايبدي اي بادرة للكلام بينما يتكلم ماهر اخيرا بابتسامة جانبية

" زوجة لك ؟ سنرى ان كانت فاطمة ستقول ... نعم ... ام ... لا ..."

ثم تلاشت ابتسامته وهو يضيف بتأكيد

" وفي كل الاحوال يا ابن عمتي .. تذكر ان فاطمة ستظل دوما جزءا مني ما دمت حيا واتنفس الهواء .. فتقبل هذا الامر ايضا ..."

اسبل محمد اهدابه وملامحه الهادئة الغامضة تثير استفزاز اسر الغازي نفسه وعلى نحو ممتع ومحفز ...

بعد ساعات .. مساء ..

نظر بلال بتسامح لصغيرته نجلاء وهي تحتضن رأس صغيرها لصدرها وكأنها تنكر حقيقة انه غدى رجلا بل ويطلب الزواج ...

تباطأت نظرات بلال على وجه محمد المستكين على صدر امه مغمض العينين مبتسم الشفتين مستريح القسمات بينما نجلاء تعنفه لانه طلب فاطمة للزواج دون ان تكون موجودة..!!

غامت عينا بلال وهو يفكر بصغيرته الحبيبة .. لقد تقبل الابتلاء صابرا محتسبا عندما أتاه خبر اصابة ولده قبل اسبوع فكتم وحوقل واستغفر ودعا الله ان لا يفجعه بفلذة كبده وهو في شيبته هذه ..

لكن نجلاء .. صغيرته نجلاء .. ابنته وحبيبته التي رباها بدلال على يديه .. لم يحتمل رؤيتها منهارة تصرخ وتبكي بهستيرية كما لم يرها تبكي يوما ...

لم يحتمل وهو يضمها لصدره فتسيل بضعة دمعات على خديه اخجلت تلك الشيبات ..

عاود النظر لوجه محمد حامدا شاكرا الله على نعمه سلامته ..

الآن .. الفتى حسم قراره .. لكن يحتاج ان يتأكد منه فيما هو مقدم عليه ...

تقدم بلال من سرير ولده بينما يسمع نجلاء تقول بعبوس امومي محبب

" دوما تثير غيظي بكتمانك يا ولد .. لااعلم من اين لك هذه القدرة ؟! والدك صبور لكنه يجيد الافصاح وانا مجنونة اقول كل ما في قلبي بتهور احيانا لكني لا ابالي .. فلماذا تكتم عني وانا امك ؟"

تبسم بلال بينما محمد لايرد على شكوى امه وتوبيخها .. بل يستكين باسترخاء وكأنه يستمتع بكل ما تقول ..

قال بلال اخيرا

" بنيّ .. بيننا حديث قديم لم يأخذ وقته الصحيح .. "

رفعت نجلاء نظراتها لزوجها وهي تتساءل

" اي حديث يا بلال ؟"

لكن بلال يركز نظراته على ولده الذي فتح عينيه والتفت قليلا بوجهه يناظر اباه..

تحرك محمد بصعوبة تاركا صدر امه ليعدل جلسته وهو يكتم توجعه ثم يقول بعدها مسبلا اهدابه

" تقصد تلك الليلة عندما .. اتيتك .. محموما ؟"

عبست نجلاء وهي تتساءل

" اي ليلة ؟ ومتى كنت محموما ؟!!"

رفع بلال يده في اشارة منه لتهدأ بينما يرد على ولده

" نعم بني .. تلك الليلة التي خطفت فيها فاطمة .. والدتك يحق لها ان تعرف ايضا انك كنت على وشك ان تخطب فتاة اخرى .."

اتسعت عينا نجلاء ذهولا وهي تردد

" يخطب فتاة اخرى ؟! كيف ومن ولماذا ؟"

عندها قال بلال بحزم هادئ

" كيف ومن .. لاتهمان الآن .. لكن لماذا هي ما تهمني .. وانتظر الرد من محمد .. وهذا الرد يحق لامك ان تعرفه .. انه أوان مصارحة ومكاشفة ..."

تطلع محمد بتفكر لوالديه ..

ثم قال بعد لحظات " نعم .. يحق لكما ان تعرفا بكلام صريح مباشر عما كنت .. اعيشه .. ومنذ البداية ..."

بدت نجلاء في قمة التحفز بينما يدلي محمد باعترافات اثقلت قلبه وعقله معا

" الامر ابتدأ منذ سنوات .. سنوات تبدو لي طويلة جدا .. من مراهقتي وصباي ثم

شبابي .. سنوات .. لم تدخل قلبي...وتملك عاطفتي .. الا فتاة واحدة .. فاطمة .."

همست نجلاء تقاطعه بتأثر لحظي

" يا حبيبي يا محمد .. كنت اشعر بك .. شككت منذ البداية .. لكنك لم تعطي اي لمحة تؤكد احساسي .."

صمت محمد وكأنه يراجع ما سيقوله او يبحث عن نقطة يبتدأ بها ليعبر بوضوح اكثر عن دواخله فحثه والده على المتابعة بالقول

" أكمل بني .. انا وامك نسمعك .."

قال محمد بصوت فيه شجن قديم

" فاطمة .. كانت تتغير باستمرار .. بداية اصبحت مختلفة وبعيدة عن الحلم الذي طالما راودني عن فتاتي الخيالية التي ابغيها زوجة لي .. ربما كنت مراهقا وفكرة فتاة احلام تشبه اختي حوراء سيطرت علي .. وفاطمة لم تساعدني وهي تبتعد اكثر واكثر فتتخبط واحلامي الفتية تتخبط معها بل تتزلزل .. فيملؤني الغضب وتأكلني الغيرة وتحطمني مشاعر تعذبني كالبركان الذي لايخمد ..."

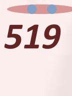
صمت محمد يلتقط انفاسه التي تسارعت بينما والده يستوعب اعترافاته ..

اما نجلاء فعيناها تترقرقان بالدموع وابتسامة حانية تداعب ثغرها ..

هدأ محمد قليلا ليضيف ببعض الحشرجة

" ورغم كل هذا .. لم استطع اقتلاعها من قلبي .. لم استطع .. اقسم بالله قررت وحاولت لكن قلبي كان في حروب طاحنة مع عقلي ... منحت قلبي معها فرصة ثانية حتى ارضي عقلي وقلبي معا ..وعلى مدى سنوات كنت اعاني من تخلخل بالتوازن بين العقل والقلب..."

تحرك بلال ليجلس على حافة السرير وهو يقول بصوت يشع اطمئنانا وثقة



" التوازن بنيّ يعني .. ان العقل والقلب يجب ان يتكاتفا ...الواحد منهما يسند الاخر كصديقين مقربين وفيين لبعضهما متفقين على المصلحة العامة ، قد يختصمان لبعض الوقت .. لكن الثقة يجب ان تكون موجودة والصداقة يجب ان تظل موصولة.."

نظر محمد لوالده بعمق قبل ان يقول بنظرة شفافة بعذاب رقيق

" عندما اتيتك طالبا منك مساعدتي لاخطب بيلسان كان قلبي يحتضر .. وعقلي مشوش في حالة استنفار فوجهني اليك تلقائيا .. كنت اتعذب بالغيرة والقهر ولم يكن هناك غيرك يا ابي ليفهمني ويمد يده الي .. لسنوات وانا بهذا العذاب اعيشه بمفردي متحملا مسؤوليته وحدي لكن بظهور خالد مرة اخرى في حياتها انفجر كل شيء في وجهي .. فثار العقل ناقما واهتاج القلب ثائرا ..."

فقال بلال

" ظهور خالد وضعك في المواجهة .. مواجهة كل مخاوف عقلك حول صحة اختيارك .. مشكلتك يا محمد انك لم تعرف كيف توازن لتصل لتسوية مرضية بين العقل والقلب.."

ليرد محمد وعيناه تلمعان بعذاب قديم

" عقلي لم يكن يستوعب مدى اهمية فاطمة لحياتي كلها وليس القلب وحده .. "



ثم تهدج صوته وهو يضيف

" عندما رأيتها هناك .. بتلك الحالة

وكأنها .. ستموت .. كان الألم احساس

باهت لما شعرته .. بل ان كل ما عانيته

لسنوات اصبح باهتا بلا معنى .. عندها

علمت ان خسارتي لفاطمة لايمكن

تعويضها ابدا .. عندها فهمت اننا احيانا

نتشبث بحلم شديد الاهمية من حقنا ان

نحلم به لكن ربما نحتاج ان نخلق احلاما

أخرى بديلة ..."

مالت نجلاء بجذعها لتقبل خده قبل ان

تقول بهمس اومي

" انا اشعر بالغيرة يا فتى ! كل هذا الحب

تكنه لتلك الناعمة النحيلة ؟! "

اشاح محمد بنظراته وكأنه يخجل من

عذابه الذي كشفه بالكامل ثم ملك

قلب امه وخداه يتوردان ..

عاودت تقبيله وهي تقول بحنان فياض

لايخلو من تحد خاص

" لن أكون نجلاء الغازي ان لم ازوجك

اياها حالما تتعافى تماما .. وليريني ماهر

كيف سيقف بوجه ارادتي .."

اخذ بلال يضحك بينما يبتسم محمد

وداخله يعد بالكثير ...

في صباح باكر من اليوم التالي

في المستشفى

كان يغلق باب الغرفة خلفه بهدوء شديد عندما التفت ليراها تقف على بعد خطوتين وتبدو وكأنها على وشك .. الهرب !

عقد حاجبيه وانتابته حالة تهور مجنون ان يقدم على الاقتراب بل يركض خلفها ان هربت منه ثم يجرها من ضفيرتها ويلف بها اروقة المستشفى وصوت صراخها يهد الجدران ...

كم سيكون سعيدا مبتهجا ان يفعل كل ما يدور في مخيلته الان ...

شمخت بذقنها وارتحل ذاك الارتباك الاولي بينما تتقدم خطوة وهي تلقي التحية بجمود ظاهري مستفز

" صباح الخير .."

فيقترب منها ليرد ساخرا وهو يكز على اسنانه " صباح الخير بالغائبة عنا ..."

تجاهلت استفزازه وهي تتمسك بواجهة الجمود بينما تقول

" هل محمد مستيقظ اتيت لزيارته.."

قاطعها بحدة

" اذن اتيت لزيارة محمد فقط ..؟ الاطمئنان عليه .. تفقد احواله ..."

تهربت بعينيها منه وهي تعبس بارتباك بينما يقترب اكثر وهو يضيف بصوت أجش يفيض اشتياقا وشكوى " ان كان بخير في جسده .. في روحه .. في قلبه ..."

تمتمت وهي ما زالت مصرة على الاشاحة بعينيها بعيدا

" لاتبدأ هذا النوع من الحديث يا محمود .. ما بي يكفيني .."

فهدر بها حانقا بعاطفة متفجرة

" حقا ؟! وانا الذي تصورت ان ما بي .. لايكفيني واحتاج المزيد !"

اغمضت زينب عينيها واخذت نفسا عميقا ثم زفرته ببطء ..

قررت مواجهته اخيرا فتفتح عينيها وتعود بوجهها اليه لتقول ببعض التماسك

" ليس لاني سمحت .. لك .. ان تساندني في الوقت العصيب الذي مر علينا فهذا يعني .. اني غيرت رأيي يا محمود .."

كتم انفعالاته بشق الانفس ليقول باسلوب عملي " محمد نائم الآن .. لن يستيقظ قبل ساعة .. تعالي نشرب القهوة في مقهى المستشفى قبل ان اذهب للمؤسسة .."

خلال كلامه امسك بمرفقها ليوجهها الى حيث يريد فتحاول زينب انتزاع ذراعها وهي تهمس بحدة وانفاس عنيفة

" لا ..اريييييييد ..."

لكنه يسحبها بخشونة وبضعة ممرضات ينظرن اليهما باستغراب وفضول بينما يقول محمود بتفكه " اذن يبدو ان صداقتنا الوليدة ماتت في مهدها ..."

هتفت به وهي تكاد تفقد كل اعصابها

" لست صديقي ولن تكون .."

تأوهت وهو يحرك جسدها بعنف ليرتطم بالجدار بينما يهدر فيها وداخله يغلي بالمشاعر

" انت محقة .. انت لست صديقتي .. لا صديقة ترفع حرارتي هكذا.."

امسك يدها التي تحاول دفعه ليثبتها على صدره ويقول بهمس مشحون بالعاطفة الغاضبة

" فلا صديقة تؤرق منامي وتغزو احلامي وتجعل توأمي يسخر مني لاني اهتف باسمها ليلا .."

تضرجت سمرة بشرتها بالحمرة واخذت عيناها تتهربان يمينا ويسارا منه ..

همست بخجل فظيع

" اتركني محمود ... تلك الممرضة تنظر نحونا .. ارجوك ابتعد لاتثر فضيحة بتصرفاتك المتهورة .."



يعتصر اصابعها بين يده فتتأوه بتوجع بينما يقول لها بقساوة من فاض به ولا يحتمل قساوتها عليه

" كنت اعرف انك ستتراجعين .. هل تظنيني احمقا ؟! انت انانية ولاتفكرين الا بنفسك .. في الوقت العصيب تلجأين الي وعندما تنتهي المحنة تدفعينني بعيدا.. لكنك تحلمين زينب .. انا صابر فقط لاني اعرف فقط اي عقل ملتو شديد التعقيد تملكين .. "

اخذ يقترب وجسده يشع بالحرارة بينما يهمس بنبرة مشحونة بمشاعر افلتت من قيدها

" انا .. احبك ...احترق حتى آخري بحبك المجنون يا مجنونة .."

اجفل الاثنان بقوة بينما ممرضة تقول بصوت حازم يحمل توبيخا ضمنيا

" سيد محمود .. نأسف لمقاطعتك ! لكن الانسة تبحث عن غرفة اخيك .."

اطرقت زينب بخزي فظيع بينما محمود ينظر لذلك الوجه المستدير الابيض المميز وعفويا يشعر بانوثة صاحبته فيبتسم كأبله وهو يقول

" مرحبا .."



يسمع همس زينب الغاضب " غبي"

بينما ترد الفتاة المحجبة بصوتها الناعم النبرات وخداها يتوردان

" مرحبا سيد محمود .. انا الدكتورة بيلسان اعمل .. في المزرعة .. جئت فقط للاطمئنان على الدكتور محمد.."

الفصل الثالث عشر

تركيزه تشتت مع كلمة (غبي) التي صدرت من المجنونة خلفه ، وبينما كان يستجمع افكاره كـ(غبي) فعلي وهو يحاول الرد على الدكتورة بيلسان التي تبدو وكأنها هبطت للتو من كوكب ملائكي شعر بعواصف الهواء تهب نارية من حوله وزينب تتطاير معها مبتعدة عن الجميع ..

لم يفكر للحظة اخرى وهو يتجاهل تماما نظرات الممرضة المستهجنة بينما يتحرك متراجعا بعدة خطوات وهو يلوح للدكتورة بيلسان ويقول على عجل

" اعتذر .. يجب ان اذهب حالا .. ستجدين محمد هناك .. على بعد بضع خطوات .. في الغرفة رقم 11 سيستيقظ بعد سا... عة او اقل ... سلام ... "

ثم استدار بكل جسده مهرولا لاحقا بعواصف النار ...

في نفس الوقت ..

بيت عائلة صفية ..

لم تستطع ادعاء الثبات اكثر بينما جسدها يفضحها بنوبات الارتجاف العنيفة التي تنتابه في تواتر ...

طأطات فاطمة رأسها فغرق وجهها بين خصل شعرها الطويلة ، عيناها جاحظتان بصدمة بينما ترفع كفها المرتجف لتستند براحته على حافة خزانة المطبخ..

تستعيد كلمات اختها صفية التي اطلقتها للتو كالرصاص لتخترق مسامعها وتقتلها في العمق كما لم تقتلها تلك الرصاصة الحية التي افتادها بها محمد ليتلقاها نيابة عنها ...

(محمد طلبك للزواج .. طلبك للزواج .. طلبك للزواج .. محمد طلبك للزواج)

همسها الداخلي اشبه بصراخ وهو يرج جدران روحها التي تنازع ...

" اه يا وجع وانت تجد بي فريستك الامثل هذه الايام فتواصل نهشك الظالم بي وتحطم ارادتي بقسوة لاتحتمل .. وليس لي غير تلك الارادة اتوكأ عليها حتى أقف .. ما لك ومالي يا وجع ؟! الا يكفي اني ارتضيتك قدرا محتما ككل اقداري ؟! آآآه من وجعك يا محمد .. وكأن وجعي الخاص لايكفيني ؟"

جاء صوت صفية شديد الرقة وهي تناديها

" فاطمة ..."

لم تشعر بنفسها الا وهي تنطق بصوت ثقيل متحشرج " لا ..."



ثم اخذ جسدها يختض اختضاضا متزايدا فترفع ذراعيها تحاوط بهما جذعها تحاول السيطرة على ردة فعلها العنيفة ...

تقترب منها صفية بقلق تحاول احتضانها وهي تهمس بحنان

" اهدئي حبيبتي ..."

لكن فاطمة اخذت تتخبط بين ذراعي اختها وهي تهتف بعنف

" لا .. لا ... لا .."

تماسكت صفية وهي تهدر بها في حزم

" توقفي الآن .. لن تكوني غبية وتفكري انه يريد الزواج بك لانه يشفق عليك .."

من عند باب المطبخ الذي يطل على الممر الخارجي للبيت كان ماهر يقف هناك صلبا غامضا هادئا بينما يناظر محاولات صفية للسيطرة على ردة فعل فاطمة المهتاجة ..

فجأة التقطت فاطمة وجوده الصامت لتتجمد ردة فعلها فتذبل رسمة عينيها ونظراتها تعبر عن عمق الألم وشعور الخزي والغضب في آن واحد...

لم تشعر الا وهي تنتفض لتدفع ذراعي صفية دون ان تشعر ثم تنفجر دموعها ينابيعا وانهارا من الاوجاع فتسيل بتدفق مجنون على خديها

نظرة خفية في عيني ماهر لم تقف كثيرا لتفهمها فقط جعلتها في لحظة تتمرد على شعور الخزي فتركض نحوه وتجد ذراعيه مفتوحتين لاستقبال كل الوجع والانكسار ..

تأوهت من عمق الوجع على صدر ماهر ..

تبكي وجيعتها حتى اغرقت قميصه بالدموع ..

اخذت تصرخ على صدره بين شهقات البكاء " لا ماهر .. لا ... لا .. "

كان يضمها متجلدا متماسكا بينما عيناه على صفية التي تخفي وجهها عنه وتبكي في صمت ..

صفية لن تتغلب على أصولها التي تعتبر المساس بحرمة العرض كانتهاكه ..

انه يفهمها .. ويفهم ما يدور في خلدها رغما عنها .. لقد اسعدها واراح قلبها ان محمد طلب فاطمة للزواج ..

تريد ان تحمي فاطمة فتسترها بزوج يرفع رأسها امام الناس ..

لكن يقسم باللّه العظيم لن تتزوج فاطمة الا وهي سعيدة راضية مرفوعة الهامة ..

قال اخيرا وصراخها وبكاؤها الهستيري يهدأ " انظري الي فاطمة ..."

عندها رفعت وجهها الصغير المحمر الملطخ بالدموع وهي تقول بنبرة أدمت قلبه



" لماذا تناديني فاطمة ؟ انا توته ألم أعد كذلك ؟"

تطلع اليها صامتا لبضع لحظات قبل ان يرفع كفه يمسح وجهها وهو يقول

" انت ما أراه دوما بك ولا شيء في الكون سيغير هذا يا فاطمة .. "

هدرت بعنف معترض

" لماذا تعاود مناداتي بفاطمة ..؟"

بدت كطفلة .. طفلة صغيرة تتشبث به وكأنه ابوها تطالبه بحقوقها ..

وهو لسبب ما يشعر انه أبوها حقا .. فاطمة دونا عن طه وزينب تمكنت بعفويتها وسلاستها الرقيقة في الاندماج وكينونتها

الناعمة ان تحرك عاطفة الاب فيه باكرا جدا .. عاطفة في عمق تكوينه كرجل ..

وابنته الصغيرة هذه هناك من انتهك روحها وهو عاجز ان يقتص منه كما يشتهي.. لقد قتله .. ولو بيده لكان قتله بالف طريقة وطريقة ...

رغم عنف ما يعتريه من رغبات انتقام لن تتحقق يوما ابتسم لوجهها وهو يقول بتأن

" بالنسبة لي ستظل توته هي الاقرب .. صغيرتي مدللتي .. اي صفة اشعرها وتعبر عنها .. لكنك فاطمة ايضا .. فاطمة الشابة التي افخر بقوتها واتزان عقلها .."



عذاب خالص يمر عبر شراييينها ويطل شرسا قاسيا من عينيها فتهمس مقتولة مذبوحة

" لاتقل هذا .. انت تعذبني ماهر .."

غامت عيناه تأثرا فاق قدرته على كتمانه في جوفه ليقول لها بحنان بالغ وان لم يخلُ من الحزم " احيانا الانسان يستغرق في وجعه ويعذب نفسه بنفسه دون طائل ..."

اخذت عفويا تضرب بقبضتيها على صدره ..

كانت منهكة .. تائهة متخبطة .. تتوجع ولا تعرف كيف تصل بوجعها للاخرين

همست بوهن وعيناها تموجان بعذاب مضاعف

" انت لاتعرف .. لاتعرف .. لن اتزوج به .. ابدا .. الا هو ! انا افضل الموت .."

تصلبت نظراته وهو يرد عليها بعنفوان

" لاتتزوجيه .. لايهمني .. لكن واجهيه .. واجهي نفسك لماذا لاتريدينه زوجا .."

تنظر في عيني ماهر ولا تعلم لم لسانها عاجز عن البوح هكذا ؟!

ماهر يريدها ان تواجه محمد وتخبره ؟!!

اي الكلمات قد تختارها ستخبره بكل ما فيها؟!

كيف تفسر ما لايقبل التفسير ..؟

كيف تلملم شظايا ما تحطم فيها هي قبل ان تراه محطما في عيني محمد ...

بيأس قاتل أمالت رأسها ليستريح على صدر ماهر بينما يجلدها عقلها بسادية وهو يرسم لها – من جديد - صورا لجسدها المنتهك على ذاك السرير المصفر ومعصميها مربوطين من الجانبين ...

مرآب مؤسسة الغازي-الناجي

دون ادنى شك ان جسده بالكامل يرتجف من هول ما عاشه خلال الربع ساعة الماضية..

خمسة عشرة دقيقة قضاها مرعوبا وهو يلاحق جنون قيادتها لسيارتها امام ناظريه..

من شارع ...لشارع ....

حطمته بالكامل وهي تكاد تدهس احدهم مرة و ترتطم بشجرة مرة ثانية لتنجو في اخر لحظة وهي تنحرف بقوة بسيارتها ثم .. تلك الشاحنة يا الهي .. المجنونة الرعناء الغبية ... سيخنقها بين اصابعه .. سيزهق انفاسها دون ندم ..

برعونة اوقف سيارته في اي فراغ وجده قبل ان يترجل منها تاركا الباب مشرعا ليتقدم نحو السيارة الاخرى وهو يغلي كمرجل ...

كانت زينب تحتضن مقود السيارة تخفي وجهها فيه وانفاسها تتسارع بجنون ..

لكنها لم تنتظر طويلا وهي تفتح الباب لتنزل عندما باغتها هو وجسده يرتجف بوضوح اما ناظريها وعيناه كالنار ...

كم تتمنى قتله !

اجل تريد قتله كما يقتلها ...

تقوست اصابعها وكأنها تبحث عن مخالب تنمو فجأة لتمزق بها وجهه الشاحب وكأنه فقد اخر نقطة دم ...

يستحق هذا الشحوب .. يستحق ان ينزف دمه حتى الموت ..

كانت تنهت والكلمات تخونها عندها صدمها وهو يدفع جسدها بعنف لترتطم بسيارتها ويقترب منها فاقدا الادراك وهو يصرخ فيها

" ايتها المجنونة كدت تقتلين نفسك.."

لم تكن تشعر انه يحتجزها فعليا بجسده بل يضغط جسدها في عنف وكأنه يريد سحق عظامها ..

جنون او ربما ثورة انتقام اهتاجت في داخلها فلم تشعر الا وهي ترفع وجهها اليه لتقول بلؤم حاقد " اكـ..ر...هـ...ك .."

اتسعت عينا محمود بصدمة ثم توهجت تلك العينين المتسعتين وفي لحظة كان يحاوط وجهها بكفيه وجسده يكبل حركة جسدها بالكامل بينما يهمس بشراسة مجنونة

" اكذبي على نفسك كما تشائين .. لكن كلمات الكره هذه جاء الوقت لاجعلك تبتلعينها.."

تجمدت بالكامل وشفتاه تنطبقان بجنون على شفتيها للحظة ..لحظتين ... كانت جامدة تماما لاتستوعب شيئا غير الصفير العالي الذي يطن في اذنيها ..

جنونه توقف بنفس دافئ ملتاع منه وهمس مشتعل اشد جنونا

" يا الهي .... زينب .. يا الهي.. ما هاتين الشفتين اللتين تملكين ؟!"

جملته كانت كألعاب نارية فرقعت بشكل مفاجئ فلم تشعر الا وهي تضرب فيه بعنف بقبضتيها وساقيها وهو مستسلم لها يترنح من هول ما يعتريه ثم دفعته اخيرا فتركض وتتعثر ثم تواصل هروبها المجنون منه ..

يشعر بنيران تمر عبر مسامات جلده ..

هل هاتان الشفتان لوجه العبوس حقا ؟!

اخذ ينفض رأسه ثم يشد شعره ليسترجع احساسه بالواقع بشكل كامل فيهمس مصدوما من نفسه

" اللعنة .... ماذا فعلت .. ماذا فعلت ؟!"

فلا يأتيه الرد الا بالصمت البارد تعكسه جدران المرآب الرمادية ...

مكتب آسر الغازي ..

يجلس على حافة مكتبه يطالع بعناية الاوراق التي قدمتها له بشرى التي تقف قريبا منه ...

لم يكن غافلا عن تأنقها الشديد الذي زاد اغراء في غياب بطته الحارسة عن المكتب كما لايمكن ان يتجاهل رائحة عطرها التي تثير حواس اي رجل ...

سمعها تسأل بصوت متقن النبرات في جماليته الانثوية العذبة

" سيد آسر .. هل أجيد عملي ؟"

ابتسامة صغيرة داعبت ثغره قبل ان يخفيها وهو يرفع وجهه اليها يحدق فيها عبر نظارته الطبية ويقول بغموض

" تجيدينه جدا .."

تقترب اكثر وهي تتلاعب باوتار صوتها باحتراف فتقول بحلاوة



" خفت ان لا اصل لكفاءة زينب فيتعطل العمل خاصة مع غيابها منذ اكثر من اسبوع ..."

تعابيره غامضة تماما بينما تعابيرها المتلهفة واضحة وضوح الشمس ..

خلع نظارته ليضعها جانبا قبل ان يسأل بنبرة رائقة

" كم عمرك بشرى ؟"

ترد وانفاسها باتت تلهث من اللهفة

" خمسة وثلاثون .."

يميل برأسه جانبا ويرفع حاجبا واحدا وهو يقول بصوت أجش مثير بغموضه

" مثير للاهتمام .."

تتشجع اكثر فتتحرك يدها باناقة نحوه فتهمس وهو توشك ان تلامس سترته

" سيد آسر ... أنا .."

انفتح الباب فجأة وكأنه انفجر !

ابتعدت بشرى خطوتين واسعتين وكأن تيارا كهربائيا مباغتا صعقها ...

في لحظة كان آسر الغازي يقف على قدميه وهو يحدق بجدية في حالة زينب المشوشة بينما تقول له وعيناها تعصفان بنظرات لاتوصف

" عمي ... اريدك مكالمتك .."

كلمة واحدة آمرة صدرت من آسر ناحية بشرى " انصرفي .."

في لحظة كانت بشرى تغادر وهي تنظر اليهما بفضول شديد وحالما اغلقت خلفها الباب كانت زينب تقترب منه تلهث بانفاسها وهي تهمس بصوت متحشرج متوسل

" عمي آسر .. اتوسل اليك .. ابعده عني .."

لانت ملامح آسر قليلا فيقترب منها هو الاخر يبتسم قليلا وهو يتساءل

" ماذا فعل المجنون ؟"

ابتسامته انحسرت وهو يرى دموعها تسيل على خديها ثم اخذت تشهق بالبكاء وهي تتوسله بحنق حزين.. يائس.. ملتاع

" ابعده .. لااريد ان اشعر هكذا .. ابعده ارجوك عمي ..."

للحظات يمعن فيها النظر ثم لفته منظر شفتيها ! انهما متورمتان قليلا واحمر الشفاه الخفيف الذي تضعه في العادة ملطخ خارج حدود فمها ...

اسبل آسر اهدابه بينما يسحبها من كتفيها لتجلس على اقرب كرسي ثم يعاود هو الجلوس على حافة مكتبه ليقول بعدها

" خذي بضعة انفاس واسترخي .. وبعد ان تهدئين تماما ستخبرين المارد اسر الغازي عن كل شيء .. كل شيء بالتمام والكمال ..وسترين العجب يتحقق لك .."

فعلت بطاعة غريبة عليها ما طلبه منها ثم اغمضت عينيها بينما وجهها يحمر شيئا فشيئا .. فشيئا ... مما استجلب الابتسامة الواسعة لفم آسر وهو يفكر

" لااظنني اخطئ .. الفتى نال الشفتين قبل ان يحين قطافهما .. المجنون المتهور !"

في مخزن خاص ...

سحب ماهر كرسيا خشبيا ليجلس عليه بوضع معكوس بينما ينظر بهدوء بارد لمن يجلس قبالته مقيدا بكرسي اخر..

بعض رجاله يحاوطون جلسته بوضع الاستعداد لأي اشارة منه بينما يشعل ماهر سيجارة وهو يتفحص وجه رائد الذي علته الكدمات ..

بدى رائد منهكا تماما وهو ينكس رأسه للاسفل ويداه مربوطتان للخلف بالسلاسل ..

قال ماهر اخيرا وهو يبتسم ابتسامة قاسية مرعبة " ما رأيك بارض العجائب خاصتي ؟ آمل اني لم اخيب ظنك عندما وعدتك بها قبل سنوات .."

اجفل رائد بقوة وهو يرفع وجهه ليتنبه لوجود ماهر ...



بعض الدماء تسيل من فمه بينما ينقل نظراته بهلع من ماهر للعيون الكالحة التي رافقته اياما طالت لايعرف عددها ...

اخذ يحرك جسده عشوائيا وهو يقول بهمس متحشرج يفيض ارتعابا " اقسم لن اقترب من اي شيء يخصكم .. فقط اطلقني وسأختفي تماما من حياتكم .."

ارتفع حاجبا ماهر بدهشة مصطنعة بينما يتساءل " ومن قال انك لن تختفي ..؟! "

اخذ رائد يبكي باصوات منفرة وهو يتوسل

" لاتقتلني سيد ماهر .. انا نكرة ضعيف .. انا لاشيء ..أبقي على حياتي اتوسل اليك "

اسبل ماهر اهدابه وهو ينفض رماد السيجارة قليلا قبل ان يقول بنبرة مخيفة ساخرة

" اذن فلديك ما تخسره وتتوسل الابقاء عليه .. أرأيت كم افدتك وانا اغير نظرتك للحياة ؟ كنت محبطا وانت تتبجح ان لاشيء لديك لتخسره ... الان انت ممتن فقط لان انفاسك العفنة ما زالت تلوث الهواء .."

فجأة ودون انذار مسبق مد ماهر يده التي تحمل السيجارة ثم اطفأها في ذراع رائد المكشوف وبينما يصرخ رائد قال له ماهر بشراسة

" هذا تذكار مني للمستقبل ... في حال نسيت حوارنا عن خسائرك المحتملة .."

ثم وقف ماهر على قدميه بينما يبكي رائد متوجعا ..

تحرك مبتعدا عن كرسيه وهو يأمر رجاله
" اسبوع معنا يكفيه .. اطلقوه .."

وسط بكائه البشع كان رائد يردد بغير تصديق

" شكرا سيد ماهر .. شكرا لك .. "

في المستشفى ...

شعرت بحرج فظيع وهي تدخل غرفته بعد اصرار الممرضة انها تستطيع انتظار استيقاظه في اية لحظة ..

جلست على اريكة بعيدة نسبيا عن السرير وهي تتحاشى النظر ناحيته ..

تشعر بوجهها يشع حرارة من الموقف برمته خاصة بعدما حصل مع اخيه محمود وتلك الفتاة السمراء التي كانت برفقته ..

يا الهي كم كان الامر محرجا وبدى الاثنان يعانيان من مشكلة ما وهي أتت في وقت غير مناسب بالتأكيد ..

عضت بيلسان على شفتيها وهي تسمع صوت همهمة قادمة من ناحية السرير حيث ينام الدكتور محمد ..

اشاحت بعينيها بعيدا وهي تلوم نفسها على هذا التصرف الذي اقدمت عليه ..

لم تكن تريد الحضور .. لكن احساس بالذنب والتقصير سيطر عليها ..

نظرت لذراعها المجبر وكأن فيه الرد ..

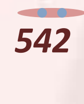
ألم يجالسها خلال اصابتها ؟ ألم يلازمها حتى تأكد انها بخير واوقف لها سيارة اجرة بنفسه ..؟؟

احمر وجهها اكثر واكثر وهي تعترف بالحقيقة ..

الحقيقة انها لاتنام جيدا منذ اسبوع قلقا عليه ، كل الاخبار المطمئنة التي كانت تصلهم .. والواقع انها لاتنام جيدا بايام سبقت الاسبوع ايضا ..وقبل هذا الحادث الغامض الذي تعرض له !

اجل انها لاتتوقف عن التفكير بمحمد وقلبها يخونها دوما كلما لمحته في المزرعة بمشيته الهادئة الواثقة وابتسامته التي تعانق بجاذبيتها شمس الصباح فيخفق القلب ويخفق .. يهلل طائرا بجناحين ترفرفان سعادة فقط لوجوده حولها ...

علا وجيب قلبها في هذه اللحظة بينما تسمع صوت همهمته ترتفع وتتضح اكثر وهو يطلب الماء ...



وقفت على قدميها ببطء وهي تشعر بالارتباك الشديد ثم اصبح صوته اكثر استقرارا ووضوحا وهو ينادي اخاه

" اين انت يا محمود .. ؟ اشعر بالعطش الشديد .."

ارغمت ساقيها على التحرك نحوه وقلبها ينبض في حنجرتها وتشعر بوجهها يشتعل..

فجأة شهقت مجفلة وهو يرفع رأسه عن وسادته لتطالعها مباشرة عيناه الخضراوان بلمعانهما الطبيعي المميز ...

مكتب اسر الغازي

تحرك اسر ليأخذ بعض المناديل الورقية من العلبة الانيقة على مكتبه ثم قدمها لزينب تمسح وجهها الباكي وقد انهارت تماما حتى ان كلامها لم يكن واضحا او مفهوما تماما ...

ثم تحرك هذه المرة ناحية البراد في زاوية مكتبه ليحضر لها بعض العصير ..

قدمه لها وهو يأمرها بالقول

" اشربي قليلا لتستعيدي تركيزك .."

فعلت ما أمرها به فاثارت استغرابه واستمتاعه في نفس الوقت لاستسلامها وعدم مجادلتها كعادتها المتأصلة فيها..

ابتسامة صغيرة لاحت على شفتيه وهو يعترف ان هذه الفتاة تؤثر به عميقا بكل تصرف وردة فعل منها ..

التف حول مكتبه ليجلس على كرسيه ثم يبتدأ الكلام

" انت لاتلعبين اللعبة بشكل صحيح بطتي.. بل أراك عدتِ لدور العصفور الذي يزقزق صباحا ويزعجني ..."

مسحت وجهها بعنف ونظرت اليه بتمرد وحنق وقبل ان ترد بشيء منعها آسر بالقول الحازم والنظرة الحادة

" لقد سمعتك مطولا وعليك سماعي الآن.. لا وقت لدي اضيعه في متاهاتك العاطفية الجديدة .."

احمرت زينب قليلا قبل ان يواصل اسر كلامه القاطع

" انت لاتعرفين حقا ما تريدينه .. في داخلك ترفضين محمود لاسبابك المضحكة التي لن اجادلك فيها الآن لكنك في نفس الوقت تغارين وتعشقين ولا تحتملين قوة مشاعرك نحوه ..."

ضج وجهها احمرارا فاطرقت وهي لاتطيق مواجهته ...

ابتسم آسر وهو يكمل باستفزاز

" انت حتى لاتخبريني ماذا حصل في المرآب قبل قليل .. فقط قلت انه تهجم عليك لانك هربتِ منه بالمستشفى .."

اتسعت ابتسامته وهو يراها تذوب حياء على الكرسي فلا يبقى لديه ادنى شك فيما حصل بين هذين المجنونين ...

حسن .. الفتى جريء رغم الحدود التي رباه عليها أباه بلال ويبدو ان المتهور غير الصبور وصل لمرحلة أفلتت منه زمام الامور وقد استحكم عرق الغوازي فيه ..

من جانب آخر لايلومه .. بطته مستفزة جدا وتدفع مشاعر الرجل الى اقصاها ..

سأل اسر فجأة يبغي التخفيف من خجلها وتوترها

" ما الذي جعلك تذهبين للمستشفى من الاساس ؟ "

ردت ببعض الارتباك ووجهها ما زال متخضبا بحمرته

" علمت من صفية البارحة ان .. محمد طلب يد فاطمة للزواج .. قالت انها لن تخبرها حتى الصباح ولكني اردت ان اكلمه بنفسي قبل ان اتعامل مع ردة فعلها .."

ابتسم آسر بخفة وهو يقول

" تسارعين لحمايتها كعادتك .."

همست بوجع " انا السبب عماه .. هناك امور حصلت وانا السبب فيها .. ذلك اليوم انا نصحتها ان تذهب لمحمد وتكلمه .."

غلبه الفضول وابتدأ ينسج من الخيوط غزله الخاص وهو يتساءل بنوع من الابتزاز الخفي

" اخبريني .. اخبريني كل شيء .. الفتى الذهبي اصبح يخفي عني الكثير .. وثقي دوما ان اسرارك كلها في بئر عميق .. "

عبست زينب في وجهه وهي تقول بتمرد

" انا اتيتك لتساعدني لا لتساعد فاطمة.."

رد بمراوغة تحمل بعض صدق ما يراه

" ربما ساساعدكما انتما الاثنتين .. فماهر يبدو وكأنه ليس في افضل حالاته مع شعوره العارم بالذنب لانه لم ينقذها بتوقيت صحيح نسبيا.."

هتفت بتأثر " لكن .. هو فعل المستحيل وانقذها كما انقذ محمد .."

لانت ملامح آسر وهو يفسر لها بتفكر

" يشعر انه خذلها لانها تعرضت لتلك المحنة من الاساس .. ماهر حمائي جدا عندما يمس امر ما احد افراد عائلته.. حمائيته هذه احيانا تؤثر على شفافية نظرته العملية للامور .."

بدت زينب كمن يحاول استيعاب هذا الجانب من ماهر الذي لم تفكر به سابقا بينما يعيدها آسر للمسار الذي يبتغيه وهو يقول بغموض هادئ

" الآن اخبريني عن سبب ذهابك لمحمد صباحا ومن هي الدكتورة بيلسان بالضبط؟"

اخذت زينب نفسا عميقا ثم زفرته بقوة قبل ان تبتدأ الافصاح ومن البداية

" ذهبت لاشرح له ما لايعرفه عن حالة فاطمة .... ابتداء من يوم اختطافها.."

في المستشفى

" بيلسان !"

بدى محمد متفاجئا مذهولا من رؤيتها امامه فاحمرت بيلسان بحرج شديد وهي تتسمر مكانها تبتسم بصعوبة وتفسر بكلمات متسارعة

" مرحبا دكتور محمد .. انا اعتذر .. حضرت لاطمئن عليك باكرا قبل الذهاب للعمل لكن ..."

للحظات بدى غامضا تماما لها ثم ابتسم بهدوء غريب وهو يطلب منها بأدب

" شكرا لك .. عفوا هلا ناولتني قدح ماء لو سمحت .. عطشان جدا "

تعثرت بخطوتها وهي تتحرك للمنضدة الجانبية هامسة

" اجل طبعا .. انا اسفة .."

صبت له قدح ماء ثم قدمته له لتبتعد عنه حالما اخذه تراقبه بصمت وهو يتجرعه مطفئا عطشه ..

همس بحمد لله ثم شكرها وهو يرخي اهدابه وما زال القدح الفارغ في يده..

احتارت هل تقترب وتأخذ القدح ام تتركه هو يضعه جانبا بنفسه ؟

تجاهلت الامر كليا وقلبها يقرع في صدرها بينما تسأل بصوت مرتبك

" كيف تشعر الان ؟ هل جرحك بخير ؟"

رد بنفس الهدوء واصابعه تتلاعب بخفة بالقدح

" بخير .. انا اتعافى والحمد لله .. سأخرج بعد عشرة ايام او ربما أكثر بقليل .. وبعدها سأعود للعمل خلال بضعة ايام .."

ردت وقلبها يرفرف فرحا وابتسامتها تتسع عفويا حتى شع وجهها اشعاعا

" تعود بالف سلامة ان شاء الله .."

عندها .. رفع محمد ناظريه فيحدق بها للحظات ..

هذا الوجه النوراني مسّه ذات يوم ..

هذه الروح التي تشع كاشعاع وجهها الابيض جعلته يتشتت في موازينه ..

لكنه مدين لها .. لولاها كان سيتساءل على الدوام (ماذا لو ...؟)

في كل الاحوال لايظن انه كان قادرا بيوم على خطو اي خطوة بعيدا عن طريق فاطمة..

فاطمة قدره وهو سيكون قدرها ...

قال محمد اخيرا بنبرة ثابته

" انا ممتن جدا لزيارتك هذه .. انت .. اخت عزيزة .."

مع كلمة (اخت) ... ذاك الاشعاع من وجهها خفت ...

ارتعشت شفتاها وما زالت الابتسامة عالقة بهما بينما تهمس بصوتها الناعم المميز

" شـ..شكرا .. دكتور محمد .."

ثم بدت مشوشة تماما فتتلفظ بأي كلام لتداري مشاعرها

" الجميع يسأل عنك و .. البعض قلق عليك بسبب الحادث و ..."

انقطع كلامها وهي تزداد تشوشا ..

اشفق عليها وهي تبدو في حاجة لان تستوعب حقيقة ما قاله فحسم الامر أكثر وهو يقول بملامح تفيض ثقة و.. سعادة ...



" طمأني الجميع لو سمحت .. اشكريهم نيابة عني واخبريهم ان هناك اخبار سعيدة قريبا ان شاء الله .."

ذبلت ملامحها وكأنها ادركت بفطرتها النقية ماهية القادم بينما اضاف محمد

" بما انك هنا .. احببت ان تكوني اول من يعرف في محيط المزرعة .. سأتزوج قريبا من قريبة لي ان شاء الله .."

مرت لحظتان وقد التمعت عيناها السوداوان بدموع شفافة لتهمس بصدمة

" مبارك ... اتمنى لك كل السعادة ..."

رد محمد وما زال يناظرها بعينين هادئتين وابتسامة لطيفة يجيد دور من لايفهم الاشارات التي تنطلق منها

" شكرا لك .."

ابتسمت اخيرا وهي تتحرك بتماسك وشموخ اثارا اعجابه وهي تقول

" عن اذنك .. يجب ان أعود للعمل .. معافى واراك بالف خير فانت تستحق الخير دكتور .."

اكتفى بهزة من رأسه وهو يراقب خروجها الاخير من غرفته ومن ماض يبدو بعيدا .. ماض لافكاره المشوشة بحلم قديم ..

شقة تغريد...

شعرها يحتاج للغسل ورائحتها باتت لاتطاق وليس لديها اي رغبة باخذ حمام هي في أمس الحاجة اليه ..

وجهها بات شاحبا شحوب الموت وحركة جسدها بطيئة وهي تتنقل كشبح في ارجاء الشقة الصغيرة الحقيرة التي باتت لها سجنا محكما بل قبرها الاختياري فوق الارض ...

اجل .. هذه الرائحة العفنة التي تفوح منها هي رائحة الموت .. انها ميتة منذ زمن ولم تستوعب هذا او تعترف به الا الآن ...

لقد استسلمت لقدرها الذي قادها لقبرها هذا فتتعفن فيه بخطاياها وذلها وهوانها على الناس اجمعين .. وعلى نفسها اولا ..

من شباك الصالة الصغير اخترقت الشمس زجاجها القذر فتحدق عينا تغريد في تلك الذرات الدقيقة السابحة في الهواء ولا تعري وجودها الا اشعة الشمس الصافية ...

هل يمكن ان تتمنى التلاشي كتلك الذرات الخفية ؟ وان تمنت هل تملك ان تحقق هذه الرغبة ؟

رفعت يدها لوجهها تتحسس جفاف بشرتها الذي يعكس جفاف روحها ..



تذكرت تلك الايام التي عملت فيها في مؤسسة الغازي-الناجي ..

عالم كخلية النحل .. الكل يعمل ويعافر في الحياة ليصل لمبتغاه ..

النظافة اكثر ما جذبها هناك ...

او ربما شعورها انها تعيش في قذارة من هيأ لها الاحساس بوجود هذه النظافة التي لاتطالها...

النظافة ليست نظافة مكان فحسب وليست نظافة ملبس وجسد .. انها نظافة روح راضية عن نفسها وعن سعيها في الحياة بكل صعوباتها ..

انها نظافة العيش الكريم والكرامة المحفوظة ...

شعرت برطوبة بشرتها الجافة فادركت انها تبكي بصمت ...

همست والبكاء يشتد عويله في داخلها

" انتِ من فعلت هذا بنفسك يا تغريد .. استسلمت لكل ابتذال وغرقت في بحر من اوهام الحب وادركت متأخرا انه مجرد مستنقع للقذارة ..كنت حبيبة على شاطئه ثم عشيقة في امواجه الوهمية المتلاطمة واخيرا تخوضين في وحولة مستنقعه الحقيقي كفتاة ليل تستخدم جسدها لجذب المزيد لتلك القذارة .."

أجفلت بقوة وقرع على الباب يداهم افكارها البائسة ..

غامت عيناها في استسلام مرير ...

لا بد انه أتى ... لقد اتصل بها قبل قليل يسألها بنبرة غير ثابته ان كان احد من رجال ماهر الغازي عندها وحالما طمأنته اخبرها انه في طريقه اليها ...

عادت لتنظر لاشعة الشمس من جديد فتتعلق بها وكأن تلك الخيوط الذهبية الباهته قبس من نور خالقها فتهمس بحرقة قلب ينازع وروح لم تعد تريد الا الخلاص

" انقذني يا رب .. لا استحق منك نعمة الخلاص لكن ليس لي غيرك ..."

قرع جديد أشد خشونة من اوله فتنهدت وهي تمسح وجهها وتتحرك لقدرها المكتوب ...

فتحت الباب وهي تطرق برأسها منهكة مستنزفة بينما تهمس " مرحبا .."

لم تحصل على رد ولم يتحرك الظل الاسود امامها فترفع وجهها في استغراب وفي لحظة تجمدت ملامحها ونظرات عينيها بينما تتراجع للخلف وهي تهمس " اخي ..."

بدى اخوها حالك الظلمة .. ميت التعابير .. وربما ميت الروح مثلها تماما ..

تتراجع للخلف واخوها يتقدم منها مع كل خطوة متراجعة ..

عيناها لمحتا نصل السكين حالما اخرجه من شق قميصه .. عندها التمعت نظراتها كالتماعة السكين فابتسمت بهدوء وتطلعت لاخيها بحزن كحزن البشرية جمعاء ثم همست ودموعها تنسكب

" اشهد ان لا اله الا اللّه وان محمدا رسول اللّه ... اغفر لي يا رب .. اغفر لي ...اغفر لي .. اغفر ...لـ..ي ... آآآآآآ..اغف..."

وما زالت لسانها يردد والنصل اللامع ينغرز في صدرها مرارا وتكرار حتى شعرت نفسها تتلاشى كذرات الغبار السابحات فيرتخي كل شيء حولها واخر همسها وهي تنظر لعيني اخيها الدامعتين " شككـ....را ..."

يقود سيارته في طريقه للعمل يجري اتصالاته المهمة في أكثر من اتجاه ..

اول من اتصل بها كانت الخالة نادية فيأتي صوتها الجذاب الواثق وهي تقول

" مرحبا بني .."

يرد ماهر " مرحبا خالتي .. "

فتسأله نادية " كيف اصبحت فاطمة اليوم وهل اخبرتها عن طلب محمد ؟ كنت سأحضر الليلة لاراها وارى طه "

يده تمسك المقود باحكام بينما يرد

" اتصلت بك خصيصا لاجلها .. احتاج ان اتكلم معك .."



قالت نادية باهتمام

" تعال للمشغل الآن لو احببت .."

رده كان قاطعا وحادا بعض الشيء وهو يقول كلمة واحدة " لا .."

صمتت نادية بينما يستعيد ماهر سيطرته ليقول بهدوء وتفسير

" لا اريد ان تعلم امي ولا حتى عمتي نجلاء بما سيدور بيننا .."

لم تخيب ظنه نادية وهي تتفهمه وتستوعب ردود افعاله لتقول ببساطة

" لاتقلق .. قل لي المكان الذي يناسبك ونلتقي فيه ..."

فقال "هلا حضرتِ للمؤسسة اخر النهار لو سمحتِ ؟ نهاري مزدحم جدا ولن استطيع التفرغ قبلها.."

وبنفس البساطة ردت

" ممتاز .. اذن نلتقي ان شاء اللّه ..."

اغلق ماهر الخط مع الخالة نادية ليتصل باحد رجاله موضع ثقته واعتماده وبعد السلام قال الرجل

" سيد ماهر .. لدي اخبار لك .."

سأله ماهر مخمنا الاخبار " هل ذهب اليها ؟"

رد الرجل " نعم ذهب مباشرة كما توقعت انت .. لكن هناك من سبقه اليها وفرّ هو هاربا من المكان الذي ضج بالشرطة .."



عبس ماهر قائلا بتساؤل " الشرطة ؟!"

رد الرجل بهدوء

" نعم .. تغريد قُتلت على يد اخيها .."

زال عبوس ماهر بينما يسأل بملامح باردة

" هل امسكوه ؟"

عاود الرجل الرد بنفس الهدوء

" جاري البحث عنه .."

يسأل ماهر المزيد " واين رائد الآن ؟"

فكان رد الرجل " هائم على وجهه في الشوراع ويبدو الرعب واضحا على قسماته .. رجالنا يلاحقون تنقلاته .."

قال ماهر ببرود جليدي

" سيعود لبيته عاجلا ام آجلا حالما يطمئن انهم امسكوا الاخ .."

ثم اضاف بنبرة آمرة صارمة " لا اريده ان يغيب عن عيونكم لحظة واحدة ... واجمع لي باقي الادلة على نشاطاته المشبوهة .."

طمأنه الرجل بالقول الواثق

" لاتقلق سيد ماهر .. اعتمد علي .."

أمر آسر ابن اخته قائلا بهدوء

" اجلس محمود ..."

تحرك محمود خطوتين ناحية مكتب خاله بينما يبدو متوترا بوضوح وهو يسأل



" اين زينب ؟ "

ابتسم له آسر وهو يرفع حاجبا واحدا ليلوح بكفه بحركة مموجة وهو يقول

" طارت من عشك .. حلقت في الهواء .."

تزايد توتر محمود وهو يقول بنظرات جدية

" خالي ارجوك .. الامر جدي هذه المرة .. انا اخطأت معها واريد الاعتذار .."

تراخت تعابير الاستفزاز عن وجه آسر ليقول له بتأنيب

" انت متعجل متهور ... وقد حذرتك .."

تقبضت يد محمود وهو يطرق برأسه قليلا ليقول بنفس التوتر

" انها تفقدني صوابي ... "

رد آسر بتفكه

" استطيع ان اتفهم هذا فقد مررت بشعور مماثل وقد كنت في وقتها اكبرك بعشر سنوات واكثر .."

رفع محمود وجهه وهو يقول ببعض اللهفة

" اذن فانت تفهمني ..."

يميل رأس آسر جانبا و يحرك شفتيه قائلا

" وافهمها ..."

ارتفعت قبضة محمود امام وجهه في توتر جديد ليقول بانفاس لاهثة

" خالي ارجوك لاتقف ضدي .. انا .."

قاطعه آسر بالقول وهو يبتسم بخفة

" تعشقها .. وتثير الزوابع كل خلية مجنونة فيك .."

فاضت مشاعر محمود فقال بصوت مبحوح

" كنت أسير معها بخطى جيدة .. كانت قد بدأت تلين رغم انكارها ... "

فيناغشه آسر بالقول

" حتى جاءت الدكتورة بيلسان ففتحت فمك لاهثا كأي ذكر ابله ؟ "

هتف محمود بغضب مباغت " انها كاذبة .. انا لم افعل هذا .. تلك الفتاة ليست حتى من طرازي لكنها تجذب بشكل مختلف .."

غمزه آسر ليقول بجذل مستفز " ربما هي من طراز توأمك محمد اليس كذلك ؟"

عقد محمود حاجبيه بينما انفاسه ما زالت تتسارع من موجات الغضب التي تضرب اعماقه ثم تساءل فجأة وكان ضوءا اشتعل في رأسه

" ماذا تقصد خالي ؟"

اسبل آسر اهدابه قبل ان يقول بغموضه المستفز " لاشيء .. مجرد حدس ...لنعد لموضوع البطة .."

زفر محمود بقوة وهو يقول من بين اسنانه

" يغيظني ان تناديها بطة .."

ضحك آسر مستمتعا وهو يتساءل

" هل تغار عليها مني يا فتى ؟"

رد محمود بانفعال

" مؤكد لا يا خالي .. ولكن اشعر انك تبعدها عني بهذه التسمية .."

رد آسر وعيناه تلمعان فطنة

" و هذا فعليا ما اقصده وأعنيه منذ البداية وانت تفهمه فلا تنكر .. البطة لم تصبح بجعة حقيقية لتكون ندا لعواطفك المجنونة وتقبلها .."

اشاح محمود بنظراته جانبا وبدى شاردا وهو يقول

" اعترف اني مجنون .. لكن ..ماذا افعل لها الآن ؟! انها ترفضني وترفض اي فرصة لنتقارب فأفقد السيطرة على طباعي.."

اخذ آسر يربت باصابعه على ذراع كرسيه بينما يقول بابتسامة رائقة

" كم تشبه امك يا فتى .. قليلا الصبر جريئان متهوران في العاطفة .."

صمت للحظة قبل ان يضيف بمكر

" النساء احيانا يتأثرن بالبعد اكثر من القرب .. هل نسيت كيف تعامل الجنس الاخر بعد طول صيامك عن التقرب منهن؟ لحسن حظك الآن سنعيد اليك ذاكرتك لان البطة طلبت مني ابعادك.."

نظر محمود لخاله وبدى وكأنه تلقى ضربة في قلبه بينما يسأله بصوت أجش

" هل قالتها لك صراحة بعدما .. حصل ؟"

تساءل آسر بخبث " وماذا حصل ؟"

لم يستجب محمود لمناغشة خاله بينما يسأله بهدوء غريب

" وانت .. وافقتها يا خالي ؟"

رد آسر وهو يبرم شفتيه

" كنت مراوغا بالاجابة .. لااحب قطع وعود لن أفي بها .."

ثم رفع سبابته مهددا وهو يضيف

" لكن لاتدفعني ان امنحها هذا الوعد .. وتعرفني انا انفذ وعودي .."

ما زال ذاك الهدوء يرسم محيا محمود الجذاب فيثير اهتمام اسر مفكرا بماهية خطوته القادمة ليسمع محمود يقول ردا على كلامه

" لا داعي خالي .. انا سأنفذ ما تريده هي .. على الاقل حاليا .. انا استحق لما فعلته معها.."

اقترب اسر بجذعه من مكتبه يستند بكوعيه على الحافة وهو يسأل بفضول مشاكس

" فقط لو أجد طريقة لتنطق بما فعلت.."

رد محمود بابتسامة رقيقة تحمل غموضا ونوعا من الشجن " غلطة .. كانت غلطة .."

ادرك آسر انه لن يحصل على متعة الرد الصريح المباشر فقال وهو يلتقط نظارته الطبية

" اذهب لعملك .. لقد اخذتم الكثير من وقتي دون ان امرح كثيرا باللعب معكما.. ساضطر للبقاء لوقت اطول في المؤسسة بسبب كل هذا التأخير .."

غادر محمود مكتب خاله بصمت بينما آسر يعود بكل ذهنه لعمله وقد انتعشت خلايا عقله ...تماما !

تصعد درجات السلم ببطء وعقلها شارد ..

وعند المنتصف تفيض من عينيها دموع مباغتته فتنهار جالسة على السلم وتغمر وجهها بين كفيها ..

همست زينب لنفسها وهي تنشج بصوت خافت تكتمه بشق الانفس

" كيف سمحتِ له ؟ كيف رضيتِ ان يلامس روحك قبل ان يلامس شفتيكِ ؟ ايتها الغبية كيف ستتعاملين معه الآن وانتِ .. وانتِ ..."

ثم اخذت تبكي بحرقة وتشهق بالبكاء وهي تكمل حديث النفس المتوجعة

" قتلتك الغيرة ايتها الغبية اليس كذلك ؟ كنت تريدين تمزيق عينيه وهما تنظران لتلك الفتاة باعجاب .. لقد حطم حصونك باعترافه المجنون الصريح بالحب ثم اشعلك غيرة وهو ينظر لاخرى ثم .. ثم .. مزقك أربا وهو .. يقبلك ! يا الهي كيف حصل هذا .. كيف كيف ..؟"

ظلت لدقائق على هذه الحال تعذب نفسها وتلومها تارة او تلومه هو وتحقد عليه اكثر واكثر ..

هدأت اخيرا فمسحت وجهها لتقف على قدميها وهي تتذكر حديثها مع عمها آسر ..

انه محق .. هي نفسها ليست جدية ولا حتى قوية كفاية في ابعاد محمود عنها ..

توهم نفسها انها تبعده لكنها في الواقع تتلهف لكل بادرة مجنونة منه ..

انها حائرة .. يا الهي الحيرة تقتلها ..

ماذا تريد حقا ؟ ماذا تريد ؟

اخذت تصعد درجات السلم مرة اخرى وافكاره تطفو في تخبط مع بعضها البعض..

قدماها قادتاها حتى غرفة فاطمة وعبر باب الغرفة المفتوح كان يصلها صوت صفية وهي تقرأ القرآن ..

جلست زينب ارضا عند الباب المفتوح تتطلع لمنظر صفية وهي تجلس قرب فاطمة المضطجعة على السرير تمسد شعرها الناعم ذو اللون المميز المشقر بينما تتلو الايات القرانية بصوت يمس الوجدان ، فتغمض زينب عينيها تجد بعض الراحة هي الاخرى..

وبينما تستمع زينب بكل روحها يشرد عقلها في صورة (الدكتورة بيلسان) فتمعن التفكير بتلميحات عمها آسر حول هذه الفتاة ..

ثم اخذت تتساءل ... هل يمكن ان الفتاة حقا قد تكون معجبة بمحمد ؟

ولماذا كان عمها يلح في التلميح حول هذه النقطة ؟

فجأة التمعت عينا زينب فتدرك السبب ..

لتقرر بشكل قطعي انها لن تذكرها امام فاطمة ابدا ولن تذكر انها رأتها في المستشفى في زيارة لمحمد ..

العم آسر على حق .. سواء صدق حدسه ام لا .. لايفترض ان تعلم فاطمة بوجود اي فتاة تقترب من محمد والا ثقتها بنفسها ستنهار اكثر واكثر ..

الفصل الرابع عشر

اخر النهار في مكتب اسر الغازي

شعر آسر بالصداع يداهمه ..

لقد عمل لفترة طويلة حتى تيبست عضلات جسده ..

يحتاج حمام بخاري للاسترخاء وجلسة تدليك خاص وربما بعض التدليل العاطفي..

" احضرت لك القهوة سيد آسر .."

قاطعت افكاره رائحة القهوة قبل صوت من تحملها ..

خلع نظارته بينما يتراجع للخلف في كرسيه وهو يراقب بعينين نصف مفتوحتين المشية المدروسة للعزيزة المغربية بشرى ...

لم تتغير تعابيره وهو تلتف حول مكتبه برشاقة لتقترب من كرسيه اكثر من المتعارف عليه وتضع القهوة امامه ثم تبتسم لوجهه بحلاوة انثوية شديدة الاغراء وهي تقول له

" فنجان واحد من القهوة لن يؤثر على صحتك صدقني .."

ثم التمعت عيناها وهي تضيف بنبرة احلى

" كما ان قهوتي مميزة وستدمنها ..."

يعترف آسر ان المرأة حقا لديها انوثة مؤثرة في اي صنف من اصناف الرجال ..

يحرك نظراته ناحية الفنجان فتضيف بشرى بصوت ناعم

" انت تبدو مرهقا بعد يوم عمل طويل .. لم اغادر المكتب رغم مغادرة الجميع ..لم يطاوعني قلبي تركك بمفردك .."

فكر آسر باعجاب ضمني من جرأتها

(تصعيد واضح في اللهجة والاسلوب !

يبدو انها تحاول استغلال غياب البطة الشرسة التي تحميني ..)

ابتسم لها وعيناه تمشطان جسدها ثم قال بنبرة رجولية لها سحرها وجاذبيتها

" انا حقا سعيد اني لست بمفردي .. وكنت انتظر بعض التدليل .."

توهجت عيناها هذه المرة فيرتفع كفها الايمن في جرأة متزايدة لتضعها على كتفه وتقول بهمس مبحوح مغر

" أنت أأمرني وانا طوع رغباتك .."

صوت هادئ يفيض دهشة مصطنعة وسخرية واضحة

" مرحبا .. هل قاطعت عرضا ما .."

يد بشرى انسحبت تماما من فوق كتف آسر كما انسحبت خطواتها للخلف مع انسحاب كامل للدماء من وجهها ...

اخذت تتطلع بهلع لوجه السيدة نادية وقد اخرستها المفاجأة بينما تسمع آسر الغازي يقول باسترخاء لذيذ

" آآه.. لقد نسيت موعدي للعشاء مع زوجتي الليلة ... للاسف هي من ستدللني ..وعلى طريقتها المغرية .."

اتسعت عينا بشرى وهي تحدق في وجه آسر المتراخي بينما يغمز لها مضيفا بوقاحة

" أو يمكنك المشاركة معنا .. هناك تعبير (علاقة ثلاثية).. "

ثم يلتفت ببساطة ناحية نادية التي تستند بكتفها للباب ولاتبدي اي تعبير فيقول لها مدعيا الجدية

" ما رأيك حبيبتي بالفكرة ؟"

تلوي نادية شفتيها في امتعاض مصطنع ثم تقول " اممممممممممم .. في الواقع انا قديمة الطراز وما زلت اتمسك بفكرة (الثنائية) فقط .."

زفر آسر بعذوبة مستفزة ثم عاد بنظراته ناحية بشرى التي التصقت بالجدار تحدق فيهما معاً وهي في حالة صدمة ليتمتم

" خسارة .. زوجتي لاتواكب تغيرات العصر.."

لم يبدِ آسر او حتى نادية اي ردة فعل بينما يراقبان بشرى تنسحب بوجهها الممتقع وهي تنقل نظراتها بينهما بحذر حتى غادرت المكتب بأكمله ...

سال آسر ببراءة مستفزة

" هل تظنين اننا ارعبناها كثيرا ؟"

ردت نادية وهي تقترب من مكتبه ثم كرسيه " غالبا ستذهب للتبليغ عنا في مستشفى المجانين"

مالت بوجهها نحوه فتطبع قبلة على خده ثم تجر اذنه باصابعها وتهمس بتوبيخ

" ألن تترك افعالك المشاكسة المجنونة هذه ؟"

نظر اليها جانبا وهو يضحك بخفة ويقول

" كانت تسليني وتسلي بطتي معي .."

اخذت تهز رأسها وكأنها تقول لافائدة منك فيقول لها بعينين لامعتين مكرا

" هيا لنذهب ونتعشى .. وستخبريني وانت تدلليني ماذا كنت تفعلين في مكتب الفتى الذهبي .."

استعدلت نادية في وقفتها لتقول بغموض متعمد تستفزه به

" لن اذهب معك .. عندي موعد مهم مع صديقة ثم سأذهب بعدها لبيت ماهر اتفقد طه.."

عبس آسر قائلا

" انا أهم من طه .."

ابتسمت باغاظة وعضت شفتها السفلى قبل ان تقول " لدي نسري كما لديك بطتك "

لتعاود جر اذنه وهي تقول بغنج

" ثم هذه عقوبتك لانك تحب التلاعب مع النساء الطامعات .."

رد بابتسامته المستفزة وحاجبه المرفوع

" هوايتي المفضلة لااستغني عنها .."

ضحكت وهي تبتعد عنه وتقول قبل ان تغادر

" اذن تحمل عواقب هواياتك .."

في المستشفى ..

قال محمد وهو ينظر لاخيه الذي لم يفارق الوقوف قرب الشباك منذ اول حضوره مساء

" ماذا بك يا محمود؟ تبدو شاردا بل حزينا بشكل غريب .."

لم يلتفت اليه محمود بينما يرد على سؤاله بسؤال اخر

" لماذا تقدمت لطلب يد فاطمة الآن ؟ الا ترى انك تعجلت وتضغط عليها..؟ "

ضيّق محمد عينيه وهو يواجهه بالقول

" انت تتهرب من سؤالي .."

ما زال محمود لايلتفت لتوأمه بينما يلقي بسؤال جديد

" ومن الدكتورة بيلسان هذه ؟"

تنهد محمد وهو يحول نظراته ليتطلع عاليا الى سقف الغرفة ثم يجيب

" فتاة للاحلام فقط بينما كنت ابحث عن الواقع ..."

عندها فقد التفت محمود برأسه ناحية اخيه ليسأل بألحاح غريب

" وواقعك مع فاطمة ؟"

فيرد محمد بثقة

" ولا فتاة سواها ..."

استدار محمود بكل جسده فيبدو منفعلا فجأة وهو يسأل " هل تستطيع تخيل ردة فعلها عندما علمت بطلبك ..؟ "

رد محمد وألم يتخلل نبراته

" نعم .. تتألم .. و انشطر نصفين لانها تتألم وانا بعيد عنها .."

فيسأله محمود بعجب

" لماذا فعلتها اذن ..؟! لماذا لم تنتظر ؟ "

حدق في عيني اخيه قبل ان يرد

" لم تترك لي خيارا اخر لاتواصل معها وهي ترفض رؤيتي وانا مكبل هنا باصابتي فكانت وسيلتي هذه لاخبرها اني افكر فيها طوال الوقت .."

عبس محمود وعاوده الانفعال وهي يقول

" لكنها ستفكر بشكل اخر .. انك تفعلها شهامة ونبلا ..."

شردت نظرات محمد للحظات قبل ان يقول بصوت أجش " في البداية مؤكد ستقنع نفسها ان هذا هو السبب لطلبي ... لكنها في عمقها هي تعرف حقيقة ما يربطنا .. انها تشعر بي وبنفسها رغم كل ما حدث .. و صمتها ابلغ دليل على صحة ما اقول و الا لكانت ابلغتني برفضها مباشرة ولو عن طريق ماهر ..."

بدى محمود مشوشا بانفعالاته وهو يحثه بالقول

" اتصل بها ..كلمها يا محمد .. اشرح لها.."

قال محمد بصبر وهو يغمض عينيه

" ليس الآن .. ولن يحدث بهذه البساطة ... كما اني لااريد الضغط عليها اكثر فيكفي اني اذكرها بما حصل لاني كنت شاهدا عليه.. "

تقبضت يدا محمد على السرير وتغلي دماؤه وهو يتذكر تلك الصورة التي رآها فيها لآخر مرة فيهمس بصوت متحشرج

" احكي لي مرة اخرى ... كيف كانت تبدو عندما أتت لزيارتي وانا نائم .. نظراتها كيف كانت ؟ وجهها ؟ صوتها ... حتى دموعها ..."

رد محمود متنهدا

" بدت مشوشة النظرات تائهة الملامح ..
تبكي في صمت .. اصاباتها الخارجية
شفيت لكنها لم تكن هي نفسها فاطمة
التي نعرفها ... وكأن ملامح وجهها تغيرت
على نحو غامض ومؤلم ...! "

اخذ محمد يضرب بقبضته على السرير وهو
يردد بحرقة

"آآآآه ... متى تمر الايام وأخرج من هنا .."

بيت شاهر الغازي ... مساء ..

دخل مهدي جناحه الخاص فيجد سلسبيل
بشعرها المربوط على هيئة ذيل حصان
ومنامتها القطنية الزرقاء ذو السروال
القصير تجلس متربعة على الارض
وحاسوبها المحمول في حجرها وهي تقرأ
فيه بتركيز ...

قال وهو يقترب منها " اخيرا نامت
المخادعتان بعد ان جعلتا مني احمقا وانا
افتعل تلك الحركات التي تضحكهما !
اما آسر الصغير فيشخر في نومه منذ
ساعاتين لشدة تعبه .."

رفعت سلسبيل وجهها للحظات ترد عليه بابتسامة " انه شقي ويحب اللعب الخشن طوال النهار فيسقط في السرير منهكا قبيل الغروب.."

انحنى مهدي ليجلس متربعا جوارها وهو يهمس " كأمه ..." ثم يميل برأسه يطبع قبلة على كتفها المكشوف وهو يسألها بصوت مبحوح

" ماذا تفعلين ؟"

ردت وعيناها على شاشة الحاسوب

" ابحث في موضوع محدد ..."

تركيزها ونبرة صوتها جذبتاه فالتفت ليقرأ ما تقرؤه ليقول ببعض الدهشة

" انه مقال عن التعامل مع ضحايا الاعتداء والاغتصاب ! هل تريدين مساعدة فاطمة ؟"

ردت سلسبيل وهي تلتفت اليه

" ومساعدة ماهر ايضا .. ان لم يرَها تخطت ازمتها فلن يتخطاها هو .."

تنهد مهدي وهو يقول

" يحمل نفسه الكثير .."

فتلامس سلسبيل صدر زوجها قائلة بتأثر

" يقتله الشعور انه خذلها.. انه يحتاج دعمنا يا مهدي .. يحتاج ان يشعر اننا لن نخذله بوقوفنا الى جوار عائلة صفية وفاطمة تحديدا .. يجب ان ندعمه كما يدعمنا هو دائما ويحمينا بروحه .."

تطلع مهدي لعينيها ونظراتهما المتأثرة فيشعر انها الفرصة المناسبة ليكلمها بأمر مهم حان وقته .. وربما حان منذ زمن وكان يؤجل فيه .. قال مهدي وهو يحاول تجميع الكلمات المناسبة

" سلسبيل ... هناك امر نحتاج للتكلم حوله .. اتمنى ان تفهميني بشكل صحيح فاحيانا انا لااجيد التعبير عما اقصده .."

تبسمت سلسبيل في وجهه ثم تميل لتقبل ذقنه وتقول بهمس

" دوما لاتجيد التعبير ايها الوسيم لكن لاتقلق .. انا احب افعالك اكثر .."

يبتسم مهدي بينما تضيف سلسبيل بفطنتها

" لاتتعب نفسك .. انا اعلم ما تود قوله .. "

نظر في عينيها اللامعتين بالذكاء بينما تقول المزيد

" بعد كل ما حدث لنا خلال الاسابيع القليلة الماضية .. لاول مرة اقف مع نفسي وقفة مختلفة وجدية لافكر كيف يرانا الناس من طبقات مختلفة ..؟ كيف يشعرون نحونا حقا ؟ ما الذي نثيره في نفوس المحرومين من مميزات كثيرة حظينا بها بالولادة .. دوما كنت صريحة مع نفسي واحب عيش حياتي ببساطة .. لكن الآن ارى من غير العادل ان استعرض افضل ما لدي فادفع الضعفاء لطريق الحقد والكره .."

قال مهدي بتأن " لااريد تقييد انطلاقك وحيويتك لكن.."

فقاطعته بالقول وهي تنظر في عينيه

" لاتقلق علي .. انا أجيد التكيف.."

فرد مهدي بمعنى مبطن " عندما تقتنعين فقط بضرورته .."

فتسأله بشكل مباشر " انه ضروري لك ايضا اليس كذلك ؟"

فيتخذ الصراحة مسلكا لكلماته وهو يرد عليها " ولصغارنا ايضا سلسبيل .. اعلم انك لاتقصرين معهم لكن الحفاظ على سلامتك لاجلهم أمر مهم.. فقط اريدك ان تقللي من مغامراتك تلك وتحاولي حصرها بوجودي معك او مع العائلة ..."

ابعدت الحاسوب عن حجرها فتلتفت اليه وتهمس " انا اتعبتك معي اليس كذلك يا ابن عمي ؟"

وقبل ان يرد عليها كانت تختطف انفاسه بقبلاتها الحارة ..

في بيت عائلة صفية

قبّلت نادية رأس فاطمة التي تجلس في صمت على جانب السرير ثم ودعتها لتلقي ابتسامة ناحية زينب المتوترة قبل ان تغادر الغرفة ..

سرير كريه ورائحة العفن تملأ حواسها فتدفع معدتها لرغبة في التقيؤ !

شهقت فاطمة وهي ترى نفسها على ذاك السرير وخالد .. خالد يضحك بجنون وهو يلامس ساقيها ..

هبت واقفة على قدميها وهي تقول بلهاث

" لا لا .. ابتعد ..."

لم تشعر الا بزينب تمسك كتفيها تهزها وتقول " اهدأي فاطمة .. انها مجرد خيالات.. تذكري ما قالته الخالة نادية قبل قليل .. قاومي تلك الذكريات .. لاتجعليها تفرض نفسها عليك .. بل

ادحريها بالواقع .. الواقع انك بخير .. انك قاومتِ خالد و هزمته .. "

بعينين متسعتين اخذت تتلفت فاطمة يمينا ويسارا تحدق في اثاث غرفتها فتستوعب المكان فيتراخى جسدها لتمسكها زينب بقوة تسندها وتبتسم في وجهها وصوتها يرتعش وهي تقول لها بانفعال مكتوم

" اجل انك بخير حبيبتي .. مجرد خيالات سخيفة وستختفي تماما .. "

نظرت فاطمة بانهاك في عيني اختها فتسألها بوهن

" هل ستختفي حقا ؟"

فتؤكد لها زينب بثقة ظاهرية

" لن يبقى لها أثرا .. تذكري انها باتت اقل الآن .. وكل يوم سيمر .. ستقل وتقل ..."

هزّت فاطمة راسها فتغمض عينيها وتهمس

" اريد ان انام قليلا .. غدا .. غدا سأفكر بكل ما قالته لي خالتي نادية .."

ساعدتها زينب لتستلقي على السرير ثم اخذت تمسد على شعرها وتقرأ عليها القرآن كما كانت تفعل صفية صباحا ...

عندما هبطت نادية درجات السلم رأت طه بانتظارها فابتسمت له وهو يقترب منها بلهفة

" هل تكلمت معها نانا ؟ هل بدت افضل ؟"

ربتت على خده وهي ترد عليه

" نعم يا صغيري .. ستتحسن ما دمنا معها.."

اشاح طه بنظراته وقد ذبلت لهفته فتنظر اليه نادية بتدقيق وهي تسأله

" ما بك بني ..؟"

يطرق براسه هذه المرة وهو يتمتم

" انه امر بيني وبين نفسي .."

لامست ذقنه فترفع وجهه لترى ملامحه المحبطة فتقول بحزم

" وانا امك وآمرك ان تطلعني عليه .."

رأت عينيه من خلف زجاج نظارته تلمعان بما يشبه الدموع فسألت نادية بتأثر

" طه ! لماذا هذه الدموع العصية في عينيك ؟"

ثم اضافت وهي تأخذه في حضنها

" بني فاطمة بخير .. ستكون بخير ثق بي.. اختك قوية اكثر مما تظن .. انها فقط محنة قد تمر بأي انسان .."

همس بانفعال " في داخلي مشاعر كثيرة نانا ولاعرف كيف .. اعبر عنها او .. ألفظها خارجا لارتاح من ثقلها .."

ابتعدت قليلا عنه تنظر في وجهه وتقول بحنان

" صغيري .. ان كنتَ عجزتَ عن مساعدة فاطمة ففكر ان ماهر وهو يكبرك بالكثير وخبرته في الحياة اوسع مما تتخيله قد عجز عن الوصول اليها قبل ان ينالها بعض الاذى من ذاك المعتوه خالد .."

دهشت نادية من ذاك العنف الذي تلبس ملامحه اللطيفة وهو يقول بشراسة ليست من طباعه " دوما كرهته .. كان ينظر الي وكأني حشرة !"

اتسعت عينا نادية وهي تسأله

" متى ؟! تقصد عندما خطب فاطمة قبل أعوام ؟"



رد والغضب يتفاعل في داخله

" أجل .. كان يهزأ بأمي نانا .. وهي لم تكن تفهم .. لم يكن يفعل هذا امام احد غيري انا .. لقد ظنني غبيا ولاافهم .."

اشفقت عليه بل ذاب قلبها لاجله فتعتب عليه بالقول الحاني

" لماذا لم تخبرني بوقتها ؟ ألم أكن مقربة منك كفاية ؟ "

رد ووجه يحمر " خجلت ان اقولها .. خجلت .. ان انعت امي بقلة الفهم .. ثم حصل الافتراق بينه وبين فاطمة فارتحت ..."

تنهدت نادية قبل ان تقول " رحم اللّه والدتك الحبيبة .. اما خالد فانه انسان مريض بني .. يجب ان تفهم ان هناك بشر ارواحهم تصاب بالعلة دون ان يدركوا ثم تتفاقم علتهم فيجدون خلاصهم بإذية الاخرين .."

سأل طه فجأة

" هل محمد جاد في طلبه نانا ؟"

ردت نادية ببعض الفضول لافكاره عن الموضوع

" مؤكد جاد .. هل لديك شك انت ؟"

رد طه وقد بدى مرتبكا بعض الشيء او ربما مترددا

" فاطمة من لديها كل الشكوك .. واخشى انها تتألم من شكوكها وانا .."

قاطعته نادية بالقول الهادئ

" وانت ستدعمها بأن تخبرها دوما انك معها مهما يحصل .. انك فخور بها وستبذل كل جهدك لتدعمها باي قرار تتخذه في حياتها ..."

نظر اليها وبان التردد في عينيه اكثر ففهمت اسبابه لتقول بمحبة وصبر

" بني .. اللّه خلق لنا قدرات محددة .. آمن بهذا واعقله جيدا .. ان عجزت عن مساعدتها في ذلك اليوم هذا لايعني انك ضعيف انما يعني انك بشر فقط يحكمك العمر والخبرة والقدرات .. وفي ذاك الموقف لم تملك اكثر مما قدمته فلا يعيبك هذا او ينقصك .. "

ربتت على خده قبل ان تتحرك باب البيت لتغادر وهي تقول

" سارحل الآن .. يبدو ان ماهر سيتأخر .. اخبره اني سأكلمه هاتفيا اخر الليل "

أطلت صفية من المطبخ حيث كانت تعد العشاء فنادت بابتسامة وشاهر الصغير يتعلق بساقها

" لاتذهبي خالتي تعشي معنا.."

تشبث طه بذراعها ايضا وهو يقول كطفل يتعلق باذيال امه

" اجل ابقي معنا نانا .."

تنظر اليه وتشعر بكل امومتها تفيض منها بينما تقول له بشقاوة " لا أحب على قلبي من البقاء معك يا روح نانا ورجلها الصغير المفضل .. لكن انت تعرف غيرة عمك آسر والليلة يبدو انه يريد بعض التدليل .."

يضحك طه من قلبه فيركض شاهر الصغير ناحيته فيتلقفه طه بين ذراعيه ويرفعه بينما تقترب صفية مبتسمة فتقول لنادية بحشرجة تاثر وامتنان

" خالتي .. لن انس معروفك معنا مدى الحياة .."

ردت نادية بصدق تعبر عن احساسها الخاص

" لاتقولي هذا يا صفية .. يكفي شعوري معكم وكأنكم من رائحة اهلي .. انا ليس لدي اقارب من لحمي ودمي .... كان ابي رحمه الله وحيد والديه كما كنت انا وحيدته .. معك انت واخوتك اشعر وكأني اعود لاحضان ابي واحساسي بالألفة بين جيراني فاتذكر جارتنا ام محمود رحمها اللّه وكيف وقفت معي في احلك الظروف .."

احتضنتها صفية وهي تهمس لها

" مهما وصفت لك اعجز عن التعبير لمقامك عندي .."

ربتت نادية على ظهر صفية ثم همست بخفوت قريبا جدا من اذنها " اعلم ان اخوتك بحاجتك .. لكن لاتنسي ماهر .. انه يحتاج شريكة حياته ايضا ..."

بعد ساعتين ... بيت ماهر الغازي

دخل غرفته الخاصة وهو يخلع قميصه فيرميه باهمال على الارض بينما يفتح خزانته وهو يضع سماعة هاتفه على اذنه ينصت باهتمام شديد وذهن حاد لكل كلمة تقولها الخالة نادية

" الاخصائية اعطتني نصائح مفيدة جدا سنتبعها ان شاء الله لكن من المهم ان ندعمها كلنا كعائلة .. "

توقف ماهر عن البحث في الخزانة ليرد بتأكيد وسؤال " مؤكد .. حسن ماذا عن رغبتها في العودة للجامعة الان ؟ انها تريد العودة بعد يومين لااكثر مع بداية الاسبوع .. "

جاء رد نادية الهادئ

" قالت هذا امر مهم جدا ان نشجعها عليه .. ما دامت تبدي رغبة بالخروج لمحيط متوازن فهذه اشارة ممتازة انها على طريق التعافي بالعودة لحياتها الطبيعية .. في هذه الفترة

نحاول جهدنا ان لانذكرها بما حصل ولا نحصرها في قوقعة التفكير في المحنة بالعكس بعد انفجارها مع صفية وتكلمها عن تلك التفاصيل البشعة فهذا يكفي لتواجهه وصفية تصرفت بحكمة معها .. الان نبدا مرحلة مهمة علينا ان نؤكد لها دوما انها قوية وشجاعة وان ما حدث هي فقط محنة مرت بها وانتهت حالها كحال ايا من المحن التي تمر بأي انسان .. "

تقلصت اصابع ماهر حول الهاتف بينما عيناه تقدحان قسوة وشراسة ..

كيف يقنع نفسه اولا انها مجرد محنة وانتهت ليقنع بها فاطمة !

استعاد تركيزه بينما نادية تواصل الكلام

" الاخصائية شرحت لي كل هذا وبدقة اكبر وقالت خيالاتها في اليقظة يفترض ان تضمحل خلال الايام المقبلة اذا كانت تتعافى طبعا والمرحلة القادمة قد تنتاب فاطمة نوبات مفاجئة من البكاء او الغضب لاداعي لنقلق منها الا اذا استمرت لاسابيع عندها يجب ان نقنعها بالمراجعة بنفسها لتتعالج واتمنى حقا ان لاتحتاج فاطمة لذلك.."

صوت في الحمام اجتذب انتباه ماهر فرفع رأسه ليتطلع لباب الحمام المغلق فيميز صوت مجفف الشعر ..



ارتفع حاجباه قليلا بتساؤل .. لماذا صفية هنا في هذه الساعة ؟! لقد اعتقدها نائمة في سرير والدتها كعادتها مع شاهر الصغير.. سأل ماهر بصوت خفيض

" هل هناك ما نستطيع مساعدتها به عدا موضوع الجامعة ؟"

ردت نادية بعد لحظات تفكير

" الاخصائية نصحت بممارسة اي رياضة او حتى عمل يدوي .. اي نشاط يجعلها تتنفس عن توترها ويعطيها شعورا بالسيطرة على جسدها .. أكدت على اهمية هذا الموضوع.."

تنهدت قبل ان تقول تطمئنه

" لاتقلق ماهر الامور ستكون بخير ان شاء اللّه وانا سأظل قريبة منها .. "

سمع ماهر صوت مجفف الشعر يتوقف فاراد انهاء المكالمة دون ان تسمع صفية شيئا..

لن تتقبل انه سأل اخصائية نفسية في حالة فاطمة .. لن تتقبل وسيجرحها الامر ..

قال ماهر اخيرا وهو يودع نادية

" حسن خالتي لن انس معروفك .."

كان يغلق الخط فعلا مع تحية نادية عندما انفتح باب الحمام فتوارى ماهر خلف باب الخزانة يعاود بحثه عن ملابس بيتية خفيفة يرتديها ..

سمع صوتها وهي تقول

" مرحبا .. متى عدت ؟"

رد عليها

" قبل لحظات حبيبتي .. اين شاهر ؟"

فتفاجئه وهي تقف خلفه مباشرة تلف ذراعيها حول جذعه العاري ..

استكانت حركة ذراعه بينما يستجيب جسده لنعومة بشرتها ونعومة ما ترتديه ..

التف بجسده وذراعاها الابيضان يلتفان حوله دون ان تفلتاه ..

اتسعت عيناه وهو يراها بقميص نوم لم يره عليها سابقا تماوجت الوانه بين الازرق والاصفر فيضفي بهاء على لون بشرتها الحليبية ..

يداه تحركتا بعنف لتحاوطا رقبتها بينما عيناه تنحدران من خصل شعرها المسرحة الناعمة ثم سحر عينيها الواسعتين ليصل شفتيها بلونهما الكرزي اللامع ..

طاقة وحشية تفجرت فيه دون كلمات فيجد في تلك الشفتين متنفسا لها ..

يقبلها بشكل محموم ومنفلت ثم ابتعد فجأة لاهثا وهو يهمس بصوت مبحوح

" اين شاهر ...؟! "

ترد لاهثة وهي تثيره بتشبثها به

" الليلة ستكون لك فقط يا ابا شاهر .."

كان انفعاله العاطفي الجسدي فوق ما تخيلته .. لقد كان يحتاجها ليفرغ دفعة واحدة كل مشاعره العنيفة المكبوتة في الفترة الماضية...

ومن بين كلماته وسط هوجاء مشاعره على سريرهما صدمها وهو يقول بتقطع

" انا اريد... طفلا ..اخر .. اريدك الليلة .. ان تحملي بطفل اخر غزالتي .. "

دون ان تبدي اي تردد قالت همسا عاطفيا

" عشرة اطفال لو أحببت .."

بعد عشرة ايام

تثاءبت حوراء وهي تغادر حمام غرفتها الخاص لتتفاجأ بوجود زوجها يقف قرب سرير صغيرتهما هديل الحمام ..

اقتربت حوراء وهي تسأله بصوت خفيض

" ظافر ..! الم تذهب لعملك حتى الآن ؟"

ابتلع ظافر ريقه وعيناه لاتتنزاحان عن وجه الصغيرة وهو يقول همسا

" لم استطع المغادرة ... "

ابتسمت حوراء فتقترب من مهد ابنتها

وتحملها باحتراف امومي ثم تنظر لظافر

وتقول وهي تدفع الصغيرة لصدره

" احملها .. انت لم تحملها ابدا .."

ابتعد ظافر وهو يقول بارتعاب حقيقي

" لا حوراء .. لا .. انها رقيقة جدا وذراعاي

ستؤلمانها .."

ضحكت حوراء بينما تقترب منه تداعبه

بالقول

" ليس هناك أحن من ذراعيك .. "

كانت مصرة وهو متلهف رغم كل ارتعابه

فيرفع ذراعيه ببطء يحاوط الجسد الصغير

فيرتعش رغما عنه وهو يهمس

" يا الهي ... لماذا هي صغيرة هكذا ؟!

فارس وغازي كانا بضعفي حجمها ..!"

حثته حوراء بالقول وهي تشد على ذراعيه

" ضُمها قليلا ناحية صدرك.. لاتخف ..

انها صغيرة هكذا لانها ولدت قبل اوانها "

ذراعا ظافر تلتفان بتناغم رقيق يحدق في

وجه طفلته وهو يهمس متاثرا

" انها تبتسم .. كيف يمكن ان تكون

بهذه النعومة والصغر ..؟! "

ردت حوراء تناغشه

" ستكبر ويشيب شعرك لشقاوتها .."

فيقول وعيناه لاتفارقان وجهها الصغير

" بل اني أشيب منذ الآن لمرآها .."

تميل حوراء لتضع راسها على كتفه وتهمس له " لقد بدأت اشعر بالغيرة .."

مال بشفتيه يلثم جبينها وهو يقول

" كل جنوني بسببك انت .. لااعلم كيف سأتعامل مع هذه الصغيرة التي انجبتها لي .. قطعة منك لا أعلم اين اخبئها.."

رفعت وجهها تطالع وجهه القريب وهي تقول بنعومة " عين اللّه تحمينا.. لاتفكر كثيرا بالامر .."

عاود النظر للصغيرة فيضمها بتملك وهو يهمس بحرارة قلب

" اعلم اني ابالغ لكن .. ليس بيدي .. كلما تذكرت انها ولدت في نفس يوم العثور على فاطمة يتوجع قلبي في صدري واوشك ان اصرخ مهددا العالم اجمع .."

تنهدت حوراء وهي تقول بتأثر

" حتى الآن لااستوعب ما جرى او ربما لاتقبل حصوله .. فاطمة الناعمة لااعرف كيف ستمر ازمتها .. ومحمد يبدو جادا فعلا في طلبه الزواج منها .. لم احسبه عاشقا لها حتى اخبرتني امي عن حاله .."

رد ظافر بتفكير

" لاتقلقي على اخيك .. بل اقلقي على تلك المسكينة وعلى ماهر.."

سألت حوراء بقلق " ماهر ؟! ما به ..؟"

قال ظافر بنظرة شاردة

" لم أره هكذا ابدا .. ذهنه غير صاف ويرتكب هفوات في العمل اسارع لتغطيتها له دون ان يشعر .. انه محتقن بالكامل ويكبت كل شيء بداخله .."

رددت حوراء بتعاطف " يحمل نفسه المسؤولية .."

فيقول ظافر بتفهم كامل " لااستطيع لومه.. فاطمة يراها جزءا منه وهذا يحطمه انه لم يستطع حمايتها .."

ثم يناظر صغيرته الباسمة ليهمس

" صدقيني انا اشعر به جدا .."

الجامعة ..

على جانب الطريق وعن مسافة من بوابة الجامعة توقفت سيارة محمود بينما يفتح محمد الباب ثم يترجل منها بصعوبة متحاملا على ألمه ومستندا على عكاز خشبي أنيق ...

استنشق محمد بضعة انفاس يحاول الاسترخاء وقد تشنجت عضلاته بعض الشيء بينما يغلق الباب خلفه ويلتف حول السيارة نحو جانب السائق حيث يجلس محمود يطالعه بوجه عابس شاحب من قلة النوم ...

ابتسم محمد باغاظة لتوأمه وهو يلوح له ان يذهب ...لكن محمود حدق فيه للحظات بشرود بات يرافقه هذه الايام قبل ان ينزل نافذته الجانبية ويسأل محمد

" هل واثق انك بخير ؟"

يتأفف محمد وهو يأمره بالقول

" فقط ارحل .. "

زفر محمود بقوة وهو يقول بنبرة مشحونة

" امنا ستخنقني لانني لم اعِدك للبيت .."

رفع محمد حاجبا واحدة بينما يبتسم بطريقة (اسر الغازي) دون ان يشعر وهو يقول " تصرف معها انت بطريقتك واتركني لشأني ..انا سأغلق هاتفي .."

اغتاظ محمود وهو يحدق بملامح توأمه .. كم يستطيع محمد ان يكون احيانا مثيرا للاستفزاز والحنق !

ثم انطلق محمود بسيارته ليعاوده شعور غريب لم ينتابه من قبل..

هل هو شعور خذلان منها ؟ ام ربما ضيق لاختيارها البعد ؟ او ربما هو الحنين والشوق لرؤية عبوسها ولو من بعيد .. او حتى العذاب بتذكر شفتيها وقد تهور كأحمق ليُقتل حياً على شاطئيها...

لا .. لا هذا ولا ذاك ولا ذاك ...

انه فقط شعور بالفراغ ...

قلبه تصفر به الريح وقد هجره سكانه..!!



تكاد تتنفس الصعداء وهي تغادر بوابة الجامعة .. يوم طويل اخر يمر عليها وهي تقاوم ... يجب ان تقاوم ..

لقد خفت الهمهمات والهمسات ...

خمسة ايام مضت منذ بداية الاسبوع وقد كان اوله شاقا وهي تواجه محيط الجامعة لاول مرة بطلابه واستاذته فتقرأ في عيونهم تساؤلات وتكهنات ...

ثم يزداد الفضول فتنطق الألسن بما تخفيه الانفس فيسأل البعض عن سر غيابها لاسبوع كامل وفي عينيه الف سؤال فضولي اضافي لم يجرأ على البوح به ..

والبعض الآخر يسأل بلؤم عن قريبها محمد الناجي وكيف تعرض لاطلاق نار من معتوه مجهول الهوية ..

وبعض ثالث سأل بجسارة عن خطيبها السابق خالد الرابح ...!

وكل ردودها كانت هادئة مقتضبة تتجاهل نصف السؤال وترد على نصفه الآخر فتراوحت اجاباتها بين (ظروف عائلية ... بخير الحمد للّه .. لااعرف .. عذرا مشغولة بتعويض ما فاتني من محاضرات .. شكرا لاهتمامك) وان لم تستطع السيطرة على كل توترها فتفلت منها بعض الحدة احيانا ...

مهما حاول ماهر منع الحقيقة عن الانتشار لكن الرائحة تفوح والانوف الراغبة بالتشمم كثيرة ...

(واجهة باردة .. ثقة بالنفس .. كلمات مقتضبة وحاسمة...)

نصائح ثلاث كررتها عليها الخالة نادية مرارا تستعيدها فاطمة في كل لحظة تقضيها خارج البيت ...

وفي اخر نهار دراسي مشحون تعود بتوترها فتفرغه في السباحة ...

لقد اكتشفت فجأة انها تحب السباحة ..

اكتشفت ان طاقات من التوتر تتبعثر مع حركات جسدها في الماء ..

و شعور لايضاهى عندما تقطع المسافة من حافة الحوض للحافة المقابلة ..

شعور بالانتصار والسيطرة والثقة ...

بل تشعر انها متحكمة في نفسها .. في جسدها .. في الماء حولها ...

سلسبيل كان لها الفضل الكبير في دفعها بهذا الاتجاه ..

لقد تعلمت السباحة مع اخوتها منذ سنوات وباصرار من ماهر بعد زواجه من صفية بقليل .. لكنها فيما بعد كانت مشغولة بنفسها اكثر فلم تهتم لممارسة السباحة او اي رياضة اخرى، وحوض السباحة الخاص بالبيت كان حكرا على ماهر واحيانا طه..

مسحت فاطمة على جبينها وهي تتجه بانهاك ناحية السيارة المظللة التي تنتظرها والعم عبد الحكيم السائق اللطيف الذي يتجاوز منتصف عقده الخمسين يقف بانتظارها كما يفعل كل يوم ..

انه السائق الخاص للخالة نجلاء وقد تبرعت ببعض خدماته ليوصل فاطمة في ذهابها للجامعة وإيابها منها لانها ترتاح اليه وتشعر بالالفة معه ..

لاتطيق صبرا للعودة للبيت ورمي نفسها في المياه تبعثر افكارها ومشاعرها المتوترة ..

حاولت الابتسام بوجه السائق الا انها لم تفلح الا بشق فمها ببلادة .. يا الهي كم تفتقد هذا الجانب منها .. لكنه ارتحل الى غير رجعة كما يبدو ...

ألقت تحية خافته على السائق دون ان تتنبه انه لم يلتف كعادته ليعتلي مقعده وحالما فتحت الباب وجلست على المقعد الخلفي تطلق انفاس الارتياح تنبهت لطارف العصا اولا ... ثم وجوده هو بكليته ... ثانيا ...

شهقت بقوة وهي تحدق مباشرة في عينيه المتوهجتين اللتين تبادلانها التحديق وهو يرخي رأسه مستندا للخلف ويستدير بجانب وجهه ناحيتها ...



قال بصوت مبحوح رقيق " مرحبا ..."

جحظت عيناها ولهثت انفاسها بينما موجات من التوتر تنتشر في كل جسدها كحلقات خانقة اقرب لدوامات عنيفة تقبض على مجاري تنفسها ...

شفتاها الشاحبتان تتحركان بهمس خافت

" محمد ! "

بينما يحدق هو فيها وكل ذرة منه تلتحم بانفاسها التي تلفح وجهه ويتوحد معها في كائن عشقي واحد لاينفصم ..

انه يحترق .. يحترق شوقا منذ سنوات لهذا الالتحام .. بقلبه وروحه ووجدانه ..

" كيف دخلت السيارة ..؟! "

سؤالها المختنق النبرات شوشه او ربما .. ايقظه ..!

ادرك حالتها بينما يسبل اهدابه يحاول التعامل بطبيعية معها قائلا

" العم عبد الحكيم يعرفني بالطبع ليسمح لي .. كنت بانتظارك فتعبت لذلك اضطررت للجلوس داخل السيارة .."

شعر صوتها يبتعد عنه وهي تسأل بنبرة متماسكة " متى .. خرجت ..؟ "

فتح عينيه ليراها تدير رأسها بعيدا تنظر عبر نافذتها ..

تنهيدة رقيقة عبرت ثغره وهو ينظر لخصلات شعرها السارحة على كتفيها ..

متى سيحين الوقت الذي سيقبّل فيها تلك الشعرات .. شعرة ...شعرة ..

يطبع احرف اسمه مع كل قبلة ..

متى يحين الوقت ليتوج فاطمة كما ارادها دوما ..

اميرته في برج قلبه العالي .. العالي جدا ..

ما الذي دهاه الآن وهو يراها باتت حلاله وهي لم تصبح بعد !

لم تصبح بعد .. لم تصبح بعد ..

صوته خرج أجشا خشنا وهو يرد على سؤالها

" خرجت قبل بضع ساعات .."

اصابعه رغما عنه تحركت مرتعشة لتلامس بضع شعرات سارحات بينما يسمعها تقول بهمس جاف

" الحمد للّه على سلامتك .. الان ارحل ارجوك .. اريد العودة للبيت .."

اخفض اصابعه لحجره بينما يداعبها بالقول

" ليس لدي سيارة ولا سائق .. هل ستتركيني اركب سيارة اجرة وانا بحالتي هذه وبيتنا على بعد شارعين من بيتكم؟!"

اخيرا استدارت اليه بوجهها تطالعه بعبوس وهي تهتف باسمه في توتر" محمد .."

عيناه في عينيها ويبتسم لها ابتسامة ذائبة حارة لايملك ان يحبسها فتتوتر ملامحها الناعمة اكثر بينما تهمس بصوت متوجع

" ارجوك توقف عن النظر إلي هكذا .."

يرد عليها وهو يعاود ارخاء رأسه للخلف

" اتوقف ؟! اطلبي ما هو مستطاع .. ليلتان لم أنم فيهما بانتظار هذه اللحظة التي ساراك فيها .."

قست ملامحها وبدت عيناها غريبتين بينما تقول بخشونة وانفاسها تلهث انفعالا

" هل تقول لي انك ترى وجهي الآن وهو سليم معافى ؟ هل تراني اجلس مستقيمة جوارك ارتدي ملابس محتشمة اخترتها لهذا اليوم بألوان كئيبة ؟ ام يراود خيالك وجه آخر مصفوع والكدمات تطليه بألوانها ويدان مقيدتان بحبل ..و...جسد .. جسدي انا .. لايغطيه الا قميص بازرار محلولة يكشف عن صدري وتنورة سوداء مزاحة عن ساقيّ .. ان لم تكن تراها الآن فهي رافقتني لايام طوال فانحفرت في ذاكرتي .. كانت تراودني في يقظتي ومنامي فعشتها مرارا وتكرارا.. "

كان جبارا في سيطرته على نفسه بينما يستمع لتفاصيلها التي كان شاهدا عليها ..

كان يجاهد ويحارب انتفاضة عروقه فلا تنفجر بالدماء الفائرة ...

حشرجة خافته ظهرت في نبرة صوته الثابته وهو يقول

" الرؤيا الحقيقية لمن يختاره القلب تكون في السراء والضراء .. وهذا ما اريده منك في المقابل .. ان ترينني في السراء .. والضراء ... "

تمعن في تمزيق روحها وتمزيقه معها وهي تهدر بعنف وعيناها تشعان بنظرات غريبة عنها " كنت شبه عارية مكبلة المعصمين ومنتهكة من خطيبي المجنون السابق .. هل هذه فتاة احلامك التي تشبه حوراء ؟ لا .. لا اظن .. ربما الدكتورة بيلسان تلك هي من ...من .."

تقطعت كلماتها اما هو فقد .. صعق !

اتسعت عيناه وهو يرفع رأسه ليستقيم وهو يحدق في ثوراتها وكلماتها التي تحمل الكثير ...

عاد سنوات للوراء .. ذلك اليوم في بيت حوراء القديم عندما كانت تلملم اغراضها للانتقال .. يا الهي .. لقد سمعت الحوار كله او معظمه لتفهم فحواه ...

امسك بذراعها يشد اصابعه وهو لايحتمل ألمها أكثر من هذا بينما يهمس بخشونة وخضرة عينيه تشتعلان

" جننت بك صبيا مراهقا ... ألاحق طيفك في كل مكان دون ان اجعلك تلمحيني حتى .. اخفيت الامر عن الجميع .. الجميع يا فاطمة .. كنتِ جوهرتي السرية المكنونة في صندوق قلبي .. اغار عليك حتى من نفسي ... اغار ان تجرحك نظرة لهفة وشوق وعشق تفلت من عيني .."

اخذت تحاول انتزاع ذراعها منه وهي تهز رأسها يمينا ويسارا تلهث في جنون دون ان تنطق بكلمة بينما هو يشدد من ضغط اصابعه ويقترب منها حتى لفحته نسائم عطرها فيتنشقه ويزداد جنونه ويرتعد جسده وهو يهمس بنبرة تشع بنيران ما يعتمل في قلبه من سنوات

" لسنوات والغيرة تفعل افاعيلها بي .. لسنوات وانا اخاف عليك من جنوني وغيرتي ...آآآه فاطمة .. اشعري بناري واغفري لي .. "

اخذت تجهش بالبكاء ويختض جسدها اختضاضا بينما يهمس لها بلوعة " تلك الليلة .. لجأت لابي ليطفئ الحريق .. كنت اتعذب عذابا لايوصف .. ما قلته .. ما طلبته وسمعته انتِ .. كان محض هذر محموم بعشقك متشبع بغرامك حتى النخاع.."

هدأ نحيبها وسكن جسدها وبدت فجأة وكأنها ... محطمة !



همست وهي تنكس رأسها

" لم يعد ..يهم .. انا لن... اتزوجك .."

ما زال يمسك بذراعها التي تراخت ككل شيء فيها ... في لحظة اطفأت شعلته ببضع كلمات منها ...

ليس ما قالته عن انها (لن تتزوجه) لكن ما أطفأه انها قالت (لم يعد يهم) !

كتم وجعه وغمر نفسه في وجعها هي...

فاستعاد تدريجيا سيطرته على نفسه ليقول برقة " انا متعب .. وانت اتعبتني اكثر .. لكن تعبك حلو .. كحبة سكر صباحية .."

مالت بجسدها جانبا تبتعد عنه وهي ترمي ثقلها على ظهر المقعد بينما تهمس بانهاك واضح

" ارجوك .. دعني وحدي .."

قال وهو يستعد للنزول

" سآخذ سيارة اجرة .."

لم تلتفت اليه وهو يعاني للنزول مستعينا بعكازه وقبل ان تسمع صوت اغلاقه الباب قال لها " انتظر رؤيتك بعد ايام في بيت خالي شاهر على العشاء ... لن آكل لقمة ان لم تكوني موجودة يا حبة السكر .. "

الفصل الخامس عشر

على حافة حوض السباحة حافية القدمين تجلس طاوية ساقيها لصدرها تلملم اطراف مبذلها حول جسدها كما تلملم خصلات شعرها الاشقر فوق قمة رأسها وبفوضوية تعبر عن فوضوية مشاعرها ..

لا ليس مشاعرها من تعيش تلك الفوضوية انما هي افكارها .. افكارها التي تعمل كأنصال السكاكين الثلمة وهي تمر ببطء حارق فوق جروح ما زالت حارة ... تغويها كي تنفجر بالدماء النازفة من جديد ..

سمعها التقط صوت باب يفتح لكن فوضوية الافكار تشل ردات فعلها فلا تجد اي دافع كي ترفع رأسها وتستكشف بنظراتها من دخل للتو الى حوض السباحة المغلق بسقف وجدران من الزجاج المزجج ، شمس المغيب تنعكس على ألوانه الارجوانية والزرقاء فتبدو الالوان ميالة لحمرة قانية تثير في النفس .. الشجن .. وربما ... الغضب !

" شعرك جاف ! لماذا لم تسبحي حتى الآن؟"

شعرت بجلوس الخالة نادية قربها قبل حتى ان تسمع سؤالها ...

لسانها تحرك بالاجابة عفويا

" لااعرف ..."

الخالة نادية .. مجرد وجودها حولها يبعث فيها طاقة غريبة ..

فيها شيء يجعل فاطمة تشعر بالاسترخاء وكأنها كانت تحبس انفاسها طويلا لتطلقها اخيرا باطمئنان في وجود هذه المرأة !

قالت نادية بشقاوة

" كنت اتمنى لو احضرت معي ملابس السباحة .. "

لم تجد فاطمة في داخلها اي رد .. انها تعيش فوضويتها من كلمات وجمل وانفاس وآهات ونبض قلب تائه وروح عطشى ...

لكنها تعجز عن لملمة الكلمات وتنكمش من الانفاس وتشوشها الآهات فيجزع قلبها التائه وتتضور عطشاً روحها التي تلهث في صراعها الخفي ...

" هل عادت لك الخيالات ؟"

بدى سؤال نادية وكانه اقتحم عنوة خلوتها الخاصة .. اخيرا وجدت ردة فعل تنبع من اعماقها فتجرها جرا رغما عنها لتبدي ردة فعل حقيقية وهي ترفع نظراتها اللامعة لتقول بصوت أجش عميق

" لا .. لكنها محفورة في ذاكرتي .."

عيناها في عيني نادية وكأنها تناديها من بئر عميق .. تصرخ فيها .. تمد كفها لتسحبها للاعلى ..

بهدوء نظرات عجيب وملامح تفيض ادراكا خفيا قالت نادية وهي ما زالت تحدق بنيران النظرات التي تشع من عيني فاطمة الخضراوين

" ماهر يحتاجك فاطمة ..."

اهتز رأس فاطمة في ارتعاشة !

فجأة اختفى كل الصراع الفوضوي لتهمس فاطمة بقلق يعيدها بقوة وبكل مشاعرها للواقع " ماهر ؟! ماذا به ؟ "

ابتسامة صغيرة جدا من نادية لكنها حملت دفئا وحنانا لايضاهيان بينما ترد عليها بالقول " ماهر يحتاج ان يشعر انك بخير فعلا .. انه يتألم بشكل لايوصف لانه يحمل نفسه مسؤولية كل ما حصل .. يعاني مع كل معاناة لك صغيرتي.. بل انه غاضب الى حد الجنون لاجلك وهذا يحرقه يوما بعد يوم دون ان يشكو .."

بدت فاطمة مبهورة ! حقا مبهورة بالصورة التي تنقلها الخالة نادية عن ماهر ..

ماهر يعاني ؟! ماهر .. يتألم ؟!! بسببها هي؟

قلبها يتوجع وانفاسها تضيق ...

شعرت بدفء كف نادية وهي تربت على يدها بينما تقول لها

" انا لااقول هذا حتى اضغط عليك بل اريدك ان تستخدميه كحافز اضافي لك لتخرجي من تلك الدائرة التي ما زالت تخادعك وتحاوط كل خطواتك التي تسعى لتتحرر منها .."

اخذ صدر فاطمة يعلو ويهبط ..

شهقات بكاء محبوسة في صدرها لاتستطيع اطلاقها .. لاتعلم لم لاتريد ان تحررها .. لاتعلم لم تحاربها وتمنعها هكذا..

واصلت نادية كلماتها وهي ترفع يدها لتلامس شعر فاطمة

" احيانا لاجل محبة خاصة جدا نكنها لشخص ما عزيز علينا تكون دافعا لايستهان به لدحر الصعاب .."

صمتت نادية للحظة وبدى عليها بعض التردد قبل ان تحزم امرها لتقول بابتسامة وعيناها تدمعان رغما عنها

" لقد تعلمت السباحة في البحر لاجل انسان عزيز علي .. رحمه اللّه .."

لاتعرف فاطمة ما حدث بعدها وهي تنظر لتلك الدموع الشفافة في عيني نادية ..

كل ما شعرته ان دموعها تسيل على خديها متحررة من القيود .. تحدق في عيني الخالة نادية وتسألها بهمس باكٍ متحشرج

" حقا ؟! "

تجاهلت نادية تماما تلك الدموع التي تغرق وجه فاطمة فتقول معترفة ببشاشة

" نعم .. كنت اخشى البحر لابعد حد ولااقربه ابدا الا بمداعبة طفولية لشاطئه لكن بعد .. وفاته الصادمة المفجعة لي قررت ان اخوض غماره لاتواصل معه .."

ما زالت دموع فاطمة تسيل وهي تتساءل بتقطع وتلهف غريب

" تتواصلين مع البحر ؟!"

هزت نادية رأسها سلبا بينما ترد عليها

"لا .. ليس البحر .. بل مع من فقدته في البحر ...."

ابتسمت نادية وهي تمد يدها لتمسح بعض دموع فاطمة ثم تقول لها

" انها امور من الماضي تركت بصمتها علي لأكون ما أنا عليه اليوم .. لكني تهت في البحر كثيرا ولم أعرف كيف أعود للشاطئ .."

ثم غمزت وهي تكمل

" حتى اصطادني عمك آسر فعلمني كيف اقارع البحر واعرف سبله لاهزمه فلا أتوه فيه مرة اخرى .. "



اخذت فاطمة تبكي بصوت يقطع نياط القلب لترمي بنفسها على صدر نادية تبحث عن .. عن .. لاتعرف ما تبحث عنه ..

انها متعبة اليوم .. متعبة من كل شيء..

اخذت نادية تمسد على رأس فاطمة وهي تقول بهدوء وتركيز

" لاتتوهي فاطمة ... بل كوني ذكية وواعية دوما واستفيدي من اي بصمة لحدث قوي مر في حياتك لتكوني افضل واقوى.. خلف نعومتك هذه ارى قوة مميزة فاستخدميها لاجلك .. ولاجل كل من تحبين .. ماهر صفية ... زينب طه .. ماهر يحتاجك لتطمئنيه انك قادرة على تجاوز المحنة وصفية تحتاجك ان تثبتي لها انها احسنت غرس القوة فيك لتواجهي مصاعب الحياة .. وزينب .. زينب تحتاجك هذه الفترة بشكل خاص .. انها تتهرب بكِ عن نفسها ..!! تنشغل برعايتك والاهتمام بك عن التفكير بما يؤرقها .. واخيرا طه .. طه الحبيب يريدك سعيدة .. فقط سعيدة.. وان يكون هو جزءا صغيرا جدا من اسباب سعادتك ... هم يحتاجونك كما انت بحاجة اليهم .. "

هدأ بكاء فاطمة فابتعدت عن صدر نادية وهي تتماسك مستعيدة توازنها لتعتذر بخجل

" اسفة خالتي .. ربما اقلقتك بحالتي اليوم لكن لاتخشي شيئا انا .. لم اتراجع للوراء .. كل ما في الامر .. كنت مضغوطة بعض الشيء و.. مشوشة .."

تبسمت نادية وهي تقول

" مؤكد لن تتراجعي للوراء .. مثلك لم يخلق ليتراجع .. انت دوما خطاك ثابته ومتأنية للامام .."

ثم اضافت نادية بمعان مبطنة تفيض بالمرح تبغي تحويل مسار الكلام لناحية اخرى

" بالمناسبة انا اليوم لم آتي صدفة .. انا مبعوثة رسمية خاصة .."



رفعت فاطمة وجهها وهي تمسح الدموع عن خديها متسائلة بعفوية

" ماهر ارسلك ؟"

فردت نادية بسلاسة وهي تغمز

" بل محمد ..."

راقبت نادية كيف تغيرت ملامح فاطمة ..

من العفوية والبراءة الى الصدمة ثم الجمود ثم .. امر اخر لاتستطيع تحديده ولكنه اقرب للتحطم !

لكن نادية لم تظهر اي ردة فعل لتعاقب المشاعر التي تفضحها ملامح فاطمة بينما تقول بنفس السلاسة



" انه يتابع كل خطواتك حتى عندما كان راقدا في المستشفى... كان يسأل عنك باستمرار ويتفقدك .."

لتضحك نادية بخفة مضيفة

" اثار جنون الممرضات وغيرتهن في المستشفى وهن ملزمات بتقديم اخبارك اليومية له .."

تقبضت يد فاطمة فأطرقت برأسها بينما تقتحم افكارها كلماته بعد ظهر هذا اليوم.. تقتحمها بوضوح الآن بعد ان كانت تتسبب بفوضوية افكارها

(" الرؤيا الحقيقية لمن يختاره القلب تكون في السراء والضراء .. وهذا ما اريده منك في المقابل .. ان ترينني في السراء .. والضراء ... ")

" ما بك فاطمة ؟"

سمعت صوت الخالة نادية خافتا بعيدا وقد شابه بعض القلق بينما يداهم فاطمة صداع عجيب يكاد يفتت رأسها لكنه يشحنها بمزيد من الكلمات المتدفقة من اقصى زوايا عقلها البعيدة .. كلمات محمد ولا احد غيره .. قرب اذنها وهي مكبلة المعصمين تتوجع بين صحو واغماء ...

(" فاطمة .. فاطمة .. انظري الي .. حبيبتي فاطمة ... هذا انا .. لاتخافي .. ")

ازداد الصداع ضراوة فترفع فاطمة كلتي كفيها وتدلك بقوة صدغيها ومزيد من الكلمات ينطلق كرصاص حي يصم اذنيها

(" ايها الحقير النجس .. هل تظن ان قيمتها بجسدها الذي تتبجح بانتهاكه ..؟ فاطمة ستظل اغلى واطهر بكثير من ان ينجسها قذر مجنون مثلك ..")

شعرت بمن يهزها فلهثت فاطمة وهي ترفع وجهها الشاحب لوجه نادية القلق فتأمرها نادية بحزم

" خذي عدة انفاس .. اهدأي .. نعم هكذا .. نفس آخر .. اجل صغيرتي .. اهدأي واسترخي .."

كانت تطيع الخالة نادية وتستجيب تلقائيا لما تأمرها به فيعود اليها الاسترخاء ويبهت الصداع ويختفي تدريجيا من رأسها ..

التمعت عينا فاطمة وهي تنظر لوجه الخالة نادية لتقول لها بصوت مبحوح مجروح

" هناك كلمات قالها في .. ذلك اليوم.. اقصد محمد .. ما زالت مشوشة في عقلي ولاعلم هل تخيلتها ام لا ..! وكأنها مقتطفات سريعة من احلام متداخلة "

لم ترد عليها نادية تمهلها لتستقر اكثر فتغمض فاطمة عينيها ويرتعش صوتها وهي تقول

" هل تذكرين ما قلتِه لي قبل عشرة ايام ؟ اعيديه علي خالتي .. مرة اخرى .. احتاج ان اسمعه منك .. يجعلني اكثر تركيزا .."

جاءها صوت نادية لتعيد ما قالته لها سابقا بثبات وثقة

" انت قوية فاطمة .. قوية وهزمته .. تذكري انك هزمته وانت تقولين (لا) للنهاية .. هزمته وانت ترفضينه بكل طاقتك ..."

تصارع فاطمة لتثبت بينما تقول بلمحة ضعف وجزع

" الهزيمة لاتكفي خالتي .. لاتكفي .. انا .. انا ... مدنسة .. "

ما زالت فاطمة تغمض عينيها بقوة بينما يمر عبر اذنيها صوت نادية المميز وهي تقول بثقة أكبر

" انت ضحية ولست مدنسة يا فاطمة .. الضحية من تتعرض لشيء ترفضه يفوق قدراتها لتمنعه أذيتها بينما المدنسة من ترتضي الفعل وتستسلم له عن طيب خاطر ورضا .."

ارتجف جسد فاطمة في قشعريرة باغتتها ثم شعرت بيد نادية على كتفها لتفتح فاطمة عينيها وداخلها يموج في الصراعات فتبتسم لها نادية بحنان وتقول بنبرة شجن

" هناك نساء وفتيات يتعرضن لاغتصاب يومي من اقارب او حتى محارم والخوف لاسباب مختلفة يمنعهن عن المقاومة فيصمتون .. حتى هؤلاء ضحايا ولسن مدنسات ..."

دمعت عينا فاطمة ونادية تضيف بلطف

" لا تخجلي لانك تعرضتِ لعنف جسدي يفوق قدراتك .. انظري لما حدث بتجرد ومنطقية .. كنتِ مقيدة مكممة وهو رجل ضخم وانت فتاة ضئيلة الجسد لاتملكين قوة بدنية ولا حتى لياقة .. لا عيب ان نكون ضحايا .. انها محن الحياة صغيرتي .. وانت محظوظة لان لديك عائلة تهتم بك وترعاك وتشد ازرك ..."

اخذت فاطمة نفسا عميقا لتطلقه ببطء ثم قالت بملامح حزينة تمس شغاف القلب

" لقد قرأت التقرير الطبي ليلة الامس .. لم أكن بحاجة لقراءته لاتأكد .. انا كنت.. اعرف انه ..لم يفعلها .. لكني .. اجبرت نفسي على القراءة .. اردت ان اواجه الامر بطريقة مختلفة هذه المرة .."

قالت نادية وعيناها تلمعان بالفخر

" احسنت صغيرتي .. دوما كنت اعرف انك مقاتلة من نوع خاص ..."

ابتسمت فاطمة بشجن بينما تضيف نادية

" هل تعلمين ان مقاومة الضحية للمعتدي تحميها احيان كثيرة من الاغتصاب الكامل ؟"

اتسعت عينا فاطمة بذهول وبعض التشكك بينما تؤكد لها نادية بالقول

" نعم .. لاتنظري الي هكذا .. انا اتكلم علميا وطبيا .. لقد قرأت عن هذا .. المعتدي المهووس تسيطر عليه فكرة خيالية تبيح له ما يفعله .. لكن مقاومة الضحية تجعله يفيق من فكرته وتتحطم عزيمته لذلك يصبح عنيفا ويلجأ للضرب ليخرس الضحية عن تشتيت فكرته الخيالية .."

بدأت فاطمة تستعيد بعض المقتطفات السريعة الاخرى لكنها تمر خطفا في عقلها لتسألها نادية بذكاء

" لماذا ضربك بقوة حتى افقدك الوعي ؟ هل تريدين اخباري ؟"

ردت فاطمة بهمس لاهث وتلك المقتطفات تتباطأ

" كان يشد خرقة على فمي .. ازاحها وهو يطالبني بكلمات الحب له ..."

فحثتها نادية لتقول المزيد

" وانت ماذا فعلت ؟ صرخت مستنجدة فضربك ؟"

تصاعد لهاث فاطمة وعيناها الجميلتان تتسعان اكثر واكثر لتهمس بحشرجة

" صرخت منادية بإسم ... بإسم .."

تلكأت الكلمة على لسانها فساعدتها نادية بالتساؤل " اسم ماهر ؟"

هزت فاطمة رأسها سلبا فتساقطت بعض خصل شعرها كالسحر على كتفيها لتهمس باندهاش وشعلات صغيرة تتأجج في عينيها " بل.. محمد ..."

هذه المرة كانت نادية من تتسع عيناها بذهول لتتحول الى الانبهار وهي تسألها بشكل صريح " هل تحبينه ؟"

فجأة كأن الزمن توقف ليتلاشى السحر وتنطفئ الشعلات فتهمس بيأس

" لم يعد يهم .."

وقبل ان ترد عليها نادية بشيء وقفت فاطمة برشاقة على قدميها لتخلع عنها مبذلها وهي تقول بهدوء

" لاتقلقي عليّ خالتي .. انا حقا قوية .. لاجلي ولاجل ماهر وصفية وزينب وطه .. سأقاوم وساتغلب على ما اشعر .."

وفي لحظة كانت فاطمة تقفز في الماء وتسبح برشاقة ملفته وعزيمة تثير الاعجاب ..

مساء ... قرابة منتصف الليل

يتحرك على عكازه في طرقات الحي .. يكاد يلهث من الجهد الذي يبذله لكن .. لايهم .. انه يحتاج الذهاب اليها .. ان يكون قريبا منها ..

استند بجانب جسده على الجدار للبيت المقابل لبيت ماهر ...

اخذ عدة انفاس حتى يسترخي ويخف الألم ثم رفع ناظريه لبيت ماهر فتفيض عيناه بالشوق واللوعة هامسا

" آه يا حبة السكر .. اشتاقك واشتاق حتى وجعي لوجعك .. لوّعيني بالوجع

لكن كوني قريبة فلم أعد اطيق بعادك.."

اخذ نفسا عميقا ثم اطلقه وبينما يحاول تغيير توازن جسده على العكاز ليخفف من ألم ظهره لمح ما قفز من خلف سور بيت ماهر ..

ضيّق محمد عينيه بتركيز ثم ابتسم والقطة (عسلية) تتغندر في مشيتها لتعبر الشارع الفارغ بدلال خطوتها ...

ثم اختارت المدللة ان تتقدم نحوه وتموء وهي تتمسح ملتفة حول ساقيه ...

ضحك محمد قبل ان ينحني بشق الانفس

وهو يمد ذراعه اليها هاسما بصوت اجش

" تعالي ياعسلية .. انت تشعرين بي اكثر

من صاحبتك .."

قفزت القطة اليه فرفعها وهو يستعدل

بوقفته ثم .. وبكل مشاكسة قرر ان

ياخذها معه بدلا من ان يعيدها لبيت ماهر..

همس لها

" على الاقل اشم رائحتها بك واغمر وجهي

في فرائك حيث تغمر هي وجهها .."

عاد لبيته سيرا على الاقدام والقطة تنام

على ذراعه ولم تمض نصف ساعة الا وكان

يجلس على الاريكة في جناحه والقطة

على حجره يمسد فوق فرائها ..

ضحك وهو يسمع صوت شخير توأمه

فيهمس لعسلية

" عليك الاعتياد على هذا المجنون

الصاخب الذي يشاركنا الجناح .."

ثم ابتسم واخرج هاتفه ليكتب رسالة

نصية

(تصبحين على خير يا حبة السكر)

بعد بضعة ايام ..

مكتب آسر الغازي

كانت تقف قرب عمها اسر وهو يوقع الاوراق بينما ينتابها نفس الغيظ وهي تسأله بعناد طفولي

" لماذا لاتخبرني عن السبب الحقيقي لاستقالة بشرى المفاجئ ؟!"

لايرفع رأسه لها بينما يرد باستفزاز

" ماذا بوسعي ان اقول .. انها لاتحب المزاح البريء ! "

كزّت زينب عن اسنانها وهي تشعر حقا بالغيظ .. لاتعلم ما سبب الشحنات التي تتفاعل في داخلها فتجد في استفزاز عمها اسر متنفسا له ..

عبست بشدة وهي تقول بنبرة متفجرة

" انا مديرة مكتبك الخاص سيد آسر .. ويجب ان اعرف ما حصل لاحدى سكرتيرات المكتب بدلا من ان ابدو كمغفلة لاتعرف ما يحصل حولها .."

عندها فقط رفع آسر وجهه يبتسم بتلك الطريقة التي تثير زوابعاً من الاستفزاز ليقول لها بتفكه

" امممممممم ستكونين زوجة متحكمة لاتطاق .. أعان الله عمران عليك .."

أحمرت زينب بشدة واخذت تعض شفتيها بخجل بينما تندم للمرة العاشرة او ربما العشرين لانها صارحت عمها آسر ان عمران طلبها للزواج البارحة ...

لعنت غباءها وسذاجتها وهي تخصه وحده بمشاركتها لهذا السر الذي لم تطلع عليه احد حتى الآن .. حتى انها طلبت من عمران ان لايخبر احدا حتى .. ترد عليه ...

وحالما تركت عمران وسط احد أروقة المؤسسة يناظرها بأمل كبير ذهبت من فورها كأي طفلة غبية لتضع سرها الصغير في فم عمها آسر المستفز الذي يبدو مستمتعا على حسابها ..

فتحت فمها لترد بغيظ عندما اتى طرق على الباب ليرد آسر باستمتاع متزايد خبيث

" ادخل يا ابن اختي .."

انسحبت الدماء من وجه زينب بينما يُفتح الباب ليطل محمود متقدما وعيناه الغامضتان الباردتان تتركزان بهدوء على خاله آسر فيقول محييا

" مرحبا خالي .. "

ثم يلتفت قليلا ناحية زينب ويحيها هي الاخرى " مرحبا زينب ..."

وقبل ان ترد زينب تحيته كان محمود يقترب من مكتب خاله ليقدم له بضعة اوراق وهو يقول بصوت ثابت النبرات

" خالي هذه الاوراق التي طلبتها ، ارسلها محمد بالفاكس فيها كل التفاصيل المطلوبة عن شحنة الاغنام .. انا راجعتها بنفسي وتحتاج فقط لتوقيعك وتوقيع والدي .."

كان آسر يقلب في الاوراق وهو يراقب بطارف عينه كيف تتراقص قدمي بطته خفية وهي لاتعرف كيف تتصرف ...

المجنونان الممتعان ...

يكاد يتخيل ويشعر بكل نبض مسروق منهما ناحية الآخر ...

انها الحرب الباردة وسياسة النفس الطويل ترى هل يكفي ليبدأ بالتلاعب معهما قليلا؟

وقع الاوراق وسلمها لمحمود ليستدير محمود من فوره وهو يشكر خاله بصوت خفيض ثم يغادر المكتب تاركا زينب ترتجف وتوشك ان تنفجر في البكاء دون ان تعلم ان قلب محمود يقرع بهدير اصم اذنيه ..

شفتاها ترتشعان وتوشك حقا على البكاء..

لم تعد تحتمل هذا الضغط ..

فاطمة من جهة و ..

لكن لا ... عليها ان تعترف ان فاطمة لم تعد تحتاجها كما السابق بل الواقع انها باتت تحسدها على قوتها في مواجهة ما تعرضت له ...

ثم طلب عمران من جهة اخرى .. و.... و هي بكل غباء لم تقل (لا) ! لماذا لم تقلها ؟!

هل لانها وجدت ضالتها المنشودة في عمران؟ هل هو الشاب الذي يرضي طموحها لتبني نفسها معه بكدهما وتعبهما ؟

ومحمود ؟! يا الهي محمود ... لم تعد تحتمل ان تدعي التجاهل وان ما يحصل هو ما كانت تريده حقا ..

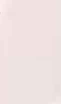
لقد قبّلها .. هذا المغرور ذو الغمازتين الذي فتنت به من مراهقتها واحرق قلبها غيرة من صديقاته السخيفات .. هذا المجنون المغرور قبّلها بكل وقاحة وجرأة و ... عاطفة مشتعلة ..

الآن كيف يفترض ان تتصرف ؟!

كتفت ذراعيها حول جسدها وكأنها تحبس نيرانها في جوفها ...

تنهد آسر بافتعال مشاكس قبل ان يقول لها بمداعبة تعكس افكارها

" ما بك الآن ؟ ألم يكن هذا هو مطلبك الغبي .... (ان يبتعد) ؟"



أفلتت منها في لحظة وكأنها ترد على نفسها " لااعرف .. حقا لااعرف .."

رفع اسر حاجبا واحدا ولمع المكر في عينيه وهو يواجهها بالقول

" بل تعرفين وتنكرين الامر على نفسك .. انت لاتطيقين انه ابتعد .. لاتطيقين التفكير ان الامر انتهى بهذه البساطة .."

نظرت اليه بنظرة جمعت العتب والحيرة معا فيبتسم لها ليقول بنبرة مؤثرة

" انت تلميذة مجتهدة يا بطة وقد تعلمت مني الكثير لكن أمرا واحدا لم تتعلميه مني ... الانانية ..."

اتسعت عيناها قليلا وبدت الكلمة وقعها غريب عليها فترددها بتساؤل حائر

" الانانية ؟!"

تراجع اسر في كرسيه للخلف ثم خلع نظارته ليرميها جانبا وهو يرد عليها ببساطة عجيبة

" نعم الانانية مع قليل من الجرأة هو ما ينقصك لتفردي جناحيك وتحلقي عاليا ، ان تكوني انانية وتحبي نفسك جدا فتقتنصي لها ما تشتهيه رغما عن انف كل من يعتقدك لاتستحقيه ... ما تريدينه حقك وتأخذينه من فم السبع والسبع ينحني طاعة لك .."

عيناها تتسعان اكثر واكثر وكأنها ..

لاتصدق الفكرة ! لاتصدق بساطتها

وصعوبتها في نفس الوقت ..

لا .. ليس صعوبة بل ... بل ...

قاطع آسر افكارها وهو يضيف بسخرية

لاذعة مستفزة محفزة

" ومن محمود الناجي امامك ؟! انه فتى

مدلل مغرور بغمازتين تثيران جنون الفتيات

وُلِد وملعقة ذهب محشورة في فمه بينما انت

تكافحين لتنحتي اسمك على صخر

الحياة.. "

تمتمت زينب وداخلها يستنهض مشاعر

خفية مجنونة من كينونتها النارية

" عمي آسر .. انه لا .."

قاطعها اسر بنبرة حديدية في قوتها

" حبا باللّه الاينتابك ولو قليل من الغرور

وخيلاء الانثى وهو يلهث خلفك زاهدا

بكل الاناث لاجلك ؟؟"

ابتلعت زينب ريقها وهي تقاوم ثورة جنونها

الناري بينما ترد على من يستنهض تلك

النارية بالقول

" صارحني عمي .. هل تؤمن حقا ان محمود

سيكتفي بي ؟انه .."

يعاود مقاطعتها وهو يشن مزيدا من الهجوم

الدقيق على اقوى واضعف ما فيها

" لماذا تتساءلين ان كان سيكتفي بك ؟!
كوني جبارة وتساءلي هل ستكتفين به؟!"

اخذت تحدق في عمها بعينين جاحظتين ليقف اسر على قدميه فيعلو قامتها بقامته الطويلة ثم يقول وهو يمعن النظر في تلك العينين " هذه النار التي فيك هي ما اقتحم قلب الغازي في محمود فاحرقيه بها كلما استطعت واخبريني عندها .. من سيكتفي بمن ؟"

صدرها يعلو يهبط بجنون فيهمس لها بشقاوة هذه المرة " انا لن اتدخل بعد الآن ..
تركتك تجربين كل شيء يحلو لك
فعله .. الان عليك اتخاذ القرار ..
تريدينه.. ؟ اخطفيه رغما عن انفه ..."

ثم عاود الجلوس ليضيف متحديا

" لاتريدينه ...؟! اذن وافقي الآن على طلب عمران للزواج وعيشي حياة عادية آمنة غارقة بعرق الكفاح الذي يرضي كرامتك ويحفظ كبريائك داخل علبة بسكويت انيقة .."

صمتت وهي تنظر لعمها الذي التزم الصمت هو الآخر ..

بدت مختلفة .. واعجبه الاختلاف ..

هذه الملامح النارية لايسودها هدوء مفكر كهذا الا عندما توشك على دحر معضلة..

لقد درسها وفهمها خلال هذه السنوات

ويعرف متى تستوعب الدرس ومتى تطبق ما تعلمته ...

في النهاية .. ستختار ...

سواء عمران ... او المجنون محمود ...

وايا من الخيارين سينهي حيرتها الى الابد...

قرابة الغروب في نفس اليوم ...

يقود بسلاسة بينما يستمع عبر سماعة السيارة لكلام احد اكثر رجاله اهلا للثقة وهو يخبره بآخر المستجدات عن رائد

" يبدو واضحا انه في طريقه لشقته اخيرا.. انه منهك الهيئة ورث الثياب .. اظن الفترة السابقة كانت الاسوأ له "

ابتسم ماهر بقساوة وهو يقول

" الاسوأ لم يره بعد ... وها هو عاد لوكره بعد ان نضبت مدخراته... حسن .. عليه ان يتقبل مفاجأتي الصغيرة له بروح رياضية.."

سأل الرجل ببعض الحذر

" سيد ماهر .. ان سمحت لي .. لماذا لم تقدم كل الادلة للشرطة ؟ اعني حتى نتخلص منه للابد "

رد ماهر والقسوة تشتعل في عينيه



" من قال اني اريد الخلاص منه بسرعة ..

سيكون ممتعا لي ان اعذبه ببطء وبكل افعاله الحقيرة .. فعل بعد فعل بعد فعل .."

تنحنح الرجل قبل ان يضيف بنبرة عملية

" احببت ان اعلمك فقط ان الشرطة لم تمسك اخا تغريد حتى الآن .."

حرك ماهر شفتيه بشراسة قبل ان يقول

" كنت اتمنى ان يصل ذاك الرجل لرائد حقا ويمزقه أربا لما فعله بأخته .. "

ثم انهى ماهر المكالمة بعدها ليغرق في احساسه المكبوت ...

لايعبر عن شراسة ما يقتله من الداخل الا عبر صفية ..

في سكون الليل يفقد نفسه معها في هوجاء عواصف عاتيه من عواطف متقدة ...

غضب .. قسوة .. حاجة .. و .. ضعف ..

غزالته تتحمل خشونته بل تحتضنها بتفهم لايوصف فيزداد جنونا وشوقا ليبادلها العاطفة هذه كل ليلة ...

تنهد بحرٍّ الانفاس بينما يستعد لارتداء قناع الهدوء والسيطرة وهو على مقربة من الوصول لبيته ..

عليه ان يكون مبتهجا ضاحكا هذه الليلة.. فالجميع مدعون في بيت ابيه وهم يحتاجون رؤيته بخير حتى يرفعوا عن كاهلهم ثقل قلقهم عليه ..



اليس عليه حمايتهم من اي اذى ؟

وهو رضي ان يلعب هذا الدور في حياتهم وسيستمر فيه ...

كان رائد يتلفت حوله وينظر بعين الريبة لكل من يمر به في هذا الحي البائس ..

وجوه كالحة كرهها وكره عشرتها ..

لكنه كان مضطرا ليخفي قذارة اعماله في قذارة اكبر واوسع ...

فمن سيفكر بملاحقة طبيب موقوف عن العمل يعطي حقن ويساعد بعض الفتيات في التخلص من عارهن ولا بأس من بيع بعض

الادوية المخدرة الخفيفة لمن لايستطيع الدفع لما هو اغلى ثمنا منها ...

وما قيمة ما يفعله امام تجار محترفين لبيع السموم البيضاء وتجارة السلاح التي تمتهنها العصابات المتنافسة على السيطرة في المكان ، وما دام هناك تجارة مخدرات وسلاح فلا يكتمل هذا الثالوث الا بتجارة البشر ، فيسوقون افواجا من الضعفاء محدودي التفكير لخارج البلد يوهمونهم بالعمل كخدم وعمال بينما هم حرفيا يباعون كرقيق او كقطع غيار من الاعضاء البشرية ..

زفر رائد بقوة وهو يشعر بجسده يتهالك من شدة الارهاق والتعب ..

ما رآه في الاسابيع القليلة الماضية يعادل عمرا بأكمله ..

يكفي ما فعله به الحقير ماهر الغازي ثم تلك المصيبة الجديدة بمقتل تغريد وتهديد محتمل من اخيها ...

تسلق رائد بضع درجات تؤدي للطابق الاول حيث شقته ..

حسن انه يحتاج ان يستعيد عافيته ثم يعاود نشاطه وربما سيمتلك الجرأة ليقترب من تجارة المخدرات او حتى تجارة الاعضاء البشرية ليشارط بالبيع هنا في داخل البلد..

سيفعل المستحيل ليجني الكثير من المال!

لن يمضي ما تبقى من حياته في هذه القذارات .. يجب ان يجد منفذا لتلك العصابات وينضم اليها بشروطهم ..

حالما وقف عند باب شقته وبينما يخرج المفتاح من جيبه شعر بانفاس وحركة خافته من جهة الدرج المظلم خلفه والذي يقود للطابق الاخر ..

وبينما يتملكه الهلع لاسباب مجهولة ويده ترتجف ليدخل المفتاح في مكانه انفتح الباب فجأة دون ان يدير المفتاح !

شهق ووجهه يزداد شحوبا بينما يقابله ومن جهة شقته بضعة رجال ميزهم مباشرة انهم من الشرطة ...



تمتم باختناق وقبضة صارمة تشده من
ياقة قميصه

" ماذا هناك ؟! لماذا انتم في شقتي ؟"

فيرد ضابط الشرطة بخبث

" نستكشفها فقط بينما .. ننتظرك .."

أغلق باب الشقة مرة اخرى وساد الصمت عدا
همهمات مكتومة للرجال وهم يتحدثون
على ما يبدو مع رائد ..

مرت لحظات قبل ان يتحرك المتستر في
قلب ظلمة الدرج المقابل لباب الشقة وقد
كان هناك منذ فترة ينتظر رائد ايضا
وفيه شوق لايضاهى لاراقة دمائه ..

حسن .. الشرطة سبقته لهذا الحقير ..

لكنه ابدا لن ينجو .. فثأر شرف اخته ما
زال في رقبته ..

لقد حان الوقت .. حان ... انها محطته
الاخيرة في هذه الحياة ...

بعد بضع ساعات ...

احد اقسام الشرطة ...

متكورا في احدى زوايا الزنزانة يكاد
لايصدق ما يحصل له ...

اخذ يضرب بقبضته على الحائط الرمادي
القذر بجانبه بينما يفكر بحقد اعمى انه
لابد ماهر الغازي من فعلها وسلم الشرطة
بعض تلك الادلة التي تدينه في شقته ..

ما يقلقه ويفزعه ان هناك المزيد من الادلة التي اختفت من الشقة ولم تكن في حوزة الشرطة حتى الآن ..

هل يلاعبه ماهر الغازي ؟

يستمتع وهو يضيق عليه الخناق ببطء حتى يقبض انفاسه ..

يا الهي .. هل سيتعفن في السجن الآن ؟

كم سنة ستضيع من عمره قبل ان يطلقوه؟

وهل سيكتفي ابن الغوازي منه ام انه سيظهر المزيد كالحاوي فيجعله يعيش رعب المفاجآت القادمة التي سيخرجها من جرابه ...

اقترب منه احد السجناء وقد بدى مدمنا بشكل واضح لعينيه الخبيرتين ..

جلس قربه ومال نحوه ليطلب بهمس تفوح من فمه رائحة نتنة

" اعطني ما لديك من المال .."

نظر رائد اليه فتشمئز نفسه اكثر فاراد ان يرد عليه عندما انفتح باب الزنانة ليدخل سجين جديد ..

اثار السجين الجديد بهيئته النظيفة اهتمام صاحب الانفاس النتنه ! فترك رائد ليقف على قدميه ويقترب من ذاك الرجل الذي تبدو ملامحه مألوفه نوعا ما لرائد ...

لحظات فقط واتسعت عينا رائد برعب جعله يلتصق التصاقا بالجدار بينما يرى عيني الرجل تتركزان بتعابير وحشية عليه ...

لم يستطع رائد حتى النطق بالاستغاثة بينما يقترب منه اخو تغريد متجاهلا السجين المدمن وفي لحظة كان ينحني للاسفل يمسك رائد فيهتف به في ثورة وحشية " ايها الحقير .. عديم الشرف .. حان وقتك اليوم ..."

خرج صوت استغاثة رائد متشحرجا متقطعا

" انجدوني ...انجـ...دوني .."

فقد اخو تغريد اخر ذرات العقل والانسانية ليترك لأسوأ ما يعتري البشر من رغبة دموية في الانتقام فرفع رائد من جلسته على الارض ثم دون رحمة اخذ يرطم رأسه وكل جسده بالحائط خلفه ..

موجة من الجنون الصرف والوحشية الخام بينما جسد رائد يتخاذل وعيناه تتركزان على السجين المدمن الذي لم يتدخل بل يبدو لاهثا بالمتعة وهو يراقب المشهد وكأنه على وشك ان يأخذ جرعة مضاعفة من الهيروين ...!

وأظلم كل شيء واخر ما تلفظ به لسانه

" انجدو...ني ..."

الفصل السادس عشر

بيت شاهر الغازي.. مساء...

همست نهى قرب اذن زوجها

" لاتنسى ان تكلم ماهر .."

يبتسم لها شاهر وهو يطمئنها بالقول

" لاتقلقي حبيبتي .."

فتلامس نهى قلادتها تتلاعب بها بعصبية بينما تناظر ولدها ماهر الذي يقف منفردا متباعدا عن الجميع بمن فيهم حتى ظافر ومهدي لتهمس بتوتر " لكني قلقة يا شاهر .. قلقة جدا عليه .. انه يدعي حتى الابتسام .. لكنه لن يخدعني .. انا امه واعرفه جيدا .. وهذه الحالة التي تسيطر عليه لم أره فيها سابقا.."

رفع شاهر يده وامسك باصابعها التي تحرك القلادة فثبتها ثم اخذ يلامس تلك الاصابع الانيقة برقة قبل ان يقول

" سنكلمه انا واسر هذه الليلة ..
لاتجزعي.. لقد مررنا في حياتنا بما هو اصعب... اهدأي حبيبتي .. ستمر هذه الغمة.."

هزت نهى رأسها تحاول ان تغلب جزع قلب الام فيها ..

يراقب ماهر من بعيد كيف تتآلف فاطمة في حديثها من نساء العائلة ..

تضاحك سلسبيل ..وتناقش امه بثقة حول اوضاع البلد السياسية .. وتلاعب غازي المفتون بها ... ثم ... تلجأ بين الفينة والاخرى للخالة نادية وكأنها تجد عندها استراحة محارب ! لتعاود بعدها تقمص دورها وكأنها تتحدى نفسها لتثبت انها مسيطرة وواثقة ومرفوعة الهامة ..

حتى الآن تجنبت بلباقة الاقتراب من محمد الذي يجلس على اريكة مريحة وعصاه في يده بينما عيناه لاتعرفان حرجا او حدودا من تتبع فاطمة في كل حركاتها وسكاناتها...

اقترب منه عمه آسر وهو يحمل بين ذراعيه حفيدته الاصغر ...

نظرة عمه لتلك الصغيرة تحمل اكثر من معنى ليفاجأه بالقول " انظر لحمامتي يا ماهر .. انها غازية ابنة غوازي ... لا اعلم كم سيطول العمر بي لاراها كيف ستكبر .. ان اعلمها كيف تقاتل بشراسة حتى تثبت للعالم انها ليست رقيقة هشة فيطمعوا بها .."

تحرك شيء في قلب ماهر فرفع نظراته عفويا ناحية فاطمة فيراها تحدق فيه !

بدت وكأنها مرهقة لكنها تبتسم له ثم ترتعش ابتسامتها وعيناها تلمعان ..

تظن انه لايفهم بأنها لاتفعل كل ما تفعله الليلة لاجله هو .. حتى تجعله يشعر بالاطمئنان لحالها ..

تمتم ماهر لاشعوريا

" أعدك ان احميها بحياتي عماه .. انها لحمي ودمي .. "

جاء صوت والده من خلف ظهره وهو يقول بهدوء " ألم يحن الوقت لتعترف انك لست الرجل الخارق ؟ وان ما يعتريك من ضعف وعجز هو أمر وارد لكل انسان ؟ "

وقف شاهر جوار أخيه ثم مد اصبعه يلامس خد الفتاة وهو يبتسم لها فتبتسم الصغيرة في نومها مغمغمة باصواتها المميزة بينما اصابع يدها الناعمة متشبثة بربطة عنق جدها آسر فيضيف شاهر المزيد قائلا

" نحن مجرد رجال يا ماهر .. بشر من لحم ودم كما قلتها بنفسك وانت تعد عمك بحماية من ينتمي للحمك ودمك .. مهما خدعنا الغرور بما نملك علينا ان نتراجع عن غرورنا بكرامة ونتقبل بعض الخسائر بكياسة فنعترف ان هناك امورا تفوق قدراتنا الفذة المبهرة !.."

ما زال ماهر جامد الملامح وهو ينظر بهدوء لوجه والده ثم عمه آسر ليقول آسر هذه المرة وبنبرة عميقة لها سلطتها

" ما حصل لفاطمة يجب ان تجتازه معها خطوة بخطوة والا علقت فيه يا ابن اخي وستعلقها معك وستجعل زوجتك صفية تائهة بينكما لاتعرف كيف ترأب الصدع فيكم جميعا .."

عينا ماهر انتقلتا عفويا لمكان زوجته وهي تتحدث مع حوراء وعمته نجلاء ..

بدت صفية مبتسمة واقل كلاما من المرأتين .. كما بدت مرهقة .. مرهقة حقا وشاحبة بعض الشيء ..

قال ماهر بصوته المبحوح

" احتاج لبعض الوقت فقط .."

عندها قال شاهر وهو يربت على كتفه

" ماهر بني ... انت رجل مميز .. ما تحتاجه حقا ان تكون اقل قساوة على نفسك .."

ابتسم ماهر بلا معنى بينما يسبل اهدابه ثم رن هاتفه فاستأذن من الاثنين وهو يبتعد مغادرا الصالة ..

تبسم شاهر لوجه صفية وهي تقترب منه وملامح وجهها الجادة تنبؤه انها كانت مدركة لفحوى الحوار الذي كان مع ماهر

همس له آسر وهو يقول باسلوبه المرح الاستفزازي

" سأنسحب مع حمامتي لاتركك مع حمامتك .."

عينا صفية طرفتا ناحية باب الصالة الذي خرج منه ماهر للتو قبل ان تعاود النظر ناحية شاهر الغازي فتقترب اكثر حتى تقف قبالته وتقول له

" ابي .. هل كلمت ماهر ؟ "

لم يحتج ان يسألها (كلمه عن اي موضوع).. دوما هناك تفاهم مباشر وصريح تقويه ثقة كاملة بينه وبين صفية ..

قال لها بحنان ابوي عفوي

" لاتقلقي عليه .."

ردت بملامح تعكس ثقتها بزوجها

" انا اعلم عن يقين انه سيجد طريقته الخاصة ليتسامح مع نفسه فيما يعتقده تقصيرا منه وخذلان لعائلته .. لكن ابي .. هو يحتاج لكلام رجل خبر الحياة مثلك لا ليخفف عنه وانما ليخبره انه ..."

قاطعها شاهر ليكمل جملتها بسلاسة

" انه ليس بالرجل الخارق .."

هزت صفية رأسها وللحظة ملامحها الجذابة الواثقة ارتعشت بالعاطفة لتتماسك بعدها وهي تقول بصوت هادئ رقته تلك العاطفة القوية المميزة التي تربطها بماهر

" لو استطعت ان امنحه روحي ليتأكد فقط كم هو رجل متفرد في نظري لما ترددت لحظة.. انا كلمته كثيرا لكني سأبقى في نظره مجرد امرأة لاتفهم تماما احساس

رجل لم يستطع حماية اهل بيته .. إنه ينسى احيانا اني عشت من صغري هذا الدور.. دور (رجل البيت) الذي يحمي اهل بيته .. لذلك ادرك تماما ما يعانيه من شعور الذنب والاحساس بوجود التقصير .."

اقترب شاهر ليلثم جبينها بفخر ابوي خاص ثم قال بنبرة بعثت الطمأنينة في قلبها

" انت فخره وفخري انا ايضا يا صفية .. صدقيني قوتك هذه هي الصخرة القوية الثابته التي يستند عليها ماهر عند المحن فإياك ان تظني انك لاتساعدينه حقا .."

همست صفية بحشرجة

" لااحتمل ان اراه بهذه الحالة ابي .. انه غاضب .. غاضب جدا في داخله .. ولايتكلم كثيرا عن شعوره الآن حول ما حصل.. فقط يحصر الكلام في التناقش حول حالة فاطمة ومدى تحسنها .. "

قال شاهر بهدوء " نحن نفعل ما نستطيع لمساعدته .. لكن عليه هو ايضا ان يساعد نفسه .. الحياة تجارب لاتحصى تطوعنا لنرضى بحلوها ومرها .. فنكتشف اسوأ وافضل ما فينا .. وفي كل تجربة نكون في اختبار .. الى اي مدى قادرون لنروض الاسوأ وننمي الافضل .. او ربما .. نفعل العكس ! "

صمتت صفية وعيناها تسرحان ناحية الباب مرة اخرى وكأنها تنتظر دخول ماهر لتعرف اين ستقوده اختباراته الصعبة مع الحياة ..

اتسعت عينا ماهر قليلا وهو يتلقى الخبر المفاجئ ..

ثم سأل بهدوء " هل تأكدت انه مات فعلا ؟"

رد الرجل " نعم سيدي .. لقد مات حتى قبل وصوله للمستشفى .. اخو تغريد لم يفلته من قبضتيه حتى ازهق روحه .. حقيقة لقد فاجأنا جميعا كيف وصل اليه ! "

فيسأل ماهر ببعض التعجب " وكيف وصل اليه حقا ؟! اقصد كيف علم انه تم احتجازه في ذاك المخفر بالذات..؟"

فسر الرجل مخمنا حسب اعتقاده

" المرجح انه كان ينتظر عودة رائد لمحل سكناه في ذلك الحي المشبوه .. ربما كان يراقب كل يوم متوقعا عودته .. لااعلم .. أظن انه كان قريبا عندما قبضت الشرطة على رائد وبعدما تم ايداعه الزنزانة لترحيله صباحا للنيابة العامة دخل اخو تغريد المخفر وسلّم نفسه كقاتل لاخته .. الضابط هناك مؤكد لايعرف تاريخ العلاقة بين تغريد ورائد ولذلك اودعه نفس الزنانة فحصل ما حصل .."

تشنجت عضلات وجه ماهر ثم قال بشراسة

" لقد نال اقل من جزائه حتى .. العرض والشرف خط الاحمر لأي رجل حر .. "

لم يرد مساعده بشيء بينما ينهي ماهر المكالمة وملامح وجهه تسترخي قليلا ..

بعد دقائق عاد ماهر للصالة فجذب نظره اولا وقفة ملفته بين ظافر ومحمود ..

بدى محمود صامتا بينما ظافر يتكلم بتركيز ..

رغما عنه داعبت ثغره ابتسامة بينما يتساءل في سره عن سر تأخر وجه العبوس

وقد قالت ستلحق بهم فيما بعد وبسيارتها الخاصة ...

بدت مرتبكة وغامضة في آن واحد حتى ظنها انها قد لاتأتي كما تفعل غالبا في دعوات عائلية كهذه بوجود محمود على وجه الخصوص ..

تحرك بخطواته متوجها ناحية عمه بلال الذي يستمع بانتباه شديد لحديث طه ..
اتسعت ابتسامته وهو يفكر ان اثنان فقط يستمعان لافكار طه بهذا الانتباه الشديد..
الخالة نادية بالتأكيد ثم العم بلال ..
كم هو رجل من نوع خاص لم يلتق ماهر بمثله او شبيه له حتى الآن ..

يشعر احيانا ان في يده مفتاح الحياة وان النادرين امثاله من يعرفون فقط كيف يستخدمون ذاك المفتاح لفتح ابواب لن تغلق ابدا في وجه طارقيها ...

تباطأت خطوات ماهر قبل ان يصل للركن الذي يقف فيه العم بلال مع طه عندما لمح حركة غير متوقعة لفاطمة وهي تسير بخطاها نحو ... محمد ...

وجهها يشحب مع كل خطوة لكنها متماسكة رابطة الجأش تواجه نظرات محمد لها بشجاعة ...

ومحمد بدى وكأنه كان ينتظر تلك الخطوات منها بلهفة تشع من عينيه ...

وبقدر ما يخشى ماهر عليها من مواجهة محمد خاصة في محيط العائلة حيث الضغط عليها اكبر بقدر ما يبغي ان تواجهه وتتعامل معه وهي مرفوعة الرأس..

هستيرية رفضها حالما علمت بطلب محمد للزواج منها كانت مجرد ثورة آنية كردة فعل أولية وقد كانت وقتها بقمة الضعف والاحساس بالمهانة .. لكن بعدها وكما توقع ماهر بالضبط فانها تجاهلت التكلم بالموضوع لاعطائه رد صريح يوصله لمحمد وهو تجاهل سؤالها حتى يعطيها مساحة لتهدأ وتفكر وتحلل دون اي ضغوط لتختار ما يناسبها وتتخذ قرارها عن قناعة ..



ليس محمد فقط هو الواقع في هواها منذ الصغر ..

هي ايضا تهواه وكانت تنتظر نظرة منه قبل ان يحصل ما حصل مع الحقير خالد..

منذ فترة طويلة وماهر يشعر بمشاعرها تلك .. وهو كان بانتظار اللحظة التي سيقرر فيها محمد ان يطلبها للزواج ...

كان يعلم ان ابن عمته في النهاية سيعرف كيف يجد الطريق الصحيح ليرضى بفاطمة كما هي ...

أكمل ماهر خطواته نحو وجهته الاولى فيشترك في الحديث مع عمه بلال وطه بينما ذهنه في قمة التوقد والتوجس

والاستعداد يراقب بطرف خفي فاطمة وهي تقف قبالة محمد ...

اخذ محمود يشد شعره ولسانه عاجز عن التعبير ليقول بنزق

" ظافر .. انا لااستطيع الشرح لك ..حصلت بعض الامور تجبرني ان ابتعد عنها الآن "

سأل ظافر عابسا

" لماذا لاتخبرني بما حصل بينكما ؟ هل صارحتها بمشاعرك ؟ هل اخبرتها عن رغبتك بالزواج منها ؟"

رد محمود بانفعال مكبوت وهو يخفض صوته حتى لايسمعه احد

" نعم ظافر .. نعم فعلت .. اقصد اخبرتها بمشاعري بكل الطرق الممكنة لكن .. لم أصل لنقطة الزواج لانها ببساطة .. تتلاشى من امامي .. تهرب كعادتها كلما اقتربت منها ، لكن هذه المرة دفعتني بعيدا .. ولاافهم لماذا .. لكني اشعر بالألم لانها دفعتني بهذه الطريقة .."

أزاح محمود وجهه جانبا وكأنه يخفي حقيقة ألمه ليس عن ظافر فحسب بل عن نفسه ايضا ..

أجل انه يتوجع من كل ما فعلته زينب معه..

يتوجع لانها ترفضه ولانها لاتثق به كفاية ولانها تدفعه ليجن ويفقد اعصابه ويتصرف بطريقة تنافي كل ما تربى عليه فيقتله شعور الذنب لانه تجاوز الحدود ولانه .. رغم هذا .. يعاني ومذاق شفتيها عالقا لايتركه بحاله..

ضاقت انفاسه وهو يصارع الاحساسين معا فقال لظافر بتحشرج وهو يفتح زرين من ازرار قميصه العليا " انا اشعر بالاختناق .. سأخرج لبعض الوقت ثم أعود وقت العشاء.."

ناظره ظافر لبضع لحظات قبل ان يقول بتفهم " اذهب .. انا سأغطي اختفاءك وسأبعث لك رسالة على الهاتف لتعود .."

هز محمود رأسه ثم انسحب دون اثارة انتباه احد بينما يتوجع قلبه من جديد لانها .. لم تأتي هذه الليلة وكأنها تؤكد حقيقة رفضها التام له ..

الى متى سيصبر عليها هذه الحمقاء ؟!

كم يتمنى ان يثير جنونها لتقترب منه بدلا من ان تختار الهروب ..

وربما سيفعل ليعذبها كما تعذبه ....!

همس محمد لنفسه وهو يتطلع للاعلى نحو عينيها الخضراوين المرتبكتين الحائرتين

" دوما حيرة قلبك قتلتني .."

ابتسم لها فازداد شحوب وجهها مع ارتباك عينيها لكنها لم تبعد نظراتها عن عينيه وهي تقول بشجاعة

" مساء الخير محمد .. كيف اصبحت الآن؟"

اتسعت ابتسامته والتمعت عيناه بالكثير وهو يرد عليها بنبرة دافئة تفيض بالشقاوة

" يكفي انك سآكل الليلة .."

اخيرا جعلها تتورد ! لقد تذكرت ما قاله لها قبل ايام .. انه لن يأكل لقمة ان لم تكن موجودة ..

عيناه انجذبتا لعنقها وهي تبتلع ريقها بوضوح ثم تقول بثبات

" انا أتيت لاجل ماهر .."



رفع حاجبا واحدا وهو يقول بصوت مبحوح رقيق " بالطبع لاجل ماهر .. وهل قلت شيئا اخر ؟! تفعلين لاجل غيري لكن انا هو المستفيد الاكبر .."

عبست وبدت في عينيه كطفلة محببة .. حبة سكر متمردة على حلاوتها ...

(آه يا قلبي من حلاوتها تلك ..)

رددت بنفس العبوس وهي توشك على الالتفات لتتركه

" عن اذنك .."

استدارت حقا بينما هو يحاول النهوض مستندا على عكازه مناديا اياها

" لحظة .. آآآه .."

تأوه متوجعا مما جعلها تعود اليه لتقول بقلق وهي تمسك ذراعه عفويا

" هل انت بخير ...؟ "

كان يلهث من الوجع في جرحه ومن لمستها لذراعه وهي تساعده ليسترخي في جلسته..

اخفى ابتسامة نصره الصغير وهي تجلس جواره بينما ينحني برأسه للامام مستندا بجبهته على عصاه ..

اذن هي لاتأتي الا بالخداع .. ولاتخرج من كهف اعتزالها الا بالمحايلة !

فاجأها بالقول وهو ما زال مستندا بجبهته على عكازه

" ألم تجدي عسلية ؟"

سمع نبرة صوتها الملهوف وهي تسأله بحزن

" كيف علمت انها تاهت ؟!"

التفت بوجهه جانبا ناحيتها فيستند هذه المرة بصدغه على عكازه ثم يقول بصوت أجش وعينين لامعتين

" لانها أتتني .."

نظرت اليه بتشكك وهي تتساءل

" أتتك انت ؟!! "

فرد بابتسامة عابثة رقيقة " نعم .. قرعت باب قلبي ذات ليلة وانا ادخلتها .."

تجمدت نظراتها لتهب واقفة على قدميها وجسدها الرقيق يرتعش امام ناظريه لتقول بهمس حاد

" محمد ارجوك .. لاداعي لهذا الاسلوب.."

لم يظهر اي استياء من ردة فعلها بل وكأنه لم يسمع منها شيئا وهو يتطلع للاعلى ناحيتها فيسأل ببساطة وابتسامته الجذابة لاتفارق شفتيه

" الا تريدينها ؟ انها معي في السيارة .."

تنهدت وهي تسأل بتشكك ونبرة جافة

" هل انت جاد ام ..؟ "

رد ببراءة تناقض شقاوة عينيه

" نعم اقسم لك .. انا لم احضرها لبيت عمي شاهر لان خالتي نهى تتحسس من القطط كما تعلمين .."

بدت مرتبكة مرة اخرى ثم اخذت تتطلع حولها بشكل خاطف وهي تهمس

" حسن .. سأطلب .."

فيقاطعها بحزم رقيق وهو يستند على عكازه بتمهل ليقف على قدميه

" تعالي لاسلمها لك .."

لم يغفل عن ترددها لكنه تجاهل الامر وهو يسير بخطواته مبالغا بعض الشيء في اظهار صعوبة مشيته !

لحقت به فاطمة وهي تشعر بالتوتر يسيطر عليها .. لكنها عاهدت نفسها لن تتراجع ..

لن تخاف شيئا او احدا ..

تبعت خطواته بصمت بينما تتشاغل عن مراقبة بعض افراد العائلة لها ..

كانا يغادران باب البيت الرئيسي عندما خرج ماهر من باب الصالة لاحقا بهما ..

تحرك ليصل منتصف الطريق لباب البيت عندما سمع صوت عمته نجلاء تناديه

" ماهر .. ماهر .."

التفت ماهر اليها وذهنه مشغول يريد ان يلحق بمحمد وفاطمة .. رغما عنه يشعر بالقلق على فاطمة .. هو لن يتدخل لكنه سيراقب من بعيد ويحميها عند الحاجة ..

نظر لعمته التي سارعت لاغماض عينيها وهي تضع يدها على جبينها وكأنها تشكو من وجع رأس ..

اقترب منها ماهر وهو يسأل باهتمام

" هل انت بخير عمتي ؟"

فترد وهي تترنح ويدها الاخرى تبحث عما يسندها " اه ماهر بني .... امسكني .. اظنني سيغمى علي .."

عبس ماهر قليلا وهو يسند عمته ..

لم تكن يوما ضعيفة البنية كحوراء .. على العكس انها نشيطة وتحب الحركة وقليلة النوم .. بضعة ساعات تكفيها ..

تمتم ماهر بقلق اكبر

" ماذا حدث لك عمتي ؟ هل اخذك للمستشفى ام احضر لك الطبيب ؟"

من طرف خفيّ رمقته نجلاء بنظرة تشع بالحيلة والدهاء لترقق صوتها اكثر وهي تقول

" لا بني .. فقط خذني للمطبخ .. لدي هبوط حاد بالضغط كما اظن .. احتاج فقط لبعض .. السكر .."

وكان لها ما ارادت ...



على قارعة الطريق منتصف المسافة بين بيت ماهر الغازي وشاهر الغازي تقف سيارة فضية باهته في لونها وطرازها بينما سائقتها ذات البنطال الاحمر تجلس القرفصاء جنب احد اطارات السيارة المثقوبة وهي تحاول فكه لتبديله بالاطار الاحتياطي ..

الدموع تتجمع في عينيها وهي تشعر بالتعاسة تماما لكن العناد متمكن منها فلن تتصل باحد ليشهد اذلالها في هذا الموقف ...

تأخرت باختيار الملابس حتى استقرت على بلوزة سوداء صيفية مع بنطال احمر لم تلبسه في حياتها منذ اشترته لها اختها صفية قبل عامين ثم تأخرت اكثر وهي تحاول رفع شعرها الطويل الكثيف في عدة تسريحات حمقاء فتمرد شعرها عليها ورفضها لينتثر اكثر من مرة على كتفيها !

لكنها كانت الليلة اكثر تمردا وعنادا..

فاجبرت شعرها على تقبل تسريحة من عدة لفائف ثبتتها للخلف بدبابيس شعر خاصة..

ومع كل تأخرها كانت تقود بتهور عندما انثقب الاطار فجأة وفقدت السيطرة للحظات على السيارة قبل ان تعاود السيطرة عليها وتوقفها على جانب الطريق السريع ..

وها هي ببنطالها الاحمر السخيف ولفائف شعرها التي انحل اغلبها لتتساقط الخصل على ظهرها وكتفيها وكأن كل شيء حولها تآمر عليها ليسخر من حالها ويثير غيظها اكثر ..

اخذت تشد بالعتلة الخاصة لتحاول فك الاطار الذي استعصى عليها وهي تهمس بشراسة

" مؤكد ان ذاك الغبي البارد ارسل باقة من لعناته الخاصة ليجعل يومي سيئا من اوله لآخره .. "

فجأة تضببت الرؤيا امام عينيها فادركت ببساطة ان الدموع تملؤهما ..

شهقت بالبكاء واخذت تسيل الدموع وهي تمسحها بعنف عن خديها لترمي العتلة ايضا وتميل برأسها لتستند على هيكل السيارة وهي تبكي بحرقة ولوعة تختزنها في قلبها منذ اسبوعين ..

لقد كانت تختبئ بمصاب فاطمة .. كانت تقنع نفسها انها تستطيع نسيان ما حصل بينها وبين محمود وكأنه لم يحدث ..

لكنها لاتستطيع كما لاتستطيع نسيان عشق احمق تملك قلبها رغما عن انفها..

اجل انها تريده .. تريده لها .. تريده ان يجن بها عشقا وغيرة وتملكا ..



تريده ان .. ينتصر على كل مخاوفها المرضية من الفروق بينهما ... ان .. ان ..

" زينب ؟! ماذا تفعلين هنا يا حمقاء ؟! "

أجفلت بقوة وهي ترتد لتقع على مؤخرتها فتتحرر اخر لفائف شعرها وهي تتطلع عاليا جدا لقامته العضلية التي تشرف فوقها ..

عيناها متسعتان من الصدمة وهي تحدق فيه بذهول .. لاتتبين تعابيره وانارة الشارع خلفه مباشرة تجعل ملامحه مظلمة ..

ولو تبينت تعابيره لهلعت !

انه يغلي وهو يحدق فيها بجمالها الذي يراه لايضاهى في هذه اللحظة ...

وجهها الباكي بلطخات سوداء كان يشع جاذبية وبدى ذاك الوجه بتعابيره المذهولة مجنونا شرسا بدائيا مع خصل شعرها التي حاوطته في ثورة انثوية ..

عيناه خلعتا قلبه وهما تتركزان على شفتيها المطليتين باللون الاحمر ..

هذه المجنونة ستقتله ... كيف تنجح دوما بالهروب منه كما تنجح في شده اليها اكثر واكثر ...

اقترب وهو يتماسك ويرتدي قناع البرود ثم انحنى بصمت ودون سابق انذار كان يرفعها من خصرها حتى وقفت على قدميها شاهقة ...

الصمت امتد بينهما ووجهه يقابل وجهها ..

عذاب صرف النظر لشفتيها الآن والاشد عذابا اي يكون على بعد بضع سنتيمرات من ان يغمر وجهه في خصل شعرها الفاتن لكنه .. لايفعل ..

سيموت مرة جديدة وهو يمنع نفسها ...

حرر خصرها واسبل اهدابه ثم قال بصوت أجش غامض دون ان يبتعد عنها

" سأغير انا لك الاطار .. "

كانت تهز رأسها بـ(نعم) وهي ما زالت عاجزة عن النطق ..

قلبها يقرع في صدرها ويشل عقلها عن التفكير او المبادرة لفعل اي شيء ..

رأته كيف ابتعد وابتدأ يفك الاطار بسلاسة اغاظتها .. مضت الدقائق بطيئة وهي تقف حيث هي ..!

وعندما انهى كل شيء وضع الاطار المثقوب في صندوق السيارة الخلفي ثم اقترب منها وهو يمسح يده بخرقة قائلا بنبرة غامضة

" قودي سيارتك وانا سأكون خلفك .. قد يُثقب الاطار الاخر ولن نجد في هذا الوقت من يصلحه .. فقط انتظريني بضع لحظات لان سيارتي على الجانب الاخر .."

للمرة الثانية تهز رأسها كـ(غبية) ثم تتحرك ناحية باب السائق ومحمود يحدق في تلك الخصل التي غطت ظهرها

بالكامل حتى فتحت الباب واعتلت مقعدها وعندها كاد يمزق الخرقة بيديه لكنه اكتفى ان يرميها ارضا وهو يحني رأسه ويتحرك بخطوات متشنجة ليعبر الشارع حيث ركن سيارته ..

بيت شاهر الغازي ..

التف محمد الى الناحية الاخرى المعاكسة لجهة المرآب بينما تلاحقه خطوات فاطمة وهي تتساءل بضيق

" الى اين تأخذني يا محمد ؟! لِمَ لم نذهب للمرآب حيث السيارة ..؟ "

ما زال يواصل سيره البطيء ناحية الحديقة الخلفية وهو يقول بابتسامة لاتراها فاطمة

" هل تتهمينني اني احبس عسلية في سيارة مغلقة ؟! انا كنت امازحك فقط .."

تأففت فاطمة وهي تلامس شعرها باضطراب

" اذن اين هي ..؟"

رد بغموض وهو يدخل الحديقة

" انها تلعب في حديقة واسعة وان كنت اظنها نائمة الآن .."

ثم أدعى الألم وهو يقترب من احدى موائد الحديقة الانيقة ليتكأ على ظهر كرسي قبل ان يتحرك ليجلس عليه متأوها

" آآه .. دعينا نجلس قليلا .."

لكنها تجاهلته واخذت تنادي هنا وهناك على قططها

" عسلية .. عسلية .."

يتلاعب براحة كفه فوق اعلى عكازه ثم يسترخي في كرسيه ويراقبها بعينين نصف مغلقتين وابتسامة ذائبة وهو يراها تفتش بين الاشجار وبعض المزروعات ..

اقتربت منه وعيناها الجميلتان جزعتان لتقول بقلق وعتب

" انا لااجدها ! لماذا تركتها هنا يا محمد ؟ ربما خافت وهربت للشارع .."

اشار لها بيده وهو يقول بصوت مبحوح

" اقتربي يا حبة السكر .."

كانت على بعد خطوتين منه لتتجمد ملامحها وهي تقول ببعض الخشونة " محمد لايحق لك مناداتي بـ .. بـ.."

قاطعها وهو يقول بثقة وعذوبة

" يحق لي واكثر ... اياك ان تنكري ان عروة ارتباطنا باتت لاتنفصم "

يستطيع رؤية كل موجات الشحنات التي تحيط بجسدها النحيل المتحفز .. يستطيع ان يرى ويشعر ويمتصها ايضا لو مضت الامور كما يريد ...

قالت له ببرود وهي تقترب خطوة متشنجة منه

" انت تأخذك العاطفة محمد .. وهذا يفاجئني لاني اعرفك تحكم عقلك دوما.."

ابتسم بجذل قبل ان يشير للكرسي القريب منه وهو يقول

" اجلسي جواري فاطمة .."

اقتربت اكثر وباتت قبالته تماما وهي تقول بنوع من التحدي

" انا لاانفعك محمد .. مهما قلت وحاولت اقناعي به فأنا لاانفعك الآن .. ليس بعد ما حدث .. "

لم تهتز شعرة فيه بل حتى ابتسامته حافظت على رونقها وعذوبتها بينما يرد عليها بالقول الذي يحمل انفعالا عاطفيا خاصا " في يوم ما سأكون أكثر راحة لاحكي لك الكثير الكثير مما لاتعرفينه .. سأخبرك بكل يوم وساعة عشتها منذ رأيتك لاول مرة وانت في الثالثة عشرة .. عندها فقط قد تفهمين ..."

عيناه تتحركان على طول قامتها بنظرة لاتوصف .. وكأنه يقيس كم شبرا استطالت منذ رآها لأول مرة ..

نظرته كانت حميمية جدا دون ان تكون وقحة بجرأتها ..



همست وهي تأبى التراجع خطوة للخلف

" انت متعجل بشكل مخيف .. تريدني ان اقترب منك ببساطة وانسى ذلك اليوم من حياتي.. "

رد متسائلا بخفة وهو يميل برأسه جانبا

" من قال اني متعجل لاقترابك مني ؟! على العكس اريدك ان تسترخي تماما ولاتفكري بأي ضغوط للاقتراب .. "

اتهمته بعنف وانفعال

" لكن انت تقترب .. تقترب جدا وهذا يتعبني .. "

قال بصوت مبحوح وهو يتطلع لوجهها

" ليس اقترابي من يتعبك يا سكرية الملامح .. انت تخشين مني الابتعاد بعد الاقتراب .."

ثم اسبل اهدابه وأمال عكازه حتى لامس ظاهر كفها ليهمس بلوعة رقيقة

" آآه لو كنت أملك الحق فيك كما اشتهي لاثبت لك مرارا اني ملتصق بك حتى الممات ..."

ارتجفت كلها لتقول بهمس موجوع أفلت منها

" لاتذكر الموت مرة اخرى .. ارجوك محمد .. يكفي ما حصل .."

رفع عينيه لها وهو يسألها بجدية

" هل تخافين علي ..؟ هل ستحزنين حقا لو مت ؟"

تجمعت الدموع في عينيها لتتساقط على خديها وهي تهمس

" محمد ! توقف .. توقف .."

عندها قال بنبرة جمعت بين الرقة والحزم

" اذن كيف تريدين قتلي بيديك هاتين؟! كيف تحكمين بعذاب الفراق علي وعليك سكرتي ..؟ "

ما زال يلامس يدها بعكازه دون ان تشعر بحركته لتقول بشبه انهيار ودموعها لاتتوقف

" افهمني ارجوك .. انت لاتعرف كيف اشعر .. لاتعرف كيف اجاهد لاتماسك امامك وادعي ان ما حدث .. ما شهدته انت بنفسك على ما حدث .. انما هو مجرد محنة عابرة وساتجاوزها .."

قال وعيناه تشعان بالقوة

" وانا سأتجاوزها معك .."

اخذت تهز رأسها رفضا بينما تقول له بشراسة

" لا محمد .. لا ... انها محنتي انا .. انت ستظل تنظر الي كناقصة لا أصل لمعايير ما ترتجيه ... سأظل فتاة بماض ملوث .."



اخذت تلهث قبل ان تضيف بنار روحها الموجوعة

" هل تنكر انك في قرارة نفسك تحملني بعض الذنب لما فعله خالد معي ؟ هل تنكر انك تتهمني في داخلك اني شجعته باسلوبي المتراخي في التعامل معه ربما ؟!"

رد بنفس الهدوء والقوة

" كلنا نرتكب الاخطاء يا فاطمة .. بعضنا يكون محظوظا لتدارك الامر قبل ان يخسر كل شيء .."

وقبل ان ترد عليه اضاف موضحا

" انا اتكلم عن خطئي وليس خطئك انت.. انا اوشكت ان اخسرك لاني اخطأت التقدير في مدى احتياج حياتي لك .."

تحدق فيه وانفاسها المتسارعة تخنق كلماتها ليضيف بوعد عاطفي

" لكني لن اخطئ مرة اخرى .. هل تسمعينني فاطمة .. لن أخطأ مرة اخرى .. انت في الواقع من لاتفهمين .. "

وقف على قدميه مستندا بعكازه يواجه عواصفها الداخلية بالمزيد ليهمس بصوت رجولي وهو يقترب جدا متنشقا عطرها

" لاتفهمين اني متيم ! متيم متيم متيم ... بقلبي وعقلي وكل جوارحي .. لااريد في هذه الدنيا الا انت .. وعندما اقول اريدك فانا واع تماما لما اختار .. لست برجل لايعرف نفسه .. انت مني وانا منك .. والنقص بي وبك .. اكمليني فأكملك.."

اتسعت عيناها بشدة فكأنها ملأت وجهها الصغير ..

وجهها كالقلب .. قلب قلبه هو ...

ابتسم فجأة وهو يغمزها بشقاوة هامسا

" اريد ان اعتذر .."

تمتمت بتشوش

" ما ...ماذا ؟!"

قال وروحه تضم روحها

" لقد خدعتك ببراءة .. عسلية تسرح وتمرح في حديقة بيتنا .."

ارتفع حاجباها وكأنها لم تستوعب ليضيف بحلاوة

" لاتغضبي مني يا حبة السكر .. احتاجها ليلة اخرى بقربي .. وأعدك .. غدا ان شاء الله سأحضرها لك بنفسي .."

صوت وصول اكثر من سيارة جعل محمد يتنبه لينظر في ساعته ويقول

" هيا بنا .. مؤكد هذا وقت العشاء .."

هذه المرة كان هو من يتبع خطوات فاطمة وقد بدت في عالم آخر ..

ظهر اليوم التالي

الجامعة

لماذا وكيف قضى خالد الرابح نحبه..؟!

سلالة ال الرابح تنقطع بمقتل اخر من حمل دماءهم .. فمن هو المسؤول ؟

هل مات خالد الرابح نتيجة صراع مع شاب ثري اخر على فتاة اجادت اللعب بهما معا ؟!

شاب وسيم بصحبة بضعة اصدقاء يقرأ لهم ما استنسخه بنفسه كمقالات في احدى الصحف الالكترونية الصفراء ...

شاب يحمل حقدا من نوع طفولي ساذج لان (الفتاة المعنية) بالامر رفضته أكثر من مرة ...

ابتسامة تشفٍ على فم عدي وهو يقرأ المزيد من الجمل الرنانة ذات المعاني الوضيعة بينما اخذ المزيد من الطلاب يقتربون منه في احدى حدائق الجامعة حيث يتجمع اغلب الطلبة ..

بضع فتيات وجدن الامر مسليا لينضموا اليه بينما عبست اخريات امتعاضا لكنهن لم يتدخلن ..

من بعيد التقط عدي هيئة فاطمة وهي تتحرك بمشيتها الجادة وملامحها التي باتت جامدة مصطنعة مفتعلة ...

حسن ليس بعد الآن ..

تدعي الشرف وهي لم تكن الا لاهثة لعريس غني كزوج اختها الذي انتشلهم من الفقر ...

تقدم منها وهو يحمل اوراقه مخبئا الاهم بين تلك الاوراق بينما لحق به بضع طلبة اخرون يبتغون متعة المشاهدة ...

وقف في طريقها ينظر اليها بابتسامة حقيرة فتنظر اليه فاطمة ببرود وهي تسأل

" ماذا تريد عدي ؟"

اتسعت ابتسامته وهو يرفع الاوراق امامها ويقول بتحد " مجرد رأيك بهذا الكلام المنشور على شبكات الانترنت هذا الصباح.."

اتسعت عينا فاطمة وشحب لونها وهي تطالع الكلام المبطن الذي يفوح برائحة الفضائح المبتغاة من امثال الانذال هؤلاء..

سأل عدي ممعنا في احراجها " اليس خالد الرابح خطيبك السابق الذي تركك وسافر ليكمل دراسته في الخارج؟ ترى ماذا حصل ليعود ويجن جنونه هكذا ؟ هل هناك شك ان الفتاة هي انت والثري الآخر قريبك .. او .. قريب زوج اختك .. محمد الناجي ؟"

ابيضت شفتا فاطمة وبضع حبات عرق تجمعت على جبينها وفوق فمها ..

قواها تخور لكنها لم تستسلم لتقول بنبرة ثابته " ابتعد عن طريقي.."

قال احدهم وهو يشعلل وهج الحوار

" اتركها ولا تحرجها اكثر يا عدي .."

ردت فاطمة بعنف

" لاشيء هنا يحرجني.."

حاولت التحرك لكن عدي يتحرك معها يمنعها والشباب اعجبهم الامر وهم يحاولون الالتفاف حولها ومحاوطتها ..

ارتفع صوت احدى الفتيات وهي تنهرهم بغضب " دعوها وشأنها .. انتم تعرفون انها مجلة من تلك المجلات الالكترونية الصفراء التي تبحث عن الفضائح .."

فيقول عدي بسماجة وهو يرفع صوته عاليا

" وربما هي مجلة لايستطيع ماهر الغازي وقف ما ينشر فيها كما فعل مع الاخريات المشهورات .."

فتاة اخرى اقتربت وتبدو انها تعرفه لتقول بحدة

" اتركها وشأنها عدي .. عار عليكم جميعا ما تفعلونه .."

اخذ الجميع يتبادل الكلام الخشن بينما فاطمة تشعر برغبة هادرة ان تصرخ علو صوتها لكن الصرخات ملجومة مسجونة فتخنقها وتوشك ان تفقدها الوعي ..

حاولت ان تتحرك مرة جديدة وخطواتها تترنح لكن عدي لايمنحها الفرصة وهو يوقفها ويصرخ بها رافعا الاوراق امام وجهها مرة اخرى " اقرأي ما قيل هنا يا شريفة وعفيفة وصعبة المنال واخبريني ان الفتاة المعنية ليست انت .."

اخذت تترنح بالفعل والدنيا تظلم قليلا من حولها فيضيف عدي بمزيد من الحقد

" انت تتصببين عرقا ! هل هذا من الاحراج ام ربما من الشعور بالذنب .."

تمتمت فاطمة بشجاعة وعيناها تومضان رغم حالتها الصعبة " انت .. مريض بائس .."

جن جنون عدي واختفت روح الفكاهة حتى من الشباب الذين رافقوه .. حاولوا امساك ذراعه وهم يهدئونه ويطلبون منه التوقف الا انه دفعهم وهو يستخرج ورقة محددة من بين الاوراق ليشهرها في وجه فاطمة وهو يصرخ

" انا مريض ؟! ايتها الحقيرة القذرة .. انظري لوجه ضحيتك .. انها صورة مسربة من محاضر الشرطة التي تم غلقها باحكام .."

كل شيء حولها اختفى في لحظة وهي تحدق في الصورة ... انه ... خالد .. جاحظ العينين فاغر الفم ممدا بجانب جسده على تلك الارضية وهو .. ميت .. ميت ..ميت..

انفصلت عن الواقع .. فقدت الاحساس بالزمان والمكان الحالي .. وعادت لتعيش بعنف تلك اللحظة ...

كان كل شيء جنونيا وهي تصرخ وتصرخ دون وعيها ..

خالد اصبحت له عشرات الايادي وهي تلامسها في كل مكان من جسدها ..

اخذت تصرخ اكثر وهي تضرب بعنف وشراسة كل ما يلمسها ..

حتى ارتطم وعيها بصوته

" حبيبتي ... حبيبتي .. انا هنا .. تماسكي فاطمة .. توقفي عن الضرب .. اهدئي.. لاأحد سيؤذيك .. انا هنا .. "

سكن جنونها وغامت عيناها فيستكين جسدها بين ذراعيه ..

تحدق بضبابية في عينيه ثم تهمس اسمه

" محمممممد .. "

ليهمس لها بصوته الواثق القوي

" فداك محمد .. لن افلتك ابدا .."

اسبلت اهدابها مبتسمة ثم استسلمت للظلمة اخيرا ...

مؤسسة الغازي – الناجي

تسير في اروقة المؤسسة وتشعر بالتيه اكثر مما شعرته في كل حياتها ..

ليس التيه فحسب وانما شعور قاتل انها .. تخسر .. وربما خسرت اهم مواجهة لها في حياتها ..

البارحة بعد ان ساعدها محمود في تبديل اطار السيارة ثم لحق بها حتى بيت العم شاهر .. بعدها .. بعدها كل ما فعله هو التباعد !

بل انه حالما تناول طعام العشاء مع العائلة غادر مباشرة مدعيا انه مرهق !

حتى عمها آسر التزم الصمت ولم يسأل شيئا...

يجعلونها تشعر ان بيدها كل شيء والواقع انها لاترى الا سراب امانيها التي لم تمسكها يوما بيدها ...

البارحة كانت تريد فعل شيء .. حقا ارادت فعل شيء .. لم تعرف ما هو .. لكن كلام عمها آسر شحنها وبث فيها روحا لم تتصورها في نفسها يوما ..

ارادت لاول مرة ان تبدو جميلة .. ان ترى نفسها كانثى تتزين امام من تعشق وتنتظر منه (انهيارا عاطفيا) !



لكن كل ما حصلت عليه موقف من اسوأ مواقف الاحراج التي تعرضت لها ..

عندما وصلت لبيت عمها شاهر ودخلت الحمام لتغتسل هالها منظر وجهها الملطخ بالسواد وشعرها المشعث ولم يبق من اللفائف الغبية الا واحدة !

" زينب ..."

على صوت عمران استيقظت زينب من غيبوبة افكارها عن ليلة الامس الشنيعة فتواجه واقعها وهي تنظر لوجه عمران الرجولي ..

انه يكبرها بثماني سنوات قد لايملك وسامة خاصة لكن له رجولته وفطنته وخفة ظله والاكثر .. انه يحبها حقا ..

شيء ما في عينيه لم تفهمه اليوم .. لكنه احزنها .. احزنها ومس قلبها فأوجعها..

فتحت فمها لتحاول ان تقول شيئا .. ان تفعل ما هو صحيح فأتت الكلمات متعثرة وغير مفهومة حتى لها ..

" انا يا عمران .. اعتذر .. صدقني لم أكن اعرف او اقصد .. انا كنت اريد حقا .. انا.."

ابتسم عمران فانعكست في ابتسامته نفس النظرة التي تشع من عينيه بينما يقترب منها فيقول " انت حقا انسانة ممتعة "



لم يتم جملته الا ولكمة موجعة على

فكه اوقعته ارضا ..

حدقت زينب بذهول في محمود الثائر

الانفاس بينما ينحني ليرفع عمران

المذهول هو الاخر ليزمجر محمود مهددا من

بين اسنانه

" قل لها (ممتعة) مرة اخرى وستكون متعة

قتلك من نصيبي .."

الفصل السابع عشر

لم تكن صدمة عمران وهو ملق بمؤخرته على الارض بأكبر من صدمة زينب نفسها !

الاثنان يحدقان وان كان كل منهما يحدق في اتجاه غير اتجاه الآخر ..

عمران يحدق في محمود الذي يزفر انفاسه كالثور المستعد لـ(نطحة جديدة) وزينب تحدق -فاغرة الفم- في عمران الذي لم يبدِ حتى الان اي محاولة للنهوض ...

اقترب بضعة موظفين يتساءلون بحذر عما جرى بينما تستعيد زينب ادراكها شيئا شيئا فتعود لارض الواقع وسط مؤسسة الغازي – الناجي..

وما ان التفتت جانبا وعيناها الواسعتان جاحظتان وسط وجهها حتى توجعت وقبضة وحشية تكاد تفتت مفصل مرفقها بينما يهدر صوت محمود بتهديد مباشر لعمران

" حسابنا فيما بعد .. رجلا لرجل ..وخارج جدران هذه المؤسسة .."

ثم انتزع زينب من وقفتها الهبلاء المتسمرة ليجرها جرا وكأنها مراهقة ضبطت بوضع مخل في احد أزقة الحي المظلمة !

داخلها يفور بمشاعر جهنمية تكاد تفقدها صوابها بل تفقدها وعيها بينما تناضل تلقائيا لتحاول التحرر من قبضة محمود وصوتها يخرج متحشرجا بجنون انفعالاتها

" اتركني .. اتركني .."

فيهتف بها وقد بدى اشد جنونا منها

" انت تحتاجين لاعادة تربية ! يقول لك (ممتعة) وانت تنظرين اليه كهبلاء بدلا من ان تصفعيه على وجهه .. ذلك الحقير .. دوما ضحكته الهلامية لم تعجبني .."

لم تشعر الا وهو يدخلها المكتب الرئيسي لاسر الغازي وهو يرعد بالكلمات

" سأحطم صف اسنانه حتى تتدلى شفته العليا داخل فمه ! "

دفعها بعنف لتدخل عبر باب المكتب الخاص الداخلي لاسر بينما تصرخ فيه زينب لاهثة وضفيرتها تلف حولها وكأنها سوط من نار " انت .. مجنون .. متهور .."

للحظات فقط رفع اسر وجهه عن الحاسوب الذي كان منشغلا بالقراءة فيه ثم مطّ شفتيه بلا اهتمام ليعاود القراءة وهو يتمتم ببساطة مبتسما بتفكه

" الجنون ورثه مني والتهور من والدته .. آآآه صغيرتي نجلاء المتهورة .."



لم يلتفت ايا منهما اليه ليغلق محمود الباب بضربة من يده ثم يتقدم منها وهي تقف وسط الغرفة ليقفا بمواجهة بعض امام مكتب اسر والنيران تتقاذف ككرات مجنونة عشوائية في كل اتجاه فتصرخ فيه زينب مرة اخرى تكيله مزيدا من الشتائم " انت غبي ولا تملك ذرة تحضر .."

فيرد عليها محمود بالصراخ ايضا

" تركنا لك التحضر يا قليلة الحياء ..
كيف تسمحين لذي الضحكة الهلامية ان ينعتك بـ(ممتعة)؟! "

يعاود اسر رفع وجهه وهو يتساءل بـ(براءة)

" حقا قال لها ممتعة ؟ الشاب يجيد النظر !"

الاثنان لايلتفتان لاسر بينما كلماته تصلهما فتشحنهما دون ان يشعرا فتهدر زينب

" لماذا لكمت عمران هكذا .. ؟ من سمح لك التصرف بهذه الطريقة الهمجية ؟
كونك محمود الناجي لايمنحك حق اهانة الناس والتعدي عليهم .."

فيرد محمود يستفزها بخشونة وهو يشير بيده ناحية خاله الذي عاد للاستغراق بما يقرأ " وكونك (بطته) لايحق لك استغلاله للاختباء خلفه .."

تشهق زينب بقوة بينما يرقق محمود صوته مضيفا بميوعة انثى مستفزة



" عمي عمي .. انقذني يا عمي .. ابعد محمود عني يا عمي .."

عندها فقط التفتت زينب لاسر وعيناها تقدحان شررا تتهمانه ضمنيا بـ(الخيانة) فيغمز آسر لها وهو يقول بمشاكسة مستفزة

" لاتنظري الي هكذا بطتي .. انه فقط جيد بتخمين الحوارات كخاله اسر "

قبضة (الغبي) الوحشية عاودت تفتيت عظام ساعدها هذه المرة وهو يقول بعينين نصف مغلقتين وشفتين مشدودتين بالاستبداد المجنون

" انا خطبتك من ماهر وانتهينا وارطمي رأسك باقرب حائط .."

تحاول نزع ذراعها منه بينما تصرخ فيه

" اتركني .. دعني قلت لك .. من سمح لكما انت وماهر بتقرير حياتي ..؟! "

لايفلتها وعيناه تقذفان حمم الجنون وهو يقول باستفزاز من بين اسنانه

" عندما تكونين مجنونة فاقدة للاهلية فعلى ذويك التصرف نيابة عنك .."

يمسك ذراعها الآخر وهو يعاود هزها مضيفا بحزم ونبرة قاطعة

" ساشتري اليوم حلقتيّ خطبة.. لي ولك .. ليعرف كل حدوده "



ارتفع حاجباها حتى كادا يصلان لحدود فروة شعرها ثم تفغر فاهها للحظات وهي تحدق في عينيه المشتعلتين اللتين كانتا بدورهما تحدقان في .. في شفتيها !

توقفت عن مقاومة قبضتيه لتشرس ملامحها وتطلق نيرانها الخاصة من عينيها وهي تتحداه بالقول

" تستطيع تعليقها في اذنيك كقرطين سيليقان بك جدا يا ابن الناجي .."

فيبتسم بشراسة مماثلة وهو يرد عليها

" او ربما ستفيداني يوما لاحشرهما في لسانك واقيد سلاطته ..!"

انفجر آسر ضاحكا من قلبه حتى سالت دمعتين من عينيه فيلتفت اليه الاثنان وهما يطلقان معا صوتا مزمجرا حانقا يشتعل من شدة الغيظ ..

دفعها محمود فجأة ثم استدار ليخطو مغادرا المكتب لكن آسر الضاحك ناداه وهو يتحرك من كرسيه ليجلس على حافة مكتبه قائلا بسلاسة تثير الغيظ

" محمود يا ابن نجلاء .. قبل ان تغادر لتعاود اكمال انتقامك من المسكين الكادح عمران يجب ان تعرف انه تقدم لخطبتها قبل بضعة ايام .. وبطتي الحائرة الكادحة لم تقل له (لا) .."

اتسعت عينا محمود في جنون صرف بينما يستدير ببطء .. عيناه المخيفتان مثبتتان على زينب التي تتسع عيناها هي الاخرى ما بين صدمة وخوف و... اثارة فرح لاتوصف .. أخذ يقترب منها بخطوات تتسارع والنوايا في نظراته لايمكن التكهن بها.. بدى وكأنه يوشك على صفعها او ربما لكمها كما لكم عمران ..

تتراجع زينب للخلف وهي تبتلع ريقها وتقول بتحد رغم كل ما يعتمل في داخلها من مشاعر عجيبة بالفرح المغيظ " اياك ان تقترب مني .. انا حرة .. لا انت ولا ماهر ستجبراني على شيء .."

وقف قبالتها مباشرة ليرفع قبضته المتشنجة امام وجهها فتغمض زينب عينيها رغماً عنها في رد فعل تلقائي وكأنها تستعد لتلقي (لكمته) ..

مرت لحظات لاهثة بانفاسهما المختلطة قبل ان تسمع همسه المتوعد الذي رجّ قلبها بين أضلعها

" تتحدينني زينب ؟! اقسم بالله العظيم.. قسم سأحاسب عليه امام رب العالمين يوم الحساب .. لن تتزوجي غيري ما دام في صدري نفس .. اهربي مني لسنة.. لسنتين .. لعشر .. لكنك لن تكوني لغيري ..ضعيها في رأسك المتحجر يا عديمة الاحساس .. اما انا .. او قبرك يا وجه العبوس ..

حتى لو مت قبلك سألاحقك كشبح ملتصق بك حتى اخر يوم في حياتك .."

فتحت زينب عينيها ببطء لتحدق في وجهه مصعوقة !

اختفى كل شيء حولهما بينما ينظران لبعض وانفاسهما تتسارع بعنف مشاعرهما المتداخلة المتفجرة ...

همس اخيرا بتصميم لم تره فيه يوما بينما قبضته ترتخي لجانبه " لااحد على الاطلاق مهما كان سيقف في وجهي .. انت لي .."

ثم استدار بحركة عنيفة وكأنه يصفعها لتستيقظ من غفوة الصدمات العاطفية المتلاحقة التي انهالت دفعة واحدة فوق راسها فترمش بعينيها بينما تراه يتحرك مبتعدا تاركا اياها ملتصقة بالحائط دون ان تشعر .. تراقب خروجه عبر الباب وهي تسمع صوت عمها اسر يأتيها من بعيد يتسلل بمشاكسة عبر دوي قلبها الرهيب

" الفتى قليل الاحترام يتحداني شخصيا ان اقف بوجهه ! .. امممممم لكنه اعجبني حقا .. ما رأيك بطتي ؟ الكادح ام المجنون الذي يتحداني ؟! "

عيناها تلمعان وركبتاها ترتعشان بل تتخبطان ببعض بينما تلتفت لتنظر بضبابية لوجه عمها آسر الذي ما زال على جلسته على حافة مكتبه .. متكتفا وهو يبتسم ابتسامة جانبية مستمتعة ..

لم تدرك ان جسدها ينهار منها حتى

استوعبت انها باتت تجلس على الارض

فساقاها لم تعودا تحملانها ...

اقترب منها آسر وهو يمد يده نحوها هامسا

بنبرة غريبة عليها وكأنه يتعاطف !

" تعالي بطتي .. انت على وشك التحليق ..

ومهما يكون خيارك فأنا سأكون مبتهجا

برؤيتك تبلغين عنان السماء .."

في السيارة ..

ينظر بتمزق داخلي خفي لارتعاش جسدها

وهي تجلس جواره في السيارة السائرة بهما

على طريق طويل لاينتهي ..

تسرح بعيدا عنه بنظراتها عبر الشباك

المجاور لها ولايعرف حقا بم تفكر ..

تتقبض يد محمد فوق رأس عكازه

المنتصب فيغمض عينيه ليستعيد تركيزه

الشديد وسيطرته الحديدية ...

لايصدق ما حصل امام ناظريه وعجز عن

منعه في الوقت المناسب ...

كان قد اتى خصيصا لجامعتها متحججا

باحضار (عسلية) لها كما وعدها ليلة

الامس .. حضر باكرا بسيارة اجرة فما زال

غير قادر على قيادة سيارته ولايحب فكرة

السائق الخصوصي ، تشعره بعدم الراحة ..

عندما وصل عند البوابة حاملا القفص الخاص بالقطة وجد سائق والدته ينتظر فاطمة كعادته كل يوم فوقف معه يهذران بالكلام بينما محمد يشرد عقله منه بين الفينة والاخرى فتشرد نظراته نحو البوابة الضخمة يبحث عن طيفها الناعم الرقيق والعم عبد الحكيم ينظر اليه مبتسما بتفهم ..!

لم يعد يهمه ان يرى العالم كله انه يعشق فاطمة ويسعى اليها .. لم يعد يهمه ان يجاهر بحقه فيها.. ان يجاهر بلهفته لرؤياها..

غصة قتلت انفاسه في صدره وهو يتذكر تململه من انتظار لم يطل حقا لكنه شعره اطول من العمر بأكمله ..

فاخذ العم عبد الحكيم قفص عسلية منه ليضعه على المقعد المجاور لمقعد السائق ثم حثّ محمد للدخول والبحث عن (الانسة فاطمة) لانها تأخرت -حسب زعمه- ..!

ابيضت مفاصل يد محمد فوق العكاز وتصلبت كل عضلة بجسده بينما يتذكر ذاك المنظر وبضعة شباب يحاوطون فاطمة التي بدت وكأنها تترنح !

عكازه لم يساعده كثيرا ليصل اليها بسرعة وقلبه مخطوف وغضبه يتفاعل ببدائية في اعماقه ..

عيناه تراقبان الموقف وهو يقترب بالكاد فيرى فتاتين معترضتين تحاول احداهما التدخل لتصل لفاطمة فيدفعها شاب بجسارة ووقاحة ثم فجأة احد الشباب ممن يواجه فاطمة ويحمل اوراقا في يده أبرز ورقة محددة بدت كصورة ثم .. يا الهي .. لو عاش الف حياة مع حياته لن ينسى ما حصل لفاطمة ...

الهستيرية العنيفة والضربات العشوائية ومحاضراتها تترامى منها ارضا وهي تضرب في كل اتجاه حتى اثارت ذعر من حولها ..

لم يشعر بنفسه كيف وقع العكاز منه فيتحرك بخطوات اوسع وقد بات ألم ظهره لاشيء امام ألمها الذي انتقل اليه في لحظة....

كان يتصبب عرقا حين تلقفها اخيرا واحتاج جهدا مضاعفا حتى يمسكها ويحاول تهدئة ثورتها بالكلمات عند اذنها وهو يحاوطها بكلتي ذراعيه حتى نظرت اليه وتلفظت باسمه لتشطره نصفين قبل ان يغمى عليها تماما وهو يعدها بروحه انه لن يفلتها ..

الشباب الذي كانوا متسمرين للحظات طوال انفضوا من حوله هاربين كجبناء ..



بينما اقتربت تلك الفتاة التي حاولت التدخل سابقا لتسارع الآن لاسناد فاطمة معه..

مضى الوقت بطيئا منهكا يكاد يشعر بظهره نابض بالألم وهو يسحب فاطمة بمساعدة الفتاة حتى اجلسها معه على مصطبة قريبة وما زالت فاطمة غائبة عن الوعي ورأسها ملق على صدره .. يناديها يصفع خديها بخفة لتصحو و تلك الفتاة هرولت لتبتعد للحظات ثم عادت تحمل قنينة ماء وعكازه الذي سقط منه ..

لم يلق بالا لعكازه بينما ياخذ قنينة الماء منها ليبلل وجه فاطمة فتستيقظ اخيرا بانتفاضة شاهقة وكأنه سحبها من لجة امواج عاتية كانت تصارعها حتى لاتغرق..!

" ما الذي احضرك اليوم ؟"

كان هذا صوتها يوقظه من افكاره حول ما حصل قبل اقل من ساعة ..

فتح عينيه ثم التفت اليها فيراها تنظر اليه بنظرة هادئة غريبة .. هدوء يناقض بشكل مقلق اهتزاز جسدها الذي لم تسيطر عليه حتى اللحظة ...

نفس النظرة عندما فتحت عينيها شاهقة بعد اغمائها فحدقت فيه اولا ثم في الوجوه حولها ثانيا لتنهض بترنح وهي تهمس

(" اريد العودة للبيت ..")



ولم يكن امامه الا مجاراتها بصمت فيستند على عكازه ويلحق بها بينما احضرت لها الفتاة محاضراتها التي تناثرت على الارض وبضع طلبة اخرين يراقبون الموقف ما بين فضولي ومتأسف ومستاء...

رد على سؤالها الهادئ وهو يحدق في خضرة عينيها " احضرت لك عسلية كما وعدتك ليلة الامس .."

التماعة حزن في عينيها فتتت قلبه لتزيح عينيها عنه وتنظر للامام الى حيث عسلية تنام قريرة العين في قفصها ثم تنتقل نظراتها للعم عبد الحكيم الذي لم ينطق بحرف او يتساءل عن اي شيء ..

أمالت رأسها وجذعها جانبا تستند للباب ثم تغمض عينيها وهي تهمس بنبرة غريبة امتزج فيها اليأس بالغضب

" ليتني اصبح مجرد قطة لاتثير اهتمام البشر ! بل ليتني اتضاءل اكثر واكثر عسى ان ينساني الجميع حتى استعيد قوتي لاواجههم كما يستحقون .."

اطبق محمد فكيه بعنف ملتزما الصمت لكنه كان يكلم نفسه ليسيطر على انفعالاته الهائجة

" كل شيء في اوانه محمد .. اصبر اصبر .."

مكتب ماهر الغازي

" هذا ما حصل سيد ماهر واعتذر اني لم اخبرك سابقا لكنه كان طلب زينب .."

يجلس ماهر باسترخاء على كرسيه مسبلا اهدابه ويخفي تعابير وجهه خلف قناع من الهدوء الغامض بينما يده مسترخية على سطح مكتبه الانيق تتلاعب انامله بثقالة الورق التي تتخذ شكل .. غزالة ..

ابتسامة صغيرة جدا داعبت ثغره وهو يلامس وجه تلك الغزالة ..

لم تكن هدية من صفية فليس هذا نوعها!

لقد كانت اختياره الخاص ليغيظ بها معشوقته كلما أتت لزيارته في مكتبه ..

وبالكاد ينجح في اغاظتها !

تمتم اخيرا وهو يقبض على (الغزالة) يغمرها براحة كفه قائلا

" هل علم محمود انك طلبتها للزواج ؟"

كان يشعر بتوتر عمران وبشيء آخر اقرب لخيبة أمل مريرة قبل ان يرد عمران بنبرة ثابته هادئة

" لا سيد ماهر .. لذلك أتيت لاشرح لك الموقف .. لااريده ان يظن اني .. اتجاوز حدودي مع الانسة زينب .. و ..."

انفتح باب المكتب بعنف ليقطع جملة عمران صوت محمود الهادر

" اذن انت هنا .. كنت ابحث عنك .. لدينا حوار طويل لكن خارج هذا المبنى بأكمله .. "

في حركة سريعة خاطفة كان ماهر يقف في وجه محمود الثائر يوقفه عن التقدم ناحية عمران فيمسك ذراعيه بصلابة وهو يقول بصوت أجش خافت

" اهدأ .. سنتكلم انا وانت اولا .. وعلى انفراد ..."

كان محمود يزفر انفاسه كالثور الذي يستعد للهجوم بينما يتطلع بنارية ناحية عمران الذي وقف على قدميه وبدى متماسكا ...

لم يستطع محمود ان يكبح نفسه ليحاول التملص بعنف من امساك ماهر له فيشدد ماهر قبضتيه لتثبتانه وهو يقول بلهجة حازمة " اننا في مؤسسة محترمة محمود .. فلا تتهور وتتصرف بدون عقل .. تمالك نفسك وتذكر من انت .."

سحق محمود فكيه ببعض بينما عمران يلتزم الصمت فيناظره بهدوء تام وسيطرة تثير الحسد ...

قال ماهر اخيرا موجها كلامه لعمران



" اتركنا بمفردنا يا عمران .. انا سأتكفل بحل .. سوء التفاهم هذا .."

غادر عمران بخطوات ثابته وهو يتمتم بتحية ليغلق الباب خلفه ..

حرر ماهر ذراعي محمود فينتفض محمود بغضب مكبوت وهو يتحرك حول نفسه قائلا

" لقد انتهت قدرتي على الصبر يا ماهر.. لن انتظر اكثر تخبطات زينب فتقدم في لحظة رعناء على الارتباط بأي شخص .. كعمران هذا .. فقط لتثبت انها حققت امرا عظيما يرضي كرامتها اللعينة ! "

يطالعه ماهر وهو يتكتف ليقول له بسلاسة مخفيا ابتسامته

" ماذا تقترح ؟ نكبلها ونكمم فمها حتى نزوجها لك ؟! لاتنس سنحتاج لفمها ذاك حتى تنطق (نعم) امام المأذون .."

زمجر محمود وقبضته ترتفع لتتشنج بتوتر امام وجهه فيقول من بين اسنانه

" دعني فقط اتصرف براحتي معها .. لقد منحتها وقتا طويلا لتعتاد فكرة ارتباطها بي .. اصراري عليها .. وجديتي في هذا الاصرار .. الآن تحتاج للاجبار .. ان اضعها امام الامر الواقع .."

رفع ماهر حاجبيه بخفة وهو يتساءل بتفكه

" اي واقع يا ابن عمتي ؟"

رد محمود بثقة وعيناه تشعان بنظراتهما المشتعلة " واقع انها تريدني كما اريدها .. تحبني كما احبها .. لست غبيا حتى لاافهمها كأنثى .. لكنها مترددة خائفة .. حائرة .. عنيدة كالحجر .."

اقترب محمود خطوة من ماهر وهو يؤكد بثقة " صدقني سنظل نلف وندور هكذا ولا حل الا ان اوقف هذا التلاعب عنوة .."

أمال ماهر رأسه وهو يسأل بهدوء

" وماذا عن عمران ؟ "

اشتعل غضب محمود مرة اخرى فيقول بتهديد جدي

" عمران سيبتعد رغما عن أنفه .. وانا سأتكفل بهذا .."

استعدل ماهر في وقفته ليقول بنفس الهدوء والسلاسة

" عمران لايحتاج للعنف حتى يبتعد.. انه رجل محترم ولا خطأ ارتكبه اذا ارادها زوجة وهي لم ترفضه حتى الآن .. لكني أظن الرد قد وصله واضحا .."

قال محمود وهو يزمجر

" سيصله بشكل اوضح مني مباشرة .."

عندها قال ماهر بابتسامة

" اذن لنعقد صفقة يا ابن عمتي .. تترك عمران لي ولاتقترب منه ابدا وفي المقابل اترك لك حرية التصرف مع زينب .."

اتسعت عينا محمود وهو يتمتم

" انت جاد اليس كذلك يا ماهر .. ستدعني افعل .."

هز ماهر رأسه موافقا فيهمس محمود بانفاس متسارعة وكأنه يكلم نفسه

" اذن لدي ما افعله خلال الساعتين القادمتين .. "

ثم تحرك بسرعة ناحية الباب وهو يضيف على عجل

" انا ساغادر المؤسسة .. يجب ان اشتري شيئا مهما .. بل انهما شيئان في الواقع .."

لوح له ماهر وابتسامته تتسع بل أطلق ضحكة خافته مسترخية .. وكم مضى وقت طويل منذ ضحك ...

رن هاتفه فالتف ماهر حول مكتبه ليلتقطه وحالما فتح الخط كان يبتسم وهو يميل ليلتقط الغزالة الصغيرة هامسا بصوته المبحوح

" اشتقت لك يا غزالة .."

ابتسامته وروقان مزاجه تلاشيا في لحظة ليعتصر الغزالة بين اصابعه وهو يهمس بعنف مكبوت " انا قادم حالا.."

بعد ساعة في بيت ماهر الغازي

تواجه صفية تلك الشعلة الانتقامية التي تتأجج بشكل مخيف في عيني زوجها لتقول له وهي تحاول الصمود وامتصاصه في نفس الوقت

" ماهر .. انا اخبرتك بما حصل فقط لان فاطمة تخصك كما هي تخصني وانت لن تهدأ قبل ان تعرف تفاصيل ما حصل في الجامعة .. لكني لااريدك ان تتدخل هذه المرة .. لا انا ولا انت سنتدخل .."

ثم التفتت ناحية محمد الذي يجلس بهدوء ظاهري على الاريكة وملامحه متصلبة بالكامل بتعابير غامضة لكنها مقلقة الى حد لايوصف لتضيف بنفس النبرة

" ولا انت ايضا يا محمد .."

تحرك ماهر بعنف ليركل احد الكراسي ويوقعه ارضا بينما يتمتم من بين اسنانه

" سأحطم مستقبل ذلك الارعن الحقير .."

عندها جاء صوت بلال الذي دخل غرفة الصالة تتبعه نجلاء قائلا بهدوء

" لن تفعل بني .. بل سنفكر بتعقل فيما فيه مصلحة فاطمة .."

اقتربت صفية من نجلاء وهي تتنفس الصعداء فاحتضنتها الاخيرة بينما تتمتم صفية بهمس لايسمعه احد

" شكرا لحضورك خالتي .. لم استطع الوصول لخالتي نادية وكنت بحاجة لمن يهدئ ماهر معي .."

ردت نجلاء وهي تطبطب على ظهرها

" نادية خارج المدينة لبعض شؤون العمل وربما شبكة هاتفها ضعيفة .. "

ثم ابتعدت قليلا لترفع وجه صفية بيدها وهي تبتسم لها بمودة قائلة بهمس ايضا

" لاتقلقي حبيبتي .. عمك بلال منذ ايام اخبرني عن رغبته بمكالمة ماهر .."

اخذت صفية تهز رأسها بينما عيناها تطرفان ناحية ماهر الذي بدى بحال سيئة جدا ومتطرفة من غضب وحشي مخيف

والعم بلال يقف قبالته يناظره بصبر منتظرا منه ان يمسك بلجام فورة انفعالاته...

التفت بلال ناحية صفية وسألها

" اين فاطمة ؟"

ردت صفية وهي تتقدم خطوة ناحيته

" في الطابق العلوي تلاعب شاهر الصغير لينام .. انها لاتريد ان أخبر طه ولا حتى زينب بما حصل... لاتريد اقلاقهما .."

أطرق بلال قليلا وهو يحرك خرزات مسبحته ثم تقدم ناحية ولده محمد ليقف قبالته ويقول بنبرة رزينة



" لااريدك ان تتدخل بأي فعل مع ذاك الشاب .."

ارتفعت عينا محمد لابيه تتوهجان بما يكبته بشق الانفس فيعاود بلال نهره عن فعل شيء بالقول الحازم الصارم

" اياك يا محمد .. اي فعل متهور الآن سيسيء لفاطمة اكثر ويسيء لسمعتها .. الالسن لن تتوقف عن الكلام بل ستجد مزيدا من الحطب لتضيفه وتؤجج النيران حولها وحول عائلتنا كلها .. "

تفاجأ الجميع بصوت فاطمة من عند الباب وهي تقول بصلابة

" انا سأقطع بنفسي هذه الألسن .."

وقف محمد على قدميه مستندا بعكازه يناظر وقفتها الشامخة ويقرأ في عينيها انها اتخذت قرارات ...!

تمتم ماهر بنارية وهو يتقدم منها

" ماذا تقصدين ..؟ "

ترققت صلابتها وهي تبتسم لماهر فينعصر قلب محمد تأثرا بينما تقول فاطمة وهي تمسك بذراع ماهر تخفف عنه بالقول الهادئ الموزون

" لافائدة من كتمان الامر يا ماهر .. ما نحاول اخفاءه يثير فضول الانذال اكثر لينبشوا خلفه وتقديمه مشوها .. احيانا المواجهة بالحقيقة افضل من طمسها.. "

ظل ماهر يحدق في عينيها يسبر اغوار ما يدور في عقلها فابتسمت له ابتسامة اوسع ارادت ان تطمئنه اكثر لكنها في الواقع اقلقته بنواياها لتشع الفكرة في رأسه قبل ان تنطقها فاطمة بلسانها بينما تحرك نظراتها من ماهر لمحمد

" انا موافقة على الزواج منك..نستطيع ان نعقد قراننا خلال ايام و.. العرس .. اترك لكم تحديد موعده لكن مؤكد ليس قبل انتهاء العام الدراسي وتخرجي .."

تقدم محمد بضع خطوات وعيناه في عينيها وهو يهمس بتصلب رافض

" لا فاطمة .."

ما زال ماهر ملتزما الصمت وهو يحدق بامعان في تعابير وجهها فينتابه احساس غريب بالفخر !

تلك الزهرة الندية الناعمة التي رباها اقوى بكثير مما يظنه الجميع عنها ..

تمتمت فاطمة تسأل بهدوء وهي تترك ذراع ماهر " هل غيرت رأيك يا محمد ؟"

لم تهتز عضلة في وجه محمد وهو يرد عليها بصراحة مباشرة

" انت تعرفين تماما ما أعنيه فلا داعي لهذا الكلام .."



تحولت نظرات فاطمة من محمد للعم بلال الذي التزم الصمت فيستمع لما يجري بطول بال ثم الى الخالة نجلاء التي تتسع عيناها بتفاجؤ لم يخلُ من البهجة !

ثم الى صفية ..

آآآه من صفية ونظرات عينيها التي تمنحانها القوة والصلابة والثقة ...

هذا ما احتاجته منها هي تحديدا ..

انتعشت فاطمة بشكل غريب بتلك الثقة والاحساس بالتحرر لتفعل ما تشاء دون تدخل ومطالبات .. انتعشت وهي تشعر بالسيطرة والثبات والاقدام ...

عادت لمن تحبه فوق الوصف وترى فيه صورة حية لابيها .. لترى في عينيه بعض الشكوك والقلق من قرارها فتقول له بحنان طفلة تفطن لحزن أباها فتواسيه بلمسه مؤازرة

" لاتقلق يا ماهر .. انا لااضحي بنفسي واتخذ قرار متهورا .. لقد تربيت على يديك انت وصفية وتعلمت منكما كيف أكون قوية لاقدم على خطوات مهمة احمي بها نفسي وعائلتي .."

كان محمد من رد عليها هذه المرة وهو يطالبها بالقول " احتاج ان اتكلم معك على انفراد ...بعد اذن الجميع .."

فتح ماهر فمه ليتكلم لكن نجلاء سارعت الى سحب صفية من ذراعها وهي تقول

" تعالي لنعد شيئا في المطبخ.. ربما بعض القهوة التركية .."

نقل ماهر نظراته بتردد بين فاطمة ومحمد عندما سمع صوت عمه بلال يطلب منه

" وانا احتاج جديا لاكلمك بموضوع خاص .. ربما في غرفة مكتبك بني .."

اخر نظرة من ماهر ناحية فاطمة التي تقف باعتداد امام محمد بينما يقول للعم بلال

" تفضل عماه ..."

ثم خرجا معا تاركين غرفة الصالة لمحمد وفاطمة ...

صمت شديد حتى الهواء وكأنه توقف من حولهما في وضع متحفز !

اول صوت كان لخطوة أقدم عليها محمد على عكازه .. الوجع في ظهره قوي ويحتاج للراحة الفورية لكن ما يحدث الآن يفوق اهمية لأي احساس بالألم الجسدي ...

قال أخيرا وهو يحدق في وجهها ذوالقسمات الساكنة الصامدة بشجاعة

" قولي لي انك وافقتِ على الزواج لاجل العائلة فقط وانا سأصدقك .."

نبض قلبها نبضة متفجرة كقذيفة فجائية ارتطمت بجدران مشاعرها المتكاثفة من كل اتجاه ...





نظرت في عينيه مباشرة فترى خضرتهما المشعة قد باتت غامضة في سحرهما وهو يبتسم ابتسامة أجلفت انوثتها وهو يهمس بعذوبة مستفيضة

" لماذا لاتنطقين يا حبة السكر .. ألجمت الألسن كلها قبل لحظات بكلماتك .."

حزن ..و .. شجن .. ككفان يربتان على خفقات القلب فيجبرانه على العودة لانتظامه ...

قالت بهمس وقلبها يئن متعطشا فتئد اعتراضاته

" لقد آمنت انك قدري .. اليس هذا ما كنت تريده في الاونة الاخيرة يا محمد ؟

اليس هذا هو الايمان الذي تدأب على استثارته في داخلي لـ.. نرتبط ..؟"

يميل برأسه جانبا فتتهدل بضع خصل قصيرة على جانب جبينه بينما يقول بصوت أجش

" ما زلتِ تتلكئين على حافة ذاك الايمان.. ما زلتِ لم تؤمني حقا سكريتي .."

طاقة مبهمة في داخلها تدفعها لتقاوم التأثر به فتقول بهدوء تام اقرب للجفاف

" اتمنى فقط ان يكون ايمانك قوي بما فيه الكفاية حتى لاتندم في المستقبل.."

ثم اسبلت اهدابها واستدارت لتغادر عندما امتدت قبضته لتتشبث بذراعها وتديرها نحوه مرة اخرى وهو يقول بحنان وجدية في نفس الوقت

" عندما أكلمك واجهيني حتى انهي كلامي ... معشوقتي .."

ابتلعت ريقها وهي تواجه اهتياجها قبل ان تواجه اعتراضه ..

ندت حروف اسمه من بين شفتيها

" محمد ! .."

ارتعشت ابتسامته وهو يهمس بجذل

" نعم ... يا قلب محمد .."

ثم عبس قليلا بشكل فجائي فرفعت حاجبيها في عجب وتساؤل بينما يبعد كفه عن ذراعها ليرتكز بكلتيّ كفيه فوق قمة عكازه وهو يغلق عينيه يعتصر جفنيه وكأنه يتوجع !

اخذت انفاسها تتسارع وهي تتساءل باختناق

" هل انت بخير ؟! محمد .. اجلس ارجوك.."

بضع حبات عرق تجمعت على جبينه وهي ترى وجهه يشحب وملامحه تتوتر ..

امسكت مرفقه باصرار وهي تردد بنبرة حازمة

" تعال واجلس لاتكن عنيدا .. سأجلس جوارك حتى تنهي كل ما تريد قوله ..."

تركها تقوده حتى الاريكة فجلس وهو يتحامل على شدة ألمه بينما تجلس هي جواره تراقبه وداخلها يلتاع لرؤيته يتألم بسببها هي .. هي وحدها ..

هي السبب في كل هذا ..

تمالكت نفسها ثم قوت عزيمتها لتسأل

" محمد ... هل ...هل ..."

تعثر صوتها والحياء يغلب شجاعتها ..

اخذ محمد عدة انفاس ليسترخي قليلا قبل ان ينظر اليها جانبا .. رأى حمرة خديها اللذيذة فشعر بهبة عشق تلفحه ..

سأل برقة يناغشها رغم وهن جسده من الوجع " (هل) ماذا ؟!! وجهك يتخضب بالحمرة فأكاد أُقتل توقا لاعرف .. "

ابتلعت ريقها وتوترت قبضتها الصغيرة قبل ان تتشجع لتسأل بارتعاش الخجل

" هل ... تحبـ..ني ؟"

يا اللّه .. اي غباء منه يجعله يفكر بتأخير عقد قران وافقت عليه ؟!!

رد بصوت مبحوح فاض بمشاعر خفية لاهبة

" أوتسألين حقا ؟!! انا اذوب فيك يا حبة السكر .. انا فقط مقيد الآن لاشرح لك اكثر .. واكثر .."

كست حمرة قانية وجهها بالكامل وبدت كحبة فراولة صغيرة شهية .. شهية جدا..

غض بصره بمعاناة بينما يتركها تستعيد شجاعتها لتكمل ..

قالت اخيرا ببعض الجدية المحببة

" اذن لاتتدخل بموضوع ما حصل اليوم .. لااريدك ان تذهب للبحث عن عدي والانتقام منه .."

تنهد وهو يرخي جبينه فوق عكازه فيقول بابتسامة مخبأة

" لم اظنك يوما ستفعلينها .."

تساءلت ببراءة حقيقية

" ماذا افعل ؟"

رد وهو مغمض العينين

" تختطفين ما تريدين دون ارادتي امام بصري وسمعي ومن تحت يدي فأقف عاجزا بكل حواسي عن منعك .."

يضحك بخفة بينما يسمعها ترد بنفس الجدية بل زادت عليها بعض العناد والاصرار

" اذن ستحقق لي ما اريد .."

عندها فقط رفع رأسه ليحدق في ملامحها الجادة ويقول بنظرات فطنة

" الا ترين انك تفرضين شروط الحوار بيننا وقد كنت انا من طلبت الانفراد بك لنتكلم ؟ .."

بدت متفاجئة قليلا ثم توسعت عيناها

توشك ان ترد عندما اضاف هو

" ثم سألتك سؤالا صريحا لتتوه الاجابة

بين ثنايا حلاوتك يا غزل البنات .."

عبست في وجهه بينما ترد عليه بجفاء

" لقد ... اجبتك .. لكن يبدو ان اجابتي

لم ترضيك .. "

لتضيف بنبرة غريبة وهي تكاد تلهث!

" ثم توقف عن مغازلتك لي .. انا لم

اتصورك .. يوما .. ان ...تكون هكذا ؟"

تغاضى عن التركيز على تقلبات مزاجها

ليقول بسلاسة " انت لاتنصفيني .. توافقين

على الزواج مني ولاتعطيني سببا يرضي

قلبي .. ثم تندهشين لاني اغازلك ببضع

كلمات وكل .. كل .. ما في القلب هو

ملك لك وحدك .."

هبت واقفة على قدميها وهي تعتصر يديها

بعضهما ببعض لتقول بهدوء

" محمد ... عائلتي مهمة لي .."

فيسأل وهو يتطلع للاعلى " وانا ؟"

نظرت اليه وهي تؤنبه ضمنيا بالقول

" محمد ارجوك .. "

لم يتاثر ليقول وهو يرفع حاجبا واحدا

" تطلبين مني الكثير استحق شيئا في

المقابل .."

عقدت حاجبيها وهي تردد

" لم اطلب منك الا ان لا تتدخل ..."

نظراته باتت ناعسة وهو يقول

" على الاقل قولي انك توافقين على الزواج الآن خوفا علي .. اهتماما بي انا .."

عادت لتعتصر كفيها ببعض وهي تقول بصدق اوجعه

" انا لن احتمل ان تؤذى مرة اخرى بسببي .."

ثم تضيف بتوتر وهي تبتعد عنه

" انت مهم لي ..كما كل عائلتي .."

اخذ نفسا ثم اطلقه ببطء قبل ان يقول بنبرة غامضة متلاعبة

" لنا كلام اخر فيما بعد حول (اهميتي) هذه ... ربما عندها فقط ستؤمنين بمدى (اهميتك) عندي ... ستغرقين معي في بحر الايمان ... انه الغرق المنجي يا سكرية .."

عاود الوقوف وبدى على وجهه الاجهاد الشديد فيتحرك ناحية الباب وهو يقول ببساطة واقرار واقع جديد

" سأزورك كل يوم في الجامعة .. ابتداء من الغد .. ولاتقلقي .. حالتي الجسدية لاتسمح لي بعراك هذه الايام .. "

كان عند الباب عندما لاحقته بالقول المصر " ولا بعدها .."

التفت اليها برأسه ويده على مقبض الباب قائلا بمراوغة

" بعدها ... سننظر في طلبك اعتمادا على ما تفيضين به علي من حلاوتك .."

ثم شعّت عيناه وهما تمران فوق قامتها الرقيقة فيقول

" الخميس المقبل سنحتفل بما تشائين يا غزل البنات .."

هذه المرة لاحقته بخطواتها وهو يمر عبر الباب لتسأله بقلق

" الى اين تذهب ؟ الن تنتظر عمي بلال وخالتي نجلاء ؟"

لم يلتفت نحوها وهو يواصل سيره نحو الباب الرئيسية قائلا

" سأعود مع العم عبد الحكيم للبيت .. اشعر بحاجة ماسة للراحة .."

ثم فتح الباب الرئيسي والتفت اليها مرة اخيرة يلوح بيده ويبتسم بعينيه قبل شفتيه مضيفا فيهمس بما وصل لاذنيها

" احبك ..."

يقول الكلمة ويغادر تاركا اياها ترغب بالبكاء في وجع .. وجع لن يفهمه احد ..

محمد .. الذي تمنت نظرة منه الان يوجعها كل هذا الحب المتدفق ..

تحركت بخطى تتمايل ناحية السلم تريد الابتعاد قليلا .. الانتحاء بنفسها جانبا .. لتتماسك ..

تتسلق الدرجات ومع كل درجة تهطل الدمعات فتختنق الانفاس وهي تردد لنفسها باعتراف يجلد القلب

" وانا .. احبك .. واتمنى ان اؤمن مثلك علّني اتوقف عن الشعور بهذا الوجع كلما رأيت حبا في عينيك لااستحقه .."

تقودها خطواته ناحية غرفة شاهر الصغير فترحب روحها ببراءة وبساطة وجودها معه..

في غرفة مكتب ماهر

قال بلال بنبرته الرزينة وابتسامة هادئة تزين محياه " اذن لامانع لديك من ارتباط التوأمين باختيّ صفية "

رد ماهر وهو يسترخي بكرسيه المقابل للكرسي الذي يجلس عليه العم بلال

" مؤكد ليس هناك اي مانع عماه .."

اتسعت ابتسامة بلال وهو يقول

" اذن على بركة اللّه .."

ثم يضيف وهو يهز رأسه

" محمود متعجل جدا .. لايملك حلم و صبر اخيه .. لكني اريد زينب ان تأخذ كل وقتها لتقرر .. انهما ابنتانا ايضا ونريد لهما الخير والرضا ... "

رد ماهر مفسرا بسلاسة

" زينب تحتاج لمراعاة خاصة .. انها تختلف عن فاطمة .. فاطمة اقوى واكثر مرونة في نفس الوقت .."

علق بلال على كلامه بالقول

" انا لاحظت ذلك على زينب .. منذ صغرها وهي تجنح للتباعد عن العائلة .. لااعلم لِمَ قاومت الاندماج معنا كأختها .. لكن .. لكل طباعه وشخصيته .."

أكد ماهر ببعض الحمائية

" لاتقلق عماه .. زينب لها نقاط قوتها الخاصة وانا تعودت ان أتركها تقرر بنفسها ما تريد وعلى مهلها .. تخطئ تتعلم تعاند ثم تجد طريقتها الخاصة لتستسلم للصحيح .. "

ثم اضاف بابتسامة " وربما هذا سيكون نافعا لمحمود حتى يتعلم بعض الصبر .."

تبسم بلال وهو يرد على ماهر قائلا

" اشك في هذا .. الفتى حنون جدا وعاطفي كأمه .. لكنه لايحب الانتظار متى ما حدد الهدف .."

ضحك ماهر بخفة دون ان يرد بشيء فتطلع له بلال للحظات وبنظرات متفحصة متفكرة ثم قال بنوع من الجدية

" بما انك هدأت الآن واسترخيت فاعتقد اني وجدت الفرصة المناسبة التي كنت ابحث عنها لاكلمك بموضوع اخر .. في الواقع هو الموضوع الخاص المهم الذي اردت ان اكلمك عنه منذ فترة .."

تطلع ماهر لعمه بلال باستغراب وتساؤل صامت ليقول بلال بنظرات ثاقبة

" سأكلمك عنك بني .."

ارتفع حاجبي ماهر قليلا وهو يتساءل

" انا ؟!"

قال بلال وهو يضع مسحبته جانبا

" سأمنح نفسي الحق لافرض حوارا كهذا لكنك شخص مميز بنظري .. تملك الكثير لتقدمه لعائلتك ومن يهمك امره.. وهذه صفة الرجال الحقيقيين .."

ضيق ماهر عينيه بتركيز وهو يسأل باسلوب مباشر

" هل فعلت ما يزعجك عماه؟ .."

رد بلال ببعض التأني

" لم يزعجني لكنه يقلقني .. عليك .."

تساءل ماهر بتوجس

" ماذا تقصد ؟"

حدق بلال للحظات في عيني ماهر قبل ان يسأل بوضوح

" كيف تشعر بعد قتلك لانسان .. ؟ "

اتسعت عينا ماهر والتمعتا بقساوة بينما يميل بلال ناحيته قليلا وهو يضيف

" اجبني بني .. بصراحة ودون تنميق "

رد ماهر وشفتاه تتوتران بالقساوة الضارية

" لااشعر بشيء ..! لانه لم يكن انسانا من الاساس .."

لم يحِد بلال بنظراته عن عيني ماهر ليقول له بنبرة ابوية حازمة

" انت مخطئ .. هو انسان شئت ام أبيت .. وله روح وانت ازهقتها .."

تمتم ماهر ويداه تتقبضان بمزيد من القسوة

" عائلتي خط احمر .. "

مد بلال يده يربت على تلك القبضة ثم قال متلطفا موضحا مقصده اكثر

" وانا مدين لك بعد اللّه بحياة ولدي لكني لااتكلم عن اسبابك التي دفعتك لفعلها .. بل اتكلم عن شعورك بعدها .. شعورك الآن..."

اطبق ماهر شفتيه وعيناه تبدوان وكأنهما تطلبان نوعا من التفهم ...

قال بلال وهو يتراجع للخلف في كرسيه

" القتل بني ليس امرا هينا لنفعله كأمر حتمي في مواقف صعبة وخطرة .. حتى وان استدعت الضرورة ان تعرض اهل بيتنا لخطر الموت المحقق .. لكن هناك فرق بين الحماية والانتقام بني ... فكن حذرا بما تسلكه في حياتك من سبل .."

ما زال ماهر يحدق فيه بصمت وبلال يقول بحكمة

" الحياة لاتستحق ان نعيشها بقلة التسامح .. فإياك يا ماهر ان تقتل انسانيتك بقساوتك هذه لانك سترتكب اخطاء جسيمة دون ان تشعر .. اننا لانسيّر الكون بل له رب خلقه ويسيره.. كل قوة وسلطة منحها لك الخالق هي امانة في عنقك .. استخدمها بقانونه لا بقانونك انت .. "

أطرق ماهر برأسه قليلا فيقف بلال على قدميه قائلا

" تصدق لوجه اللّه بني تكفيرا عن ازهاقك لروح انسان حتى لو كان خسيسا عديم الشرف وانت قتلته دفاعا عن النفس والاهل .. فليبارك لك اللّه فيما أنعم عليك ..."

همس ماهر بصوته المبحوح

" سأفعل عماه ..."



مساء في بيت بلال الناجي

جناح التوأمين

وسط نوم عميق يخلو من الاحلام هيأه له مسكن قوي علا صوت اخيه المزعج قرب راسه حتى شعر ان صوته يخرم طبلة اذنه ويرج اركان جمجمته !

" طبعا تنام قرير العينين وانا احترق هنا .."

انقلب محمد على ظهره ببطء فيتاوه قليلا قبل ان ينظر بصعوبة لخيال محمود المشرف عليه

" ماذا هناك ؟! ماذا حصل ؟ من يحترق ؟ "

زمجر محمود وهو يلوح بعلبة صغيرة في يده

" احمل خاتمي خطبة لكن انت من سيتزوج الخميس المقبل بدلا مني .."

رمش محمد بعينيه فتوضح وجه اخيه الحانق فيقول له

" ايها المجنون ! من سيتزوج الخميس القادم؟! انها مجردخطبة ..."

فيزمجر محمود مرة اخرى قائلا من بين اسنانه

" وعقد قران ! ... هذا ليس عدلا .."

ابتسم محمد ابتسامة جانبية ويرفع حاجبا واحدا وهو يقول باغاظة



" اذهب واخبر وجه العبوس بهذا .."

فيرد محمود وهو يكاد يحطم العلبة في يده " سأخبرها .."

خرج من غرفة اخيه بخطوات نارية بينما محمد يسترخي لينقلب على بطنه مرة اخرى يكتم ضحكاته الخفية في وسادته

يتحرك محمود ذهابا وايابا في غرفته وهو ينتظر ردها لكن .. لا من مجيب !

فيتوعد ويتوعد وداخله يغلي وفمه يتمتم

" سترين يا وجه العبوس .."

ثم يعاود الاتصال باصرار ...

غرفة نوم فاطمة

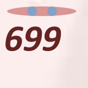
سحبت زينب يدها ببطء من تحت يد اختها ثم غادرت السرير بخفة بعد ان اطمأنت لنومها..

ستعود لتنام جوارها فيما بعد لكنها لاتشعر برغبة في النوم المبكر ..

تتحرك عبر الرواق وهي تحاول التركيز ..

انها قلقة على فاطمة وتفاجأت بموافقتها على الخطبة وعقد القران الخميس القادم!

بهذه السرعة والبساطة ؟!!



بال زينب مشوش حقا لكنها رغم هذا التشوش تلتقط بعض الاشارات من فاطمة لحدوث شيء ما هذا اليوم دفعها للموافقة و فاطمة رفضت ان تفصح وفضلت الاستسلام للنوم وهي تتشبث بيدها ..

عضت زينب شفتها السفلى وهي توشك على الوصول لغرفتها .. انها ليست مشوشة فحسب لتحاول ان تفهم ما يحدث لاختها بل انها في حالة عائمة فوق مشاعر انفجرت كقنبلة !

منذ ان سحبها عمها آسر من جلستها المخزية على الارض بعد خروج المجنون من مكتبه وهي تعوم فوق اشلاء الانفجار و تشعر بطنين في اذنها وخفقات قلبها تتسارع وتتباطأ كما يحلو لها ..!

حتى قلبها تشوش من الانفجار ويعاني من (طنينه) الخاص ...

دخلت عبر باب غرفتها واغلقته خلفها لتتقدم ناحية منضدة الزينة فتحدق في صورتها المنعكسة في المرآة ...

ابتلعت ريقها وهي ترفع كفيها ثم ترجعهما للخلف لتفتح ضفيرتها الطويلة ..

تناثر شعرها كليل سرمدي فيخفق قلبها بجنون وتتسع عيناها في ... رعب ..

رعب .. فرح .. ترقب .. تشوش .. و ...

طنيييييييين .. طنين .. طنين ..

اتسعت عيناها باجفال وهي تلتفت نحو طنين واقعي لهاتفها النقال !

لقد اطفأت الصوت منذ عودتها وابقته على حالة الارتجاج ..

تحركت بوجل لتلتقط الهاتف بارتعاش من على حافة منضدة السرير الجانبية ..

ضجيج رأسها وتشوش قلبها يعلو وهي تقرأ اسمه .... محمود ..

فتحت الخط وهي تدعي التماسك لتسأل بصوت خافت " ماذا تريد محمود ؟"

جاء صوت المتهور المجنون صارخا

" سأخبر ابي ان يوم الخميس هو لخطبتنا انا وانت ايضا .."

لاتعلم لِمَ تبتسم الآن !

لاتعلم لِمَ هذه الابتسامة البلهاء على وجهها

لكنها ردت تستفزه بالبرود وهي تخفي ارتعاشها البهيج

" اذهب وتغطى جيدا يا محمود لتنام براحة دون كوابيس .."

صوت لهاثه الحاد اثارها وحفز خلاياها اكثر من صراخه السابق ليهمس بصوت خافت مدغدغ " سترين زينب من سيحلم بكوابيس .. تعالي للحفل بضفيرتك .. بلفائفك .. ببنطال احمر او رمادي والنتيجة واحدة .. "

بتهور تسأله وكأنها تثيره عن عمد

" وما هي النتيجة ؟"

فيرد بنفس النبرة التي تكاد تلمس بشرتها عبر الهاتف

" سأمدك على ركبتيّ واضربك على مؤخرتك وانا اضع خاتم الخطبة في اصبعك اللعين .."

الحرارة تشع منها ولم تعد تشعر بجسدها فتجلس منهارة على سريرها وهي تتمتم بخفوت " قليل الادب .."

ليقول بغرور وتعنت

" اعتادي الامر لانك ستعاشريني طويلا .."

فتحت فمها لترد لكنه كان قد اغلق الخط في وجهها ...!

مرت لحظات وربما دقائق وهي تمسك الهاتف في يدها عاجزة عن وصف احساسها حتى لنفسها عندما أتتها رسالة نصية ..

فتحتها بشكل آلي لتجدها من عمها آسر !

كتب لها ...

(عمك الآسر الأخاذ يحضر لك مفاجأة يوم الخميس ... حقا انا لا اقدر بثمن !)

الفصل الثامن عشر

بعد منتصف الليل

دخل ماهر بدراجته النارية عبر بوابة بيته.. ألقى تحية للحراس الذين اغلقوا البوابة خلفه ثم توجه بدراجته للمرآب ..

بدى مختلفا جدا عن هيئة (ماهر الغازي) المألوفة ..

لم يرتدي خوذته في رحلته الليلية فتشعث شعره بسبب الهواء وبضع خصلات قصيرة تسرح بعشوائية على جبهته العريضة ،

قميصه البسيط مجعد مفتوح ببضع ازرار علوية وبنطاله الجينز قديم باهت بدى وكأنه من سنين مضت...

ملامح وجهه فيها بعض الاسترخاء والصفاء الخاص حتى لتظنه يبتسم وهو لايبتسم حقا !

ينحني قليلا ليلتقط من جانب الدراجة كيسا تفوح منه رائحة الفطائر قبل ان يتحرك بخطوات متراخية ناحية باب البيت والكيس يتأرجح في يده ...

تنفست صفية الصعداء وهي تسمع صوت الدراجة .. اخيرا عاد ...

اخذت تحمد الله وهي تضع على جسدها مبذلا حريريا يغطي قميص نومها القصير..

كانت في الرواق تسير حافية القدمين عندما لمحت دخوله لغرفة ابنهما شاهر الصغير ..

سارعت بخطواتها لتلحق بزوجها وعند باب الغرفة وعلى اضاءات خافته من نجوم معلقة على الحائط رأته يقف قرب سرير شاهر يلامس وجهه النائم بحنان لايضاهى ..

تشعر انها في سباق مارثون ...!

حقا هذا شعورها منذ حادث اختطاف فاطمة .. مارثون عشوائي غير محدد في اهدافه فما ان تصل لنقطة تسارع للحاق بنقطة اخرى ...

الكثير يشغل بالها ويقلقها حتى انها تركت عملها هذه الفترة لتتفرغ لاسرتها بالكامل ..

شغلها الشاغل الاكبر هي فاطمة و..ماهر ..

تجمعت دموع في عينيها وهي تقاوم احساسها بالقلق وقلة الحيلة ..

بارادة قوية اكتسبتها عبر سنين كفاحها منذ الصغر جفت الدموع في مآقيها لتجدد عزيمتها وترسم ابتسامة حلوة على شفتيها بينما تقترب بخفة وتهمس بصوت خافت يحمل اللوم الرقيق

" اين كنت يا ماهر .. شغلتني عليك وهاتفك مغلق .."

دون ان يلتفت نحوها وما زال يداعب خد الصغير بظاهر اصابعه قال بنفس الخفوت

" كنت في الحي الشرقي القديم والشبكة هناك سيئة جدا كما تعلمين .."

تسمرت خطوات صفية قبل ان تصل اليه ليرتفع حاجباها عجبا وهي تتساءل بدهشة

" كنت في حيّنا ؟! ماذا تفعل هناك ؟"

التفت اليها بوجهه وقد كان يبتسم بخفة.. خفق قلبها كفتاة تقع في الغرام لاول مرة .. كان يبدو لها كـ(ماهر) كما عرفته يوما قبل سنوات وسنوات ..

تمتم بمشاكسة حلوة

" ما زلت تشعرين بالانتماء لذلك الحي فتسمينه (حيّنا) بعفوية.."

اخذ يقترب منها وقلبها يخفق بطريقة غريبة لمرآه .. كان يبدو مختلفا .. رائعا جذابا بتلك التعابير التي تكسو وجهه ..

غمز لها وهو يقول بصوته المبحوح المميز

" وجدت نفسي اشتهي تناول أكلة (....) بالزيت الحار مع طبق صغير من المخللات .."

حالة من فرح مبهمة ملأت قلبها فتقترب منه هي الاخرى حتى تلامسا بجسديهما فتقول بمشاكسة كمشاكسته وكأنها تحاوره بلغته بعفوية

" حقا ايها الفتى الذهبي احيانا اكاد لااصدق انك تربية العز والجاه .. لااحد من عائلتك يحب طعاما كهذا او حتى يفكر في التسكع حول الاحياء الشعبية القديمة.."

يضحك وهو يمد يده يداعب خصلات شعرها وهو يقول بنظرات لامعة

" احضرت فطائر الجبن والقشطة بالعسل ايضا .. سنفطر بها سويا صباح الغد صفصف... وبالمناسبة العم عبد الجليل صاحب القهوة يسلم عليك .."

امسكت كفه ولثمت باطنه وهي تسأله بإلحاح نابع من حدسها

" لماذا ذهبت هنالك حقا ؟ اخبرني ماهر .. لم تذهب منذ فترة طويلة .. "

وجهه المرتاح لم يتعكر ابدا بينما يرد عليها بغموض

" لاتشغلي بالك مجرد موضوع وعدت العم بلال بفعله .."

ظلت تحدق في عينيه طويلا لتعرف انه لن يخبرها بالمزيد .. الا ان تغيره الليلة يجعلها تشعر ببعض التحسن وهذا يكفيها ..

اخذت تحاول تغيير الموضوع وهي تسحبه من كفه ليغادرا غرفة ابنهما وهي تقول بمزاج حلو

" اردت ان ابلغك اني اتصلت مرة اخرى بالخالة نجلاء لاحاول اقناعها باقامة حفل الخطبة هنا في بيتنا لكني لم استطع تغيير رأيها .. بصراحة قلبي لم يطاوعني ان ألح اكثر وصوتها يتحشرج عبر الهاتف تخبرني انها فرحة التوأمين التي لاتعادلها فرحة .. "

ضحك ماهر بخفة بينما يترك لها قيادته لغرفتهما وهي تضيف بحيرة " خجلت حتى ان اخبرها ان زينب قالت (سأفكر) فقط ولم تقل (نعم) صريحة ؟"

تمتم ماهر بشقاوة وهما يمران عبر باب غرفتهما " عمتي عمتي .. محبة السكر وصاحبة الصوت المتحشرج المؤثر ؟ "

التفتت اليه صفية تعقد حاجبيها بتساؤل قائلة " ماذا تقصد ؟"

ضحك ضحكة عالية مجلجلة محببة للنفس ثم فجأة انحنى بجذعه وحملها بين ذراعيه وهو يقول بخفة

" لاشيء ..لاشيء .. تعالي ألي وانسي امور الغوازي .."

وضعها على السرير وهي تحدق بعشق في وجهه وفي شعره المشعث .. نظر في عينيها وهو يزيح عن كتفيها مبذلها الحريري ثم همس " هلا اخبرتني من اين لك كل هذا؟! اصبحت يوميا ترتدين قميص نوم جديد..؟"

لامست خده هامسة بصوت مثير

" انها هدايا من امك .."

مرر اصبعه فوق شفتها السفلى وهو يهمس

" انتم تتآمرون ضدي .."

رفعت رأسها لتقبل جانب فكه وهي تقول بدفء وعاطفة نابعة من الصميم

" نسعى لاسعادك فقط لانك .. الاهم .."

كان يفك ازرار قميصه وهو يقول بعينين ملتمعتين

" بات كل من يخطو نحوي اشم رائحتك بخطواته .. انت تتلاعبين من وراء ظهري يا غازية .."

كانت هي من ازاحت قميصه عنه هامسة

" سعيدة ان تلاعبي يجعلك الليلة اكثر روقانا .."

يا الهي فيه شيء مختلف !

نظراته مختلفة .. ملامحه ..

كان هذا اخر ما فكرت به وهو يهمس بحرارة مشتعلة قرب اذنها

" الليلة اريد ان أكون معك بشكل خاص.. ليس كباقي الليالي .."

تشاكسه بالقول وهي تبعده قليلا عنه

" ألن تسألني عن حواري مع وجه العبوس ؟"

ردد وهو يسحبها اليه " سأسالك صباحا .."

صباح اليوم التالي ..

كل شيء فيها منظم بعناية ..

تنورتها الرمادية تصل تقريبا للكاحل قميصها الابيض انيق ومحتشم .. شعرها الاشقر ترفعه كذيل حصان بسيط ..

تعمدت وضع احمر شفاه خفيف لكنه لامع لتقلل من جدية مظهرها .. انها عروس .. اليس كذلك ؟!!

شكرت العم عبد الحكيم وهي تترجل من السيارة بذقن شامخة وملامح مسيطرة ..

تحركت نحو بوابة الجامعة لاتتطلع يمينا ولا يسارا بل تمشي دربها بخط شبه مستقيم..

تستطيع الشعور بنظرات تلاحقها وهمهمات مرتابة تحاوطها لكنها لم تهتم ..

رن هاتفها النقال فتوقفت خطواتها قليلا لتخرج الهاتف من حقيبتها فتفتح الخط وترد بابتسامة هادئة

" صباح الخير خالتي .."

جاء صوت الخالة نادية هادئا متأنيا وهي تقول " صباح الخير حبيبتي .. كيف حالك اليوم ؟ نجلاء اخبرتني للتو بما حصل بالامس .."

شحب وجه فاطمة للحظات وشردت نظراتها بينما ترد " انه مكتوب علي وانا راضية به واتعامل معه .. لكن لاتقلقي انا وعدتك .. لن اتراجع ابدا للوراء .. ابدا ابدا .."

اخر كلمة رددتها فاطمة باصرار اقرب للقسوة بينما تسمع الخالة نادية ترد عليها

" هوني عليك يا فاطمة .. لست مطالبة بشيء نحو احد .."

فتقول فاطمة بنفس الاصرار

" بل انا مطالبة امام نفسي خالتي .. مطالبة ان اخرج نفسي واخرج عائلتي من هذه الحلقة .. انا احميهم كما أحمي نفسي .."

عندها سألت نادية بتوجس

" هل لهذا السبب وافقت على الخطبة السريعة لمحمد ؟ خلال يومين فقط ! "

نبضة من قلبها صدعت جدار قسوة مقاومتها لتهمس بحشرجة

" محمد هو قدري .. انا اشعر بهذا فقط دون ان افسره ... استسلم لحاجتي اليه هو دون غيره لاستند عليه واحقق ما اريد لي ولكل من احبهم .."

صمتت نادية للحظات قبل ان تقول بثبات

" انا لن اتدخل ولن أؤثر عليك .. تملكين ما يكفي لتقرري بنفسك .. فقط سأسأل هل انت واثقة انك مستعدة الآن تحديدا لخطوة الارتباط ؟"



ردت فاطمة وهي تستعيد هدوءها الكامل

" كل الثقة خالتي .."

فترد نادية بالقول الذي يحمل نبرة ابتهاج ظاهرية " حسن يا عروس .. سنختفل بك يوم الخميس وربما ستقرر اختك المتمردة جعل الفرح فرحين ..."

ابتسمت فاطمة ابتسامة حقيقية بينما تتذكر الحالة العاطفية النادرة المسيطرة على اختها زينب .. صباحا خلطت بين الملح والسكر لتضيفه للشاي ثم احرقت الخبز لتنفجر ضاحكة دون سبب !

انها سعيدة لاجلها .. سعيدة حقا وتشعر ببعض الحمل انزاح عن قلبها ..

على الاقل زينب تعيش قصتها الرومانسية المميزة بجنونها ولن تستغرب ابدا انها سترضخ لخطبتها لمحمود يوم الخميس ..

اغلقت الخط مع خالتها نادية وهي تستعيد واجهتها المسيطرة لتكمل الطريق الى حيث خططت وقررت كيف ستتعامل مع الجميع ..

بعد ساعة ...

دخل الاستاذ قاعة المحاضرات برفقة فاطمة .. ابتسم لها وهو يحرك نظارته الطبية في حركة عفوية منه بينما يشير لها بيده الاخرى ناحية منصة وقوفه المعتاد قرب اللوح ..

توقفت كل الهمهات والهمسات وارتفعت اكثر من زوجيّ حواجب لطلبة متفرقين..

بينما شحبت وجوه اخرى وخاصة وجه عدي..

وقفت فاطمة بذقن مرفوع تتطلع لما حولها بهدوء .. تنظر في وسط العيون المحدقة فيها بترقب فتلقي عليهم تحية الصباح بنوع من البرود ..

ثم حادت بنظراتها قليلا نحو استاذها قائلة

" شكرا لاستاذي الذي سمح لي بالتكلم قبل ان يبدا المحاضرة .. لن اخذ من وقتكم الا خمس دقائق .. اعتقد انها كافية لتوضيح ما حصل بالامس وعلى مرآى الكثيرين منكم .."

لم تطرف عيناها ناحية عدي الذي ازداد وجهه شحوبا وتقبضت يداه في توتر وقد لاحت على وجهه إمارات الندم ..

كانت تنظر للامام بينما تقول بنبرة واثقة

" في البداية سأقول احترموا خصوصيات غيركم .. احترموا مشاكلهم ومآسيهم قبل ان تستمتعوا بنهش اعراضهم والخوض بتقييم اخلاقهم .. انا لم اتكلم عما جرى حتى لاقرب صديقاتي في الجامعة لاني احترم قدسية الموت .. ولن اذكر اليوم اي اسماء احتراما لاسرة من مات .. "

صورة باهته لوجه خالد الميت جعلتها ترتعد رغما عنها لكنها تماسكت قدر استطاعتها تقاوم رغبة تلقائية بالتقيؤ لتقول بصوت ثابت النبرات لامجال للتشكيك في فحوى كلماته

" لقد تعرضت انا وخطيبي محمد الناجي لأذى ومحنة وشاء اللّه ان ينجينا منها .. من يشأ ان يصدق هذا فليصدق ... ومن يشأ البحث في الصحف الصفراء بحثا عن روائح الفضائح المفبركة فله ان يفعل .. لن يحرك بي شعرة ولن أهتم .."

اطرق عدي برأسه واخذ جبينه يتصبب عرقا بينما تكمل فاطمة ووجوه الطلبة تبدو في قمة الترقب والتحفز والفضول

" الخطبة رسميا تأجلت بسبب الحادث الذي تعرض له خطيبي ولذلك سيكون يوم الخميس القادم هو خطبة وعقد القران في حفل عائلي .. اما العرس مؤكد بعد انتهاء الامتحانات والكل مدعوون .. وشكرا مقدما لمن يتمنى لنا السعادة والتوفيق .."

تسمع بضع تبريكات متفرقة مترددة من الطلبة فتكافح لتصمد اكثر ...

اصابعها ارتعشت منها وكأن ما تبذل من سيطرة على نفسها ينهك جسدها انهاكا لتقول وملامحها تقسو ونظراتها تتركز على عدي تحديدا " امر اخير .. ما حصل بالامس لن اتسامح معه ابدا وقد قدمت شكوى رسمية لرئاسة الجامعة .."

فجأة وقف عدي على قدميه وبضع من اصدقائه الذين شاركوه فعلته بالامس اخذوا ينظرون اليه بارتباك وتخوف مما سيحصل لهم جميعا ليقول عدي وهو يرفع نظراته ناحية فاطمة

" اعترف بخطئي .. وانا من حرضت زملائي لمشاركتي اياه .. اعتذر منك .. كان تسرعا مني و.."

هدر صوت فاطمة مموجا بحدة القسوة

" وانا ارفض اعتذارك .. "

ثم أنهت الامر وهي تلتفت للاستاذ وتقول باحترام " شكرا لك استاذي .."

لتغادر المنصة وتتجه بخطوات ثابته نحو مقاعد الطلبة فتجلس جوار زميلاتها بينما يعاود عدي الجلوس وملامحه متشنجة ..

كان منشرحا وهو يقود سيارته ناحية المؤسسة .. طعم فطائر القشطة بالعسل ما زال عالقا في فمه ..

همس ماهر لنفسه بشقاوة

" طعم شفتيّ صفصف وهي تتمنع وتوبخ اشهى وألذ.."

ضحك وهو يدخل بسيارته مرآب المؤسسة بينما يرتفع رنين هاتفه فيفتح الخط

ويستمع لصوت العم عبد الجليل عبر السماعة المكبرة

" السلام عليكم سيد ماهر .. لقد نفذت المطلوب وابتداء من الجمعة المقبلة سنكرر الامر كل اسبوع ان شاء اللّه .. عجلين لوجه اللّه .."

رد ماهر بارتياح

" لن انسى معروفك يا عم .. وارجو ان تبلغني اذا كان هناك حالات اخرى خاصة تستدعي المساعدة .. حالة طبية او حتى معونة للدراسة .."

قال العم عبد الجليل بامتنان

" وفقك اللّه وأنعم عليك بالمزيد .."

توقف للحظة على اثر بعض الجلبة ثم اخذ يوبخ الصبي الذي يعمل عنده في المقهى قبل ان يعود معتذرا لماهر مضيفا

" اعتذر .. هذا الصبي الجديد سيصيبني بنوبة قلبية .. لقد كسر ثلاثة فناجين شاي حتى الان .."

تنهد عبد الجليل مستغفرا بينما ماهر يبتسم بمرح ثم يقول وهو يركن السيارة في مكانها المعتاد

" هون عليك .. انه صبي صغير لايتعد الثالثة عشرة .."

تمتم عبد الجليل ببضع كلمات مؤيدة قبل ان يتكلم بجدية

" سيد ماهر بالنسبة لاعادة بناء المبنى القديم الذي انهار بالزلزال .. كيف ساعطيك التفاصيل لتحدد المطلوب "

رد ماهر بهدوء

" انا ساحضر كل فترة لاتشغل بالك وانت لك مطلق الصلاحية للتصرف واتخاذ القرارات .. انا اثق بك .."

شكر عبد الجليل قائلا

" ممتن لثقتك بني .. "

فيؤكد ماهر قائلا

" عماه .. كما اخبرتك سابقا .. الامر خاص بي وحدي ليس تابعا للمؤسسة وحتى صفية لاتعرف .. "

فيرد عبد الجليل مطمئنا اياه

" لاتقلق سيد ماهر .. سيكون لك ما تريد.. في أمان اللّه لن اؤخرك اكثر .."

ترجل ماهر من سيارته وبعد ان اغلقها تحرك ناحية المصعد عندما اوقفه صوت محمود اللاهث " ماهر .. لحظة .."

التفت ماهر مبتسما للاهث العاشق الذي يهرول ناحيته ...

صفية اخبرته صباحا عن الحوار الغامض مع اختها المجنونة وجه العبوس .. وقد كان غامضا من جهة العنيدة المجنونة فقط لتثير غيظ صفية وهي تتمسك بكلمة (سأفكر) ...

نظر ماهر لوجه محمود الذي وقف قبالته

ليقول له بتفكه " مرحبا بابن عمتي ..."

بدى محمود عابسا ومغتاظا لابعد حد

فيسأل وقبضته تتشنج

" هل حقا زينب اخذت اجازة لنهاية

الاسبوع؟"

رد ماهر بنفس الابتسامة

" اجل .. حتى يوم الخميس المرتقب .."

ثم غمز مضيفا مدعيا البراءة

" انت تعرف الفتيات .. تريد التفرغ

لمساعدة فاطمة للاستعداد لحفل خطبتها

على محمد .. لم يتبق الا يومان .."

فيزمجر محمود من بين اسنانه

" خطبة وعقد قران..."

لم يستطع ماهر السيطرة على نفسه لينفجر

ضاحكا ثم يقول من بين ضحكاته

" هل تحسد توأمك يا ابن الناجي ..؟"

اخذ محمود يشد بشعره بينما يتمتم

" يبدو اني حسدته فعلا لانه استيقظ

بحرارة مرتفعة فجر اليوم وامي اقامت الدنيا

ولم تقعدها حتى احضرت الطبيب للبيت

وطمأنها بنفسه ، الجرح ملتهب قليلا لكنه

قال سيتحسن خلال اربع وعشرين ساعة .."

ذبلت ابتسامة ماهر قليلا ليقول

" البارحة اجهد نفسه ... انه لم يذهب لعمله منذ خروجه من المستشفى اليس كذلك ؟"

رد محمود متنهدا " مع اني لم افهم ما حصل بالضبط يوم الامس ولماذا اغمي على فاطمة في الجامعة الا انه يبدو آذى نفسه وهو يحاول حملها .. اما عمله فقد قال ربما سيذهب ابتداء من الاسبوع المقبل .."

تنهد محمود مرة اخرى ليضيف بجدية

" ماهر .. احتاج ان اتأكد من زينب شخصيا انها لن تخذلني يوم الخميس .."

تبسم ماهر قليلا ثم رفع يده ليربت على كتفه قائلا

" تسمع مني ؟ لاتتصل بها حتى ذلك اليوم.. وجه العبوس تحتاج للشد والرخي .. ستتعود عليها سريعا.. قد تبدو صعبة المراس لكنها في الواقع تحتار وتعاند ضعفها فلا تعرف متى تستسلم ومتى تقاوم.."

ثم تحرك ماهر تاركا محمود لافكاره ليضيف اخيرا وهو يطلب المصعد

" انت تجيد مناورتها والتأثير فيها يا ابن عمتي .. فاستمر في ذلك ولا تتهور حيث لايفترض بك ان تفعل.."

دخل ماهر المصعد وهو ينظر لمحمود بابتسامة غامضة ..

الهاتف على اذنها وهي متربعة جالسة على ارضية المطبخ والقطتين فضة وعسلية تتلاعبان من حولها وهي الاخرى تتلاعب ايضا بخصلات شعرها الذي لن تضفره هذا الصباح بحجة انها .. انها ...

انها ماذا ؟! لاحجة على الاطلاق .. !!

انها فقط تهذي منذ الامس كأن حمى نارية ضربت رأسها فنامت بهذيانها الاحمق وشعرها المفرود في امواج تلتف حولها طوال الليل...

تنهدت في تمرد طفولي وهي تدفع الخصلة للخلف وتدعي الحنق بينما تكلم عمها آسر عبر الهاتف فتقول

" عمي .. لماذا تمنعني الحضور للمؤسسة ؟ لم تمضي ساعة من نهار وقد بدأت اشعر بالملل .. "

فيرد بنبرته المشاكسة فتكاد تتخيل ملامحه المستفزة

" امنعك حتى تستعدي ليوم الخميس .."

ابتلعت ريقها ثم تتجاهل ما يقصده لتقول بتعنت

" ولماذا استعد ؟! اختي فاطمة هي العروس ولست انا .."

تأتيها ضحكاته التي تلعب على اوتار قلبها واعصابها في الآن ذاته ثم يرد عليها بالقول المتفكه الساخر



" ما اجمل التحاور معك ؟ اشبه بالتفرج على من يضرب رأسه بالحائط حتى يقتل ذبابة يظنها تقف على جبهته ! "

ببلاهة رفضت تشبيهه قائلة بغيظ

" انا لست ذبابة .."

يواصل ضحكه المستمتع قائلا

" من قال انك الذبابة ؟!! انت فقط الرأس الغبي العنيد الذي ينطح الحائط .."

اطلقت صوتا مزمجرا متمردا بينما تسمعه يضيف بحلاوة " اذهبي واحتضني قطتك فضة ونامي .. استرخي لليومين القادمين حتى يوم الخميس لانه سيكون طويلا عليك .. "

قلبها يخفق بجنون وهي تفكر (هل حقا لم يتبقَ على يوم الخميس الا يومان ؟!!)

تعافر في مقاومتها وهي تتحداه بالقول اللاهث " ما الذي سيجعله طويلا ؟!! انا افكر ان لااحضر حتى .."

وبكل سلاسة يهمس اسر وكأنه يحاور فتاة صغيرة شقية صعبة المراس " أممممممم .. وتتركين شقيقتك المسكينة في يومها المهم ؟"

احمر وجهها واخذت تبعثر شعرها بيدها في عشوائية متوترة بينما تصر بالقول

" حسن.. حتى لو حضرت لن احتاج لكل هذا الاسترخاء الطويل .."

تكلم اسر بجدية اخيرا وكأنه سئم عنادها وقرر ان يوقفه فقال بحزم

" يوم الخميس حجزت لك في منتجع خاص للسيدات .. الساعة العاشرة صباحا يجب ان تكوني هناك .. سيدللونك ويعتنون بك.. فقط لاتفتحي فمك بكلمة اعتراض وتقبلي التدليل "

شعرت انها صغيرة جدا بينما تعترض لآخر رمق " عمي لكن .."

فيقاطعه بالقول " ماذا قلنا ؟! لااعتراض .."

لاتعلم لم شعرت بالخوف فجأة وكأنها مقبلة على الدخول لعالم جديد فهمست دون وعيها وكأنها تستدرك امرا مهما

" انت لم تنادِني (بطتي) ولا مرة هذا اليوم!"

تجاهل الرد بينما يقول بنفس النبرة الجادة الحازمة

" بعد رحلة التدليل التي قد تستمر لساعات طويلة تنتظرك هديتي الخاصة .."

خمنت انه سيتركها ويغلق الخط فحاولت التشبث به كطفلة تتحجج بأي شيء لتطيل مكوث والدها معها فلا يتركها تذهب للمدرسة بمفردها " اي هدية ؟ ألن تخبرني ولو حتى بتنويه صغير ..؟ انا لااحب المفاجآت ولا احب ان يفرض علي احدهم امرا لاافقه فيه.."

فجاء رد آسر قبل ان يغلق الخط فعليا

" الذبابة ليست على جبهتك .. انها تحوم فقط قرب اذنك تشتتك عن مواجهة اهم ما يحدث في حياتك .. فانسيها تنساكِ! .. اراك يوم الخميس .. ولاتعاودي الاتصال انا مشغول ولدي الكثير لافعله فمديرة مكتبي قررت التسكع في اجازة لبضعة ايام وتركت كل شيء فوق رأسي.."

ابتلعت زينب ريقها وهي تترك الهاتف ينساب من يدها لحجرها وعيناها تناظران بعين الحسد فضة وعسلية وهما تتلاعبان مع بعض خاليتيّ البال !

مكتب ظافر الغازي

دخل محمود لمكتب ابن خاله متجهم الوجه عابس القسمات ويبدو عليه انه يوشك على الانفجار او التصرف بتهور مجنون ...

ناغشه ظافر بالقول

" مرحبا بالعريس .."

ضحك مهدي الذي كان متواجدا ايضا بينما يرد محمود بالقول المغتاظ

" العريس لايعرف ان كان عريسا بالفعل ..! انه فقط يتبجح انه سيجبر العروس على لبس خاتمه بالقوة .."

ضحك ظافر بينما علق مهدي قائلا

" افكر ان نسلط عليها سلسبيل .. انها تليّن الحديد .."

زفر محمود انفاسا قوية بينما ظافر يرد على ابن عمه قائلا بفطنة

" لن نحتاج اختي .. لاأظن اننا سنحتاجها حقا هذه المرة .. ومحمود يعرف هذا رغم هوجاء انفعالاته .."

ثم يضيف ظافر وكأنه يدرك ما يجول في ذهن محمود " ابن عمتنا فقط يخشى ان تجبن وتتراجع في اخر لحظة .."

فيعلق محمود بعنف " لن اسمح لها ابدا .. لقد اكتفيت حقا من جنونها وجبنها .."

ظهرا في بيت بلال الناجي

اخذت نجلاء تجر فاطمة من ذراعها وهي توجهها لجناح التوأمين قائلة

" سيفرح كثيرا لزيارتك .. لقد اقلقنا عليه عندما ارتفعت حرارته عند الفجر .."

انعصر قلب فاطمة وهي تهمس بألم داخلي

" البارحة .. تحمل فوق طاقته وهو ما زال في طور الشفاء.. انا ... حقا .. آسفة .."

وبختها نجلاء بالقول وهي تفتح باب الجناح

" لماذا تأسفين ؟! انه خطيبك ويجب ان يعتني بك صغيرتي "

اطرقت فاطمة برأسها ومعدتها تتلوى في ردة فعل على توترها الشديد ..

الى متى ستعاني شعور الذنب هذا ؟

الى متى تؤذي من تحبهم دون ان تقصد ؟

وجدت نفسها وسط الجناح الذي تدخله لاول مرة في حياتها والخالة نجلاء استاذنت لبضع لحظات لتدخل عبر باب على اليمين ربما لتنادي محمد ..

الجناح كان رائعا شبابيا بارائك مريحة وستائر ذات ألوان الأزرق والبني الغامق .. غرفة جلوس صغيرة مفتوحة على مطبخ عصري صغير ..

الباب على اليمين حيث غابت الخالة نجلاء خمنتها فاطمة انها غرفة محمد .. تقابلها على اليسار باب آخر لابد انها غرفة محمود..

شعرت فاطمة بالحرج الشديد فتورد وجهها وهي تقف وسط غرفة الجلوس لاتجرؤ على اي فعل آخر ..فقط تتشبث بحقيبتها بتوتر..

كان يجب ان تراه .. قلبها يحتاج ان يراه ويطمئن عليه .. كل ما حققته من صمود هذا النهار تهشم لاجزاء متناثرة وهي في طريق العودة مع العم عبد الحكيم عندما اخبرها عن توعك محمد ...

" تعالي فاطمة .. تعالي ..."

التفتت فاطمة ناحية الباب حيث تقف الخالة نجلاء وهي تلوح بذراعها تدعوها للاقتراب ..

زاد تورد وجهها وهي تسأل بحشرجة

" اين .. محمد ؟"

فتتغير ملامح الخالة نجلاء بتاثر أمومي اوجع قلب فاطمة بينما تسمعها تقول

" قلبي هو محمد .. لايقو على النهوض واخشى ان تعاوده الحرارة .. "

تتقدم فاطمة خطوات وهي تسأل بلهفة قلبها عليه هي الاخرى

" هل تعاوده الحمى ؟! "

فتتنهد نجلاء وهي تقول

" نعم بين الفينة والاخرى .. لكن الطبيب طمأننا انه سيصبح بخير حتى صباح الغد ان شاء اللّه .."

ثم سحبتها نجلاء من ذراعها وهي تدفعها عبر الباب قائلة " ادخلي اليه .. انا سأعد هنا بعض الشاي وألحق بك.."

في لحظة وجدت فاطمة نفسها تقف قبالة سرير محمد ... بمفردها ... وجها لوجه معه!

يحدق فيها من بين جفنيه شبه المطبقين في وهن اخترق قلبها بينما يضطجع بملابس قطنية بيتيه في سريره بوضع جلوس مائل الظهر مستندا للخلف بعدة وسادات ...

بدى وجهه شاحبا قليلا لكنه تبسم قائلا بصوت أجش

" حبة السكر هنا ! اظن اني اهذي من الحمى .."

تخضبت وجنتاها واشاحت بنظراتها بعيدا فتهتز خصل شعرها المعقودة في ذيل حصان..

سألته بارتباك وخجل بينما عيناها تتثبتان جانبا على الباب الموارب

" كيف... تشعر الآن ؟..."

فيرد بمناغشة " محموم ينتظر يوم الخميس بفارغ الصبر .."

همست بعتب والخجل يغرقها

" محمد .. ارجوك .. يكفي ما اشعره وانا .. هنا .. سأ .. ساذهب لانادي .. خالتي .."

قبل ان تخطو كان يناديها بصوت مبحوح

" لا .. تعالي .. اعدك .. لن احرجك اكثر..."

التفتت اليه ببطء فهمس لها وعيناه تضطرمان بالنيران

" احضري كرسيا لو سمحت واجلسي قريبا مني .. حتى اسمعك جيدا .."

ابتلعت ريقها وهي تتحرك بخطوات غير ثابتة فاحضرت اقرب كرسي ثم جلست بمسافة متر تقريبا عن السرير فيبادرها هو بالسؤال المباشر " ماذا فعلت اليوم ؟"

اخذت نفسا واطلقته براحة ..

اليوم بالنسبة لها كان اشبه بمعركة صمدت فيها للنهاية في وجه الجميع وخرجت منهكة لكن صامدة ..

وهذا منحها الكثير واستحق كل دقيقة انهاك ومواجهة ..

صحيح انها تصرفت باسلوب هجومي حتى تضع حدا للاقاويل لكنها تعرف جيدا ان تلك الاقاويل لن تنتهي ..

الخوض في حياة الناس واعراضهم هي حرفة قديمة قدم الازل .. قدم البشرية جميعاء ..

فليفعلوا ما يشاؤون لكنها لن تصمت ابدا ..

ردت على سؤال محمد بثقة

" منذ الصباح قدمت شكوى ضد عدي ومن معه لرئاسة الجامعة مباشرة ثم دخلت قاعة المحاضرات واخبرت الجميع.."

حدق فيها محمد دون ان يبدي اي تعبير ليسأل بهدوء " اخبرتهم بماذا ؟"

نظرت في خضرة عينيه فيجف فمها لحظة قبل ان تقول بتماسك

" اننا ..مخطوبان منذ فترة .. وتعرضنا لمحنة انتهت والان .. سنتمم زواجنا .."

ابتسامة صغيرة ارتعشت على شفتيه ثم سأل بسلاسة

" ألم تتحدثي عن خالد ..؟"

حقا محمد يثير فيها الكثير من الدهشة والاعجاب والتساؤلات التي لاتحصى ..

كيف يستطيع ان يسيطر على انفعالاته ويتكلم بهذه السلاسة ؟!

لقد اكتشفت انها حقا لم تصل يوما لعمق شخص محمد .. ان هذا الفتى الذي عرفته من صغرها يخبئ الكثير مما لم يخطر ببالها ..

ردت على سؤاله بنفس السلاسة وكأنها في حالة تحد مع قدراته العجيبة تلك ..

" لم اذكره بالاسم فقط نوهت اننا نحترم قدسية الموت ونحترم اسرته .."

فيبتسم بطريقته الغامضة ثم يسأل

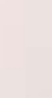
" وماذا عن عدي ؟ هل كان متواجدا اليوم؟ هل حاول مكالمتك ؟ "

ردت فاطمة وملامحها تقسو " لقد كان موجودا في قاعة المحاضرات واعتذر مني هناك وامام الجميع لكني رفضت اعتذاره واصريت على الشكوى .. بعدها اختفى ولم أره .. هو ومن اشترك معه بفعلته .."

فجأة قال محمد وابتسامة ذائبة على شفتيه

" هل تعلمين يا فاطمة ما هو اول ما جذبني اليك وانت طفلة بضفيرة شقراء ؟ "

توردت وهي تنظر اليه بعجز مفاجئ غريب بينما يضيف هو ردا على سؤاله



" شجاعتك وانت تبتسمين مندمجة معنا في اللعب .. كنت تبدين مرتبكة لكنك لم تتراجعي عن محاولة الاندماج مع الغرباء في عقر دارهم بل ومنافستهم .."

قالت فاطمة بعفوية وهي تسترجع احساسها في تلك اللحظة الاولى لدخولها بيت (بلال الناجي) ..

" المحيط الجديد كان شديد الاختلاف وواجهت صعوبات كثيرة حتى لاابدو .. مختلفة بشكل منفر .."

همس محمد بحرارة كلمات بهرتها

" النفور هو اخر ما شعرته بقلبي المراهق وانا ابن الخامسة عشرة .. لم اتوقف عن التفكير بك ليلتها .. منذ تلك الليلة عرفت معنى السهاد ...اراقبك نهارا ويخفق قلبي لكل نظرة وابتسامة عفوية منك ثم اقضي الليل اتخيلك عروسا لي عندما نكبر .."

اتسعت عينا فاطمة بصدمة ...

انه جاد .. حقا هو جاد ...!!

يا الهي .. تنظر لوجهه الذي لايخفي شيئا وتستعيد الماضي قبل عشر سنوات ..

انفعالات شتى هاجمتها .. وتذكرت ...!

تذكرت الكثير مما جعلها تتقلب في مشاعرها بين لهفة وانبهار و .. خزي .. وألم..



نظرت في عينيه مباشرة وفكرة واحدة تسيطر عليها ..

(كيف كان يشعر ليلة خطبتها على خالد ؟! خطبة استمرت لاشهر !)

تمتمت دون شعورها (يا الهي) وهي تحدق بالنيران التي اشتعلت في عينيه ...

نيران غيرة وحشية وألم دفين ..

لهثت انفاسها وهي عاجزة عن ازاحة عينيها عن عينيه فيهمس هو بنبرة شوشتها

" كل هذا انتهى الآن يا حبة السكر .."

ثم اضاف بحشرجة وعيناه ترسلان شظايا من لهب " انت لي الآن .. لي ... وسأعوض لنفسي كل ما فات .."

ترتعش شفتاها وعيناها متوسعتان بينما تسمع صوت الخالة نجلاء وهي تقول بمرح

" الشاي للعروسين ..."

فلا تجد القدرة حتى لكلمة الشكر كي تنطقها ..!

يوم الخميس ... بيت بلال الناجي

تقف فاطمة بوجه متورد متألق حُسناً وبهاء جوار اختها صفية وماهر .. بينما يكتفي محمد بنظرات غامضة من بعيد وان كانت تتوهج ببريق شديد بين الفينة والاخرى ...

تنظر نهى بفخر ناحية فاطمة التي تتألق بفستانها الاميري الهيئة بتدرجات الاخضر والفضي الباهت لتكتمل هيئتها الملفته بشعرها الاشقر المرفوع بتاج رقيق منمنم ..

كل هذا كان من اختيارها وتنسيقها وهي جدا راضية وسعيدة بالنتيجة ..

حتى تبرج وجهها المتقن كان من صنع يديها الخبيرتين ... الفتاة رائعة الجمال بالفطرة .. جمالها يجمع بين البراءة والنعومة مع حلاوة جذابة غامضة ..

قال نادية باعجاب حقيقي " سلمت يداك يا نهى على اختيار فستان فاطمة .. انه مبهر.. والفتاة تبدو كاميرة .."

ابتسمت نهى بمزيد من الفخر بينما تتذمر نجلاء بعبوس

" لكنه مكشوف الذراعين وفتحة الصدر واسعة نسبيا وهذا لايعجب ابني .. لقد لامني لاني لم انتبه لهذا .."

تأففت نهى وهي تلتفت لابنة خالتها وتقول بغيظ " انها تضع وشاحا حول كتفيها ويغطي كتفيها واعلى ذراعها .. "

فيزداد عبوس نجلاء وهي تلتقط نظرات ابنها محمد لخطيبته ثم تتذمر بالمزيد

" انه وشاح شفاف .. لم أظنه هكذا .. وكما قلت لك ..هذا لايعجب ابني .."



انتقل العبوس لوجه نهى لتقول بتوبيخ وهي تردد جملة نجلاء

" لايعجب ابني .. لايعجب ابني .. انها عروس ونفعل هذا لنفرح ابنك بعروسه .."

ضحكت نادية بخفة وهي تتطلع لزوجها من بعيد بينما ترى محمود يحوم حوله وظافر يشده من ذراعه ..

هذا الخبيث الماكر يمنع محمود من الانفجار باسلوبه الاستفزازي ...

سألت نجلاء بقلق فجائي وغيظ مبطن

" انتظر بفارغ الصبر اختيار آسر لفستان بطته .. ألم يخبرك بشيء يا نادية ..؟ هل

أكد لك انها قادمة الليلة ام ستفعلها بنا وتجعلنا ننتظر الى ما شاء اللّه ..."

ردت نادية بارتياب ممازح " اظنها ستأتي لامحالة .. لكن هذا المشاغب هو من يثير قلقي .. لااعرف ماذا يحضر او حضر للفتاة.."

فعلقت نهى ببعض الترفع والفخر

" ذوقه لايعلى عليه ..زينب محظوظة ان اسر الغازي اختار لها فستانا "

تجاهلت نادية نبرة الغرور والترفع في صوت نهى لتعبر بالقول

" يا خوفي من مفاجآته لا من ذوقه في ملابس النساء .."

تنهدت نجلاء وجيناتها المتهورة تتراقص في عينيها

" المهم ان تأتي المجنونة .. بفستان رائع او بقميص نوم مهلهل .. لايهمني .. محمود يبدو على حافة الانفجار .. وانا سأنفجر معه.. الحمد للّه ان ظافر له تأثير عليه وقادر ان يكبح جماحه ليمنعه ان يتهور .. لكن انا .. من سيكبح جماحي ان قررت الذهاب اليها وجرها من ضفيرتها رغما عن أنفها ؟!!!.."

بدت نهى مستاءة بينما ضحكت نادية قائلة لتهون عليها

" لاتجزعي نجلاء .. حتى لو لم تتم خطبة محمود الليلة .. نقيمها الخميس المقبل .. دعينا نبتهج بمحمد وفاطمة .. الاثنان يستحقان الفرح .. اما زينب ومحمود انا واثقة انهما لن يتركا خطبتهما تتم دون اطلاق اعيرتهما النارية الخاصة .. "

لم تحتمل نهى لتقول باستياء واضح

" لاافهم ماذا تريد هذه الفتاة اكثر من هذا.. الكل يدللها ويهتم بها والافدح يتركونها تتصرف على هواها ..! في رأيي انها تتدلل كثيرا وآسر من منحها مساحة اكبر من حجمها باعطائها امتيازات خاصة.. عليها ان تدرك انها محظوظة كأختها بالزواج من ولديّ الناجي .."

ذابت الضحكة على وجه نادية وهي تقول بهدوء " نهى رجاء لاتبدأي نظرياتك الطبقية الارستقراطية هذه الليلة .."

عبست نهى بشدة لتصر على وجهة نظرها بالقول

" انتم دائما لاتعترفون بالواقع .. انه ليس غرورا مني لكنها الحقيقة التي تجعلنا نعيش في طبقات مختلفة .."

تحركت نادية وهي تمسد على فستانها الانيق الذي جمع اللونين الكحلي والاحمر ثم قالت ببرود هذه المرة

" انا انسحب من مناقشة كهذه .. مزاجي جميل الليلة ولااريده ان يتعكر .."

ظهر الضيق على نهى بينما تراقب نادية تبتعد برشاقة تحسد عليها لمن في سنها ثم تطلعت ناحية نجلاء وكأنها تطلب تأييدا ولو جزئيا فتناظرها نجلاء بغيظ وهي تقول بشقاوة خاصة " انا سأبقى .. لن انسحب .. لكن أرحميني يا نهى باللّه عليك .. الليلة حفل التوامين .."

زمّت نهى شفتيها بينما تتنهد نجلاء وهي تنظر ناحية محمود هامسة باحباط

" وربما حفل لتوأم واحد فقط .."

بعد ربع ساعة اشار بلال لنجلاء ان تقترب منه وحالما فعلت اخبرها في اذنها

" صغيرتي .. جاء المأذون لنعقد القران .."

حادت نظرات نجلاء المشفقة ناحية محمود الذي بدى غاضبا بشكل مكبوت يقلقها لتهمس لزوجها " ألن ننتظر قليلا .؟"

تتبع بلال نظرات نجلاء ناحية محمود فقال لها بنبرة رقيقة متفهمة

" دعي الامور تسير بطبيعتها.. زينب قد لاتاتي الليلة .. انت تعرفين غرابة افعالها الفجائية .. تظهر فجأة وتختفي فجأة .. فلا تضغطوا عليها جميعا .."

عادت نجلاء للتنهد بينما تتمتم

" قلب محمود سينكسر ان فعلتها المجنونة ولم تأتي .. رغم طيبة قلبها واصلها الا انها متعبة حقا ولولا تعلق محمود بها واصراره عليها لنصحته ان يرتبط بفتاة اقل تعقيدا"

ابتسم بلال والتمعت عيناه بينما يهمس لها

" العشق قسمة ونصيب صغيرتي .."

تجلس فاطمة بتوتر على حافة اريكة انيقة ثم رفعت نظراتها للحظات سريعة نحو ماهر اولا ثم للعم بلال ...

الاثنان يبتسمان لها بتشجيع وهما شاهديّ عقد قرانها ...

اطرقت برأسها مرة اخرى تحدق في الكتاب المفتوح على حجرها .. كتاب تسجيل الزواج للمأذون ..

يدها ترتعش وهي تحاول خطّ توقيعها ...

ليست يدها فحسب بل ساقيها ايضا اخذتا ترتجفان بقوة حتى وقع الكتاب ارضا ..

شهقت بنعومة وارتباك ثم شعرت باخيها طه يجلس القرفصاء جوارها وهو يرفع الكتاب من الارض ليضعه على حجرها مرة اخرى..

تطلعت لوجهه وهو يبتسم لها مشجعا بينما يثبت الكتاب بيده وهو يقول لها بمحبة

" وقعي اختي .. انا سأمسكه لك .."

اغرورقت عيناها فتمد يدها لتلامس خده فتشعر بدفء يغلفها .. ترى في عينيه طيبة مشعة تذكرها بطيبة امها ...

مالت اليه تقبل خده وتهمس في اذنه

" لم أكن سأفعلها دون وجودك بجانبي .. ملتصقا بي هكذا كما كنت تفعل وانت طفل صغير .."

يضحك طه بخفة بينما يشير لها باصبعه على الصفحة المفتوحة

" وقعي هنا .. الكل بانتظارك .."

دون ابطاء .. سمت باسم اللّه ثم وضعت توقيعها على عجل ودون مزيد من التردد...

علت الزغاريد واخوها طه يسحب الكتاب والقلم منها وهو يقبل خديها مباركا ..

تشوش كل شيء حولها ووسط التشوش تستسلم لاحضان صفية التي تبارك لها في اذنها بصوت متحشرج من بكاء متأثر مكتوم ...

فجأة تذكرت اختها زينب فتبتسم طواعية وهي تهمس في سرها بتعاطف

" ترى ماذا تفعل المجنونة الآن ؟!!"

هي لحظات فقط شردت فيها مع اختها ليخترق تشوشها الصاخب صوت محمد ويداه تستقران تحت مرفقيها فترفعان جسدها بحركة رشيقة واحدة ..

اغمضت عينيها فلم تر وجهه ..

اقشعرت بشرتها وهوى انفاسه يداعب خدها ثم انكمشت رغما عنه وهي تشعر بشفتيه على خدها هامسا بصوت ناري مبحوح

" مرحبا بك في برج قلبي العالي .. العالي جدا جدا ..."

ترتعش بقوة وتشعر بحاجة رهيبة للهرب ..

تترنح بين يديه بينما تسمع الزغاريد اكثر فتختلط عليها الامور ما بين تشوش وانكماش وخفقان مجنون لقلبها ....

شعرت اخيرا بيديه تحرران مرفقيها ليترك للاخرين حرية المباركة لها ..

رغم ابتعاده الا انها تشعره ما زال قريبا ..
تشعر بانفاسه الدافئة ما زالت تدغدغ
خدها وملمس شفتيه على خدها حفر
عميقا في قلب انوثتها ..

تأثيره لم يخفت حتى مع احتضان الجميع
لها وماهر الذي لثم جبينها مباركا حتى
العم بلال فعل المثل ...

احست بماهر يسحبها من ذراعها قليلا
ليسلمها لمحمد مرة اخرى قائلا بخفة

" انها الاغلى عندي ولن اوصيك بها.."

الغصة خنقت فاطمة وهي تطرق برأسها
تحاول السيطرة على انفعالاتها الشتى ..

استسلمت لذراع محمد التي التفت حول
خصرها بتملك ثم رفع يده الحرة ليدّعي
انه يعيد خصلة منفلته من تسريحة شعرها
لمكانها بينما في الواقع مال قليلا ليلثم
بفمه تلك الخصلة في خفية عن الانظار
هامسا " ميم .."

رمشت وهي ما زالت مطرقة تتخضب بالحمرة
القانية وهي تسأله بلهاث مشاعرها المشوشة

" ماذا قلت ؟! ميم ؟!! "

نارية نبراته لاتخف وهو يرد عليها

" وعد قطعته على نفسي .. ان اكتب
حروف اسمي على كل خصلة من خصل
شعرك .."



جنون نبضات قلبها ارتفع في أوجه فتكاد تخذلها ساقاها لتستند عفويا بكفيها على صدره تتشبث بسترته الكحلية الانيقة هامسة " اشعر اني .. دائخة قليلا .. "

تسمع ضحكات خافته منه ثم شعرت بكفيه الاثنين تتحركان لتمسك طرفيّ وشاحها الشفاف وتعقدانه بحزم امام صدرها ثم تسحبان حافته للاسفل ليغطي ذراعيها اكثر ليهمس لها بعدها بصوت يفيض ببعض مما يشعره ويكتمه بشق الانفس

" انا غيور ... غيور كما لم تعرف الغيرة جنونا من قبل .. "

علقت الكلمات في فمها وابت حتى اللحظة ان تنظر في عينيه مباشرة ..

هناك ما يمنعها .. يا الهي ..

ليس الخجل فحسب وانما ..

حاجز قد يبدو للاخرين غير مرئي .. لكنه بالنسبة لها مرئي جدا!!

حاجز يخصها هي وحدها ..

وترتعش رعبا كلما فكرت باختراقه ...

همسه اصبح اكثر حميمية وشغفا

" لايهم ان لم تنظري في عيني الليلة .. لايهم يا من اتعبت قلبي .. اتعبيني اكثر واكثر .. اخطي خطواتك على مهلك

تماما .. ومع كل خطوة اشعري بي قطرة فقطرة .. افعلي كل هذا على .. مهل .. واتركي لي جحيم الانتظار .."

يدها فوق سترته ترتعش بالخاتم المرصع باحجار فضية وخضراء ..

خاتم حلمت به في حياة اخرى ومشاعر اخرى ..

و يا ليت الزمان يعود بـ(روحها) للوراء فقط هذه الليلة ..

فقط لليلة واحدة تريد ان تشعرها كما حلمت يوما ان تشعرها !

في نفس الوقت ما بين بيت ماهر الغازي و بلال الناجي

فستانها الابيض ذو تطريز جانبي ذهبي خلاب يهفهف من حولها بينما يتطاير شعرها الغزير الطويل بخصله المتلوية كأنهار تتدفق من ليل سرمدي ليحتضن بظلامه الآسر اللامع ظهرها وكل جذعها ...

انفاسها متلاحقة اثارة وهي تمسك مقبضي عجلتها البيضاء الجديدة ... عجلة نارية رباعية ذو جناحين خلفيين كجناحي (بجعة) ..

انها هدية عمها آسر .. وجدتها بانتظارها كما وعد عند عودتها من (رحلة التدليل) التي استمرت لساعات وقد استمتعت بكل لحظة فيها ..

ضحكت ضحكات متتالية مجنونة كجنون قيادتها ...

انها تشعر بالتحرر .. تشعر بالطيران ..

انها تحلق تحلق ...عاليا .. آه .. عاليا جدا ..

ستجعل ذو الغمازتين يلهث حتى يقبض عليها ....

هذا ان استطاع ان يمسكها اصلا ..

سأل محمود بصوت خافت وقد فاض كيله

" اين زينب يا خالي ؟ طوال الساعتين الماضيتين وانت تقول لي اصبر واصبر .. فقط على الاقل اخبرني اين هي الآن ..؟ "

رد آسر بابتسامة مستفزة

" انها تلعب في طرقات الحي .."

زم محمود شفتيه ليقول بنظرات حادة

" اذن سأذهب لاجرها من ضفيرتها على اسفلت طرقات الحي .."

ضحك آسر ملء شدقيه بينما يتحرك محمود وظافر يحاول امساكه عند باب الصالة فيقترب آسر وهو يتطلع لساعة يده ويقول بغموض

" حسب تقديري انها في الطريق الى هنا ..."

تطلع ظافر لابيه وكأنه يحثه على تهدئة محمود بدلا من استفزازه فيرفع آسر حاجبيه ببراءة بينما يقول متفكها

" هل قلت لي ستسحبها من ضفيرتها ؟!

امممممممم..اتوق لاراك كيف ستفعلها.."

وقبل ان يرد محمود بشيء رن هاتف آسر فاستاذن بغموض ليغادر الصالة وهو يفتح الخط ..

ابتسامة واسعة على وجه آسر تشع فخرا واثارة بينما عيناه تلمعان بالبريق الساطع وهو يقف وسط الباحة الامامية لبيت بلال

الناجي وبجعته الرائعة تطير حوله في دوائر ضاحكة مبتهجة كما تخيلها بالضبط واراد لها ...

تقف منتصبة فوق العجلة النارية وهي تلف حول عمها آسر وتقول بابتهاج

" انظر عمي .. انظر .. انها رائعة .. مبهرة .. لاتصدق .. اكاد ..."

تلاشت جملتها مع صدمتها برؤية الخيال الاسود الذي خرج للتو من باب البيت ليحدق مصعوقا بما يراه ...

في لحظة اوقفت زينب العجلة وقفزت برشاقة وهي ترفع فستانها بينما تسمع اسر يناديها بخفة " تعالي بجعتي ..."

وقفت متدارية خلف ظهر عمها آسر تختبئ من المجنون الذي يتقدم نحوهما بينما تهمس بلهاث اثارة وهي تتطلع بعينيها فقط من فوق كتفي عمها " ناديتني بجعة ! "

يلف آسر ذراعه للخلف حولها وكأنه يحميها بينما يواجه المجنون الآخر وهو يقول " اروع بجعة هي تلك التي يربيها ويطلقها آسر الغازي .."

كان محمود في حالة لاتوصف ..

لابد انه يهذي .. لابد ان ما رآه للتو هو محض حلم مجنون ...

سمع صوت خاله الذي يقف سدا منيعا بينه وبين التي تختبئ خلفه " تعقل يا فتى .."

هل قال خاله (تعقل) ؟!!!

همس محمود بصوت ناري وعيناه لاتفارقان عينيها اللتين برزتا من فوق كتف خاله

" خمس دقائق فقط.. معها .."

تقدم محمود خطوة دون شعوره وهو يكاد يفقد رشده فأوقفه آسر وهو يضع كفه على صدر ابن اخته .. صدره الذي يعلو ويهبط بجنون فيقول له آسر بمشاكسة

" اذا كنت ترعبني انا شخصيا فكيف تريدني ان اتركك معها حتى ولو لخمس دقائق ..؟! "

همس محمود بعذاب يفيض حلاوة ذائبة من شقاوة عينيه " خاااالي ..."



يريد التقدم وآسر يمنعه وهو يقول بحزم هذه المرة

" ابتعد عن طريقي يا ابن نجلاء .."

اخذ محمود ينفض رأسه وصورتها المجنونة تلهبه فوق قدرته على التحمل ..

تقف بفستان ابيض مذهب فوق بجعة .. ام كانت هي البجعة البيضاء ؟!!

شعرها يتطاير بجنون حولها وهي تضحك وتضحك وتضحك ..

اخذ يضرب جانب رأسه وهو يهدر

" فقط اريد .. التأكد مما رأيت .."

يرى عينيها العسليتين كجمرتيّ تحدي تلمعان فوق سواد بدلة خاله آسر ..

في لحظة كان آسر يسحبها عنوة للامام فتشهق وينتثر شعرها حول وجهها ويتطاير فستانها مع حركة جسدها ..

يهمس محمود بعينين جاحظتين

" يا اللّه ..! "

أمره آسر بملامح جدية وهو يحاوط خصر زينب " الآن تأكدت .. دعنا نمر لان بجعتي لم تلحق بعقد قران اختها .."

ابتأست زينب وهي تهمس بلهاث قلب خذلها

" حقا ؟! عُقد القران ؟ لماذا لم ينتظروني؟"

فغمزها اسر وهو يحاول التحرك بها قائلا

" تأخرتِ بجعتي .. يبدو ان اللعب ألهاك فلم تشعري بمضي الوقت .. لقد تم العقد والمأذون على وشك المغادرة .. انه ينتظر سيارة الاجرة .. هيا لندخل .."

كان محمود يغلي ويشعر انه سيرتكب حماقة كبرى ..

وقف في وجه خاله وهو يقول بغليانه الذي لايحتمل

" اريدها ان تلبس الخاتم قبل ان تدخل .."

عبست زينب وهي تناظر جنون نظراته اليها وقبل ان تعترض تأفف آسر وهو يمد يده الحرة قائلا " اعطني اياه .."

لم تفارق عينا محمود وجه زينب الذي تخضب بالحمرة واخذت تهز رأسها سلبا فيثير جنونه اكثر خصلات شعرها التي تتراقص معها ...

اخرج محمود العلبة من جيبه وهو يقسم اغلظ الايمان في سره انها لن تخطو للداخل حتى تلبس الخاتم ..

تطلع آسر بتمهل مغيظ للخاتمين ثم التقط الخاتم النسائي واعطى العلبة لمحمود ثم قال بتفكه

" ذوقك رائع كخالك يا فتى .."

خاتم مرصع بالفيروز الازرق اختاره بعناية وهو يتخيله يزين يدها السمراء ...

يختض قلب محمود في صدره بينما يرى خاله يلبسها الخاتم بنفسه وهي ما زالت تهز رأسها سلبا لكن يدها مستسلمة في تمرد على تمردها ..!

رفع اسر نظراته المستفزة لابن اخته قائلا بإغاظة " الف مبروك .. بالرفاء والبنين .."

لكن محمود اوقفه بصوت مبحوح

" وماذا عن خاتمي ؟ "

تظاهر آسر بالتأفف فاخذ الخاتم الفضي من علبته وامسك يد محمود اليمنى عنوة ليدخله في بنصره ويقول بعدها

" مبارك ... الآن دعنا ندخل يكفينا جنون الليلة ..."

تحركت زينب مع عمها اسر وهي تبدو مصدومة اكثر واكثر .. كانت مشعة ومجنونة وحلوة وعاطفية و ....

هدر محمود مع هدير خطواته وهو يلحق بهما " على جثتي ان غادر ذاك المأذون قبل ان يعقد قراني على .. البجعة ..."

الفصل التاسع عشر

يرتشف ماهر من كأس عصيره بمزاج رائق بينما يتطلع لوجهها الحانق اللذيذ من فوق حافة الكأس الكريستالي الانيق ...

بدت حلوة بالفستان النبيذي الذي ارتدته الليلة وقد انعكس لون الفستان على خديها المحمرين بتأثير الحنق لا الخجل ..!

تذكرها بفستان آخر يحمل نفس اللون قبل تسع سنوات تقريبا في تلك الليلة عندما احضراها اليه كلا من والده وعمه آسر كخطيبة رسمية له امام الناس في عرس اخيه مهدي ...

اخذت صفية تدور بعينيها مرة اخرى تبحث عن عمها آسر علّه عاد لكنها لم تجده ..

تمتمت وهي تكز على اسنانها وتتطلع بنفس الوقت لساعة يدها الذهبية

" لماذا اشعر ان عمك آسر سيرمي زينب في وجوهنا في اية لحظة كقنبلـــ....ـه .. يا الـ...ـهي ..."

تنبه مباشرة لثبوت نظراتها المصعوقة على باب الصالة لتتسع ابتسامته وتشق فمه حتى اوشك ان ينفجر ضاحكا وهو يتطلع بانبهار ضمني لمن دخل للتو ليردد ماهر

" كما توقعت .."

صمت الجمع للحظات مصدومة والكل يحدق بآسر الغازي الذي يتطلع اليهم بوقفته الشامخة ونظراته الفخورة المستفزة باستمتاعها بينما يلف ذراعها حول خصر فاتنة خيالية بفستان ابيض مذهب وشعر جنوني كجنون ليل عاصف فتتمتم نهى بعيون منبهرة " زينب ! "

بينما تهز نادية رأسها بلا تصديق لتكون اول من انفجر ضاحكا فتتبعها مباشرة زغاريد نجلاء ...

كل ما حصل بعدها كان هرج ومرج من فرح وزغاريد تشاركتها نجلاء مع حوراء وسلسبيل اللتين جرتا زينب المصعوقة

النظرات من ذراعيها ليحرراها من تطويق آسر الغازي ..

كان الرجال ما زالوا في حالة صدمة وهم يراقبون المنظر لترتفع ضحكات ظافر وهو يقترب من ابيه معانقا ...

محمد اخذ ينظر لما يحصل حوله باستمتاع يضاهي استمتاع خاله آسر بينما يميل نحو فاطمة التي بدت جاحظة العينين فاغرة الفم من شدة المفاجأة وهي تحدق في اختها ليهمس محمد في اذنها بصوت أجش وعيناه على شفتيها

" كلمة (نعم) من هاتين الشفتين وساستغل تأثيرات القنبلة التي فجرها خالي للتو

فاختطفك بعيدا لاستكشف بنفسي كل حرف تنطقين به .."

شهقت بنعومة وقبل ان تلتفت اليه كانت زينب امامها وترتمي في احضانها لتغرق الاختان في عناق مؤثر سلب القلوب وادمع العيون خاصة عندما انضم اليهما طه في هذا العناق الحار ...

فقط صفية غلبها حنقها لتتحول صدمتها الى غضب (امومي) عارم وهي تقف مسمرة مكانها جوار زوجها ...

تكتفت وهي تلتفت لماهر الذي ما زال يرتشف عصيره بهدوء وكأن شيئا لم يحدث لتهدر به بصوت خافت

" هل لهذا كنت تبتسم طوال الوقت وغير مهتم او مبالٍ لغيابها ؟ هل اتفقت معه على كل هذا ؟"

رد ماهر وهو يعض شفته السفلى مغيظا اياها بنظراته العابثة

" اسر الغازي يتفق مع نفسه فقط .."

كانت ستنفجر فيه حقا عندما أتى صوت المجنونة اختها عاتبا بتمرد

" كيف تعقدون قران فاطمة وانا غير موجودة .. ؟!! "

رفع ماهر حاجبيه بخفة وهو يتطلع لصفية التي اصبحت ملامحها منحوتة بالشر اللذيذ..

على الاقل هو يجده لذيذا هذه الليلة

ككل شيء فيها ..

حدقت صفية بنظرات نارية الغضب في

اختها لتهدر فيها " ولك الجرأة لتعتبي ؟!

وما ادرانا انك ستتواجدين من الاصل ! انت

مختفية وسرك فقط مع العم آسر صاحب

المفاجآت المتفجرة .. اليس كذلك ؟! "

احمرت زينب واخذت تنقل نظراتها بين

صفية وماهر ..

بدت مشعة .. مشوشة بانبهار مما يحدث

رغم محاولاتها المضحكة للتماسك

والتشبث بالغضب حيال عقد قران فاطمة

الذي تم دون وجودها ..

وجه العبوس تتلاشى بل تلاشت كليا في

مشاعرها التي اغرقتها وجعلت بريق روحها

يصطخ بجوهره الحقيقي ..

يستطيع ماهر ان يقسم ان النيران تشع منها

بشكل غير مرئي ..فتساءل متفكها في

سره وعيناه تبحثان عن محمود المختفي

" ترى هل حاول المجنون لمس تلك النيران

الخفية فأحرقته ؟! "

تطلعت زينب لاختها الكبرى بشعور الذنب

بينما تعاند بالقول الركيك

" هذا ليس .. مبررا .. انا ... انها اختي كما

هي اختك .. "

هي من جنت على نفسها ... هذا ما فكر به ماهر بينما يرى زوجته قد وصلت آخر قدرتها على الصبر لتمسك بذراع زينب قائلة بصوت خفيض " اختك فاطمة كانت متوترة وبشق الانفس تخفي توترها كلما مر الوقت .. ألم تفكري بما تمر به فاطمة هذه الليلة ؟! ألم تفكري بصعوبة الامر عليها وهي تدعي القوة والثبات ؟! "

احنت زينب رأسها ليغرق وجهها بجنون خصل شعرها وهي تهمس بالاسف

" انا اسفة .. حقا لم ..."

رق قلب صفية لها ..

كانت تراها كاجمل فتاة .. كأجمل ما يمكن ان تكون عليه اي فتاة عروس ..

كانت تشعر بالفخر والفرح رغم الغيظ والغضب من تصرفات اختها المتهورة الغريبة التي تحرجها وتثير جنونها على الدوام ..

قالت صفية وهي تخفف من قبضتها على ذراع زينب دون ان تخفف من نبرة التوبيخ

" انا من طلبت من العم بلال عقد القران وان لاننتظر حضورك .. يكفي مراعاة لتصرفاتك الفجائية غير المسؤولة ، ظننتك نضجتِ خلال السنوات الاخيرة وانت تعملين في مؤسسة ضخمة لكن يبدو انك عدت اسوأ من مراهقتك.."



رفعت زينب وجهها الاسمر الجميل ورمشت بعينيها العسليتين اللامعتين لتهمس بتضرع طفولي

" صفية ... لاتقسي علي .. انا لم اقصد .."

حاول ماهر ان يتدخل لكن صفية سبقته بالقول الصارم وهي تحاول ان تشد على قلبها فلا تضعف فواجهتها بنفس النبرة

" خرجتِ منذ الصباح في رحلتك الغامضة التي رفضتِ الافصاح عنها الا انها تخص (العمل) مع عمي آسر .. لاتردين على هاتفك ابدا .."

تمتمت زينب موضحة ووجها يحمر

" الغيت صوت الرنين .. كنت .. مشغولة .. مرتبكة .. مشوشة ... وما زلت .."

زمّت صفية شفتيها وهي تتطلع بغيظ ناحية عمها اسر الذي كان يراقب المشهد بين الاختين من بعيد وباستمتاع مستفز وحالما التقط نظرة صفية اليه اتسعت ابتسامته وهو يغمزها ضاحكا ثم يلف ذراعه حول زوجته نادية ويمنح صفية نظرات بريئة اكثر استفزازا من ابتساماته ..

بادلته صفية بنفس التحدي المنعش القديم الذي بينهما منذ اول مرة رأته فيها في المؤسسة فتبتسم له بينما تقول لزينب من بين اسنانها

" مشغولة ؟ مرتبكة ؟! وانا كنت في قمة الاحراج والتوتر والقلق .. لولا اني اطمأننت على وصولك للبيت من الحراس لخرجت كالمجنونة ادور في الشوارع بحثا عنك تاركة فاطمة في أهم وأصعب يوم لها .."

هذه المرة كانت زينب من امسكت بذراع اختها لتقول بصدق

" اقسم لك .. لم انتبه للهاتف .. عندما عدت ظللت مرتبكة كيف ارتدي هذا الفستان .. انظري اليه .. انه بطبقات خفية اشبه بمتاهة ! .. و.. عندما انتهيت واوشكت ان آتي بسيارتي اخبرني الحراس ان .. هديتي وصلت ..."

تنبه عقل صفية بالكامل وهي تتساءل

" اي هدية ؟! اخبريني ..."

بدت زينب فجأة كمذنبة وهي تتمتم وعيناها تتنقلان لوجه ماهر بتوجس

" هدية من عمي آسر .. انها عـ..عـجلة ... نارية ربا...عية .."

شهقت صفية وهي تفتح فمها هامسة بما يشبه الهلع " يا الهي .. لااريد ان اصدق انك حضرت الى هنا بتلك العجلة .."

ابتلعت زينب ريقها وهي تعافر لتصمد بالقول " وماذا في ذلك ؟!! ماهر ايضا لديه عجلة نارية .."



عقدت صفية حاجبيها لتقول بصرامة

" اقسم بالله ان لم تتصرفي بنضج لبقية السهرة يا زينب فأني سأنسى سنوات عمرك الاربع والعشرين وسأطرحك ارضا واضربك على مؤخرتك كما لم افعل وانت طفلة .."

تمتمت زينب بتمرد عابس

" لماذا الجميع يود ضرب مؤخرتي ؟!"

سألت صفية بانفعال حائر " ماذا قلتِ ؟!"

ردت زينب بسرعة ووجهها يتخضب بالحمرة

" لاشيء .."

فجأة تنبهت صفية للخاتم في يدها فسألتها وهي تمسك تلك اليد

" ما هذا الخاتم ؟!"

اتسعت عينا زينب وسارعت للقول المتعثر وهي تنتزع يدها من صفية وتبتعد عنها لتقترب بلمح البصر من ماهر تحتمي به

" عممم...ـي اسر .. أأ...ألبسني اياه .."

انفجر ماهر ضاحكا وهو يحاوط زينب ويميل ليلثم جبهتها هامسا بصوته المبحوح

" لقد فعلها مرة ثانية يا صفصف ..."

عندما استوعبت صفية المقصود كانت على وشك الانيهار من شدة الغيظ لتقول بغيظها المتفجر

" ماهر توقف عن الضحك .. ابحث عن ابن عمتك المختفي لنفهم هل نحتفل بخطبة ام خطبتين ! "

حالما نطقت صفية بجملتها ارتفع صوت محمود من عند الباب وهو يدخل ساحبا وراءه الشيخ المأذون وهو يقول بملامح صلبة رغم ابتسامته المصطنعة

" لقد لحقت بالمأذون قبل ان يستقل سيارة الاجرة .. "

ثم التفت ناحية الشيخ الذي بدى مذهولا ليقول محمود من بين اسنانه

" رجل طيب قال لن اخرج قبل ان اعقد قرانك كأخيك .."

ارتفع صوت بلال حازما " محمود ! انت تتعجل .. الفتاة ...وصلت للتو .."

رد محمود بسلاسة كابتا انفعالاته المجنونة لاقصى حد

" زينب وافقت ابي .. لقد لبسنا الخواتم حال وصولها في باحة البيت الامامية وبمباركة خالي آسر .."

بدت زينب اكثر ذهولا من المأذون بينما تتمتم وهي متعلقة بماهر " انا لم ..."

قاطعها صوت ظافر الذي ادعى انه لا يسمع صوت زينب المعترض ليقول بابتسامة مبتهجة " بعد اذنك ماهر انا من سيكون الشاهد على عقد قران محمود وزينب .."

اخذت زينب تهز براسها وقد انخرس لسانها.. عيناها تحركتا ناحية عمها آسر باستنجاد ضمني ليبتسم لها اسر ثم تلمع عيناه بخبث وغموض مريب تعرفه هي جيدا دونا عن غيرها قبل ان يتحرك بخطوات متمهلة مغيظة قائلا بعذوبة ماكرة " وبعد اذن بلال .. انا سأكون الشاهد الثاني .."

علمت زينب عندها ان اللعب انتهى ومن يتعلم الطيران ويجربه لايعود لعشه محتمياً من جديد ...

خاصة ان كان عشا لآسر الغازي ...

عاد اليها طنين الاذن وماهر يسحبها بحنان وتسمع صوته الهامس المطمئن

" امرحي يا وجه العبوس .. الحياة يمكن ان تكون احلى رحلة مرح لو شئنا .."

تهز رأسها بغباء بينما يجلسها على اريكة ما ويبتدأ عقد القران ...

تسمع وترى وتعي ولكن الطنين هو السائد..

سمعت اخاها طه يهمس لها مغيظا اياها

" انت ترتجفين اكثر من ارتجاف فاطمة اثناء العقد .. ماذا جرى لكما ؟! هل الزواج مخيف لهذه الدرجة ؟ "

يضحك بخفة وهي تكاد عاجزة عن رفع يدها لتصفعه على قلة حيائه !



انتهى كل شيء كحلم .. وقعت وعلت الزغاريد والمباركات وما زال الطنين هو السائد المتسيد ..

ثم فجأة تنبهت حواسها بالكامل واختفى الطنين بل توقفت ساعة قلبها وعقلها لتشعر بكفين خشنين تلتفان بقسوة حول عضديها .. انفاس حارة .. حارة جدا وكأنها من قلب الجحيم ثم شبح قبلة باهته لامست خدها ليأتيها بعدها صوته اللاهث المكتوم

" صبرا حتى انفرد بك .. ألم أقل انت لي يا وجه العبوس ؟ في النهاية لم اكن مضطرا لاموت وألاحقك بشبحي !"

ثم فجأة ابتعد بخشونة لتنظر مباشرة في عينيه وتجد فيهما وعودا جعلت فمها يجف.. وخلال لحظات رأته يختفي تماما من الصالة !

دخل اسر الصغير الصالة حال خروج محمود منها فبدى على عجل وهو يقترب من امه وعيناه ترمقان بحذر جدته نهى اللاهية عنه في حديث ضاحك مع نجلاء ...

قالت سلسبيل بهمس تآمري وهي تنظر لملابسه المتربة

" لاتخش ان توبخك جدتك نهى .. انا احبك وانت فوضوي مترب هكذا .."

ردد وقد بدى فعلا على عجلة من امره

" لايهم .. لايهم .. اين لولة ؟"

أخفت سلسبيل ابتسامتها وهي تهمس له

" تقصد حمامتنا الغازية ؟ انها نائمة في احدى غرف الطابق الارضي .."

يهز راسه وهو يستدير ليغادر فتلاحقه سلسبيل بالقول المشاغب الماكر

" لاتذهب اليها فتوقظها .."

يبتسم ولدها قائلا بمكر " لن أفعل .."

صوت الجد آسر الغازي كان قريبا من ابنته وهو يسألها بجذل

" ماذا قصد اسرك الصغير بـ (لن افعل) ؟!
اي فعل قصد ؟ لن يذهب ام لن يوقظها ..؟ "

رمشت سلسبيل بعينيها تدعي البراءة وهي تلف ذراعيها حول عنقه بابتسامة واسعة ليضيف آسر بنبرة تملك

" بدأ فتاكِ يثير ارتيابي وهو يحوم حول حمامتي .."

نظرت سلسبيل في عيني والدها ثم تطرف عيناها ناحية زينب التي عادت لتلجأ لماهر بعد خروج المجنون محمود من الصالة فتهمس سلسبيل لابيها بتدلل

" انا ابتدأت اغار يا آسري .."

رفع اسر حاجبا واحدا وهو يقول لها مشاكسا " ركزي مع آسرك الصغير .. وابعديه عن حمامتي .."

فترد بتحد ماكر

" عندما تبعد غازيكم الصغير جدا عن ابنتيّ .."

للحظة تحركت عينا اسر فتتبعت سلسبيل نظراته لترى دخول ابنتها المهيب بينما تتجه مباشرة ونحو هدف محدد هو ... طه ..

راقب آسر ويكاد ينفجر ضاحكا بينما يرى حفيدته تطلب من طه النحيل ذو القامة الطويلة ان يحملها فيهمس آسر لابنته

" أظن العفريته جلنار لديها رأي اخر .. او لنقل .. غزوة اخرى ..."

بدى طه مرتبكا قليلا وهو يبتسم بوجه الطفلة التي اصرت ان يحملها لتسأله سؤالا.. طفلة حلوة بملامح عازمة في الرابعة تقريبا لكنها تنظر اليه بطريقة تجعله يحمر عجزا عن فهمها !

سأل طه اخيرا

" ألن تخبريني بسؤالك المهم ؟ "

تنهدت الصغيرة بطريقة مسرحية قبل ان تقول ببساطة شديدة " فقط أردت ان أعرف.. متى سنتزوج نحن ايضا ؟"

لينخرس طه تماما وهو يحدق في عينيها !

بعد نصف ساعة ..

في الحديقة الخلفية ...

وجدت نادية نفسها وسط عراك لاطفال الغوازي من العيار الثقيل !

الواقع هو عراك بين فارس واسر الصغير فقط وقد كانا يتباطحان على الارضية المعشوشبة .. بينما اصطف الباقون كمتفرجين مغيظين بوجوههم الصغيرة ذات التعابير المتناقضة مع بعضها ..

شاهر الصغير كان ينظر للاثنين بفضول واهتمام وكأنه يحاول حل المعضلة بعقله قبل يده .. الشقية جلنار عابسة وهي

تحتضن توأمتها الغامضة اسرار بحمائية بينما غازي لايبدي اهتماما الا بمحاولاته الماكرة لجر اسرار بعيدا عن حضن اختها (القسري) ..!

حقا عائلة مجنونة كما وصفهم جدهم آسر ...

تمتمت نادية في سرها (أعني يا رب) ..

كانت تقف في الوسط بين حفيديها فارس واسر الصغير المتنازعين وتضع كفا على صدر كلا منهما .. كانا لاهثي الانفاس بعد شباك عنيف اثار صدمة نادية ..

لم يكن العراك نفسه ما صدمها وانما ردة فعل فارس الوحشية مع ابن عمته ..

قد تتوقعه من الفوضوي المحتال ابن سلسبيل ...

لكن فارس ؟!! لم يخطر ببالها يوما ...

دوما تخيلته هادئ رزين .. يفكر قبل ان يفقد صوابه .. لكن يبدو ان الذكور لديهم اجندتهم الخاصة عندما يتعلق الامر بالاناث !

تنحنحت وهي تدعي الصرامة والحزم في السؤال بينما تلمح ابنتها المتلاعبة تقف مستمتعة على الجانب الايمن

" هلا تكلمنا بهدوء الآن لافهم ما الذي فعلته يا اسر مع الصغيرة هديل لتثير غضب اخيها فارس هكذا ؟!"

زمجر اسر والنيران تقدح في عينيه

" لم افعل شيئا نانا ... "

فيهدر فارس بعنف

" بل فعلت ايها الكاذب .. فعلت .. "

التفت فارس بعينين اكثر عنفا وهو يوجه كلامه لجدته " اسر قفز عبر نافذة الغرفة التي تنام فيها هديل مدعيا انه سمعها تبكي ودخل ليراها .. انه كاذب .. هديل نائمة .. وقد حذرته ومنعته سابقا ان يدخل عبر الباب لكنها فعلها من الشباك ..!!"

رد اسر باستفزاز وهو يحرك حاجبيه باغاظة " انها ابنة خالي واستطيع رؤيتها متى ما شئت .. "

جن جنون فارس وعينا نادية تتسعان بذهول اكبر بينما تسمعه يقول بصوت غريب مهدد " انها اختي انا .. وامنعك حتى ان تنظر ناحيتها .. "

حاولت نادية ان تهدئه خاصة مع استفزاز اسر له بابتسامة مستهينة

" فارس .. انه ابن عمتها وكأخيها مثلك ومثل غازي "

فاهتاجت النظرات اكثر في عيني الفتى الذي لم يتعد العاشرة ليقول بنبرة قاطعة

" لا نانا .. انها اختي انا .. انا وغازي فقط .. ولااريده ان يقربها .."

عندها وبكل برود قال اسر

" وقد تصبح زوجتي عندما نكبر .."

طفح الكيل مع بداية لشجار عنيف جديد وباقي الاطفال يصرخون لتتدخل سلسبيل هذه المرة وهي تسحب ولدها ذو السبع سنوات بينما نادية تسحب حفيدها الاخر لتوبخهم بعنف وصوتها يعلو بصرامة حادة اخرست كل الاصوات

" توقفا حالا .. انتما معاقبان .. "

ثم التفتت نادية لابنتها توبخها على ابتسامتها المستمتعة قائلة بغيظ

" لاتبتسمي انت الاخرى و خذي ولدك لاحدى الغرف .. انه معاقب حتى موعد العشاء .."



ثم سحبت فارس لتقول له بنفس النبرة

" وانت ايضا معاقب حتى وقت العشاء .. لقد خيبت ظني بعنفك غير المبرر هذا .."

ليثير الاثنان غيظها اكثر فيقول اسر بلا مبالاة وهو يخرج باقي قميصه من البنطال في حركة فوضوية تليق به

" انا اصلا لست جائعا .. يكفيني رؤية هديل نائمة .."

ويرد عليه فارس ببرود وحشي

" وستكون اخر مرة تراها .."

وهكذا .. استمر الاثنان بالتناطح (الكلامي) وهما في طريقهما للعقاب الانفرادي ...

استاذن بلال من شاهر ليتحرك ناحية نجلاء بينما يلمح ظافر يتكلم بصوت خافت مع مهدي ثم ينفجران ضاحكين ولسبب ما شعر بلال بمزيد من الحنق ناحية ابنه المتهور الذي ما زال غائبا منذ نصف ساعة !

انحنى ليهمس في اذن زوجته " اين اختفى محمود يا نجلاء ؟ من يراه كيف كان متهورا مجنونا لعقد الخطبة بتلك الطريقة لايصدق كيف اختفى فجأة تاركا العروس بمفردها !"

نظرت نجلاء في عيني زوجها تبتسم له باسلوبها الخاص حتى تخفف من غضبه الذي لاتلومه حقا عليه ..

الفتى المجنون تبخر فجأة وان كانت تستشعر انه كان يعاني ولم يحتمل البقاء اكثر ..

رفعت يدها لتربت على صدر زوجها وتتدلل عليه بالقول الشقي

" عندما لاتناديني صغيرتي اشعر انك غاضب مني انا الاخرى .. هل فعلت ما يزعجك ؟!"

ناظرها ببعض التأنيب بينما يهمس اسمها محذرا " نجلاء ...!"

فتهز كتفيها وتدعي الحزن قائلة

" اذن فأنت غاضب ..!"

ابتسم قليلا ملامسا خدها ثم قال

" اذهبي وابحثي عنه صغيرتي .. انا اعرف انه كان متوترا جدا خلال الايام السابقة لكنه من اختار الارتباط بزينب لا نحن فعليه تحمل مسؤولية خياراته .."

هزت نجلاء رأسها بابتسامة فرحة لتستطيل بقامتها في حركة شقية وتطبع قبلة على خده بينما يعبس بلال بغير رضا فتغمز له وهي تتحرك ناحية الباب وقبل ان تصلها كانت تسحب معها ... زينب ...

هز بلال رأسه وتمتم

" لا فائدة .. كيف ألوم الفتى وجينات امه انتقلت اليه ؟!"

بدت زينب متوردة وشعرها يتطاير كفستانها بينما تتساءل بارتباك

" الى اين تأخذيني خالتي ..؟"

ردت نجلاء بفتور مصطنع وهي تخرج بزينب للحديقة " نبحث عن .. احدهم ..."

عضت زينب شفتيها وقلبها يخفق بعنف لتسأل بغباء " هل ضاع احد الاطفال ؟.."

حدجتها نجلاء بطارف عينها وهي تقول بنبرة مبهمة " ربما .."

اقتربت اصوات الاطفال وهم يلعبون ثم عاودت الابتعاد بينما تلتف مع خالتها نجلاء للجانب الاخر من الحديقة وتسمعها تقول بتنهيدة راحة غريبة

" امممممم .. اذهبي هناك ..لاقصى الحديقة في الجانب الايسر .. ربما ستجدينه .. انا سأبحث في الجانب الآخر .."

وقفت زينب مكانها تتطلع حولها والحديقة تبدو لها مظلمة بشكل غريب رغم الانارات المتلألئة بينما تحدق في خالتها نجلاء التي غادرتها تاركة اياها بمفردها هنا مع احساس غريب يكاد يفسر نفسه لكنها ترفض الاعتراف فتتساءل بحمق

" لكن .. عمن نبحث بالضبط ..؟"

لتتمادى في حمقها وهي تتحرك بعبوس للجانب الذي اشارت له الخالة نجلاء وهي تتمتم بغضب مفتعل تخدع به قلبها الهادر

بجنون " ما هذا ؟! عروس تبحث عن طفل تائه ؟ ولماذا لاتبحث امه عنه ؟!"

تبتلع ريقها وتتخدر اطرافها وهي ترى الخيال الرابض قرب احد الاشجار ..

خيال طويل اسود بعضلات مفتولة .. فقط طارف سيجارة مشتعل يشي بهويته كبشر من لحم ودم .. واي بشر ؟!

انه .. خطيبها ! بل .. بل زوجها !!

عند هذه النقطة تحديدا رأت طارف السيجارة المضيء يتطاير في الهواء لتتسمر قدما زينب مكانها رغم ان كل خلاياها في ثورة استنفار .. تصرخ بها ... لتهرب ...

ترتعش بالاثارة والخوف والترقب فتغمض عينيها بقوة وتنكمش عضلات جسدها على نفسها .. تشعر انها تتضاءل وتتضاءل بينما قلبها من كان يتضخم ويتضخم ...!

شعرت بكل كينونتها تكورت واختزلت في قلبها النابض ..

عطره مختلط برائحة خفيفة لسجائره لفحها قبل ان تلفحها انفاسه وهي تسمعه يقول قريبا جدا منها وبنبرة رهيبة

" انتِ اكثر جنونا مني لتأتي الي الآن !"

تفتح عينيها على وسعهما فتحدق مسلوبة الارادة في ظلمة وجهه ثم تهز رأسها طواعية وهي ترد بنفي غبي

" انا لم .... الخالة نجـ... نجـ ..آآآآه .."

شهقتها ابتلعت كلماتها وكفاه تباغتانها بحركة خاطفة على جانبي وجهها فتنغرز اصابعه بخشونة بين خصل شعرها الثائر تصاعد نبض الجنون واصابعه تتحرك بعنف جديد لتنثر بعشوائية تلك الخصل التي جننته وكأنه يصفع بها خديها فترمش بعينيها ويكاد قلبها يخترق رئتيها بينما تسمع صوته يهدر صافعا إياها بالكلمات هذه المرة

" ثلاثة ايام لم أنم فيها .. كله بسببك .. ثلاثة ايام انتظر وانتظر وألف حول نفسي بينما انت تتدللين و لاتردين حتى على مكالماتي .. واليوم .. الليلة .. تأتيني

هكذا !! هكذا... هكذا يا زينب ؟!! كدت افقد صوابي في الداخل امام عائلتي.. ابي ! .. هل تعلمين كم كلفني كل الضغط الذي مارسته عليكِ لاجبرك على عقد القران؟! بل هل تعلمين كم كلفني الضغط على نفسي لاخرج من هناك ولا افعل امرا جنونيا كتقبيلك مثلا حتى أُدمي شفتيك المستفزتين ؟! انت جنّنتي جنّنتي .. جننننّتني ..."

همسها المخنوق يتشبث بكلمة واحدة

" محمود ... محموووود .."

توقف صفع الخصلات والكلمات لتتحرك اصابعه بمزيد من الخشونة فتمسك رأسها من الخلف وتثبته وقبل ان تأخذ نفسا من الهواء كان يبثها انفاسه ...

هل كانت تضربه ؟ ام ربما تدفعه ؟

ام انها تتزلزل من الداخل فلا تجد اسفل قدميها الا ارضا رخوة فتكاد تقع لولا تشبثها به هو !

اصابعه تحركت من خلف رأسها لكتفيها لكل جسدها حتى طوقتها ذراعاه بالكامل يعتصرها بخشونة على صدره ..

لم تعد تستوعب ما يحصل لها وشفتاه تنتزعان نيران الاستجابة بل الشوق والعذاب الحلو من شفتيها ..

تئن في مقاومة ساذجة ثم يذوب كل شيء فيها لتعود وتئن في عاصفة الاستسلام عندما ابتعد لاهثا فيحرك وجهه ليغرق في شعرها هامسا بصوت خشن كخشونة اصابعه على ظهرها " اذوب في شعرك الطويل هذا .. فقط اذووووووب ... "

وسط الحمى العشقية تجمدت زينب لتفتح عينيها بلون عسلي غاضب ولم تمر لحظة الا وغرزت كعب حذائها في قدمه بأقوى ما تستطيعه ليتأوه محمود بقوة بينما تدفعه هي لكنه تشبث بها معاندا بغضب مماثل

فيترنح الاثنان في شباكهما هذا حتى سقط محمود على ارضية الحديقة وزينب فوقه وقد تناثر شعرها الكثيف المتلوي وحجب وجهيهما المتقابلين عما حولهما ..

يناظر وجهها الثائر بجماله الاسمر وتعابيره الغاضبة كثورة شعرها هذا الذي يظللهما معا فيشتعل محمود اكثر ليهمس قرب فمها وهو يتمسك بجسدها بين ذراعيه القويين

" لا أظن اني سأفهم يوما سر نوبات جنونك المفاجئ ! وأظنني لم أعد اهتم لأفهم .. فانا اعشقك هكذا .. مجنونة كما أنت.."

همست بغضب عارم وهي تحاول دفعه

" ستعرف يا ابن الناجي من أنا حقا .. لست كاحدى المبتذلات من صديقاتك التافهات السابقات اللواتي كنت تخبرهن كم تحب الشعر الطويل وتذوووووووووب فيه .."

بكلماتها النارية الساخرة استطاعت تشويشه واثارة ماض قديم بذكريات غير واضحة ...

استغلت زينب تشوش افكاره لتميل برأسها جانبا وتعض ذراعه ! تأوه محمود مفلتا اياها ويتركها طواعية لتنهض متوثبة كقطة وحشية الطباع..

اخذت تتقافز مبتعدة عنه وهي ترفع فستانها وشعرها يتطاير بينما محمود يلقي رأسه للخلف مستلقيا على الارض بجسده المحموم ينظر للسماء المظلمة اللامعة بنجومها فيعود ببطء لسنوات مضت ..

لمساء قديم دافئ كهذا المساء وخيال قديم .. هارب !

لم يكن واثقا لا الآن ولا حتى بوقتها ان كان ذاك الخيال عائدا لوجه العبوس ام لا ! كل ما يذكره انه كان يكلم صديقته ليلا ويتغزل بشعرها في ظلمة المساء عندما شعر بحركة ما وقبل ان يستكشف الامر كان الخيال قد تلاشى...

ألم يكن هذا قريبا من توقيت قص المجنونة لشعرها ؟!

ام ... ربما .. كان في نفس الليلة ؟!

اتسعت عينا محمود وسوادهما يلمع كتلك النجوم في السماء ...

حدّقت جلنار بعبوس مفكر وهي تتفرس في زينب التي دخلت البيت راكضة كـ(مجنونة) ...

مالت جلنار بفمها لاذن اختها اسرار وتحرص على وضع يدها الصغيرة قرب فمها وكأنها تخبئ كلماتها عن الأعين هامسة بنبرة انفعالية

" هل نخبر جدنا شاهر هذه المرة ؟"

عبست اسرار هي الاخرى لتلتفت وتفعل المثل بفمها ويدها على اذن اختها ترد عليها بالقول

" أظن من الافضل ان نخبر جدنا آسر .. لقد اشترى لها بجعة وستطيع كلامه .."

هزت البنتان رأسيهما باتفاق قبل ان تنطلقا راكضتين ناحية الصالة و(العروس زينب) تركض ناحية الحمام !

بعد عشر دقائق غمز آسر لحفيدتيه وهو يصرفهما بعد وعد قاطع منهما بالسرية ثم التفت ليرفع يده طارقا باب الحمام على (بجعته) وهو يتفكه بالقول

" افتحي الباب .. المارد آسر ينتظرك .."

لحظات فقط والباب فتح بعنف لتقف (وجه العبوس) منتصبة القامة امامه ..

عبس وهو يميل برأسه ويدعي الجدية قائلا

" لو سمحت يا وجه العبوس هلا ناديتِ بجعتي من الداخل ؟ قيل لي انها دخلت الحمام للتو .."

ردت زينب وهي تكز على اسنانها

" اقسم سأجعله يدفع ثمن شعري الذي قصصته بسبب تفاهته وعينيه الزاغئتين و .. و .. بلاهته فيما كل ما يتعلق بشعر طويل ! "

تغيرت ملامح آسر للتحفز والتحدي فيرفع حاجبا ويبتسم ابتسامته الجانبية قائلا بتشجيع " افعليها وسأحرص على التواجد وقت الدفع لاستمتع بالتفرج .."

شمخت زينب بذقنها ثم تقدمت خطوة وآسر يمد لها ذراعه لتستند عليه كأميرة ..

فجأة ابتسمت له وهمست بصوت متحشرج وهي تتشبث بذراعه

" انت اروع ما حصل لي في هذه الدنيا.."

حدق فيها للحظات وابتسامته تتغير لشيء آخر مؤثر وجذاب ثم قال بمشاكسة وهو يقودها عائدين للصالة

" الحمد لله انك عدت قطعة واحدة من الرحلة المريبة التي اخذتك اليها المحتالة نجلاء..."

احمرت زينب وهي تزم شفتيها بحنق ليقهقه آسر عاليا وهما يعبران معا باب الصالة..

اخر الليل ... مرآب بيت بلال الناجي..

مهدي يحمل طفلتيه كل واحدة على كتف بينما يناغش سلسبيل هامسا

" إياك ان تطلبي بجعة من ابيكِ ؟!"

تضحك سلسبيل وعيناها تلتمعان مكرا

وهي تشد اسر الصغير المتثائب فتحرك

حاجبيها وتهمس لزوجها

" ربما سأطلب حمامة يوما ما يا وسيم .."

عيناها تحركتا عفويا ناحية اخيها الذي

يحمل طفلته الصغيرة هو الاخر بين ذراعيه

وبحذر شديد حتى اوصلها لسيارته فيضعها

في سريرها الخاص ليتنفس الصعداء بعدها

وهو يحذر ولديه بصرامة من ازعاج اختهما..

همست سلسبيل بشرود

" سيخنق الفتاة بخوفه عليها .."

يلامس مهدي كتفها لينبهها من شرودها

فتلتفت اليه وترى وجهه الوسيم قريبا منها

فيقول بابتسامة جذابة تجعله اكثر

وسامة

" لاتبدأي بخططك المستقبلية منذ الآن

يا ابنة عمي .. اخوك سيجن غيرة على

ابنته ان علم ما يدور في رأسك .."

فترد وهي تتطلع في عينيه بإغراء فطري

" ولماذا يجن ؟! انا لااريد لحمامته ان

تتعذب في الانتظار مثلي .. ستعاني وتعاني

حتى يقرر وسيمنا الصغير ان ينطق بحبه .."

ترققت ابتسامته الذائبة وهو يسبل اهدابه

بينما يتمتم " آه منك يا سلسبيل .. "

بينما تتجه حوراء لجهة المرآب لاحقة بظافر كان محمود يوقف سيارته في الباحة الامامية قرب سيارة ماهر ليترجل منها ويتطلع لعروسه وهي تركب فوق (بجعتها) بتمرد .. رافضة كل محاولات صفية لردعها عن العودة للبيت فوق هذه الدراجة ..

طه يكتم ضحكته ايضا بينما تحدجه صفية بتحذير صارم ... اما ماهر فقد وقف مستندا لسيارته وبدى الليلة يفضل الصمت المبتسم الغامض وكأن كل شيء حوله يمتعه بشكل خاص..

اقترب محمود من (عروسه) التي تجاهلته طوال السهرة ولعجبه لم يزعجه الامر !

ابتسم وهو يمد يده بجرأة يلامس شعرها المجنون قائلا

" سآتي خلفك بسيارتي .."

نظرة حادة من زينب ناحيته لتشعر بالهزيمة والتراجع عندما رأت عينيه لاتنظران الا لشفتيها وقد توهجت نظراته وكأنه يتذكر كل لحظة احرق بشفتيه تلكما الشفتين ..

شغّلت زينب دراجتها برعونة بينما يتحرك محمود بخفة ورشاقة لسيارته وقبل ان ينطلق كان محمد يركب معه للخلف ساحبا فاطمة بيده وهو يقول ضاحكا

" انا ايضا سأوصل عروسي .."

طريق قصير لكن فاطمة شعرته طويلا جدا ... اصبحت كل حركة يفعلها محمد معها محسوسة بشكل منهك لعواطفها ..

كل لمسة منه لها تفاصيلها ..

كيف يلمس اصابعها واحدا واحدا .. يبتدأ من راحة الكف ثم يمررها ببطء فوق اصابعها بالتعاقب ..

كأنه يستكشف خطوط بشرتها .. بل كأنه يقرأ تلك الخطوط بتمهل متلهف .. بعشق خاص تشعره انوثتها قبل ان تسمعها اذنها بكلماته المغازلة الهامسة ..

همس هذه المرة

" غدا سآتي صباحا لنفطر معا في النادي .."

فتهز فاطمة رأسها دون ان تنظر اليه بينما تسمع ضحكاته الخافته ولا تعلم لماذا تشعر هذه الضحكات كأنه غزل آخر ...!

بدى محمود بعيدا عنهما وعيناه تتركزان على عروسه المجنونة ذو الشعر والفستان المتطاير والتي اختارت تلويعه وهي تلف وتدور في طرقات الحي الهادئ دون ان تتخذ الوجهة الصحيحة لبيت ماهر ..

يبتسم محمود وقلبه يذوب للافكار التي ترد بعقله وينوي البحث عن مدى حقيقتها..

ان كان صحيحا .. حقا ان كان صحيحا

هذا الامر فلا يعرف ماذا سيفعل بها وماذا سيفعل بنفسه ...

اخيرا قررت زينب العودة للبيت لتدخل عبر البوابة تتجاهل تماما سيارة محمود التي دخلت خلفها ..

اوقفت دراجتها في المرآب ثم ترجلت منها ثم تحركت مرفوعة الرأس تتبختر في مشيتها عن عمد بينما تتجه لباب البيت الداخلي ..

وكانت توشك على اغلاقه خلفها عندما اوقفتها قبضة قوية التفت حول ساعدها ..

رفعت عينيها اليه وهي تسأله بوقاحة

" ماذا تريد محمود ؟"

اخذ يبتسم بشراسة وفي لمح البصر جرى كل شيء .. يده التي تقبض ساعدها سحبتها اليه ويده الاخرى حاوطت جانب وجهها بعنف ليميل بشفتيه ساحقا شفتيها بقبلة متملكة سريعة خاطفة ثم يتركها لاهثة كلهاثه وهو يقول بهمس متقطع مبحوح " تصبحين على خير .. عروسي "

ثم استدار ومضى مبتعدا وهي تغلي في وقفتها المرتبكة قرب الباب !



" انظري الي الآن .. فقط نظرة واحدة .. نظرة حقيقية لا متهربة خاطفة ..."

ابتلعت فاطمة ريقها وهي ترفع وجهها ببطء وتلتفت جانبا حيث يجلس جوارها ..

ما هذا الذي فيه ويجعلها تتعطش اليه ؟!

ما هذا الذي يتأجج في عينيه ويجعلها تريد الاحتراق فيهما علّها تنسى كل ما حصل ..

محمد .. ما هذا الذي يملكه يشعرها انها لن تجد لتوهان روحها عنوانا الا باب بيته..؟

ومع كل هذا ما أن رأت كفه ترتفع ناحية وجهها حتى ارتعدت اوصالها واخذت عيناها تدوران في كل اتجاه بحثا عن اي شخص ينقذها بوجوده من الاختلاء بـ... عريسها ..

حتى ولو في عزلة سيارة وانارة خافته لمرآب...

مد كفه يلامس خدها فيتجاهل ذاك الانكماش وتلك النظرات التي اخذت تتطلع حولها بحثا عن مهرب !

سأل بحلاوة " ماذا ستفعلين الليلة ؟ هل ستنامين مباشرة ؟"

ردت بعفوية وهي تقاوم ارتعاشها بشجاعة يعشقها فيها

" سأسبح قليلا .. كما أظن .."

جف فمه وعيناه تتطلعان لرقة جسدها متخيلا اياها في ثوب سباحة ..



علق عكازه على ظهر المقعد الامامي بينما يسأل بصوت أجش وهو يحاول السيطرة على مشاعره " هل .. هل هناك غرفة تبديل داخل .. المسبح ؟ "

تخضبت بالحمرة وهي تهز رأسها وتقول بتلعثم

" نعم .. مؤكد ..انا اخذ كل ملابسي هناك و .... محمد .. لاااا......"

كانت كلمة اعتراض مستنجدة عندما اقترب وجهه منها وفمه يترنح باشتياق والتياع قرب فمها ..

لم يلمس شفتيها فقط همس

" لن اقبلك وان كنت أموت لافعلها .. اريدك فقط ان تشعري باقترابي انا .. بانفاسي .. برائحتي .. اشعريني يا حبة السكر .. دعي حواسك نحوي تتحرر .. "

ثم مال برأسه ليطبع قبلة على خدها ويعاود الهمس المبحوح

" تصبحين على خير .. "

ابتعد في لحظة ليتحرك دون عكازه الذي لم يستخدمه الا اخر الحفل فيفتح الباب ويترجل من السيارة تاركا اياها ترتعش وهي تحتضن جسدها بذراعيها وتدعو الله ان لايخذلها..

شعرت به يفتح بابها ويمد كفه ليساعدها على الترجل ..

تنهدت براحة وهي تضع يدها في يده وتبتسم بنعاس مرتبك قائلة وهي تطرق بنظراتها للارض

" اظنني لن اسبح الليلة .."

فيضحك بخفة ويقول مغازلا بجرأة

" هذا لن يجعلني أنام مطمئنا قرير العين لان خيالاتي خصبة جدا حولك .. خاصة هذه الليلة يا حلالي .."

احمرت وهي تعض شفتيها بينما تسمع نحنحة قادمة لتعرف ان محمود قد عاد ..

بعد ساعة ..

تتمددان على سرير فاطمة الذي تشاركتاه تحتضنان ذراعيّ بعض وتهمسان بالكلام وكأنهما عادتا لطفولتهما عندما كانتا تتكلمان همسا اخر الليل حتى لاتوقظان صفية بثرثرتهما فتحنق عليهما ...

" هل انت سعيدة ؟"

سألت فاطمة لترد زينب بارتياب

" اشعر اني تعرضت لخدعة ما لكني عاجزة عن تحديد الفاعل الحقيقي ! "

تضحك فاطمة بخفوت فتسأل مجددا

" المهم هل انت تشعرين بالفرح ؟"

ردت زينب بسؤال " وهل تشعرين انت ؟"

تحافظ فاطمة على تعابير مبتسمة بهدوء وهي تقول " ما دمتم كلكم سعداء .."

عبست زينب وكأن رد فاطمة لم يعجبها فتسألها باستغراب " وماذا عنك انت ؟! انت من ستتزوجين محمد لا نحن !!"

فتقول فاطمة بمرواغة " الا يكفي انه محمد ...؟!"

تتحير زينب وهي تنظر لعيني اختها الخضراوين الصافيتين ثم تقول بحنان

" يكفيه هو ان يتزوجك انت .. بجمالك وطيبة قلبك .. وصبرك في الشدائد .."

اسبلت فاطمة اهدابها ملتزمة الصمت بينما تضيف زينب تحاول تغيير الموضوع

" هل تعلمين .. دوما كنت اغار من جمالك.. خضرة عينيك وشقرة شعرك .. نعومتك التي تسحرين بها من تريدين او حتى لاتريدين .. انت الوحيدة التي ورثت جمال امنا .."

رفعت فاطمة جفنيها لتنظر ببعض الدهشة لاختها فتقول بصدق

" وانا دوما شعرت بالغيرة من شعرك .. كثافته ..طوله ..بريقه اللامع الطبيعي .. بينما شعري خفيف وليس فيه حيوية .."

ارتفع حاجبا زينب وكأنها تفاجأت !

بينما تبتسم لها فاطمة ثم تحرك رأسها لتتوسد ذراعيهما المتشابكين فتغمض عينيها وتضيف بتثاؤب " امي دوما كانت تحب تمشيط شعرك .. وجهها كان .. يلتمع بالفرح والفخر .. كنت اغار منك .. ليتني .. احلم بها الليلة .. احلم ان .. تمشط شـ.....ـعري ..."

تعثرت حروف الكلمات ونامت على لسانها وهي تستسلم لسلطان النوم .. بينما زينب تمسد على شعر اختها وقلبها يتوجع لاجلها..

ما زالت اختها عالقة في مكان ما من تلك الليلة الرهيبة التي عاشتها مع الحقير المريض الذي اختطفها ...

مالت زينب قليلا لتقبل قمة رأس اختها وتستسلم هي الاخرى للنوم رافضة مجرد التفكير بأنين شفتيها المكدومتين بقبلات المجنون الذي تزوجته بـ(خدعة ما) هذه الليلة ...!

صباح اليوم التالي

النادي .. اسطبل الخيول ..

لاتعرف كم بدت مشرقة محببة تمس القلب بتلك البلوزة البنية الخفيفة فوق بنطال كتاني صحراوي اللون وقد حاوط وركها من فوق البلوزة حزام جلدي ذو دوائر

كبيرة نسبيا تراصت جنب بعض فتتمايل مع تمايل مشيتها ..

شعرها الاشقر تركته مسدلا بطبيعته واكتفت بجمع بضع خصل من مقدمة الرأس بضفيرتين من الجانبين ربطتهما معا للخلف ..

عندما أتى محمد لاخذها صباحا أكتفت بهمسة (صباح الخير) وهي تسبل اهدابها وتتقبل جرأته الجديدة التملكية وهو يلثم جبينها محييا اياها وامام ناظري السائق العم عبد الحكيم ..

لكنه لم يتغزل ولم يهمس بكلمة طوال الطريق وعندما وصلا النادي اكتفى بالقول الرقيق

" هناك أمر يجب ان أفعله اولا .. اسبقيني انت وانتظريني عند اسطبل الخيول وابلغي السائس هناك انك من طرفي .."

وقد فعلت ما طلبه والسائس اخبرها ان تنتظر في هذا الاسطبل الصغير تحديدا ..

تطلعت فاطمة حولها ببعض التوجس ..

لم تكن من محبي الحيوانات الكبيرة الحجم .. قد تحب القطط .. الطيور .. الاسماك .. لكن حجم اكبر من هذا يثير نوعا من الارتعاب في داخلها ..

لذلك لم تحب ايضا الذهاب لمزرعة آل الناجي مع العائلة على عكس زينب التي كانت تجد نفسها هناك وتستمتع برفقة الماشية بانواعها معتزلة الجميع ..

التفتت فاطمة صوب بوابة الاسطبل علّ محمد يعود كما وعدها خلال دقائق لكن تلك الدقائق طالت بالانتظار ..

تنهدت وهي تعاود التطلع حولها .. لم يكن هناك الا حصانين .. الاول كان بلون اسود غامق والثاني ..... جذب نظرها الثاني ..!

اقتربت اكثر وفضولها يغلب توجسها ..

الحصان الثاني كان بلون الكراميل وبقعة بيضاء طويلة على مقدمة وجهه ..

ابتسمت بعفوية وهي تقترب اكثر يجذبها جمال الحصان وتميزه لتكتشف ان شعره المشقر الممتد على طول رأسه من الخلف مضفور بعناية وجمالية تخطف الانفاس ..

همست تكلم الحصان

" تبدين انثى .. لايعقل جمال كهذا لذكر.."

صهل الحصان فأربك فاطمة قليلا لكنها لم تتراجع فترفع كفها المرتعش تريد ان تلامس وجه الحصان فتتراجع في لحظة لتعاود المحاولة وتعاود التراجع والحصان ينظر اليها بعينيه الواسعتين المظلمتين وكأنه يستغربها !

تشجعت اكثر فتوشك على ملامسة وجهه لكنها جبنت وحالما ارادت التراجع مرة جديدة شهقت مجفلة بقوة وهي تشعر بكف رجولي فوق كفها تضغطها لتلامس رغما عنها وجه الحصان فوق بقعته البيضاء...

تشم عطر محمد بارتعاش قبل ان تشعر بذراعه الاخر تلتف حول خصرها فيلاصق ظهرها بصدره يميل بفمه لاثما شعرها ثم عنقها ونبض قلبه يكاد يدوي في صدرها وكأنه قلبها هي !

همست اسمه وهو يرفع شفتيه لاذنها هامسا بصوت متحشرج وانفاس تلهث بالعاطفة

" أحبي حصانك .. لانه منذ اللحظة لن يلتهم السكر الا من يديك .."

الفصل العشرون

تشم عطر محمد بارتعاش قبل ان تشعر بذراعه الاخر تلتف حول خصرها فيلصق ظهرها بصدره يميل بفمه لاثما شعرها ثم عنقها ونبض قلبه يكاد يدوي في صدرها وكأنه قلبها هي !

همست اسمه وهو يرفع شفتيه لاذنها هامسا بصوت متحشرج وانفاس تلهث بالعاطفة

" أحبي حصانك .. لانه منذ اللحظة لن يلتهم السكر الا من يديك .."

الاثنان يرتشعان وكفاهما فوق وجه الحصان تختضان معا حتى اربكت الحصان وجعلته يصهل محركا رأسه بعيدا ..

لف محمد بكفها حول جسدها فبات يعانقها من الجانبين وفمه رغما عنه يقبل عنقها الناعم في شغف عاطفي فترتعد اوصاله وجدا وهياما وتشهق فاطمة ما بين اعتراض وضعف ...

عاطفته الجامحة يكافح ليسيطر عليها ويمسك لجامها وهي تكاد تفلت منه كفرس بري وحشي .. همس وهو يختنق بالعاطفة " انا اعشقك .. اعشقك .."

يختض جسدها بعنف بين ذراعيه وكأن هذا الاختضاض الخاص جرسا منبها لحواسه حتى يستفيق من جذوة العشق !

اغمض عينيه بقوة يجبر كل مشاعره الجائعة على الثبات والصبر ..

يخفف قليلا من احتضانه لجسدها الذي يبوح له بانكماش و خوف صاحبته بينما يهمس بخفة " نسيت امرا مهما ..."

لم يكن ينتظر ردها .. كان فقط يريدها ان تهدأ ليحرك يده اليمنى ويمسك خصلة من شعرها فيرفعها لفمه ويهمس

" (حاء) ... وما زال في اسمي حروفا تشتاق ان تُكتب .."

شعر جسدها يخذلها قليلا فتشبث بها وهو يلفها كلها لتواجهه ..

احنت رأسها وهي تغمض عينيها هامسة اسمه " محمد ..."

فيرد وهو يحاوط جانب وجهها بكفه

" يا روح محمد وعشقه الابدي .."

يحرك ابهامه فوق خدها وكفه الاخر تلامس خصرها بدفء بينما تهمس له بصوت مرتعش

" انا .. اسفة .. لست مستعدة .. بعد.."

ارتعشت ابتسامته مع ارتعاشة شفتيها
وكلماتها فيقول بهمس حلو هادئ
لايعكس ولا بشعرة حجم جحيم الشوق
الذي يكبته لاجلها " وانا مستعد لعدم
استعدادك يا سكرتي .."

رغما عنها اطلقت تنهيدة ارتياح مما اوجع
قلبه لكنه دارى الوجع يسألها بنبرة
طبيعية

" ما رأيك في الجميلة الكراميلا .. هل
احببت فرسك ؟"

التفتت فاطمة سريعا ناحية الفرس
تناظرها بذهول هامسة وهي تتجنب النظر
اليه مباشرة " هل كراميلا هذه لي ؟!"

فيرد ضاحكا " اذن اسميتها كراميلا حقا !
اجل يا حبة السكر .. كراميلا ومن
اهداك كراميلا .. الاثنان لك .."

أطرقت فاطمة برأسها تخفي وجهها عنه
فابتلع محمد ريقه يحاول ان يلتقط ما يدور
في خلدها ليتفاجأ وهي تختض هذه المرة
بشكل مختلف .. اختضاض ناعم رقيق
وكأنها ... تبكي ....!

كفه عاودت محاوطة خدها فتأكد من
رطوبة بشرتها انها تبكي ..

قلبه يتمزق بالألم ورجولته تنتفض
بالغضب لاجلها ... لاجل انتقام لثأرها ..
فكيف يجد طريقا ليعيد لها حقها ؟!

تحرك كفه لتنغرز اصابعه في شعرها ثم دون تفكير كان يضم راسها لصدره وذراعه الاخرى تلتف حول جسدها لتضمها اكثر واكثر اليه ..

تركها تبكي بصمت وعيناه الخضراوان تلمعان بقوة هامسا بصوت رجولي مبحوح متجاهلا بكاءها

" كراميلا سننقلها لمزرعة (الناجي) .. ستكون لك وتعتنين بها بنفسك .. انها رقيقة وحساسة مثلك لكنها رائعة في سرعة استجابتها ..."

أمال وجهه وطبع قبلة فوق ضفيرتها الجانبية الصغيرة قائلا بخفة

" تبدين كوصف حورية من الجنة هذا الصباح .. احببت تسريحتك جدا .."

كل ما حصل عليه كلمة شكر خافته لكن قلبه ذاب ذوبانا لكل حرف منها ..

نظر ماهر عبر شباك جناحه الخاص ليبتسم بخفة وهو يرى من يدخل بسيارته عبر بوابة البيت ..

ارخي الستائر ثم التفت لصفية التي كانت تلعب مع شاهر بانشراح تام ..

انشراحها معدٍ واسترخاؤها يمنحه مزيدا من طمأنينة يحتاجها ..

اقترب ليجلس على السرير وهو يستند للخلف بكفيه يطالع زوجته وابنه بنظرات هادئة رائقة ..

دوما كان احساسه عال بما يدور حوله ولايفكر مرتين قبل ان يقدم للتصرف بما يعتقده صحيحا .. الان يشعر انه في لحظة سكون يغمض عينيه ويستمع للاصوات المعتادة نفسها لكن بتركيز اقوى وذهن اصفى ..

مرت عليه لحظات اهتز فيه شيء .. شيء عميق كان اقوى مما حصل له في كل حياته ...

تجربة فاطمة وما حصل لها ثم ما حصل بعدها انهكته وصدعت قلعة شامخة تمثل ذاته وشخصه ..

لايعرف ايهما هزّه اكثر .. تأخره في انقاذها قبل ان تعيش تلك المحنة أم احساسه المزعزع لقتله .... انسان ..

اجل .. يعترف الآن انه كان متخبطا بين غضب اعمى لانه تأخر وبين نفوره من فكرة قتله لخالد ..

كل هذا كان يتجاهله ليظهر مسيطرا كعادته امام عائلته .. ليس لاجله هو بل لاجلهم .. او .. ربما يجب ان يعترف انه لاجله معهم ....!

" ماهر .."

تنبه ماهر لصفية التي نادته وكانت قد اقتربت لتجلس على الارض عند ساقيه وتستند بذراعيها مطويتين فوق ركبتيه ..

ابتسم لوجهها بينما يتسلق شاهر الصغير السرير ليتشبث بظهر والده من الخلف ثم يبدأ بالتقافز وهو مستند على كتفيه ..

قالت صفية بعاطفة رقيقة تفيض من قلبها

" كم احب ابتسامتك .."

اتسعت ابتسامته وهو يميل بجذعه اليها يلامس ذقنها باطراف اصابعه هامسا

" تتغزلين ؟! يعجبني مزاجك هذا تأثرا بزواج الصغيرتين .."

تلمع عيناها وهي تنظر اليه بشغف امرأة عاشقة ثم تهمس بحشرجة

" كم اتمنى ان أكون حاملا الآن .. فقط لامنحك كل ما يسعدك ويبهج قلبك.."

يميل اكثر وهو يسبل اهدابه ليلثم جانب فمها هامسا بحرارة

" انت تبهجيني بكل شيء فيك حتى النخاع .. غزالتي .."

استعدل في ظهره ضاحكا وشاهر الصغير يجرجره من قميصه ..

فكر ماهر وهو يلاعب صغيره ... حسن ... رغم كل شيء تبقى عائلته خط احمر ...

جمعت شعرها الاهوج بعشوائية مستخدمة كباسة شعر كبيرة صمدت باعجاز لتثبته مكانه ثم تغادر غرفتها وهي ما زالت تتثاءب رغم تغسيلها لوجهها بماء بارد حتى توقظ حواسها ...

تأففت وهي تفكر بحنق ..

انه يوم الجمعة ويفترض ان تنام حتى الظهر كعادتها لكنها لسبب ما تمردت حتى على النوم !!

حافية القدمين تنزل درجات السلم وهي تمد يدها لتجرجر بنزق قميص نومها القطني الباهت الذي يصل لما تحت الركبة بشبر ، وكأنها تحمّل منامتها هذه

مسؤولية مزاجها المتعكر من أمر مجهول .. أخذت تدعك عينيها عندما أتاها صوت ضحكات طه قادمة من المطبخ ..

عوّجت فمها في كل اتجاه وهي تتخيل الفتى المغيظ يضحك مع صفية وهما يستعيدان ذكريات ليلة الامس ..

تأففت ثم حنقت وصوت طه يرتفع مختلطا بصوت ضحكات رجولية !!

فتزمجر في سرها وهي تتقدم بخطواتها النارية ناحية المطبخ

" اذن ماهر هنا ايضا .. حسن .. سنرى من مادة تندركم هذه !"





فمها انفتح على مصراعيه وهي تقف عند باب المطبخ ولم تنطق الا نصف حرف لتتجمد حركة الفم ويتسمر لسانها في جوف حلقها وهي تطالع ذا الغمازتين يبتسم باستفزاز نحوها !

عيناها تتسعان وقلبها يهرول راكضا متخبطا كأحمق مجنون بين اضلعها ...

انفاسها تجن هي الاخرى والقلب يرتطم هنا وهناك وعيناها تبحران في وسامته الصباحية الخاصة ... اللعنة ! ..

لماذا تراه بكل تلك الوسامة الخاصة هذا الصباح ؟!

انه لايرتدي الا بنطال جينز وبلوزة كحلية حددت عضلاته المفتولة ...

انه نحيل .. اجل نحيل رغم تلك العضلات المستفزة !

وجهه نحيل وانفه طويل وعيناه صغيرتان بلمعانهما الغامض المزعج و .. و ... فمه .. فمه مطوق من الجانبين بغمازتيه يثير في نفسها الـ ... الـ .... الشوق ! يا الهي !

عفويا رفعت يدها لفمها والانفعالات تتشتت وتتخبط في بعض ..

تنحنح طه والصمت طال بينهما دون ان يلقي احدهما السلام على الاخر ثم قال طه وهو يتحرك ناحية اخته

" انا سآخذ حماما .. نانا تريدني ان اذهب اليها لاساعدها ببعض الاعمال البيتيه .."

لم تطرف عينا زينب بينما يمر اخوها من جانبها وتسمع ضحكاته الخافته لتعبس بقوة وهي ترى ابتسامة المستفز تتسع اكثر واكثر وهو يسرح بنظراته الجريئة عليها .. ابتداء من قمة رأسها بالشعر الذي لم تمشطه منذ الامس حتى اخمص قدميها الحافيتين ..

تقدمت ناحيته والشحنات تتجمع في قذائف على استعداد للانطلاق بينما هو يضع يده على وركه ينتظرها بوقفته المائلة ..

وقفت قبالته وهي تغلي من الاحباط والغيظ لتقول من بين اسنانها

" من سمح لك بالمجيء دون موعد .."

لم يرد بشيء .. فقط يبتسم وكم تكره ابتسامته هذه التي تستفزها بجاذبيتها لتشمخ بذقنها وتدعي البرود قائلة

" كونك خادعت بالامس ودفعتني لقبول عقد القران لايعطيك حق التسكع في بيتي ! "

كل ما فعله يعض شفته السفلى وعيناه تستقران على شفتيها فتهدر به وانفاسها تعاود التسارع بجنون

" هل فهمت يا ابن الناجي ؟! والان غادر ..

لااريد ان اراك اليوم .."

فجأة وبقبضة حديدية رفعها ليمسك بتلابيب مقدمة قميص نومها القطني ويسحبها اليه في نفس اللحظة بينما تشهق بعنف وهو يكاد يرفعها عن الارض ليصل مستوى وجهها لمستوى وجهه ..

شفتاه تقابلان شفتيها ..

عيناه الذابلتان وكأنه قضى الليل مسهدا تحدق في عينيها المتسعتين اللامعتين كالعسل الصافي ..

انفاسهما متسارعة معا فيكاد زفيرها في شهيقه يتعاضدان ..

رفعت يدا مرتعشة تحاول فك تلك القبضة الفولاذية عن قميصها وهي تهمس بعنف وتضرع في نفس الوقت " اتر..كني"

بدلا من ان يتركها رفع يده الحرة عاليا ليسحب بخفة كباسة شعرها ويحرره بجنونه المشعث فيتأوه محمود ونظراته تلاحق تلك الخصل الغجرية هامسا بصوت أجش

" لااصدق اني كنت السبب يوما لقتل جمال وحشي كجمال شعرك هذا .."

يرتعش ذقنها في كبرياء بينما تلمع عيناها في جرح قديم نابض لتهمس من بين اسنانها بعنف العناد الاهوج

" لاتطري نفسك .. انا لم .. اقصه .. بسببك .. كنت فقط .. اشعر بالحر ..!"

لم يلق بالا لنفيها الطفولي فعيناها الجريحتان تبوحان له عن عمق ما حملته نحوه عبر السنوات ..

ينبض قلبه وتتحشرج نبرات صوته وهو يقول بخفة مستفزا اياها

" في النهاية لست عديمة الاحساس كما ظننتك يا وجه العبوس .. اتغارين لدرجة نفي انوثتك بعيدا عن ناظري ؟!"

تقاوم بجسدها بعنف وهي تتمايل بجذعها يمينا وشمالا تضربه بقدمها الحافية من جهة وتحرك ذراعيها بضربات مرتعشة تكادان تصل وجهه فيتجنبها برشاقة بينما يضحك وهي تنهت بالقول

" دعني .. اخرج من هنا ... اخرج من بيتي"

فيردد بحلاوة شقية " انا .. زوجك .."

توقفت على تحركاتها المتخبطة لتصرخ به " طلقني اذن !"

لم تتغير ملامحه ولم يضحك حتى .. فقط ذابت نظراته اكثر وهو يقول لها بصوت مبحوح " انا .. احبك .. "

خطف قلبها من صدره ثم احتواه بين كفيه .. يا الهي تكاد تشعر ان قلبها ملك يديه يتلاعب به كطفل شقي يتلاعب بكرته المطاطية ..

يعتصره بين اصابعه كما يشاء ويرخيه دون ان يفلته متى ما شاء .. يرمي به في الهواء ويعاود تلقفه براحة كفيه كيفما يشاء.. قلبها بات رهين مشيئته .. كرته الخاصة التي تتوهج بفرح عشقه هو وحده .. وكأن تملكه ابتلاء !

مالت ابتسامته وهو يحدق في وجهها المتسمر الملامح ليرخي قبضته شيئا فشيئا عن قميص نومها ثم أسبل اهدابه قائلا بشقاوة

" هل أكلت القطة فضة لسانك ؟!"

ثم رفع نظراته لعينيها ليعاود شدها من مقدمة قميصها قائلا بهمس هادر بالتحدي

" أريني اي كلمة قد تلغي هذا الحب المجنون الذي يجمعنا رغما عن انوفنا كما تريدين الغاء زواجنا الوليد المسكين بـ....كلمة ..! "

ابتلع ريقه وهو يحدق في شفتيها فطرفت عيناه للحظة ناحية باب المطبخ قبل يعيش عذاب الالتحام بشفتيها ..

وعد نفسه انه لن يفعلها اليوم .. وعد نفسه سيعذبها كما عذبته وعذبت نفسها ..

طوال الليل يئن في سريره متأوها من مذاق شفتيها واحمر شفاهها العالق في فمه ..

طوال الليل يضرب وسادته متوعدا اياها ان يجعلها تطلب قبلته بنفسها ... لكنه عاااااااجز عن درء العذاب او الانتقام له !

حاوط جسدها الذائب المتفجر بالانوثة بكلتي ذراعيه فيفقد صبره واصابعه تنتشر على ظهرها حتى تشبثت بخصل شعرها المجنون ..

ابعدها بعنف عنه وتراجع هو للخلف بنفس العنف مستندا للخزانة خلفه بكلتيّ كفيه ..

يواجهها بانفاس متقطعة كانفاسها ..

خداها الاسمران يضجان بالحمرة ولون عينيها يسحر عقول الحكماء بالخرافات ...

همس بضراوة

" اذهبي.. انتظرك هنا حتى تستعدين .."

تهز رأسها فيجن بشعرها الغجري لتلتف اصابعه حول حافة الخزانة وهو يقول بعنف سافر " والدي بنفسه يدعوك لقضاء اليوم بأكمله معنا ... هلا استعجلت ؟! "

تعاود هز رأسها بلا معنى وهي تتراجع للخلف حتى وصلت باب المطبخ فهمست بارتباك

" احتاج ... ان اغسل شعري... اولا .."

لتهرول راكضة وشعرها المجنون يرسل شظاياه القاتلة نحو قلبه مباشرة فيرفع اصابعه ويشد شعره كازاً على اسنانه ثم يستدير للخلف ويضرب جبهته بالخزانة !

بمبذل الحمام وشعرها الطويل الكثيف يتقاطر منه الماء تمسك الهاتف على اذنها وهي تتكلم بصوت خافت وانفاس لاهثة ..

تهذر بكل ما حصل مستثنية ما يحرجها ولاتجرؤ على قوله طبعا .. كانت تنهت وهي تنتظر لكن الطرف الآخر .. صامت!

اخذت نفسا عميقا وعيناها على باب غرفتها المغلق بالمفتاح ..

اجل انها لاتأمن من ذاك المجنون الذي يربض في الاسفل محتلا مطبخ البيت بقامته النحيلة .. اجل نحيلة .. نحيلة و ...

جاء صوت آسر الغازي متململا باستفزازه المعهود

" وبعد كل هذا الهذر الموجع للرأس ماذا تريدين مني ؟! انه يوم الجمعة وانتظر من امرأتي ان تدللني بافطار خاص قبل ان يهاجمنا اخاك فارضا وجوده بيننا .."

لم تعر اهتماما لشكواه الهزلية من اخيها طه بينما تركز على (علتها هي) وتتساءل شاهقة بعتب ضمني وتهرب طفولي

" كيف ماذا اريد ؟! انا اسألك ماذا افعل الان ؟ المجنون مصر ان يأخذني معه لبيت عائلته وانا ... لا اريد حقا .. احتاج .. للوقت حتى اعرف كيف سأتصرف معه .. اشعر اني اعيش خدعة ما واحتاج استيعابها ..."

صمت آسر للحظات قبل ان يقول بنبرته الخاصة التي تعرفها عندما يكون جديا ولايرضى بانصاف الحلول ولا التلاعب

" كم سنة عملت معي يا زينب ؟"

ردت بارتباك وكأنها تعلم القادم

" ما يقارب .. الخمس سنوات .."

فيقول بنفس النبرة مع لمحة سخرية خاصة

" ولديك ذكاء عال على مستوى العمل على الاقل ليجعلك تفهمينني بشكل جيد .. تفهمين متى اقول ما أعنيه ولا اتراجع فيه .."



لهثت زينب بجزع ودمعت عيناها دون ان تعرف السبب ، قلبها يخفق بخوف لذيذ وكأنها مقدمة على تجربة فريدة فتهمس بجزعها اللذيذ ذاك

" لاتتخلى عني الآن .. حتى الطائر المحلق يحتاج ليرتاح في عشه يلتقط انفاسه قبل ان يعاود التحليق من الجديد .."

رد بسلاسة

" عشك لم يعد عندي بجعتي.. عشك بات عند المغرور ذي الغمازتين الذي تعشقينه.."

تناديه بتوسل " عمي ..."

فيقول بشقاوة مستفزة

" اياك ان تضفري شعرك .. اتركيه حرا يتراقص على ظهرك .. سيجن المجنون وهو في حضرة والده لايستطيع فعل شيء .. وان كنت اظنه لن يعدم الحيلة .."

تحمر وجنتاها فتناديه همسا " عمي آسر .."

يواصل مناغشتها على طريقته

" ارتدي بنطالا جينزا ضيقا مع بلوزة .. امممممممم .. لنقل تلك البلوزة العسلية التي تطفئنها تحت سترتك الرمادية السخيفة .. ارتديها لوحدها فتزغلل عينيه وتبرز ألوانك الطبيعية .."

اغمضت عينيها وتوهج وجهها يزداد هامسة بانصياع " نعم ..."

يضحك اسر بخفة وهو يقول مودعا

" احب تلاميذي عندما يلتزمون بمنهجي .. الى اللقاء بداية الاسبوع في المكتب بجعتي ... "

نادته بتأثر " عمي ..."

فيتظاهر بالتأفف وهو يتساءل

" ماذا الآن؟! "

عندها قالت بكل روحها

" انا...احبك .. "

لتغلق الخط مباشرة وتنزل دمعتان فقط على خديها المتوهجين ثم فجأة تضحك بهستيرية مرحة وهي تخلع عنها مبذلها ..

بعد نصف ساعة ..

يكز محمود على اسنانه بينما يتمسك بابتسامة شريرة متوعدة وهو يلوح لها مودعا لتتجه (متغندرة!!) نحو باب بيت العائلة بعد ان ترجلت بخفة من السيارة وبنطالها الجينز يلتصق بها التصاقا وشعرها الطويل يتراقص فوق حزامها بنطالها ويطال ما تحت الحزام ...

منذ متى ترتدي ملابس كهذه ؟!!

وتتحداه وهي تحتمي بوجود اخيها الصغير الخبيث الذي يبتسم بتفهم !!

لقد اقحمت اخاها طه تعمدا وعندا في لعبتها معه فتشبثت بايصاله معهما للخالة نادية بل وتشبثت ان يوصلها اولا لبيت الناجي قبل او يوصل اخاها لبيت الغازي ...

الاثنان المتآمران ....!

" محمود .. ألن ننطلق ؟! تأخرت على نانا .."

يناظره محمود بطارف عينيه بينما يضيف طه باستمتاع خبيث

" سأبدأ بالشعور اني .. مفروض عليك .."

عندها التفت محمود بكل وجهه اليه ليقول بنبرة انتقامية " مفروض عليّ ؟! اختك الوحيدة المفروض علي قتلها في التو واللحظة .."

عندها انفجر طه ضاحكا حتى انه خلع نظارته ومسح بضع دمعات منفلتات ..

في النادي

سألته بوجه مبتسم رقيق وهي تضع قطعة كيك بالشيكولاته في فمها

" متى اشتريت كراميلا ؟"

رد وعيناه تمسح ملامحها بافتتان حار

" كنت ابحث منذ يومين حتى ارشدني صديق لهذه الفرس .. صاحبتها ارادت بيعها لانها ستسافر وكانت تنتظر من احدى عضوات النادي ابداء اهتمام بشرائها .."

اسبلت اهدابها وواصلت التهام قطعة الكيك في الصحن امامها ..

ما زال يشعرها تحاول تمثيل دور معه .. ليس معه على وجه الخصوص وانما مع الجميع ..

احساس يقض مضجعه ان فرحتها بارتباطهما ليست بمستوى فرحته هو ..

ما زالت تنأى بنفسها .. تنكمش بخوف من محاولاته ليلمسها .. ترتبك وتختنق عندما تعجز عن الابتعاد ولاتريد الا التشبث به !

كم يقتله ان تتخبط وتحتار في نفسها هكذا .. كم يوجعه ان تظن انه لايشعر بما تعانيه ..

قالت ببشاشة وهي تمسح فمها بالمنديل

" انا انتهيت .. منذ زمن لم آكل بشهية هكذا !.."



أمال رأسه وهو يمد يده ليلتقط عكازه وهو يقول بمشاكسة عاطفية

" انا لم تكفيكِ الكيكة انا موجود .."

أحمرت بشدة وهي تدير وجهها جانبا فيضحك وهو يقف على قدميه مستندا على عكازه وهو يقول بصوت أجش

" هيا سكرتي .. سنقضي بضع ساعات أخر هنا قبل ان نعود لبيت والدي على الغداء .."

رفعت عينيها اليه تناظره بنظرة فيها .. شيء ما مبهم لكنه اخترق قلبه كرصاصة حية ..

مد كفه ناحيتها وكفه الاخرى فوق عكازه فتحركت عيناها لتستقران على العكاز وهي تسأله بقلق

" متى ستستغني عن العكاز بشكل نهائي.."

رد وهو ينحني بخفة ليسحبها من ذراعها ويوقفها " بضعة ايام لا اكثر .. انا استخدمه فقط عندما .. أتعب .."

ثم التمعت عيناه وهو يقربها منه هامسا

" ألم اقل انك تتعبيني ؟"

فاجأته بتوهج عينيها ثم يدها تسحب العكاز منه تحمله عنه ثم تسنده بكفها الاخر قائلة

" ما دمت اتعبك فأنا من سيسندك .. على الاقل عندما نكون معا .. "

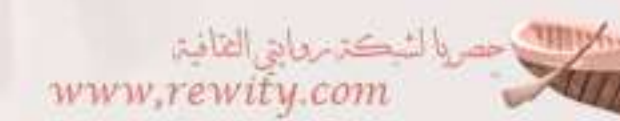
لم يتحرك .. لم يزح نظراته الغامضة عنها ليقول " تتكلمين احيانا بطريقة تذكرني .. بماهر ! احساس عال بالحاجة لدعم من حولك .."

ردت بابتسامة حلوة خاصة " انا تربيته .. "

عندها رفع كفه ليلامس كفها المتشبث به قائلا بنظرات مشتعلة تعكس كلماته

" انا اغار من ماهر .."

ارتفع حاجبا فاطمة عاليا تهمس اسمه بعجب " محمد ! "



اعتصر اناملها الرقيقة هامسا بنبرة هامسة ضارية بعنفوانها

" اموت غيرة عليك .. ليس بيدي .. منذ سنوات ولااحتمل قربه الشديد منك .. ان يلمسك .. يحتضنك .. يقبل جبينك .. وانت لاتضعين اي حواجز بينكما بل .. اشعرك تنتمين له بالكامل .. "

ابتلعت ريقها وبدت متأثرة وقلقة في نفس الوقت لتحاول ان تقول مبررة

" ماهر ... الاب الذي لم اعرفه .."

رد وعيناه تخيفانها وتثيرانها اكثر

" اعلم .. انا اعلم .. اعلم من هو ماهر لك وهذا يزيدني غيرة ولا يقللها .. "

يحدقان في وجه بعض وكأن ما قيل لم يكن معبرا كفاية فيضيف محمد بنفس الضراوة

" انا غيور جدا .. قد اثير جنونك بغيرتي اللعينة هذه .. هل ستحتملين هذا مني وتتفهمينه ؟ فقط .. حاولي .. اشعري بي ولاتحاسبيني في هذا لانه فوق طاقتي .. آه لو تعلمين معنى ان اراقبك لسنوات تكبرين امامي فأصرع قتيلا عشرات المرات بالهوى والعشق والغيرة .."

يختلج صدرها بالانفاس وتكاد ترمي نفسها على صدره وامام الناس وليحصل بعدها ما يحصل .. لايهم ان كانت تستحقه ام لا ..

لايهم ان كانت تخجل بكلمة عشق تريد بوحها له وتشعرها ناقصة ..

لايهم انه يذوب فيها وهي ذائبة فيه اكثر مما يظن بل واكثر مما كانت هي تظن ..

همست بتعثر رقيق

" لاجل كراميلا فقط .. سأتفهمك .."

تسمع ضحكاته الخافته وهي تحني رأسها وتسير معه خطواته ..

وماذا تريد اكثر من ان تسير معه خطواته..

انها الآن لاتملك الا ان تحب وتعشق وتهيم بكل خطوة يخطوها ..

في بيت الناجي ..

الثقة المتخمة التي تحلت بها حالما رأت ردة فعل محمود الحارة في صمت مجبر على ملابسها وهيئتها اهتزت ما ان دخلت لبيت بلال الناجي ..

بيت .. حماها بلال الناجي ... !!

ارتعش قلبها وهي تتطلع لبهو البيت ببعض الاضطراب ..

ثم اجفلت وهي تسمع صوت حماها العتيد يناديها من عند باب غرفة مكتبه

" مرحبا بعروسنا ..."

التفتت اليه تهتز ابتسامتها كاهتزاز ثقتها وهي تقول بوجنتين تشعان حرارة

" مرحبا .. عمي .."

تقدم منها بلال مبتسما ثم بلطف بالغ مال برأسه قليلا ليلثم جبينها بخفة وكأنها حركة عفوية معتادة منه فيتجاهل شهقتها الناعمة المتفاجئة ليسألها بنبرته الابوية الحنونة " اين محمود ؟"

تطلعت زينب لعينيه والتجاعيد حولهما فتبهت مشاعرها قليلا ...!

لطالما ظنّت ان عينيه بلون بني فاتح ..

الان تراهما بألوان رقراقة زاهية ما بين عسلي وبني وخيط خفيف من الاخضر ..

انهما كلون عيني حوراء ...

اتسعت ابتسامة بلال بتفهم وكأنه يمنحها كل الوقت لتقوم باستكشافاتها الاولى لعالم جديد انتمت اليه .. اجل انها تنتمي اخيرا وبخطوات خجلى لهذا العالم الذي دخلته منذ سنوات بزواج صفية من ماهر لكنها نأت بنفسها عنه واعتزلت في قوقعتها الحامية ...

تمتمت ردا على سؤاله وهي تشعر بالخجل من تحديقها فيه

" ذهب ليوصل اخي طه .. لبيت عمي اسر .."

ربّت بلال على كتفها فقال وهو يشير برأسه ناحية الصالة

" اذهبي لخالتك نجلاء .. انها في صالة الضيوف .. لديها ضيفة مبكرة جدا هذا الصباح وبزيارة مفاجئة دون موعد مسبق.."

هزت رأسها بـ(نعم) وهي تتحرك بخطوات متباطئة وتشعر باحساس غريب اقرب للافتقاد !

تدور براسها يمينا وشمالا وتستقر للحظات على باب البيت المغلق ..

كم تتمنى لو يعود المجنون في التو واللحظة ... على الاقل ستأنس بوجوده ويقل شعورها المضطرب ..

تنهدت وهي تقف امام باب صالة الضيوف واصوات نسوية تأتيها عبرها فتلتفت لاخر مرة ناحية العم بلال فتجده ما زال واقفا مكانه يناظرها بعينيه الهادئتين ثم يبتسم لها مشجعا ...

اخذت نفسا عميقا و رفعت ذقنها تستحضر صوت عمها آسر وهو يناديها (بجعتي) ..

طاقة سحرية في تلك الكلمة ..

عمها آسر .. طاقتها الخاصة التي لايدركها ويقدر قيمتها الا اياها ...

طرقت الباب لتسمع صوت خالتها نجلاء يقول (تفضل) قبل ان تفتح الباب ثم تلقي تحية متعجلة وهي تبتسم بغباء ...

" مرحبا .."

هللت الخالة نجلاء لدخولها لتقف على قدميها وتقترب منها تاركة ضيفتها تجلس بمفردها على الاريكة ..

تلك المرأة تعرفها .. احدى سيدات المجتمع الراقي .. لاتشبه الخالة نجلاء بشيء بل انها نسخة اسوأ من خالتها نهى ..

وها هي تلك المرأة تناظر زينب بانتقاص واضح لاتخفيه من قمة رأسها حتى اسفل قدميها لتركز بشكل خاص على الحذاء الرياضي الذي اختارت ان ترتديه ليلائم اختيارها من الملابس ..

تورد وجه زينب وخالجها شعور مباغت بالنقص الذي يشعل حطب غضبها الجهنمي فيخفف من وطأة احساسها هذا قبلات خالتها نجلاء الحارة على خديها وهي تناغشها بعفويتها الشقية المحببة

" اهلا بالعروس .. ما هذا الجمال يا فتاة .. ألم يبتلعك محمود حتى الآن بدلا من افطاره المتأخر ؟! "

ابتسمت زينب بارتعاش وهي تتذكر نظرات محمود المتوعدة بينما ترد على حماتها بالهمس الخجل " اسفة اذا تأخرت .."

فترد عليها نجلاء مطمئنة اياها وهي تجرها ناحية ضيفتها

" انت عروس وتتأخرين على مزاجك .. تعالي لتسلمي على السيدة فوزية .."

وقفت زينب قبالة تلك السيدة الباردة بينما تحيط كتفها ذراع حماتها الدافئ فتقول زينب بهدوء خارجي متجاهلة مرة اخرى ذلك التدقيق السخيف الذي توجهه اليها نظرات المرأة

" مرحبا سيدتي .. تشرفت بلقائك .."

لم ترد السيدة فوزية بأي جملة ترحيب بل ارتفع حاجباها وكأنها ترسم العجب بفرشاة السخرية قائلة بصوتها المترفع

" هل هذه عروس محمود ؟!"



شعرت بتقلص اصابع الخالة نجلاء على كتفها وكأنها هي الاخرى تقاوم رغبة عنيفة لصفع المرأة !

لكن ابتسامة المجاملة لم تفارق محياها الحلو وهي ترد على ضيفتها بالقول

" اجل.. هذه سمراؤنا الفاتنة .."

برمت السيدة شفتها للاسفل بينما تمط كلماتها بنوع من الملل والاستهانة بل حتى والاهانة الضمنية

" لطيفة..لكن اختها اجمل منها بكثير.."

ابتلعت زينب ريقها لتعافر في ابتلاع الاهانة المتعمدة التي القيت في وجهها بينما تسمع خالتها نجلاء ترد في برود

" لكل واحدة منهما جمالها الخاص .. ومحمود لاينتقي الا الاجمل والاكثر فتنة في عينيه .. داخلا وخارجا .."

يفترض ان يمنحها كلام حماتها الثقة الكاملة لكنه لم ينجح الا بجعلها اكثر تحفزا لتصب المرأة المغرورة الزيت على النار وهي تقول بنظرات توحي بالكثير من المعاني الرخيصة " انهما اختا صفية زوجة ماهر اليس كذلك ؟ حقا هؤلاء الفتيات يجدِن اختيار الازواج رغم .. كل شيء .."

اتسعت عينا نجلاء في غضب واضح وهي تطالع ضيفتها بطريقة جعلتها تندم على ما تفوهت به لتقول السيدة فوزية ببعض الارتباك " اقصد انهن محظوظات .."



وقبل ان تنطق نجلاء بكلمة كانت زينب تقول بصوت ثابت رغم تحشرجه

" عن اذنك خالتي .. سأذهب لانتظار عودة محمود ..."

حبيبات العرق تتجمع في صدغيها الحارين بينما تتجاهل السيدة تماما وتفلت من ذراع حماتها التي ارتخت وتتوجه ناحية الباب ..

اخر ما سمعته صوت خالتها نجلاء وهي تتكلم بما لم تستوعبه زينب لكن يكفيها التقاط نبرتها التي تفوح بغضب جليدي وتحذير صارم ..

لم تتوقف زينب وهي تغادر الصالة ثم تتجه بلا هدف محدد ناحية باب البيت لتغادره..

في غرفة الانطلاق ..

دخل محمود لاهثا وقلبه الذي كان منكمشا على نفسه فجأة تضخم في صدره وهو يجدها اخيرا ...

اخذ نفسا عميقا وأطلقه براحة هو يراها تقف وسط الغرفة وجهها ناحية الشاشة البلازمية المعلقة على الحائط بينما ظهرها اليه ..

عبس بتفكير قلق ثم مد يده بخفة وهدوء ليغلق الباب بالمفتاح بل ويسحب المفتاح ليضعه في جيبه ..

لن يسمح لها بالهرب قبل ان يتكلما ..

تحرك متعمدا اصدار صوت بقدميه فتلتفت اليه زينب لينعصر قلبه ويزداد عبوسه وهو يرى تعابيرها التي توحي بالضعف والانكماش ..

قال بسلاسة مفتعلة

" تركت امي مفزوعة بسببك .. لماذا لاتردين على هاتفك النقال ..؟"

للحظة تشوشت نظراتها وكأنها تفكر بالامر لتقول اخيرا بعينيها الجميلتين المعتذرتين

" نسيته في غرفتي .. انا اسفة .."

لو كانت صرخت في وجهه لارتاح اكثر .. لكن هذه الهيئة الشريدة لها توجعه وتقلقه عليها اكثر واكثر ..

اللعنة .. السيدة فوزية المتنمقة الحمقاء .. كيف استطاعت اهانتها هكذا ؟!

فقط لو كان موجودا ساعتها .. لكان اعلم تلك المرأة المتعجرفة مقامها و لأذلها اذلالا مذكرا اياها بكل تملقاتها المكشوفة له هي وابنتها التافهة ..

قال محمود ليستفز عنفوان زينب

" تكاد امي تصاب بذبحة صدرية وانت تقولين اسفة ؟! تركت ابي يحاول تهدئتها بشق الانفس .."

كان يعلم انه يبالغ لكنه ارادها ان تغضب.. تصرخ .. تعترض ...

لكن كل ما حصل عليه عبوس فقط !

التقط هاتفه متنهدا ليتصل بوالدته ويطمئنها انه وجد زينب وحالما انهى المكالمة رفعت يدها لتتطلع لساعتها وتقول " لماذا قلقت خالتي لهذا الحد .. لم اتركها الا منذ .. منذ .. نصف ساعة !!.."

رفعت وجهها لتنظر اليه بأسف حقيقي وهي تهمس

" اسفة حقا .. ذهبت للحديقة الخلفية ثم وجدت نفسي هنا فلم اشعر بالوقت .."

فيقول محمود وهو يقترب اكثر ليقف قبالتها " وهي ظننتك انك غادرت البيت بأكمله ولم تعرف كيف تصل اليك .."

سألته وهي تحدق في عينيه

" وكيف عرفت انت اني لم اغادر ؟!"

رد بابتسامة عريضة اظهرت غمازتيه

" احساسي وربما غروري أكد لي انك لن تغادري وستفضلين انتظاري .."

ثم يرفع يده ليلامس بخفة خصلة طويلة من شعرها سارحة على كتفها فيضيف

" وربما لاني اثق بمجنونتي انها لن تتأثر بتلك العجوز الشمطاء المترفعة .."



عيناها العسليتان اظلمتا فيقتله القلق مرة اخرى وهي تهمس بابتسامة غريبة

" لم تعبر تلك المرأة الا بالحقيقة .. "

تتلاشى ابتسامته ويكاد يجر خصلتها بعنف وهو يسألها " اي حقيقة زينب ..؟"

ردت بنبرة تثير الشجن

" اننا .. انا واخوتي .. من اصل متواضع ابسط بكثير ان نرتبط باسم ال الناجي او ال الغازي .."

تقلصت اصابعه حول تلك الخصلة ليقول من بين اسنانه " وابي من اصل متواضع ايضا.. بنى نفسه من الصفر .."

تألق وجهها بجمال غريب وكأن روحها تطفو على السطح لتقول بابتسامة رقيقة لاتلائم جمال شفتيها المكتنزتين

" تعلم جيدا انه لم يأتي من حي شعبي مدقع بالفقر مثلنا .. لقد كان من الطبقة الوسطى وصعوده بعرق جبينه يضاف له ولقيمته .. اما نحن ....."

تقطع صوتها في النهاية لتلمع عيناها بدموع لم تهطل فيكاد يفقد محمود صوابه بينما تهز زينب رأسها وتسأل بنبرة حيرته اكثر

" هل تذكر اول يوم اتينا فيه لبيتكم ؟"

قال اول ما خطر له واثر به وقتها

" انتحيتِ جانبا ولم تشاركينا اللعب .."

أطرقت بوجهها وبدت منفعلة وانفاسها تتسارع وهي تقول بصوت متحشرج

" كنتُ اشعر اني زججت زجا في موقف اكبر مريع وعالم اوسع مخيف واناس اعلى وارفع من ان اراهم حقيقة امام عيني المجردتين ..."

انفاسها تتسارع انفعالا كانفاسها وعيناه تلمحان كفيها يتقبضان الى جانبيها بينما تضيف فتهتز الكلمات المخنوقة المكبوته من سنوات لتخرج من بين شفتيها كصرخات ترج أركان عالمه

" كنت .. خائفة .. خائفة جدا .."

ترك خصلة شعرها ليمسك بكتفيها يهزها وهو يسأل بالحاح

" من اي شيء ؟ ما الذي يخيف فتاة بمثل عنفوانك هكذا ؟! "

رفعت وجهها اليه فبدت بملامح محاربة عنيفة بكبرياء تغار الجبال الشامخات منه لتقول دون تردد

" من ان أهان بأي طريقة .."

هتف محمود وعيناه تتسعان " تهانين ؟! "

عندها شحب وجهها لتهمس بوجع قديم

" انت لاتعرف ما هو الفقر يا محمود .. اثره منقوش بل محفور على صفحة طفولتي .. الاحتياج وجزع السؤال وكتم الـ(آه) عندما يستجلب نطقها سحق الكبرياء وعزة النفس .. لاتعرف كم ان الفقر يعري الروح قبل الجسد فتنهش الكلاب الضالة كرامتنا قبل لحومنا الحية ... تصبح كل محاولة انتهاك حق طبيعي ومشاع للجميع .. "

فجأة دفعته واستدارت بعنف توليه ظهرها فعاود محمود الاقتراب ليقف خلفها مباشرة دون ان يلمسها ... للحظات غرق في مرارة ما وصفته .. يتمنى فقط لو عاش تلك السنوات معها فيفعل المستحيل ليحميها بكل ما يملك ويستطيع ..



همس وانفاسه تحرك بعضا من شعيراتها

" ماذا افعل بك ؟! من اين آتي بتوأمي الان ليعلمني بعضا من فصاحة لسانه ؟!! "

سمع صوتها غامضا وهي ترد عليه

" لاتحتاج لفصاحة اللسان الآن .."

فيسألها بحرقة من القلب

" اذن اخبريني انت .. اريد ان اصل لاخرك وأكون معك فيه .. اخبريني ماذا تريدين مني ان أفعل وأقسم بالله سأفعل .."

عندها تحركت خطوة .. خطوتين للامام ثم تنحني بجذعها وتقول

" اريد ان اتعلم .."

شعر انه غبي حقا وهو يراها تلتقط احدى متحكمات الالعاب الالكترونية بينما يسألها باستغراب ودهشة

" تتعلمين ماذا ؟!"

التفتت اليه بابتسامة خلبت لبّه وهي تلوح بالمتحكم في يدها وتقول بثقة مشعة من عينيها

" ان اتعلم كيف ألعب هذه اللعبات .."

ثم اذهلته بجديتها في الطلب وهي تجلس متربعة على الارض تحدق بعبوس محبب يفيض عزما على التنفيذ ...

زفر محمود بقوة ثم تقدم متأففا ليجلس متربعا ايضا قريبا منها يلتقط المتحكم الآخر وهو يقول متذمرا بافتعال لم يخلُ من بعض خيبة الامل العاطفية

" لو قال لي احدهم اني سأقضي نهاري الاول بعد عقد القران لألعب مع خطيبتي لعبة إلكترونية مؤكد لقلت هذه ضريبة الخلل في التوازن البيئي العالمي جعل العقول تهذي بالخرافات .."

ضحكت زينب ضحكة عالية اظهرت توترها المكبوت اكثر من استمتاعها لكنه كان سعيدا ... سعيدا لانها قررت اقتحام ما تخافه .. وما يسعده اكثر انها تفعلها بصحبته هو .. هو فقط ..

استمرا يلعبان بصخب وصرخات زينب وقهقهاتها الطفولية تعلو ومحمود ساعة يناظرها بطارف عينيه اللتين لاتجدان مستقرا الا في شفتيها وساعة يستغل تلك القهقهات وانشغالها بالتركيز في اللعب ليتزحزح بجسده قليلا ويتقرب في جسلته منها ...

شيئا فشيئا حتى كانت النهاية عندما التصق بها تماما ...

عندها فقط تنبهت اليه والتفتت نحوه .. عيناها الضاحكتان في عينيه الدافئتين فهمست تحذره

" ابتعد يا ابن الناجي .."

لقد احتمل لساعة لساعتين .. لكن هذا يكفي .. فلتذهب مخاوفها للجحيم ..

رمى المتحكم من يده وفي لحظة كان يدفعها بعنف مستلقية على ظهرها ..
حاولت النهوض باعتراض فمنعها بجسده يتطلع للون عينيها الذائب ..

يشعر بحرارته ترتفع وترتفع وهو يقرأ ذاك النداء في عينيها .. قد يعترض لسانها وتقاوم بجسدها وتضرب باطرافها الاربع لكنها .. تحتاج منه عاطفته المجنونة ..

دون كلمة انحنى اليها بشفتيه يقبل شفتيها بحمى وشغف وائدا مقاومتها المضحكة هاتفا بين قبلاته

" وانا الذي .. اردت تعذيبك بالحرمان .. وما العذاب الا لي... وانا احرم ...نفسي ...من شفتيك .."

همساتها باسمه جننته اكثر فيكاد يفقد رشده وهو يهدر

" احبك .. اعشقك يا مجنونة .."

وبين ثنايا شعرها ضاع حتى أجفلهما معا صوت رنين هاتفه ليشتم محمود بعنف بينما تضحك هي بارتعاش ..

ابتعد عنها متربعا على الارض يشتم باحباط ومشاعره ما زالت فائرة ثائرة فيحاول تهدأتها ..

يخرج هاتفه من جيبه بينما يحرك بلوزة بعنف ليسمح للهواء بضرب جسده المشتعل علّه يبرد ...

كانت تسبل اهدابها بوجنتيها المشتعلتين احمرارا وهي تقف على قدميها ثم تتحرك برشاقة مغيظة وتمرر اصابعها المرتجفة في شعرها الكث لتعيد ترتيبه ...

عيناه تعلقتا بتلك الخصل الطويلة الداكنة والاصابع تخترقها بسحر موجع .. ابتلع ريقه وهو يفتح الخط اخيرا ويكاد يشعر ان قلبه سيقفز من صدره ...

هدر في أخيه عبر الهاتف

" ماذا تريد ؟! "

ليزداد غيظه وتوأمه يضحك ثم يخبره باستفزاز ان كان يفضل ان يأتي بنفسه لغرفة الانطلاق !

زفر محمود بقوة بينما يقول لمحمد بجفاف عبر الهاتف انه قادم حالا مع زينب ...

حالما اغلق محمود الخط نهض على قدميه ليقول لزينب بنبرة مغتاظة

" هيا بنا .. انهم ينتظروننا .. لقد جاءت فاطمة ايضا مع محمد .. ولااعلم لماذا جاءا مبكرين هكذا ؟! "

كانت زينب توليه ظهرها وتقف جوار رسم قديم على الحائط كان قد رسمه هو ومحمد معا .. مجرد رسم بسيط لطفلين يلعبان كرة القدم ...

سألت زينب باهتمام

" لماذا غرفة الانطلاق هنا مختلفة عن غرفة الانطلاق في بيت عمي آسر ؟! هناك اشعر وكأني دخلت كهفا سحريا طفوليا جدرانه ملئت بالرسوم الحية التي تخبرني بتاريخ اولاد الغازي ... دوما تحدثنا انا وفاطمة حول تلك الرسوم بنوع من الغيرة والحسد ... بينما هنا .. لايوجد الا هذه الرسمة وربما هناك رسمة اخرى في الزاوية لكنها ليست واضحة ..."



استدارت اليه وعيناها الواسعتان تفيضان بالتساؤل ..

رد محمود ببساطة وهو يهز كتفيه

" امي مختلفة عن الخالة نادية .. اقل صرامة واكثر ضعفا ناحية الاطفال .. لذلك هي استسلمت لالحاحنا انا ومحمد لوضع جهاز اللعب الالكتروني هنا وحالما وضعناه نسينا الرسم وكل شيء اخر .. خالتي نادية لم تضع اي جهاز الكتروني بل كانت ترفض بشكل قطعي ادخال اي جهاز صغير .. غرفة الانطلاق بالنسبة لها هي غرفة انطلاق الحواس بطبيعتها الام دون قيود التطورات التقنية .."

بدت متأثرة ومنبهرة ..

وهو حاليا غير قادر على احتواء (تأثرها وانبهارها) فحواسه في حالة انطلاق جنوني والافضل ان يغادرا حالا ولاينفردان كثيرا ببعض حتى الزفاف..

تمتم بحنق موجه لذاته وهو يتجه ناحية الباب

" هيا بنا..."

يخرج المفتاح من جيبه بينما يشعر بخيالها المغري خلفه فيشد على فكيه وهو يطلب العون من الله وكثير من الصبر والتحمل ...

بعد بضعة ايام .. منتصف النهار

مؤسسة الغازي – الناجي

كانت توشك على دخول مكتب اسر الغازي عندما لمحت عمران قادم عبر الرواق..

تصاعد نبض قلبها توترا لكنها انتظرته عن عمد .. انها المرة الاولى التي تلتقي به في المؤسسة بعد عودتها للعمل ..

لاتعلم هل هي من كانت تتخفى منه حرجا وشعورا بالذنب ام هو من كان يتخفى حرجا ايضا وربما شعورا مبررا بالغضب ناحيتها ..

اصيبت زينب بالذهول وعمران يتخطاها دون ان حتى ان تطرف عينيه نحوها ..

لم ينطق بكلمة ولو سلام عابر!!

وكأنها غير مرئية له على الاطلاق ..

عبست زينب وتحركت نصف خطوة عازمة على اللحاق به عندما امسكتها قبضة عنيفة وصوت محمود يخترق طبلة اذنها

" حاولي اللحاق به او التكلم معه وسأثير فضيحة هنا.."

استدارت نحوه وهي تعبس في وجهه بتحد وتقول بعقلانية

" لاتكن سخيفا .. يجب ان اوضح له الموقف .."



رد محمود بنبرة قاطعة

" غير مسموح لك ولا له .. هذا اتفاقي مع ماهر حتى لااتدخل واتحمل استمرار وجوده.. وانت تعلمين اذا تدخلت ماذا سيحصل يا وجه العبوس .. ماهر تكفل بايضاح كل شيء لذي الضحكة الهلامية لذلك فأنه لايحتاج لسماع توضيح اضافي منك بصوتك الجهوري .."

بدت غير مقتنعة وهي تقول بأسف حقيقي

" لقد كنا صديقين قبل اي شيء .. انه لايلقي السلام حتى .. "

هدر فيها وقد فاض كيله

" ليجرب ويلقيه لألقيه انا من الشباك .."

يغيظها بتحكماته هذه فتتحداه بالقول

" افعلها وستجدني ألقيك خلفه ..!"

اصابعه انغرزت في كتفها وهو يقول بغضب مكبوت " انا جاد زينب .. لامجال لأي مزاح في الموضوع .. عمران هذا لاتقتربي منه على الاطلاق .."

اثار حنقها وشعرته كمن يتنمر عليها فهتفت اسمه تمطه من بين اسنانه كزمجرة

" محمووود .."

فيناكدها بمط اسمها بنفس الطريقة

" زيييينب .."

ليفتح باب مكتب آسر ويأتي صوته المشاكس على نفس الوتيرة " بجعتييي ! "

التفت الاثنان العابسان اليه بينما يحرك اسر كتفيه قائلا بصرامة فكاهية وهو يوجه كلامه لهما معا

" هذا مكان عمل في حال تخيلتما انكما في عشكما الزوجي .. انت اذهب والعب عند ابيك وانتِ بجعتي تعالي لنكمل لعب اليوم.. ليس لدي مزاج لفك نقاركما .."

فتضحك زينب مستفزة محمود اكثر بينما تلوح له بيدها وكأنها تصرفه ثم تتبختر عن تعمد في مشيتها لاحقة بعمها اسر ..

عبس محمود ليتوعد في سره ..

سترى هذه المزعجة ..

الانتقام قادم ...

الجامعة ..في مقهى الطلبة ..

(" انظري اليها .. يالَ صلفها ! تجلس واضعة ساق فوق ساق وكأن امرا جللا لم يحدث بسببها !"

" حرفيا لقد اقتتل لاجلها شابين من اعرق العائلات لتحظى هي بالافضل بينهما وتتبجح امامنا بارتداء خاتمه الثمين .."

" هل علمتم ان عدي تم فصله لاسبوع ؟! اليس هذا ظلما ؟ لم يقل الا الحقيقة .."

" من قال انها الحقيقة ؟"

" لاتبدأ في الدفاع عنها .. انتم الشباب لاترون ابعد من وجهها الرقيق الجميل .."

" لكن حقا من يدري ما حصل حقا .. ربما خالد ذاك قد ... تعرفون ما اقصد .. فكيف سيرتضي ابن الناجي بها ؟"

" الامر اصبح مملا اليس لديكم قصة اخرى نقضي بها وقت فراغنا ؟!")

تحتسي فاطمة شايها بهدوء ظاهري بينما تلتقط اذناها بوضوح تام الـ(همسات) الدائرة حولها .. ومن طلبة وطالبات ..

تبدو باردة ومسيطرة لكن في داخلها رغم كل شيء .. تتوجع .. !

تتوجع من هذا اللغو الهامس في ظهرها وحالما تواجههم بعينيها يبتسمون في براءة وتعاطف !

من المريع كيف يستطيع بعض البشر ان يعلموننا الكره والقسوة ..

ان تكره زيفهم وحقارات ما يفعلون معك وان تقسو عليهم لترد الصاع صاعين ..

رشفة اخرى من كوبها وهي تنظر لساعة يدها .. سيأتي محمد قريبا وتترك الجامعة بمن فيها ..

متى سينتهي العام الدراسي هذا ؟!

متى ستتخرج لتطوي هذه الصفحة القميئة من حياتها ..

شعرت باختناق في صدرها فقررت مغادرة المقهى قبل ان تنهي شايها .. ستنتظر محمد خارج اسوار الجامعة ..



تحركت لتقف على قدميها تلتقط حقيبتها فتشعر حقا بالتحسن لقرار المغادرة ..

المواجهة الصلبة تمنح التحرر لكنها لاتتكفل باعطائك راحة تامة ..

تنهدت وهي تخطو خطواتها الثابته والهمسات تبهت من حولها لتفكر فقط ..

فيه .. محمدها ... من أدمنت اسناد رأسها لصدره فيتقاطر الدفء الى خوائها البارد ..

انه شعور مختلف عن الحب والعشق ..

أمان يجيز لها الانانية في الغرف من قوته حتى الثمالة ..

ومحمد فتح المصراعين امامها لتستكشف كنوزه الثمينة كرجل متفرد فتأخذ ما تشاء دون حساب ...

بضعة ايام منذ عقد القران وهي تراه كل يوم .. بل تشعرها اغلب ساعات اليوم فتعيش حالة من احتوائه الغازي لها ..

يحاوطها من كل جانب دون ان يضغط عليها.. ودون ان ينسى مراوغاته المدروسة ليتسلل اليها كما تتسلل هي لكنوزه ...

يجعلها .. تشتاق .. يحيي فيها بضعة من (فاطمة) التي كانتها يوما ..

فتشتاق اليها عبر اشتياقها له ..

وكأنها تخلع عنها احمالها لتتجرد من كل ما حصل وترتمي عطشى على صدره ..

لمساته ناعمة كالريش وعميقة كأنها تشطرها حتى اللب ..

شفتاه تتلكآن على بشرتها ، ما زالتا تترنحان بالاشتياق الصامت للمس شفتيها ..

هادئ الملامح غامض احيانا متوهج العينين غالبا وبغزل صريح تجاوز البراءة بمراحل..
اما قلبه ... ذاك الذي تلتصق به كلما استندت لصدره فإنه دوما يقصف كالرعد فيهتز عالمها ليمطر مزيدا من الأمان والاحتواء .. واثارة الانتظار لما تخشاه وتتجاهله ..

خطوة واحدة خطتها خارج باب المقهى عندما اعترضها جسد تعرفت على صاحبه..

تحركت عفويا يمينا لتتجاوزه لتمتد ذراعه تمنعها وهو يتوسل بالقول

" توقفي قليلا فاطمة .. امنحيني فرصة لنتكلم .."

رفعت فاطمة وجهها لعدي قائلة ببرود جليدي " ابعد ذراعك عن طريقي .."

رأت في عينيه مشاعر شتى ما بين عاطفة ما زال يكنها لها وندم فظيع وغيرة افظع ...

كل هذا تراه بوضوح ولايحرك فيها شعرة!

قال اخيرا وبثبات

" جئت خصيصا لأعتذر مرة اخرى .."

ردت بنفس البرود

" واعتذارك مرفوض... مرة اخرى .."

تتحرك جانبا خاصة مع اعتراضها لخروج بعض الطلبة من المقهى لكن عدي يتجرأ ليتحرك بكل جسده ويقف في طريقها بتعنت قائلا ببعض الحنق

" لاتكوني قاسية هكذا فاطمة .. انا لم.. آآآآه ..."

تراجعت فاطمة خطوة عفوية للخلف وهي تضع يدها على فمها بوجل بينما ترى عدي قد سقط ارضا بعد لكمة نارية من محمد..

رمى محمد عكازه وقد بدى في حالة غضب مرعبة واوشك ان ينهال على عدي بالضرب لولا امسكه بعض الطلبة وسحبه بعيدا بينما يهرول الحرس الجامعي نحوهم مع تجمهر الطلبة ..

لم ينطق محمد بحرف فعيناه تقولان الكثير مما جعل عدي ينكمش ويحني رأسه في اذلال وغيرة ..

ساعده احدهم على النهوض بينما تقترب فاطمة من خطيبها وقد استعادت رباطة جأشها لتنحني وتلتقط عكازه قبل ان تصل اليه فيأخذ محمد العكاز ويرميه بعنف بعيدا وهو يهدر من بين اسنانه

" لم أعد بحاجة اليه .."

ثم التفت بوجهه ناحية عدي فرآه مغادرا مع الحرس موليا اياهم ظهره ليعود بعينيه الهائجتين ناحية فاطمة ويقول لها بسيطرة حديدية على الذات " هيا نغادر .."

هزت رأسها بـ(نعم) بينما تتحرك برفقته تحت انظار الطلبة ...

يقود سيارته بسلاسة وبدى شاردا بعيدا عنها .. لقد ابتدأ بقيادة سيارته بنفسه منذ يومين وهذا اسعدها واراحها ..

فجأة سألها محمد

" هل ما زلت تودين الذهاب للمزرعة هذا اليوم ؟ نستطيع التأجيل .."

تحدق في جانب وجهه الغامض لتقول بثبات يعادل ثباته " يجب ان اتعلم كيف أعتني بكراميلا .. ألم يكن هذا كلامك ؟ "

التفت اليه يناظرها بغموض لاتستطيع تفسيره ثم يعاود التركيز على الطريق وهو يقول بهدوء

" أجل .. يجب ان تتعلمي.. انا ايضا اريدك ان تأتي للمزرعة وتري مكان عملي ومن يعملون معي .."

ارتعد قلبها بزحف جليدي خانق ...

ومن حيث تفتح ابواب كانت مغلقة فتطل على عتباتها كلمات لاتنتسى ..

(" انا واثق .. لقد اخترت الدكتورة بيلسان كزوجة لي .. انها طبيبة بيطرية تعمل في المزرعة .. من عائلة محترمة والاهم فيها أهم ما اريد ..")

مزرعة الناجي

بدى في مشيته غير مرتاح بينما يتحركان من المرآب الخاص في المزرعة فتسأله فاطمة بارتعاش لاتعرف مصدره

" هل انت بخير يا محمد ؟"

نظر في عينيها مباشرة ليرد بجذل وابتسامة مفاجئة " ما دمتِ انت بخير .."

يقرع قلبها وهي تسبل اهدابها ..

خطواتها شبه متعثرة وهي تسير بموازاته ..

لاتعرف هل هي من سعى اليه او هو من سعى اليها لكنها وجدت ذراعها متشابك بتملك في ذراعه ..

" مرحبا دكتور محمد .."

صوت كتغريد الطيور الفاتنة رفرف على مسامع فاطمة قبل ان ترفع نظراتها مع توقف خطواتها لتطالع وجها صبوحا وملامح انثى خاصة ومميزة ..

انثى .. تشبه حوراء .. بحجابها وعفتها ..

بجمال وجهها الطبيعي المضيء .. الحياء والخجل يزينانه وكأنهما ملمحان ثابتان كباقي ملامح وجهها ..

حريق ...! حريق شب في قلبها حتى شعرت انها .. ستموت في احتراقها هذا ...

عينا الفتاة اختلجتا بالمشاعر للحظة قبل ان تخفي كل شيء لتبتسم في وجه فاطمة وتقول ببشاشة " مرحبا .. آنسة .."

لاتعرف فاطمة هل همسة الوجع خرجت من فمها ام انها ببساطة كانت ترد التحية بنبرة ميتة ...

آآآآآه من الوجع ...

" مرحبا دكتورة بيلسان .. اقدم لك خطيبتي فاطمة .."

كان صوت محمد شديد الوضوح .. خافتا في حياء رجولي يخترق مشاعر اي انثى ..

ثم يلتفت لفاطمة وعيناه ما زالتا غامضتين ليقول بابتسامة حلوة " بيلسان طبيبة بيطرية تعمل في المزرعة عندنا .."

(تكلمي .. انطقي بشيء فاطمة .. لاتقفي هكذا بينهما ضائعة تائهة .. محترقة ..!)

لكن ذات الوجه الصبوح والصوت المميز بادرتها بالقول المتعثر قليلا

" تشرفنا انسة و .. مبارك ..الدكتور محمد انسان رائع .."



تمتمت فاطمة " شكرا ..."

لتحني رأسها واصابع محمد تلتف حول اصابعها المتقلصة حول ساعده ..

تكلم الاثنان حول بعض العمل قبل ان تستأذن بيلسان لتتركهما وتغادر..

وطوال هذا اللحظات كانت فاطمة تترنح في حريقها مع الكلمات التي شعّ صدى نيرانها فتتكرر وكأنها تلقي مزيدا من الحطب

(انا واثق ..انا واثق .. لقد اخترت الدكتورة بيلسان كزوجة لي .. زوجة لي .. انها طبيبة بيطرية ... تعمل في المزرعة .. من عائلة محترمة ... والاهم ... فيها أهم ما اريد .. اهم ما اريد .. اهم ما اريد)

هل كانت تتحرك مرة اخرى ؟!

لاتعرف .....

لكن مؤكد تحركت معه لانها فجأة وجدت نفسها في مكتب خاص قد لايكون مترفا لكنه انيق بما يكفي ليلائم صاحب المكان ..

اجلسها محمد على اريكة منجدة مريحة ثم تحرك لبراد في الزاوية واحضر لها بعض الماء فيقف قبالتها ويمد يده اليها هامسا بصوت أجش وكأنه يقاوم أمر ما



" اشربي بعض الماء حبيبتي .. الجو حار .."

دون ان ترفع وجهها همست تناديه

" محمد.."

فيرد بنفس النبرة

" سكرتي .."

عندها فقط رفعت وجهها عاليا اليه لتقول

من قلب جحيمها

" تزوجها هي .. انها الانسب لك مني ..

والاهم فيها .. أهم ما تريد ..."

الفصل الحادي والعشرون والاخير

دون ان ترفع وجهها همست تناديه

" محمد.."

فيرد بنفس النبرة

" سكرتي .."

عندها فقط رفعت وجهها عاليا اليه لتقول

من قلب جحيمها

" تزوجها هي .. انها الانسب لك مني ..

والاهم فيها .. أهم ما تريد ..."

قدح الماء لم يهتز بشعرة في يده ...

غموض خضرة عينيه لايتغير كغموض

سافر رقيق الايحاء كسا ملامحه ...

لفجاعة قلبها ابتسم !

جحيم من الغيرة والوجع يكاد يبتلعها

وهو.. يبتسم ؟!

هبّت تقف على قدميها وعواصف من الدموع

تثور من مقلتيها فتهتف وهي تهز راسها هتافا

صارخا بذاك الجحيم

" تزوجها .. انها حلمك .. بالضبط هي

حلمك وما انا .. الا ملوثة مُعراة امامك

بكل ذنوبي .. بكل اخطائي .. بكل ..

بكل .. آآه .. انا اتوجع ..."

لم تعرف متى وضع قدح الماء جانبا لتشعر باصابع كفيه تحاوط كتفيها فتحرقها بمزيد من النيران وكأن جحيمها لايكفيها...

لاإراديا انتفضت بجسدها وروحها التي تصرخ بالألم لتشعر بنيران اصابعه تتحرك من كتفيها لعنقها الناعم حتى احتوى رأسها من الخلف وثبته مكانه ..

همست اسمه بلهاث مهتاج وجبهته تستقر فوق جبهتها يقول بصوت أجش حازم

" شششششششش توقفي سكرتي .."

هزتها كلمة التدليل فنفضتها بعنف من قلبها لتهمس بحرقة " لاتناديني هكذا.."

اغمض عينيه يتأرجح بجبهته فوق جبهتها وانفاسه الدافئة تلفح وجهها فيضغط باصابعه على رأسها ويقول بنبرة لاتوصف

" انت .. لا تحبينني ...! "

شهقت باستنكار عفوي وهبّت عواصف جديدة من الدموع بحرقة ألم من نوع آخر فتقول باندفاع عاطفي مجنون وهي تشهق بالبكاء المرير

" انا احبك .. احبك .. دوما احببتك .. دوما تعذبت لاني .. لاني لست هي .. لست الفتاة التي تحلم بها .."

رأسها سينفجر من ضغط اصابعه لم تكن تعرف وهي غارقة في سيل عارم من الدموع والاحساس بحرقة الغيرة والألم انه فتح عينيه يحدق مباشرة في وجهها الذي يكاد يلتصق بوجهه ...

عيناه تتوهجان بشعاع جنوني العاطفة فتتحرك يده اليمنى بارتعاش من مؤخرة رأسها لتحاوط خدها ...

ابهامه يرتعش وهو يمرره ببطء فوق شفتيها المتفارقتين المحمرتين ...

قال بصوت رجولي مبحوح

" قوليها مرة اخرى .."

اخذت تنوح بعذاب فتهمس بإنهاك ويأس

" إرحمني محمد .. ماذا تريد من تكرار اعتراف مهين كهذا .. ؟! هل ستقول اني استحقك الآن ؟ اني أمثل تلك (الفتاة المنتظرة) التي صُنت نفسك لاجلها ؟"

سيجن وهو يمنع نفسه عنها .. سيجن وهو يمنع نفسه ليتذوق للمرة الاولى رحيق شفتيّ فتاة .. فتاة هي كل الفتيات في عمره ... حبيبته الاولى والاخيرة .. سكرته .. سكرته خاصته هو وحده ..

قال وابهامه يرسم تلك الحدود الفاتنة لشفتيها بضغط اوجع لها وله

" قولي ... احبك.."

للحظة لم تستوعب مطلبه وهي تهمس بشهقات البكاء " ما...ما..ذا ؟!..."

يقترب اكثر ويكاد يلمس شفتيها بشفتيه هامسا بحرارة " لسنوات كنت احلم بك (حلالي) ... ألامسك .. اخذك بين ذراعي كما اشاء دون قيد او موانع .. لسنوات كنت احلم بك وانت تخبريني للمرة الاولى انك تحبينني انا ولا رجل اخر غيري .. لسنوات .. حلمت .. وقتلت في ذاك الحلم عندما رسيتُ بقواربي على شاطئ شفتيك .."

هذه المرة اخذت تبكي بنعومة وتشعر بشفتيه تلامسان شفتيها وكأنهما تطرقان باب روحها المتوجعة بعشقه ..

دوار لذيذ اخذ يلفها و(طرقات شفتيه) تزداد تطلبا وإلحاحا ...

همست في انفاسه " لماذا تحبني هكذا ؟!"

هو الآخر كان يدور في حلقات كالنار يكاد لايعرف من اين تبدأ القبلة واين تنتهي .. وهل لقبلتها نهاية ؟!

ذراعه الايسر التف حول جسدها يشدها اليه بعنف حتى التصقت به فيرتعد جسده ويكاد يترنح .. بل انه يترنح بها ومعها ..

ما زال يستكشف قبلتها وهو يقول بصوت اجش هامس



" لماذا لاتغفرين ؟! انا اخطأت مرارا وتكرارا .. ماذا سأفعل اكثر لاثبت لك انك المنتظرة والمنشودة .. كلما غضبت منك ومن نفسي شددت رحالي وابحرت بعيدا عن شواطئك هائما على وجهي ابحث عن سكن لعذابي ..فأتوه واتوه لاجد نفسي فجأة قد عدت من حيث ابحرت ..! انه انت فقط.. أموت عشقا وعذابا فيكِ .. "

دوارها يزداد ويتكاثف وتشعر باشراقة قديمة في روحها .. وكأنها عادت لطفولتها البعيدة وهي تلعب بشقاوة على البحر ..

للحظات تاه منها كل الماضي وخبتت نيران الغيرة وشعور الاذلال .. فعادت بين انفاسه هو لتتنفس (فاطمة التي كانتها) ...

تتعلق به ..جسدها يذوب ويترنح معه ..

شفتاها استسلمتا لتلك الطرقات الناعمات التي تحولت لاقتحام مشتعل جعلها تتأوه وقلبها يصرخ بنبضاته ..

هل الجدران تتحرك بها ؟!

ماذا يحدث ؟

انها ... انها ... صوت ضحكاته الخافته المرتعشة ايقظتها بينما يهمس بمشاكسة عاطفية

" كيف انتهى بنا الامر جالسين ارضا ؟! "

حركت رأسها ووجهها يتخضب بالحمرة لتستوعب جلوسهما هما الاثنين على ركبتيهما ...!



انكماش غريزي وكأنها عادت للواقع بغته لتستوعب في اي زمان ومكان هي ...

اخذت تدفع صدره بعفوية وهي تغلق عينيها ويرتجف كل جسدها في خجل فظيع هامسة بتوسل

" محمد .. ابتعد .. يا الهي .. فقط دعنا نقف على الاقل .."

يتشبث بها هامسا بشقاوة تداري الانفجار المدوي في عاطفته المكبوته

" انا مرهق .. لااريد ان اقف الآن .."

مال بوجهه ليغمره بتأوه مشتعل في عنقها ويعتصر جسدها الرقيق بين ذراعيه ليضيف بعذوبة تفطر الحجر

" قولي (احبك) .. قوليها .."

العودة (للزمان والمكان) اعادا لها ذاك التحسس الجسدي من اي ملامسة حميمية ..

لكنها تقاوم انكماشها فقلبها لم يطاوعها ان تحرمه من هذا التقرب الذي يبتغيه ..

اغمضت عينيها وهي تستند على كتفه وبتردد خجول مرتجف كانت كفاها تتحركان لتطوقا جذعه ...

تنهيدة عميقة ندت عنه وكأنه يعبر بها اخيرا لبر الامان ...

الانكماش الذي باغتها بوجهه البشع اخذ يتضاءل ويتضاءل بينما يعاودها الاحمرار ليغزو خديها وهي تتذكر قبلاته ...

ثم تذكرت تلك الليلة البعيدة عندما حلمت بمحمد ..

حلمت به يمنحها ... قبلة ...

همست اخيرا وحرارة حلوة تشع منها

" انا ... احبك ..."

لتتأوه متوجعة وهو يعتصرها بعنف متوتر بالسيطرة التي يمارسها على نفسه فيقول بصوت ناري متملك

" هكذا اريدك وانت في برج قلبي العالي.. لاتدعي مخلوقا اخر غيرنا يُذكر فيه .. انا وانت فقط يا فاطمة .. لابشر فيه غيرنا .. معا حتى النهاية على الحلو والمر.."

بعد يومين ...

رائحة اللحم المشوي تثير شهيته فيكاد يرتكب شقاوة كما كان يفعل هو ومحمود عندما كانا صغيرين يرافقان والدهما وهو يشتري اللحم المشوي من المطعم وخلال رحلة العودة بالسيارة يكونان قد قضيا على نصف الكمية !

وصل لبوابة بيت ماهر منشرح الملامح والشقاوة تتقافز في عقله وان كانت باتجاه عاطفي بحت هذه المرة ...

فتح له الحرس بوابة البيت وبينما يعبرها كان ينزل نافذته يبتسم لحارس اربعيني متسائلا بعفوية ما يعرف اجابته

" الانسة فاطمة موجودة في البيت صحيح؟"

بينما الحارس يهز رأسه ظهر من خلفه فجأة الحارس الاخر وبدا في العشرين ليقول مثرثرا " اجل سيد محمد .. لكنها ليست في البيت .. رأيتها قبل قليل تدخل حوض السباحة .."

تغيرت ملامح محمد في لحظة ...

شفتاه اصبحتا كخيطين رفيعين شاحبين .. وعيناه تصطحبان كحجر الصوان القاسي .. الحارس الشاب التقط في ارتباك شديد

ذاك الغضب الذي طفا على صفحة وجه محمد الناجي في صمت بليغ ...

قال الحارس معتذرا وهو ينقل نظراته بين السيد محمد طالبا العفو وبين الحارس الاربعيني يطلب الدعم

" انا .. آسف .. لم أكن اعرف انها موجودة في البيت هذا اليوم .. ذهبت اتمشى قليلا في الحديقة الخلفية و .. رأيتها .."

بصوت يبدو شديد الهدوء في ظاهره يشع بما هو مخيف ومظلم قال محمد

" كنت اظن انه من غير المسموح للحرس الذهاب لتلك الجهة الا للضرورة القصوى .. خاصة انها مؤمنة "



عندها تدخل الحارس الاكبر سنا ليقول بابتسامة متلطفة

" انه حارس جديد سيد محمد وقد عنفته بشدة لمخالفته التعليمات ..."

بجمود كامل اسبل محمد اهدابه قبل ان يقول بنبرة واضحة تفيض بحدة خفية

" يحتاج ان يتعلم الحدود الحمراء اكثر من التعنيف ..."

بينما تتوالى الاعتذارات كان محمد يتحرك بسيارته ليتوجه ناحية المرآب ..

غادر سيارته وهو يغلي كمرجل ..

ترك اللحم المشوي مكانه كما ترك مزاجه الرائق معه ..!

بخطوات ثابته توجه الى الناحية الخلفية حيث المبنى المنفصل لحوض السباحة ذو الجدران الزجاجية المزججة ...

اصابع كفيه متقلصة في عنف شرس ..

كيف تذهب للسباحة وهي بمفردها في البيت .. لا احد معها الا الحرس !

كان يمر من حول احد تلك الجدران الملونة وصولا لباب الدخول وعيناه ترقبان كالصقر اي خيال ..

فتتسمر خطواته عندما لمح خيالها ...

توتر جسده بالكامل وهو يحدق في خيال يستعد للقفز بانحناء جسد انثوي ملحوظ..



ثم تأججت النيران عندما قفزت اخيرا لتتحرك قدماه وهو يسحق اسنانه فوق بعضها ..

عندما فتح باب المسبح كان صوت تناثر الماء عاليا وفاطمة تسبح بقوة محركة اطرافها الاربعة في تناسق ...

وقف قريبا من حافة المسبح يضع يديه في جيبيه يراقب بجمود وداخله في صراع عنيف ليسيطر عما يعتمل فيه من غيرة شعواء ..

عيناه تلامسان ذراعيها وساقيها فيشعر ان الامر سيفلت منه كلما فكر ان ذاك الحارس رآها ..

او ربما حتى تلصص عليها دون ان تدري ...

رغما عنه خطفت انفاسه وهي تخرج برشاقة من حوض السباحة ليبرز جسدها الرقيق في ثوب سباحة من قطعة واحدة بلون احمر !

يشعر بالدخان الحار يخرج من اذنيه بينما يناديها بنبرة حادة

" فاطمة ..."

اجفلت بقوة وهي تقف على الحافة فترتد اليه تحدق فيه وهي تسارع للف ذراعيها حول جسدها هامسة بجزع

" محمد ! متى أتيت ؟!"

عيناه تحترقان فوق ساقيها المكشوفتين

بينما يتمتم من بين شفتيه شبه المطبقتين

" اردت .. مفاجأتك ... عندما قلتِ انك لن تذهبي اليوم للجامعة قررت ان احضر طعام غداء لي ولك ..."

تحركت الساقان النحيلتان بتعثر فتوليه ظهرها وهي تصل لمبذلها وترتديه على عجل فوق جسدها فتستره ..

استدارت له اخيرا وهي تحكم ربط حزام المبذل وعيناه لاتزالان تتفرس في كل شبر منها ... خصلات شعرها المبللة الملتصقة بجانبي وجهها .. مبذلها الرمادي اطفأ لون ثوب السباحة الناري ...

بدت خجلة وحائرة ولاتعلم ماذا يحصل له..

تحرك بخطواته متمهلا حتى يطفئ ذاك الغضب الذي يقتل اي عقلانية وتفهم في رأسه ..

ما زالت مسمرة امامه حتى وصل اليها ليسأل بنبرة كالسكون الذي يسبق العاصفة الهوجاء " هل أتيت هنا .. بالمبذل ام .. بملابس عادية ؟"

ما زالت لاتفهم ما يحصل معه لتتساءل هي الاخرى " ماذا هناك يا محمد ؟ هل تراني ارتكبت خطأ ما ؟"



عندها انفجرت الدماء الحارة في عروقه المشتعلة فيفقد رزانته وصبره ليرتفع صوته هادرا

" الحارس الشاب رآك وانت تدخلين حوض السباحة .. فهل رآك هكذا فاطمة ؟! ام ربما رآك عبر الزجاج الملون كخيال انثوي يلهب خياله الجائع .."

اتسعت عينا فاطمة في صدمة ...

تتسع وتتسع وخضرتهما الناعمة تغطيها غيوم حزينة ...!

شحب وجهها وابيضت شفتاها لكنها تماسكت لتشمخ بذقنها قائلة بهدوء مصطنع

" رأيت الحارس في طريقي الى هنا .. لم ينظر نحوي ولم يلق السلام حتى بل سارع ليبتعد وهو يعتذر .. اما انا ..."

اقتربت هي منه لتقف قبالته مباشرة وعيناها تلمعان بدموع الكبرياء فتهمس بحشرجة " انا كنت ارتدي الجينز وبلوزة بكمين طويلين ... هنا يوجد حمام للاغتسال بعد السباحة وغرفة خاصة للتبديل .. هل هذا يرضيك ..؟"

كانت ستستدير بعيدا عن عينيه المحمرتين من الانفعال لتخفي عنه دمعات خائنات لكن ما هي الا نصف خطوة لتشعر بكفيه تديرانها وستحبانها بعنف لصدره ..

قلبه يهدر .. انفاسه تهدر .. مشاعره تهدر .. كل حواسه تهدر ...

همس اسمها هادرا وكأنه يريد الصراخ به متملكا " فاطمة ..."

شهقة ناعمة خانتها فلم تشعر الا وشفتاه تكسران الجليد فوق شفتيها ..

ركبتاها ترتشعان وهي تستقبل هذا الجانب الخشن العنيف منه ..

الانكماش شل جسدها للحظات باتت كالدهور حتى نطق اسمها بلهفة وكأنه يتوسلها الذوبان فيه كما يذوب هو فيها ..

اغمضت عينيها وتركت (فاطمة التي كانتها) تسرح مرة اخرى في بحره العاطفي الهائج ...

ابتعد بشفتيه ليلف ذراعيه بتشدد حول خصرها ثم يرفعها حتى وصل وجهها المحمر المبلل لمستوى وجهه ..

تتعلق بكتفيه وهي تسبل اهدابها وتهمس بارتعاش " انز..لـ...ني .. محمد .."

قال وانفاسه تلهث

" لاتفعلي هذا مرة اخرى .. لاتسبحي وانت بمفردك في البيت .. يا الهي ماذا افعل بغيرتي المجنونة هذه ..؟! "

همست وهي لاتزال تتعلق بكتفيه كطوق نجاة " ثق بي .. ان كنت حقا تحبني .."

هدر وهو يعتصر خصرها

" هل تظنيني لاثق بك ؟!! انت غدوتِ مني فكيف لاثق ؟! لكني لاثق بأي عين تطالك .. لاثق بأي رجل يبعد مترين عنك .. ليس بيدي .. اقسم باللّه ليس بيدي .. "

لم تعرف كيف تتصرف لكن قلبها ذاب لكلماته فتذوب هي بين ذراعيه ..

تركت لحدسها العنان فمالت برأسها ليستريح فوق كتفه بينما تربت باصابعها على كتفه الاخر تهمس

" انا وعدتك ان اتفهم .. "

يضمها اكثر و اكثر وهو يطلق انفاسه ثم يقول اخيرا

" وانا اعدك ان احاول التحمل اكثر .."

اصابعه تحركت لتلامس خدها فيبتلع ريقه وهو يذوب لنعومته ...

أنزلها ارضا هامسا بصوت أجش دون ان ينظر اليها " هل أخفتك ؟! "

ردت بخجل وهي تبتعد عنه وتلامس خصلات شعرها التي مازالت رطبة

" معك لااخاف ابدا ..."

يبتسم رغما عنه ليقول برقة

" تجيدين الردود سكرتي .. لااعرف كيف لك هذه القدرة على اختيار الكلمات .."

قالت بنبرة مختلفة " انظر الي .."

رفع نظراته لها فيراها محمرة لذيذة تكاد تقضي عليه لكنها اضافت بملامح صافية

" عندما ... اختطفني .. خالد .. لم أكن افكر بمحفز للنجاة الا في ثلاثة ... ابي .. ماهر .. وانت .."

عيناه لاتفارقان عينيها وهي تكمل بنفس الملامح " وانت .. تحديدا .. كانت بك نجاتي ... ولاتسألني كيف يكفيك ان تعلم انه انت فقط ..."

اتسعت عينا محمد هامسا اسمها بذهول باغته لتقول فاطمة ببعض التحشرج

" لذلك انا ابدا لن اخاف منك .. لكن سأخاف ان.. اخذلك .. "

تقدم ليمسكها من كلتيّ ذراعيها فيقول بحرارة " اذن فكري بكل هذا في أي وقت تتتابك الشكوك حول حتمية اننا لبعض .. فكري انك نجاتي كما انا نجاتك ..."

خنقتها الغصة فلم تملك الا ان تهز راسها بـ(نعم) فيها بعض التردد ..

عندها ابتسم تلك الابتسامة التي تحرك انوثتها ليقول بنبرة مداعبة رقيقة

" سأنتظرك لتغيري ملابسك ثم نتناول طعامنا الذي برد في السيارة ..."

في بيت بلال الناجي

زفرت نجلاء بقوة وهي تدخل المطبخ وتغلق الباب خلفها لتتقدم ناحية المائدة الصغيرة وتسحب كرسيا فتجلس جوار ابنتها التي كانت تقطع البطاطا ...

ابتسمت حوراء في وجه امها متعاطفة وهي تراها تخلع حجابها وتسحب منديلا ورقيا لتجفف بعض عرقها ...

قالت نجلاء بعبوس نزق

" هؤلاء العمال لايشتغلون بالسرعة الكافية .. ابواب البيت كلها مشرعة والجو حار .. اصبح البيت كالفرن ومبردات الهواء لم تعد تعمل بكفاءة .."

تواصل حوراء عملها وهي تقول

" لاتقلقي امي .. حتى لو لم يتموا الجناحين قبل الزفاف فقد جهزنا غرفتين رائعتين للعرسان ..."



تنهدت حوراء بابتسامة جذلى فترتخي السكين في يدها هامسة بحنان

" لااصدق ان التوأمين اللذين كانا يتعلقان بذيلي اينما ذهبت يوشكان على الزواج وسيحظيان ان شاء الله كلا بعائلته الصغيرة الخاصة .."

ما زالت نجلاء عابسة غارقة في افكارها الخاصة وعازمة كل العزم على انهاء الجناحين قبل الزفاف ...

قالت نجلاء ببعض الامتعاض والتذمر

" فقط لو يتم تأخير الزفاف لاسبوع اخر كنت سأفعل الاعاجيب حتى يتمموا الجناحين .. لم يتبقَ الا سبعة عشرة يوما !

ماذا سيؤثر لو جعلنا الزفاف بعد.. سبعة وعشرين يوما مثلا؟!"

عادت حوراء لتقطيع البطاطا وهي تقول

" انت تعلمين السبب اماه .. فاطمة ارادت الزفاف في نفس ليلة حفل التخرج .. ومحمد وافق ..."

تنهدت نجلاء لتقول باشفاق ضمني

" هذه الفتاة ...! لماذا تحرم نفسها من لحظات حلوة مع زميلاتها ..؟ انا لن انس ابدا حفل تخرجي الذي انتهى بولادتك .. انه من أسعد الايام في حياتي .."

تتبسم حوراء وهي ترد بالقول

" ربما هي تريد ان تحتفل بتخرجها بطريقة تسعدها اكثر امي .. ما عانته وتعانيه فاطمة هناك مؤكد ليس بالقليل .. الناس لاتترك احدا بحاله .. يكفي ما حصل مع ذلك الشاب الحقير وامام كل الطلبة... "

تفاجأت نجلاء من معرفة ابنتها بموضوع ذاك الشاب فسألتها بدهشة

" من اخبرك ؟! "

هزت حوراء كتفيها مجيبة

" صفية اخبرتني .. انت تعلمين اننا صديقتان .. كانت تشعر بالضيق واحتاجت ان تفضفض معي .. "

التقطت حوراء حبة بطاطا جديدة لتقول لامها بابتسامة فخر موجهة لها

" انت امرأة مميزة امي .. حماة اخرى كانت لتفعل المستحيل حتى لايرتبط ابنها بفتاة شابت سمعتها الاقاويل بعد ان تعرضت لاختطاف من خطيبها السابق المهووس كاد يودي لاغتصابها لاسمح اللّه .. "

قالت نجلاء ببساطة وهي ترجع بظهرها للخلف تسترخي في كرسيها

" الفتاتان كبرتا في احضاننا يا حوراء .. تحت عيوننا .. لن أجد افضل منهما لاطمئن على التوأمين معهما .. "





فتحاججها حوراء قائلة

" هل تتخيلين خالتي نهى مثلا ستفعل المثل لو كانت مكانك ..؟ اشك بل انا شبه متيقنه انها كانت ستبذل قصارى جهدها لتمنع الزواج .."

حدقت نجلاء في وجه ابنتها لتقول بعدها

" خالتك نهى ليست شريرة يا ابنتي .. دوما لعبت دور الاخت الكبرى معي وساعدتني كثيرا في مراهقتي الصعبة ... لكنها كانت وحيدة والديها رحمهما اللّه .. جميلة فاتنة ذكية راقية.. لذلك دلّلاها كثيرا فقد كانت فخرهما .. فنشأت خلف قشرة من الارستقراطية تصلدت عبر الزمن.. صعب

ان تكسرها وهي بهذا السن لتتحرر منها .. لديها وجهات نظر فيها كثير من الصحة لكنها لاتجيد التعبير عنها بشكل صحيح لايجرح الاخرين كما انها لاتتمتع بالمرونة لحلحلة وجهات النظر تلك .."

للحظة سرحت نظرات نجلاء وهي تضيق عينيها قليلا لتسترسل قائلة

" احيانا يغيظني شاهر وهو يماشيها بصمت واحيانا اتفهمه لانها حقا انسانة طيبة من الداخل وما نتخيله سهل لتفعله هي تراه صعب جدا عليها .."

ثم توجه نجلاء نظراتها لابنتها لتضيف باسترسال اكثر

" احيانا عندما نجتمع انا وهي ونادية تتحدث عن الطبقات الاجتماعية فلاتتنبه ان نادية تقريبا من نفس طبقة صفية التي تعيب عليها فقرها وبساطة اصولها .. لكن نادية تتمتع بعقليه تستوعب الاخرين وتجيد التراخي في التعامل كما تجيد الحزم والشد .. وتعلم ان نهى حالة ميؤوس منها من هذه الناحية ولن تتغير فتتقبلها كما هي لان نهى في المقابل تحب نادية ايضا وتحترمها حتى مع وجود ذلك الخيط الرفيع الباهت من الغيرة نحو نادية "

اتسعت عينا حوراء قليلا وتوقفت تماما عن عملها لتسأل بدهشة

" خالتي نهى تغار من خالتي نادية ؟!"

ردت نجلاء بابتسامة صغيرة

" نعم .. انه ذلك الاحساس ان نادية تتفوق عليها في بضع جوانب .. ونهى تشعر دوما انها الأحق بالتفوق كامرأة .. فهي سليلة الحسب والنسب .."

لم تتغير تعابير الدهشة على وجه حوراء بينما تتمتم في عجب

" لم أشعر يوما بهذا .."

لترد نجلاء وهي تسبل اهدابها

" لان نهى تحرص كل الحرص على اخفائه لكنها لن تستطيع اخفاءه عني انا .. انها عشرة سنوات طوال .. كما تعرفين انت سلسبيل وتفهمينها .."

هزت حوراء راسها باقتناع لتنهي المتبقي من عملها ثم تقول بتردد وخجل

" هل تعلمين امي .. انا اتفهم غيرة خالتي نهى .. احيانا انا الاخرى اشعر بالغيرة من سلسبيل .. هذا الانطلاق والحيوية .. قدرتها على فعل ما تريد وبنفس الوقت ان تتكيف

مع اي مستجدات تختار بنفسها ان تتكيف لها .. بينما انا اشعر اني اكثر بطأ واقل مرونة ..."

للحظات التزمت نجلاء الصمت لتقول بعدها

" اياك ان تنظري لما عند غيرك حوراء وتتنهدين حسرة لانك لاتملكين المثل .. تعلمت من ابيك معنى النعم التي يوزعها

رب العباد بالانصاف ... وبعض نعمه أخّرها لما بعد الموت فتلك خير وابقى .. "

قالت حوراء بهمس رقيق

" الحمد للّه على نعمه .. "

فتبسمت نجلاء لتقول بشقاوة محببة

" الا يكفي المجنون العاطفي الذي تزوجتِه ؟! انه نعمة تفيض عن حاجة اي امرأة .."

تضحك حوراء بخفة ووجنتاها تحمران لتقول ببعض الاحباط الرقيق

" اشفق عليه من جنونه العاطفي هذا .. لاتخيل كيف سيتعامل مع صغيرتنا هديل عندما تكبر .. قبل ايام ارتفعت حرارتها



قليلا فأصر بمنتصف الليل ان يذهب بها للمستشفى ! فضحنا هناك واثار ضحك الممرضات وحتى طبيب الطوارئ لم يتمالك نفسه واوشكت ان تحصل مشادة وعراك بينهما بسبب ذلك لولا تدخلي ليهدأ ..."

تنهدت نجلاء بابتسامة حلوة ثم قالت

" كم احب عاطفيته هذه .. دوما كان المميز لدي .. ايتها المحظوظة وابنة محظوظة ..."

ضحكت حوراء ملأ شدقيها وامها تأخذ البطاطا المقطعة منها وهي تحرك حاجبيها صعودا ونزولا كطفلة شقية....

مؤسسة الغازي – الناجي

يخفي مهدي ضحكته بينما يتطلع من بعيد لوقفة محمود المتململة مع الفتاة الشقراء التي وضعها ظافر في طريقه ..

يستند ظافر على حافة مكتب الاستنساخ حيث يدعي انه ينتظر انتهاء طباعة اوراق لم يكن من اختصاصه طباعتها ..

قال ظافر وهو يحني رأسه ويهتز كتفيه في ضحك مكبوت

" حقا بدأت اشفق عليه .. زينب ستمزقه أربا.. انظر اليها كيف تنظر نحوهما .."

استدار مهدي ليولي المشهد ظهره ومواجها لظافر فاستطاع ان يطلق العنان لبعض ضحكاته وهو يقول

" ايها الخبيث انت صاحب هذه الفكرة .."

فيرفع ظافر عينيه اللامعتين بالشقاوة لابن عمه ويقول بنبرة متهمة

" وانت ايدتني فيها .. بل حتى اقترحت الشقراء لنرسلها له بحجة اوراق وهمية "

انفجر مهدي ضاحكا بعلو صوته وقد فقد قدرته على ضبط نفسه ليتمتم اخيرا وهو يمسح دمعة ضحك من جانب عينه

" ماهر سيخنقنا .."

فيحرك ظافر حاجبيه قائلا بضحكة رجولية جذابة

" وربما سيفعل مقلبا مشابها ويستمتع .."

تنهد مهدي ليقول بحنين

" منذ متى لم نعمل مقلبا ممتعا كهذا ؟! اشعر اننا كبرنا قبل الاوان ونسينا ايام الشقاوة .. نحن بحاجة لبعض الحيوية يا ظافر وحتى الصبيانية بعيدا عن جدية العمل في المؤسسة ..."

عينا ظافر ابتعدتا عن مهدي لتحدق بما خلفه فيبتسم ظافر ابتسامة واسعة فيها كثير من الاعجاب ثم يقول

" بجعة ابي ليست بالهينة .. حقا اجاد تربيتها .. انظر اليها ماذا تفعل ..."

التفت مهدي فأول ما وقع بصره كان على محمود الذي يتجاهل الفتاة الشقراء الواقفة امامه بشكل تام لينظر بعبوس ناحية زينب التي تقف على الجهة الاخرى بمسافة تفصل بينهما ما يعادل الثلاثة امتار او اكثر..

وبينما مهدي يتابع ما تفعله زينب اتسعت ابتسامته شيئا فشيئا وهو يقول بتحفز شقيّ

" ستحطمه دون ان تلمسه باصبعها الصغير.."

يكز على اسنانه وقد تشتت تركيزه تماما فلم يعد يسمع ما تقوله وتكرره هذه الشقراء الغبية..

عيناه تتسعان ثم تتأجج فيهما النار وهو يرى زينب من بعيد تقف مع زميلة لها فتخلع عنها سترتها الحمراء ببطء ليبرز قميصها الابيض الحريري الملتصق بجذعها ..

ترمي السترة بحركة رشيقة قد تبدو عفوية للبعض لكن في عينيه كان استعراض مغو فاضح !

تنورتها الكحلية الضيقة برزت اكثر فبات جسد المجنونة كتلة من اغراء انثوي .. منذ منذ متى ترتدي التنانير ؟!

ولتزيد الطين بلة وهي ترفع يدها لشعرها

الذي ترفعه كذيل حصان طويل انيق

وببضع حركات من اصبعها كان يتحرر

كالشلال على ظهرها ...

لم يكن ينقص الا هذا ...

انتهى !

هذه الفتاة تحتاج اعادة تربية ..

لم يبال بأي استئذان او اعتذار للشقراء

المزعجة التي لا يعرف اصلا ماذا تريد منه

في استفساراتها السخيفة ...

قدماها تسبقان عقله وحالما وصل اليها

كانت قبضته تسبق الجميع وهي تلتف

حول ذراعها لتسحبها اليه ..

المغوية العبوس سابقا فجأة اصبحت لعوب

تنظر اليه بانتصار وتشفٍ !

على ماذا هذا التشفي بالضبط ؟!!

وانتصار في أي شيء ؟

اللعنة ..

ابتسامتها لاتطاق ..

ابتسم لها هو الآخر بينما يدعي اللياقة

ليعتذر من زميلتها فيجر معه زينب التي

تتساءل في براءة " ماذا حصل ؟!"

لم يرد وهو يلتقط سترتها ويأخذها معه في

رواق خاص يؤدي لمكاتب الادارة العليا ..

بدأت تتذمر وتستعيد مزاجها العبوس

المجنون وهي تحاول التملص منه قائلة

" اترك ذراعي محمود والا انت تعرفني ..

سأخلع اي ثوب متحضر او حتى انثوي "

هدر وهو يدفعها ليلصقها بالحائط

" يكفيني ما خلعته قبل قليل ..."

رفعت حاجبيها لتقول بنبرة لامبالية

مغيظة

" لم اخلع الا سترتي .. كنت اشعر بالحر .."

زمجر من بين اسنانه واصابعه تحفر في لحم

ذراعها " بل خلعتِ حياءك مع سترتك .."

تزيد من اغاظته وهي تستمر بادعاء

اللامبالاة بينما عيناها تفضحانها بما يجيش

في صدرها

" لو اعترفت انك تمعن النظر في النساء من

حولك لاعترفت ان هناك من ترتدي

ملابس فاضحة لاتليق الا بغرف النوم .."

صرخ بها وقد فقد اخر ذرة من هدوئه

" ومالي انا ومال اي امرأة حمقاء من حولي ؟!

انت زوجتي يجب ان تكوني محتشمة حتى

في تصرفاتك ... ثم ماذا عن شعرك هذا

ها ؟! منذ متى تحلينه هكذا فيتأرجح في

اشارات واضحة لاماكن .. ممتلئة ...! "

جحظت عينيها في استنكار وغضب وهي تردد من بين اسنانها

" ممتلئة ؟! انا ممتلئة يا نحيف ؟!"

ينتقم منها وهو يؤجج نيران غضبها الطفولي بالقول الساخر المحذر

" لاتتحدي (النحيف) لانك غير قادرة على تحمل تبعات تحدياتك "

تشمخ بذقنها وهي تقول بترفع

" هع ... تقتلك الغيرة ..! "

يقترب بوجهه منها يهمس بانفاسه الحارة

" وانت ماذا يقتلك ؟ "

ترتبك وهي تلتصق بالجدار عابسة مرتعشة وقد اصابتها عدوى الحمى منه فتشعر بجسدها يشتعل كجسده ...

همس وهو يشتم " اللعنة .. لماذا لا نتبادل الهمسات والقبلات الساخنة كأي خطيبين يعشقان بعض ؟!! "

تمتمت لاهثة بعناد وهي تحيد بوجهها جانبا وكأنها تدفع بعيدا (قبلة ساخنة) متوقعة منه ..

" لاتعرف الا القبلات الساخنة ..! "

فيحرجها بالقول

" لم أرك تتذمرين وانت تبادليني قبلات اكثر سخونة ..."

هتفت به بعنف ووجهها يتضرج بالحمرة

" ايها .. ايها المزعج .. الكريه ..

اكرهك... واكره قبلاتك السخيفة .."

انفاسه عنيفة وهو يبتعد عنها هامسا بحدة

" اصبري عليّ يا زينب و سأجعلك تتوسلين

لاكثر من قبلاتي الساخنة .. "

ثم ابتعد نصف خطوة يحشر كفيه في

جيبي بنطاله وهو يرخي جفنيه ويقول

بنبرة تسلطية

" اضفري شعرك في الحال قبل ان اقصه

بنفسي هذه المرة .. احترمي تربية اختك

صفية لك على الاقل .."

هل وبخها للتو كمراهقة ثم تركها

ومضى؟!

والادهى ان اصابعها ترتعش وهي تضفر

شعرها الطويل على عجل امتثالا ..

لتسلطه..!

بعد عشرة ايام ... مزرعة الناجي

بابتسامة مشرقة عالقة على شفتيها دون ان

تشعر تحرك فاطمة الفرشاة الخاصة على

جسد كراميلا تنظفها مما علق بها ...

منذ اسبوع وهي تعيش فرحة الاندماج في

الاعتناء بفرسها بشكل يومي ...

وقد خصص لها محمد هذه الحظيرة الصغيرة الخاصة لتكون ملكا لها وحدها..

اخذت فاطمة تدندن باغنية وهي تعمل بجهد والفرس مستسلمة باسترخاء (متبادل) ليديها ..

لم تكن فاطمة تعلم ان هناك من تسلل لحظيرتها ويراقبها وهو مختبأ في الظل بابتسامة مشتعلة بشوق لم يعد يعرف معنى الصبر .. اسبوع فقط وستكون في بيته ..

عينا محمد تنسابان بذاك الشوق على جسدها النحيل وقد اظهرت رقته بشدها طرفي القميص الاخضر في عقدة عند البطن لتظهر تفاصيلها الناعمة والبنطال الاسود يظهر مواطن فتنة اخرى ...

حتى شعرها المربوط كذيل الحصان يفتنه..

الفتنة لعيني العاشق مختلفة ..

والفتنة لعاشق يهيم بحلاله اشد اختلافا ..

عندها يرى التفاصيل الانثوية بتملك رجولي وفخر .. يراه غاليا لانه يخصه وحده لا عين اخرى تصل اليه ...

اتكأ بخفة على عمود خشبي وهو يتابع افعالها الممتعة ..



تنهدت فاطمة وهي ترمي الفرشاة جانبا فتمسح جبينها بباطن مرفقها قبل ان تتخصر وتقول بضحكة حلوة

" عسلية تشتكي من اهمالي لها يا كراميلا .. لكن ماذا افعل .. ؟! الاعتناء بك منحني فرحة اكبر واسترخاء اجمل.. حتى اكثر من السباحة نفسها .."

انحنت لتلتقط الفرشاة الاخرى الخاصة بشعر رأس الحصان ..

فابتدأت تمشط الشعر الاشقر وهي تواصل هذرها " اعترف اني في البداية عانيت .. ان.. ارى بيلسان تلك كل يوم لهو امر .. موووجع .. خاصة وهي تعاملني بذاك

اللطف والاحترام والادب فلا اجد سببا واحدا لاكرهها ! وليت الامر يقتصر على على اللطف والاخلاق الدمثة ... انتِ لم تريها كراميلا .. انها.. مختلفة .. وجهها فيه شيء يشعرني بالنقص .. انها ليست جميلة فحسب .. لكن فيها شيء لااستطيع وصفه .. يكفي ان الكل هنا يبتسم في وجهها طواعية فتشب النيران في صدري انا واشعر بالاختناق .. ولا استعيد انفاسي .. الا.. الا بالتواجد .. معه .. بين ذراعيه .."

احمرت فاطمة ورمت الفرشاة الاخرى بينما الخيال الرجولي المراقب يستمتع اكثر بما يسمعه وان كان ذهنه في حالة تركيز وتنبه تامين ..

ابتلعت فاطمة ريقها وهي تقترب من شعر كراميلا فتحرك اصابع كفيها بين تلك الخصل وتلقائيا تبدأ بعمل عدة ضفائر متناسقة وهي تقول بحشرجة

" التواجد معه شيء اخر .. يكفي ان انظر في عينيه فأرى صورتي تطل منهما .. انه يخجلني بتلك النظرات العابثة التي توحي بالكثير .. يخجلني وبنفس الوقت .. يجعلني اعيش حكاية خيالية للجنيات .."

ابتسمت فاطمة قليلا بينما تنهي اخر ضفيرة قائلة " انت لاتعرفين ما اهمية تلك الحكايات لي .. انها (فاطمة الرومانسية) التي فقدتها يوما ما .. تاهت مني وسط توهان الدروب التي سلكتها ..

كنت اريد ان اعيش حكاية .. حكاية كحكاية ماهر وصفية ... "

أكملت عملها فابتعدت قليلا لتلتقط من داخل كيس صغير على الارض بضع حبات سكر ثم عادت مبتسمة بشقاوة لكراميلا فاعطتها حبتين في فمها والفرس تصهل برضا فتضحك فاطمة وتقول

" لاتخبري محمد اني اعطيك سكرا كل يوم .. يقول انها تسبب البدانة للخيول .. لكني لا اقاوم تدليلك واسعادك ..."

صهلت كراميلا وكأنها تتفق معها على المؤامرة وخيال محمد يضحك في خفة ..

اخذت فاطمة نفسا عميقا ثم اطلقته قبل ان تلف ذراعيها حول رقبة الفرس في عناق حقيقي دافئ فتقول بتأثر

" انا احبك جدا كراميلا .. انت اروع ما جعلني محمد احصل عليه .. انت صديقتي المقربة التي خففت عني وطأة رؤية بيلسان كل يوم هنا .. لكني اعترف ان هذه الفتاة دافع لي لاقاوم واواجه .. وكلما رأيتها اكثر شعرت بالتحرر اكثر .. الحياة قاسية كراميلا .. لاتقدم لنا الحلول لمخاوفنا .. قد تعطي الاشارات وتضع اشخاصا في طريقنا لكن نحن من يجب ان يسعى ويواجه ... وانا .. بت اعرف ما اريد .. انا اريده لي .. اريد ان احبه ويحبني... "

قلب محمد يعصف في صدره بينما يقترب بخطواته منها ويسمعها تضيف بخجل وهي تغمر وجهها اكثر في رقبة الفرس

" انا احبه .. احبه بجنون .. منذ زمن وانا يائسة في حبه .. هل اخبرك بسر ؟ لقد .. حلمت يوما بقبلته .. لااعلم كيف .. لم يحصل لي ابدا من قبل .. لكن في ليلة حلمت انه .. يقبلن .... آآآآه ..."

شهقت بارتعاب لحظي مباغت وهي تنتصب برأسها عندما شعرت بذراعين تطوقان خصرها من الخلف ثم ينجلي كل ارتعاب بمسك رائحة مألوفة حبيبة لقلبها قبل ان تسمع صوته الجذل هامسا قرب اذنها

" لماذا لم أكن احلم بكِ احلاما لذيذة كهذه ؟!"

تخضبت وجنتاها واخذت تعض شفتها السفلى وشعور مألوف ببعض الانكماش يتسلل اليها في الخفاء .. وعندما انحنى بشفتيه ليقبل عنقها غريزيا ابتعدت برقبتها عنه وجلدها يقشعر ..

رفع وجهه ببطء وجسدها يتململ بين ذراعيه فسمح لها بالتحرر عن عمد لتبتعد مباشرة وهي تحني رأسها وترفع يديها لتفكان عقدة قميصها بينما يراقبها محمد بهدوء..

سألها بخفة

" لماذا تحلين عقدة قميصك ؟"

تبعثر نظراتها هنا وهناك بينما تهمس

" خشيت ان يزعجك الامر .. هناك عاملون كثر في المزرعة .."

فيقول محمد بنبرة مداعبة

" لكنك داخل مكان خاص لايدخله احد غيري .. ومؤكد لن افكر انك ستغادرين الحظيرة هكذا .."

هذه المرة ثبتت نظرها في نقطة محددة بعيدا عنه تحاول ان تستعيد هدوئها ..

تشعر ببعض الارتباك والخجل والتوجس في نفس الوقت ...

قال محمد اخيرا بصوت أجش " انا اوتركِ بغيرتي عليك ... اليس كذلك؟ لكن ألم نتفق ان تتفهمينها وتتحملينها ؟! ام انك ما زلت في داخلك مستاءة مما حصل في حوض السباحة ؟ "

اقترب منها فيمد يده لذقنها ويدير وجهها لتطلع اليه ...

همس " انظري لعيني سكرتي .."

رفعت نظراتها اليه فتتسارع ضربات قلبها في فرح عفوي وهي ترى انعكاس صورتها في تلك العينين ..

تتنهد براحة تلقائية وكل شيء يستقر في مكانه الصحيح ...

انه ليس مجرد انعكاس صورة .. ربما هو مجرد شعور طفولي أبله منها لكنها تشعر انه انعكاس لوجودها في قلبه وروحه ... انعكاس يمنحها مزيدا من القوة والثقة ..

تراخت ملامحها فيبتسم لها وعيناه في عينيها يتساءل بعذوبة

" لماذا انكمشتِ عندما قبلتُ عنقك للتو؟ ألم نتجاوز هذا ؟ "

للحظة ارتبكت وانعكس ارتباكها الداخلي في عينيها لتقول نصف الحقيقة

" لقد فاجأتني من الخلف كما انه ليس انكماشا تماما .. انه فقط .. ردة فعل لشيء لم .. اعتده ... بعد .."





اخذ يتفرس في تعابيرها بصمت فتستسلم لتنطق بهمس النصف الاخر

" احيانا لااعرف ما تتوقعه مني او ما اتوقعه انا من نفسي .. انه امر يفلت مني واشعر ان لاسيطرة كاملة لي على جسدي فاتوتر وارتبك .."

ابهامه يتلاعب بذقنها المستدق ثم يقول

" انا اضمك واقبلك كل يوم حتى تعتادين الامر فلا تبالي بتوقعاتي الآن .. جسدك ملكك يا فاطمة وانا حلالك كما انت حلالي ... "

يتوهج خداها بحمرة قانية لتقول بحشرجة

" محمد .. انا ما زلت اخجل منك عندما تصبح .. عاطفيا حميميا معي ..."

تذوب ابتسامته في حرارة عاطفته المتقدة بينما يضغط بابهامه على جانب فكها ويهمس ببحة

" عاطفي وحميمي ؟! فليعِني اللّه كم اصبر وانا اسد رمقي بالنذر اليسير .."

ثم يميل نحوها يطبع قبلاته الدافئة على خدها فيضحك هامسا بمشاكسة " حتى ورائحتك كرائحة الخيول فأنا لااقاوم "

همست اسمه بعتب " محمد ! "

دفعته لتبتعد هي خطوات للخلف تنظر اليه بعبوس ثم تميل لتشم قميصها بينما محمد يضحك من قلبه ...

لحظات واقترب منها يمد يده ليمسك من الخلف شعرها المرفوع ويقربه للامام ويلثمه بفمه هامسا بشقاوة " اين وصلنا مع حروفي ؟ آآه تذكرت ... ميييييم ..."

بدت فاطمة مرتبكة هذه المرة واسئلة متنافرة تتقافز في عينيها فتقول بتوتر

" كف عن غزلك هذا .. انت تجعلني اشعر اني .. فريدة من نوعي وهذا .. يقلقني احيانا .."

يلاعب خصل شعرها وهو يتكلم بسلاسة

" ما الذي يقلقك ؟ انت هكذا فريدة من نوعك بنظري .. فلم القلق .. كوني كما انت .."

عندها حدقت في عينيه بشجاعة لتسأل بشكل مباشر

" محمد ... هل تريدني ان ارتدي الحجاب ؟"

افلت شعرها من يده ثم امعن النظر في وجهها قبل ان يقول بهدوء

" لو سألتني قبل بضع سنوات هذا السؤال لما ترددت لحظة في الاجابة بـ(نعم) ... لكن اليوم ساقول افعليها لو اردتها لنفسك وليس لي ..."

سألته بالحاح

" وماذا يفرق قبل سنوات ؟ ما الذي تغير ؟"

ابتسم ابتسامة جانبية قبل ان يفسر بالقول

" دوما ابي كان يحثنا على التمعن في كل تجربة نمر بها .. كل تجربة هي درس في الحياة .. وكل درس اذا استوعبته جيدا فانه سيمنحك تفتحا ومرونة ..."

عيناها تلمعان .. حاجباها شبه معقوفين بتركيز لتفاجئه بالسؤال

" صارحني محمد .. لماذا اشتريت كراميلا لي ؟ ما هي التجربة التي تريدني ان امر بها؟ ماذا تريد ان تقول ؟ "

فتح فمه ليرد عندما سبقته بالاضافة

" اعلم انك اردت ان تبهجني بهدية مميزة.. لكن ليس هذا فقط مقصدك .. انا بت اعرفك .. لا تقدم على امر الا وانت تخطط لاصطياد اكثر من عصفور ... "

داعبها بالمراوغة قليلا " لااحب اصطياد العصافير .. احب جمعها قربي فقط .."

تكتفت وهي تسأل باصرار

" حسن... اخبرني عن عصافيرك .."

فرد وهو يميل برأسه جانبا وكأنه يناغشها

" عصفوري الاول والابهى هو مرسالي اليك كي اسعدك .. وعصفوري الثاني هو رفيق لقلبي حتى يسعدني بوجودك معي في المزرعة كل يوم .."

تتورد وجنتاها لكنها تلهث لتعرف الاهم

فتسأل" والثالث ؟"

عندها لانت ملامحه قبل ان يمد يده يلامس

خدها قائلا

" الثالث هو طير الشراكة بين الرجل و

زوجته .. اهداه لي ابي .... عصفور مغرد

بالعشق يطير بجناحين متوازيين.. التوافق

الفكري والتعاشق الروحي .. هذا ما اريده

لنا يا فاطمة ... ان نتقارب ونتكاشف حول

كل شيء فنتوافق ونتعاشق .. وعندها

سنصل لثقة مطلقة اننا لبعض .. هذه هي

الشراكة الحقيقية ..."

تحركت كفه ليلامس باصابعه ما خلف

اذنها .. عيناها متوسعتان بما يشبه الجرح

وانفاسها تلهث في رقة وكأنها تحتاج لمزيد

من التأكيد والصراحة فلم يتردد لحظة

وهو يمنحها ما تريد قائلا

" بيلسان فتاة صالحة .. قد يفكر فيها اي

رجل كزوجة تصونه ... لكن لست انا .. "

ارتعشت شفتاها وترقرقت الدموع في عينيها

فيهمس محمد " يجب ان تعتادي وجودها

حتى ترتاحي .. يجب ان تعتادي حقيقة

مرورها في وقت عصيب بيني وبينك

لكنها كانت مجرد لحظة ... لحظة مرت

وتلاشت... "

انحني بوجهه ليقبل عينيها مضيفا بحشرجة " انا تقبلت مرور خالد في حياتك بوقت عانيتِ فيه من التخبط .. فأنتظر منك فعل المثل معي ..."

مال بوجهه للجانب فيهمس قرب اذنيها

" تلك الليلة لااظنك سمعتِ كل الحوار بيني وبين ابي .. لو كنت سمعته لكنت عرفت اني كنت انازع لينتشلني اي شيء من جحيم الغيرة والغضب ... فهل تظنين حقا اني كنت واع لما اقول ؟! "

امسكت يده التي تلامس وجهها فتغمض عينيها وتسأل بهمس مختنق متعثر

" أصدقني القول محمد .. هل تظن اني .. شجعت .. خـ...ـالد ... بأي .. طريقة .. ليـ...ختطفني ؟ هل تظن اني تساهلت معه .. او ربما .. لم أكن حازمة كفاية في صده؟! احتاج ان اعرف منك انت تحديدا "

صدمته وتوسعت عيناه للحظات وهو يشعر بصدرها يعلو ويهبط قريبا جدا من صدره.. أجبر صوته ان يخرج هادئا عقلانيا

" لو كنتِ شجعته لما لجأ للاختطاف يا فاطمة .. بل كان سار معك الدرب لينالك برضاك .."



الشعور بتملكها عارم وحار .. لكن الشعور بافكارها التي تؤذيها وتسمم حياتها تجعله اقوى ليواجهها معها ...

ترتعش نبرات صوتها وهي تهمس بصدق موجع وارتياح يثير الشجن

" لطالما قتلني الشعور انك .. ربما تلومني او قد تراني شجعته و منحته املا دون ان اقصد .. وانا .. انا اقسم لك لم افعل .. كنت واضحة معه .. كلمته بلطف ليس .. اكثر .. لكني كنت صريحة برفضه .."

يقاوم احتضانها بشق الانفس .. لايريد لعاطفته ان تتغلب فتضيع لحظات مكاشفة فريدة كهذه.. انتظرها وخطط لها وصبر

عليها كثيرا لينالها .. كان يعلم ان بداية الخيط ستكون من عند بيلسان ...

سأل بصوت أجش

" هل هناك المزيد مما يشغل تفكيرك؟"

كانت بانتظاره ليقولها فتتجرأ وتفصح عن تساؤلات تصورتها مجرد خيالات واوهام

" اجل .. عندما وجدتني ..وانقذتني .. هل حقا ناديتني (حبيبتي) .. ام .. كنت اتوهم بما تمنيته منك دوما ..؟"

ضحك بارتعاش ودهشة محببة وفمه ما زال على اذنها ثم يهمس بقلب نابض

" ولا حبيبة سواك .."



اختنقت بالبكاء وهي تسأل كطفلة خائفة مما ستقدم عليه

" هل .. هل اخبرت خالد .. ان ...قيمتي ليس بجسدي حتى لو .. انتـــ...هك ... اني .. اغلى واطهر من ان .. ينجسني .. اي شيء ..؟"

لايعرف الاثنان كيف انتهيا باحضان بعض.. كيف باتت هي تلف ذراعيها بتشدد حول جذعه وهو يضمها بل يعتصرها بقوة لصدره فقد اكتفى من عذاب سيطرته على نفسه فيهمس بالرد الناري النبرات

" نعم قلتها ... وعنيت كل كلمة .. انت الاغلى والاطهر .. منية قلبي منذ أمسي وفي يومي وستظلين لغدي .."

قرابة المغيب .. مؤسسة الغازي - الناجي

عابسة بتركيز على الاوراق في يدها وذيل حصانها الطويل الكثيف يتراقص على ظهرها مع خطواتها السريعة بطبيعتها...

تلقي تحية هنا وهناك لمن تبقى من الموظفين وهم يغادرون وبينما تستدير يمينا متجهة للرواق المؤدي لمكتب آسر الغازي ارتطمت بعنف في صدره صلب لتتأوه والاوراق تسقط من يدها ...

انحنت وهي تعقد حاجبيها بقوة تلملم الاوراق وهي توبخه

" الا يمكنك ان تنتبه الى طريقك اكثر ..؟"

لم يرد عليها مباشر بل انحني ليلملم معها الاوراق ثم قال بغيظ ملقيا تساؤلا ساخرا

" هل تعلمين اين تقضي اختك ظهيرتها كل يوم بعد الجامعة ؟"

رفعت عيناها لعينيه فتفلت نبضة مجنونة من قلبها لتلفحها طاقة الشوق الحار المشعة من عينيه خاصة مع هذه الابتسامة الذائبة والغمازاااات ... يا الهي كما تحبها..!

تهب واقفة على قدميها بعناد تتظاهر بترتيب الاوراق وهي تقول بسخرية مماثلة

" اجل .. فاطمة تذهب للمزرعة كل يوم تعتني بكراميلا .."

ثم تتنهد باغاظة وهي تضيف

" المحظوظة !!"

يمد يده ليلامس باطراف اصابعه اعلى ذراعها في حركة صعودا ونزولا ..

الخبيث الخبيث .. يعلم انها تتأثر بهذا ..

همس باغواء " اعتبريني كراميل واعتني بي من باب التغيير .. "

ابتلعت ريقها وهي تسبل اهدابها وتبتعد عنه خطوة .. لاتعلم لِمَ تقاوم قبلاته .. حضنه الحار .. كم هو حار ..!



صوت ساخر في داخلها يواجهها

(" انت خائفة يا زينب .. خائفة ان تفضحي نفسك اكثر فتتبعثر كرامتك حتى اخرها وانت تظهرين انفعالاتك العاطفية التي باتت ميؤوس منها نحوه .. خائفة ان .. تفلت زمام الامور معك انت وليس معه هو كما تحبين ان تدعي دوما وتتخذينه عذرا فجاً لتبعدينه ... انت تغرقين مع كل قبلة وحضن حار يذيبك في مكانك .. وهذا يرعبك .. يرعبك ان تنفضحي اكثر ")

تمتمت اخيرا بنبرة عملية يفضحها ارتعاش عاطفي

" اذهب محمود ... انا لدي الكثير لافعله مع عمي اسر .."

فيظهر جانبه المغتاظ ليقول من بين اسنانه

" منذ متى اصبحتِ تنادينه في المؤسسة بـ(عمي) ؟!"

عندها تجرأت على النظر لوجهه لتهاجمه باسلوبها الجنوني المتهور

" منذ ان اصبحت اكاد أبيت هنا بسبب تكالب العمل الذي يجب ان انجزه قبل زفافك المنشود ! انا لست مرفهة كأختي ولديّ من يدللني خلال هذه الفترة العصيبة.."

ضرب كفا بكف وهو يردد

" زفافي المنشود ؟! فترة عصيبة ؟!!!! اقسم بالله انك مجنونة رسميا "

في لحظة مباغته كعادته التي يقدم فيها على حركاته المتهورة كان ينتزع الاوراق منها ويرميها عاليا قبل ان يحاصر جسدها بذراعيه مكبلا ذراعيها خلف ظهرها ويشدها لصدره وهو يحشرها في نفس الوقت للجدار .. واخر ما فعله حصار فرضته قدماه وهما تحتجزان قدميها تحتهما ..

تتخبط في مقاومة مرتبكة وهو يضحك هامسا بشقاوة

" انت من يرفض التدليل .. لا اراك الا هنا ودوما تدعين الانشغال والتعب لتهربي مني.. جبااااااانة وتحججين بالعمل .."

تحاول التملص من حصاره فلا تنجح قيد أنملة ! لتهدر به بيأس

" دعني .. لاتستقوي علي لانك تملك بعض العضلات تحاصرني بها من كل اتجاه! ثم كفاك خيالات ذكورية مضحكة .."

يميل اليها يقبل عنقها بحرارة وهو يهمس ضاحكا

" خيالات ؟! على من تضحكين ؟! اعترفي انك تهربين لانك لاتتحملين ضعفك نحوي .."

همست وصوتها يرتعش بالتأثر

" مغرور.... متبجح .."

رفع رأسه لينظر في عينيها بلون العسل

البراق فيتساءل بحيرة حقيقية

" وماذا ان كنت تضعفين ؟! ها ؟! انا ايضا

ضعيف نحوك بشكل مخز لغروري

الذكوري المتبجح !! انا زوجك يا مجنونة

ولست ابن جيران دنيء يحاول اغواءك !"

تحدق في عينيه بعجز لتبتلع ريقها وتسأل

بما تبقى لها من (كرامة)

" ماذا... تريد الان ؟"

رد بهذر مباشر وعيناه تتحركان لفمها

" قبلة المساء محمومة .. طلب بريء بسيط

بما انني سأغادر يائسا من صحبتك وتاركا

اياك كالعادة بصحبة خالي لاخر الليل "

ارتشعت شفتاها في استجابة شوق فورية

لكنها ما زالت تتشبث بقشة العناد لتكابر

بصوت متحشرج " ليس لي مزاج لـ ... لـ ..."

اخرسها بقبلته التي نالها حارة مشتعلة كما

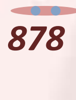
ارادها ..

ابتعد عنها لاهثا وهو يهمس بتقطع

" اخبريني الان .. كيف ..اصبح مزاجك؟"

تحني رأسها ثم تهزه وهي تهمس بتقطع

" انت .. انت ..انـ..."



تراخت ذراعاه حولها فيميل بوجهه ناحية رأسها المنكس ليسأل برقة

" انا.. ماذا ؟!"

فجأة ارتفع رأسها ليرتطم بقوة في ذقنه فيتأوه مبتعدا وهي تتحرر منه هاتفة بصراخ

" لااااااا تطااااق ..."

يضحك عاليا وهو يدلك حنكه بينما يراها تنحني لتلتقط اوراقها مرة اخرى ثم يغيظها بالقول

" لا اطاق ؟! حسن .. لم تأتي بجديد ..."

زمجرت مطلقة صوتا غاضبا من بين اسنانها قبل ان تقف على قدميها والاوراق في يدها

لتبتعد عنه دون كلمة بينما يلاحقها بكلماته المستفزة

" لم يتبق الكثير لليلة زفافنا .. وعندها سنتناقش كثيرا حول اسباب هروبك .."

ليلة عرس التوأمين .. في فندق فخم ..

تطلعت نادية للمشهد العائلي الدافئ لبلال مع اخواته البنات ..

نساء تراوحت اعمارهن بين الخمسين والستين لكنهن يتصرفن مع اخيهن الاكبر كأنهن مجرد فتيات صغيرات ..

يتدللن عليه ويقبلنه ويتعلقن بكتفيه في حب خالص وكأنه ابوهن فعلا ...

الاربعة حضرن من بلدان متفرقة ما بين بعيد وقريب بصحبة بعض من افراد عوائلهن لحضور زفاف التوأمين ..

عينا نادية تعلقتا برياض الذي يقف قريبا من الجمع يبتسم في حبور وهو يحمل طفلته ذو الخمسة اعوام ..

بدت نجلاء منسجمة مع عائلة زوجها والدموع تناثرت باللقاء العاطفي ..

التفتت نادية لنهى التي تقف جوارها قائلة

" هل حضرت زوجة رياض ؟"

فردت نهى " لا .. لقد قالت بلقيس ان زوجته في حداد لوفاة ابيها منذ شهر .. "

هزت نادية رأسها قبل ان تقول وعيناها تعودان لرياض " من الجيد ان ما حصل قبل سنوات لم يفسد العلاقة بين نجلاء وبلقيس .. ولو ان بلقيس اظهرت لي قبل قليل بعض البرود والجفاء .."

علقت نهى " غريب ان تستمر بهذا ! فولدها تزوج بفتاة من اصل عريق .. جميلة ومثقفة ويبدو سعيدا معها وقد انجب طفلين .. يكفي انه استقر في ذلك البلد قريبا من بلقيس وهذا منتهى سعادة اي ام ان يكون اولادها واحفادها حولها .. فلا اعلم لماذا تتحامل عليك حتى الآن وبعد هذه

السنوات ؟! حوراء هي من اختارت ظافر
وفضلته على رياض .. لا احد تدخل .."

حركت نادية كتفيها وهي تقول

" بوقتها هي خاصمت نجلاء ايضا ولولا
تدخل بلال واسلوبه الابوي في توبيخها على
ذاك الخصام ربما كانت ستستمر في
خصامها حتى اليوم .."

مطّت نهى شفتيها قائلة

" ربما .. من يعلم .. وان كنت اظن ان ابنها
لم يتعلق حتى بحوراء .. كان يراها اقرب
لرفيقة واخت .. انها لم تكسر قلبه مثلا
لتشتكي امه .."

عندها قالت نادية ببعض الشرود

" لكنه لسبب ما بدى لي في تلك الفترة
انه مكسور القلب .. ولااعلم ان صح شعوري
ذاك من كسرت قلبه حقا ؟!"

" مساء الخير سلسبيل .."

التفتت سلسبيل تحافظ على ابتسامتها
فيلتف حولها الفستان الازرق البهي الذي
اختارته لحضور عرس التوأمين ..

ملامحها لاتعكس اي شيء فقط ابتسامة
حلوة لاتحمل اي خصوصية لترد بلطف

" مساء الخير رياض .. كيف حالك .."

وبينما يرد رياض " الحمد للّه .. بخير .."

كانت طفلته تقول بابتسامة شقية

" مرحبا ..."

بدت عينا رياض هادئتين تماما دون اي تعبير وهو يعرفها بابنته مبتسما

" هذه سما .."

اتسعت ابتسامة سلسبيل وهي تمد يدها لتداعب خد الصغيرة الحلوة قائلة ببشاشة

" مرحبا سما .. انت جميلة جدا بثوبك الابيض هذا .."

اتسعت ابتسامة سما وهي تمسد على فستانها بفخر بينما تستقر نظرات سلسبيل على شعرها الكستنائي المموج فتقول بعفوية

" انه كشعر حوراء .."

اسبل رياض اهدابه ليقول بنفس الهدوء

" نعم .. انها تشبه حوراء شكلا لكنها تختلف بالصفات ..."

سألت سلسبيل بتهذيب ولباقة " هل سما ابنتك الوحيدة ؟"

فرد وهو يرفع عينيه لها " لا ... لدي حمزة ايضا .. لكنه طفل رضيع فبقي مع والدته...."

اخر ابتسامة تهذيب من سلسبيل قبل ان تقول " حفظهما اللّه لك .. عن اذنك .."

تحركت نصف خطوة عندما ناداها بنبرة غريبة " سلسبيل "

امسك ماهر بذراع اخيه مما جعل مهدي يلتفت بعنف ليهدأ انفعاله اللحظي ويعود لانفعاله الاصلي الهائج منذ بضع دقائق ..

انحنى ماهر لاذن اخيه وقال

" اهدأ مهدي .. انه يكلمها فحسب .."

تقبّضت يدا مهدي وهو يقول بغضب شنيع

" يفترض ان لايقترب منها .. اقصى ما يمكن ان يفعله هو ان يلقي تحية عابرة لا ان يوقفها ويتبادل معها الحوارات الاجتماعية .."

تحركت قدما مهدي تلقائيا عندما رآى ما يفترض (نهاية المشهد) وسلسبيل تحاول الابتعاد عن رياض لكن رياض قال شيئا

اوقفها وجعل عينيها تنظران اليه بطريقة متوجسة حادة ...

لم يتحرك مهدي الا خطوتين عندما امسكه ماهر بثبات هذه المرة قائلا بهدوء وسيطرة " دعني انا اتصرف .. "

لم ينتظر ماهر ردا من اخيه وهو يتحرك بخفة فهد فيكون في عمق المشهد بين سلسبيل ورياض فيسمع صوت ابنة عمه وهي تقول بنبرة شابها البرود " تفضل رياض هل تحتاج لقول شيء ؟"

عندها كانت ذراع ماهر تلتف حول سلسبيل وهو يقول بابتسامة غامضة موجهة نحو رياض



" عن اذنك رياض .. لم ارقص مع ابنة عمي منذ دهور .."

ثم دون ان ينتظر الرد كان يسحبها معه لحلبة الرقص ..

بين ذراعي ماهر ترقص وهي تفتعل الابتهاج بينما عيناها تبحثان عن مهدي فيهمس لها ماهر " لاتبحثي عنه الآن .. غالبا غادر حالما انتزعتك من المشهد الذي اغضبه .. سيفرغ شحناته قبل ان يعود القاعة .."

تنهدت سلسبيل وهي تقول باحباط

" لقد تهربت من السلام عليه طيلة الحفل .. فقط مراعاة لمهدي .. فانا لايهمني حقا ان ألقيت السلام عليه او حتى راقصته ! "

يضحك ماهر عاليا وهو يلف سلسبيل في حركة رشيقة راقصة ..يبعدها ثم يعيدها اليه ليقول بعدها

" ان تراقصيه يعني ان نعود لعهود دامية من عصر الغوازي يا ابنة الغوازي .."

تضحك ثم تغير تعابيرها الى تعابير التحدي والجسارة والاقدام وعيناها تلمعان بفخر اصولها وماهر تعلو ضحكاته اكثر واكثر ...

من مسافة ليست بالبعيدة ما زال يقف رياض مكانه فتطلب ابنته ان ينزلها لترقص هي الاخرى ..

فينفذ مطلبها ثم يراقب هرولتها وفستانها الابيض يتراقص حولها ...

وسط تلك الحلبة الاطفال يتراقصون فتيات وفتيان هم احفاد الغوازي انضمت اليهم ابنته سما ..

فيقترب غازي الصغير ابن حوراء الذي كان يصغر سما بعامين او ربما عام فيشدها لترقص معه وحده ...

نظراته لاتبارح ابنته .. يجبر نفسه ان لايحيد بنظراته نحو ذاك الفستان الازرق الخلاب المتراقص .. غدّار كالبحر .. غدار.. كصاحبته ..

تمتم وعيناه تتعلقان بضحكة ابنته

" كنت اريد ان اكذب عليها واخبرها اني... نسيت ...! "

يلف شاهر ذراعه حول كتفي صفية فيحثها بالقول

" اذهبي وراقصي زوجك .."

تضحك صفية بخفة وهي ترد

" لست ممن يحببن الرقص ابي .. كما انه يستمتع برقص سلسبيل اكثر .."

عينا شاهر تناظر ابنه ماهر بارتياح فقال معبرا عن ارتياحه هو

" الحمد للّه ماهر استعاد حيويته ويبدو حتى اكثر تصالحا مع نفسه .. اكثر من اي وقت مضى في حياته .."

تنهدت صفية تعبر هي الاخرى عن ارتياحها هامسة بحشرجة

" لقد اخافني عليه كثيرا يا ابي .. كان يعاني بصمت ويأبى الافصاح .."

فيرد شاهر وهو يشدد من ضغط ذراعه حولها

" انت قوية وصبورة ولولاك لما كان سيعبر محنته ..."

عينا صفية حادتا نحو اختيها المضيئتين بثوبي زفافهما فتخنقها الغصة وهي تهمس

لحماها ومن تناديه (اباها) " رحم اللّه والديّ.. افتقدهما كثيرا الليلة "

قال شاهر بنبرة ابوية رقيقة

" انت مدعاة للفخر يا ابنتي .. حملت رسالة ابويك واتممتها على اكمل وجه .. حتى طه سيسلك طريقه الجاد بالتحاقه في الجامعة .."

لم تحتمل صفية ودمعة تسيل على خدها فتحني رأسها وتخفيها وهي تهمس

" سأشتاق اليه عندما يسافر .. لكنه مستقبله وسيجد من يقدرونه اكثر هناك.."

فجاة شعرت بيد تلتف حول معصمها فتسحبها وصوت نادية يعلو بالبهجة والمرح

" تعالي يا فتاة .. لن نترك حلبة الرقص لاحفاد الغوازي ..."

اخذ شاهر يضحك ونادية تسحب صفية بينما تأتي نهى لتقف جواره هامسة له ببشاشة وعيناها العسليتان تلمعان

" اشتقت انا الاخرى ان اراقصك .."

فاضت عينا شاهر بالحب المتأصل بجذوره قبل ان يلف ذراعه باناقة حول خصرها يدللها بالقول

" اشواقك اوامر .."

وسط الحلبة صفية تتحرك بتعثر بين ذراعي زوجها وهو لايهتم فتضحك بفرح عارم .. نادية تصفق بابتهاج مع ابنتها سلسبيل وانضمت اليهما حوراء يشجعن الراقصين الصغار ..

نهى وشاهر اثارا الاعجاب برقصهما المتألق الانيق حتى اخذ ماهر يصفّر لهما وكأنه عاد شاب مراهق خالي البال ...

سألت حوراء وهي تميل لاذن سلسبيل

" ألم تريّ ظافر ؟"

ردت سلسبيل بغموض

" خرج مع مهدي .. سيعودان بعد قليل .."



التفت كلا منهما على صوت نادية وهي تقول بضحكة رنانة مفاجئة

" الوقح المستفز سيراقص العروس قبل عريسها.."

باناقته وهيبته .. شعره الابيض يزيده بهاء وتعابيره تزيد من هالة غموضه واستفزازه..

مد أسر الغازي كفه ناحية زينب وهو يبتسم ابتسامته الخاصة ويرفع حاجبا واحدا قائلا في دعوة بل في أمر

" حان وقت رقصتنا الخاصة بجعتي .."

كزّ محمود على اسنانه وهو يقول لخاله

" كنت سأدعوها قبلك .. ربما يجب ان نتذكر هنا انني العريس .. وان بجعتك هذه هي للاسف عروسي انا ! "

التفتت زينب ناحية محمود تقول بعبوس مستنكر " (للاسف) ؟! هل قلت (للاسف)؟"

فيرد محمود بتحدي

" نعم للاسف .. انظري لنفسك كل خمس دقائق تبعدين كرسيك اكثر عني .. هل قال لك احدهم اني مصاب بالجرب مثلا ؟"

زمّت شفتيها وضيقت عينيها قبل ان تلتفت نحو اسر المستمتع بابتسامته المستفزة فتقف على قدميها بصعوبة وهي ترفع طيات فستانها الكثيفة ثم تقول

" سأرقص معك رغم اني لم ارقص يوما وعليك تحمل جهلي المخزي وتستعد لتلقفي اذا تعثرت لانك اذا اوقعتني يا عمي فصدق اني ساغادر هذا الحفل ولن تروا وجهي قبل اسبوع .."

انفجر محمد ضاحكا قبل خاله اسر فيناظر محمود اخاه وخاله معا وهو يوشك على حمل عروسه فوق كتفه ولن يرى احد وجهيهما قبل شهر وليس اسبوع !

تحركت زينب على مهل وهي تنزل المنصة المخصصة للعرسان بينما محمود يتمتم

" حسابنا بات ثقيلا جدا يا وجه العبوس.."

يراها كيف تضحك بخفة وهي تراقب اختها تراقص خاله آسر ..

يمد يده فيلتقط كفها الناعم ويرفعه لفمه يلثمه ، حصل على انتباهها وهي تلتفت اليه بوجنتين محمرتين تبوحان بخجل احلى من الشهد ..

كم يتمنى ان تستمر باسترخائها هذا لكنه يعرف ان القادم لن يكون سهلا ..

همس لها بحشرجة

" مبارك تخرجك يا عروس ..."

تتسع ابتسامتها وهي ترد بتنهيدة راحة

" شكرا ... اخيرا انتهيت من الجامعة .."

فيقول بصوت مبحوح وهو يلثم باطن كفها

" اياك ان ترقصي ابدا .. حتى خالي اسر لن يستطيع انتزاعك ليراقصك كزينب.."

نظرت في عينيه وقد اعتادت تلك النارية منه والتي لايعرفها اقرب المقربين له ..

لكن هي تعرفها .. تشعرها .. وتعتادها..

قالت بهمس وهي تلف اصابعها حول راحة كفه بتشبث " لاتحتاج لقولها .. انا لن افارق يدك هذه ابدا .."

للحظة قَلِقَ محمد من تعابيرها وقد شحبت فجأة لكنها استعادت دفء وجنتيها وهي تبتسم له بمشاعر لاتخفيها ...

دخل ظافر بصحبة ابن عمه ضاحكا وهو يدفعه امامه بمزاح خشن ..

تحرك مهدي مبتسما ولم يرفع نظراته الا عندما لمح طارف الفستان الازرق ..

قال ظافر في اذنه

" لاتجعلني اخرج باحثا عنك مرة اخرى .. لم يعد الامر مسليا ان ندخن السجائر كمراهقين بعيدا عن نظرات امهاتنا .."

تبسم مهدي وعيناه في عيني زوجته وبينما يتركه ظافر متوجها ناحية حوراء اقتربت سلسبيل لتلتصق به دون تحرج او موانع تقف في وجهها ..



همست ويدها تلامس سترته السوداء بتملك " اشتقت لك وانت تغار هكذا يا صاحب الافعال لا الاقوال .."

رفع نظراته لها يتمهل وهو يمعن في كل ملامح وجهها ليقول بهدوء

" هناك فرق بين الغيرة و ..."

قاطعته وهي تبتسم بمشاكسة

" الغيرة وفقط الغيرة يا وسيم .. انها وحدها من تجعلك وحشي النظرات هكذا .."

اصابعه التفت حول خصرها تضغط بقوة وهو يسأل

" هل ألقى السلام ام لمّح لامور اخرى ؟"

ردت بابتسامة واسعة وعينين تفيضان بالدهاء وقوة نابضة آسرة

" هل تظن للحظة انه يجرؤ معي على التلميح لأي شيء ؟! انا سلسبيل الغازي امازونيتك يا وسيم ام تراك نسيت ؟!"

وبجرأة امام الناس مالت لتقبل خده ثم تشمخ بذقنها وتغمز بعينيها قائلة

" تعال وراقصني .. ابي يثير غيرتي بمراقصته للعروس زينب .."

يضحك بخفة وهي تسحبه معها وعيناه تنسابان باشتياق غريب فوري على جمال قدها الممشوق فيشعر ... بالعطش !



حاول غازي ان يجر امه لترقص معه عندما منعه فارس بصرامة قائلا (ان امهما لاترقص) فتضحك حوراء بينما يقول ظافر بفخر

" فارس هذا سيكون رجلا مميزا .."

التفتت اليه حوراء وهي تقول بمناغشة

" ألأنه يمنعني الرقص مع اخيه ؟"

نفسه الدافئ لفح وجهها وعيناه تمشطان ثوبها الليلكي بانجذاب رجولي حار هامسا من بين شفتيه

" ومن سيسمح لهذا الجسد الفاتن ان يهتز امام عيني اي مخلوق غيري ..؟!"

اسبلت اهدابها بينما يقترب اكثر فيهمس بالمزيد والصريح في اذنها فتشتعل وجنتاها وهي تحدجه بتأنيب " ظافر ! .."

فترتعش ابتسامته ثم يعض شفته السفلى قائلا بجذل " شهية يا بنت الناجي .. شهية لدرجة لعينة ... رحمة من ربي انك ترتدين الحجاب ... "

تضحك بخفر وهي تشيح بنظراتها بعيدا عنه ...

فيتمتم ظافر متنهدا " عسى ان تفعل صغيرتك فعلك فترحمني هي الاخرى .."

عندها ضحكت حوراء عاليا وظافر يحاوط خصرها ..

يقف طه على المنصة يلتقط الصور مع اختيه وعريسيهما وحالما انتهى المصور احتضن الاثنتين معا وهو يخفي تأثره الشديد لفراقهما..

همست فاطمة في اذنه

" احبك جدا يا فتى .."

بينما تهمس زينب تخفي عبرتها بادعاء مضحك بالحنق

" اعتني بفضة جيدا ولاتطردها من غرفتك خوفا على مشاريعك العبقرية.."

عانقهما بشدة وقلبه يوجعه وهو يفكر بفراغ البيت منهما الليلة ..

تحرك بلال ناحية المنصة هو الاخر وقبل ان يصل اولى الدرجات التي تعلو بها تلك المنصة كان محمد ومحمود يهبطان اليه...

احتضنهما بقوة معا يغالب دموعه قبل ان يفلتاه لينحنيا يقبل كلا منهما ظاهر كف من كفيه ... ثم علت الزغاريد والعريسان يرفعان والدهما بحركة واحدة ليستقر جالسا فوق كتفيهما ...

اخذ بلال يضحك وهو ينهرهما مدعيا الجدية لينزلانه حتى يسلم على العروستين لكن محمد ومحمود يهللان ويرقصان وهما ما زالا يحملانه على كتفيهما...

الدموع تنساب مدرارا من عيني نجلاء وهي تقرأ المعوذات وايات الحفظ وسورة يس ...

التقت عيناها بعيني زوجها وهو يضحك بخجل رجولي يفتن القلب مستقرا بشق الانفس فوق كتفيّ ولديهما فذابت نظراته تتدفق نحوها بامتنان ارتج له قلبها ..

لقد كان يرسل لها رسالته ...

يشكرها على ما منحته اياه ..

على ما جعلته يعيشه معها عبر مرور السنين الطويلة التي جمعتهما بحلوها ومرها ..

على انها كانت صغيرته المدللة .. حورية ارسلها له الله كما يحب دوما ان يقول ..

همست نجلاء وحروف كلماتها ترتعش

" حفظك الله لي .. أطال عمرك ومتعك بالصحة والعافية .. يا رب .. احفظه لي .. يا رب احفظ بلال لي ..أطل عمره ومتعنا برؤية احفادنا سوية .."

صوت آسر يناديها جعلها تلتفت اليه ودون شعورها رمت نفسها على صدره فيلف ذراعيه حولها هامسا بشقاوة

" صغيرتي تفتقدني ليلة زفاف توأميها .."

تعلقت باخيها الاكبر وهي تهمس

" فقط ...ضمني اليك ... هل تستطيع لوقت اطول آسر ؟ "

ينفذ ما تريد وهو يقبل رأسها هامسا

" كل الوقت صغيرتي .."



عند باب المصعد

لوحت صفية بيدها المرتعشة لاختيها مع عريسيهما بينما تزغرد الخالة نجلاء لاخر مرة قبل ان تنسحب مع حوراء والعم بلال تخفي عن توأميها دموع الفرح والتأثر ..

حدقت صفية بوجهيّ فاطمة وزينب وباب المصعد يغلق ببطء ...

الاولى بدت شاحبة في صمود والثانية بدت ذاهبة في نزهة عراك لاولاد الحي !

حالما انغلق الباب تماما امتدت يدها بقلب مرتجف لتطلب المصعد مرة اخرى وقبل ان تضغط الزر منعتها يد ماهر وهو يهمس لها

" دعيهما صفصف .. لقد كبرتا وتستطيعان تدبر امريهما .."

التفتت اليه بوجهها تناظره بعينين لامعتين بالدموع هامسة بقلب أم ربت وكبرت

" نسيت ان اوصي محمد على فاطمة ليصبر عليها و .. زينب المجنونة .. تحتاج من محمود بعض الحزم والشدة .. انها .."

قاطعها ماهر وهو يسحبها من معصمها قائلا بخفة " التوأمان مميزان معهما فلا تقلقي .. "

نادته وهي تلتفت ناحية المصعد الذي يتباعد عن ناظريها

" ماهر توقف .. ماهر ... دعني اذهب اليهما.. فقط لاقبلهما مرة اخرى .."

يضحك ماهر من قلبه وهو يقربها منه هامسا لوجهها

" اشبعتِهما تقبيلا اليوم حتى كدت لااعرفك لكثرة امومتيك المفرطة..

ماذا جرى لك الليلة ؟! "

عندها فقط دارى عليها بجسده عن عيون الناس حيث تركت لدموعها العنان تخفي شهقتها قريبا من صدره لتهمس بعد ان هدأت قليلا

" انا ... أظنني ... حامل ..."

في الرواق الطويل الانيق الممتد يستند محمود بظهره على الجدار مجاورا من جانب اليسار باب جناح العرائس الفندقي الخاص بتوأمه !

ربطة عنقه محلولة مع زرين مفتوحة لاعلى قميصه بينما طريقته في مج سيجارته تعكس اشتعاله الخاص ...

على نقيضه كان يقف محمد هادئا غامضا على الجانب الايمن من الباب مستندا كأخيه بظهره على الجدار يحدق امامه في هدوء وصبر يهز الجبال ...

التفت محمد برأسه قليلا ناحية اخيه فيقول له مشاكسا

" التدخين ممنوع هنا .."

فيهدر به محمود من بين اسنانه والدخان يحرق انفاسه

" اخرس محمد ..."

ضحك محمد من قلبه ثم تباطأ صدى ضحكاته وهو يقول بصوت أجش

" اسف لان فاطمة اتصلت تطلب زينب .."

بوجه عابس مغتاظ هتف محمود بصوت يحاول اخفاضه قدر المستطاع

" هل تتخيل ان فاطمة السبب ؟! حالما دخلنا جناحنا اللعين هتفت كالمسعورة يجب ان اطمئن على فاطمة بنفسي !! كنت ألاحق خطواتها في الرواق عندما اتصلت

فاطمة فعليا .. هل تتخيل عروس تحمل هاتفها الخلوي معها ليلة الزفاف ؟! اين حشرته .. لااعلم !!.."

صمت محمد وهو يرخي رأسه للخلف ويحل ربطة عنقه كأخيه بينما يتمتم محمود وهو سينفجر غيظا

" ألسنا كتوأمين من يفترض ان نملك علاقة خاصة وليس هما ؟! ها هما ملتصقتين في الجناح ولا يعلم الا اللّه بما تثرثان .. ومن واقع خبرتي اكاد اجزم انهما تتحدثان بآخر لعبة لعبتاها وهما طفلتين في الحي الشعبي بينما اقف انا هنا احرق في نفسي في سيجارة ولا اكاد اطيق رؤية ملامح وجهك المستفزة .."

اخذ محمد يضحك ويضحك بينما محمود يمج من سيجارته ويفكر ماذا عساها تفعل مجنونته الان ..؟!

خلعت زينب طرحتها مع التاج بتذمر ورمتهما ارضا قبل ان تخلع فردتيّ حذائها اللؤلؤي كلون فستانها ثم تحركت لتتسلق السرير الملوكي ذو الستائر الشفافة التي غلب عليها تدرجات الاحمر معلقة حول اعمدة ذهبية فتنضم زينب لاختها المستلقية هناك بفستان زفافها هي الاخرى لكن فاطمة بثوبها الناصع البياض لم تخلع طرحتها الطويلة المشدودة على شعرها الاشقر بطريقة فنية مبهرة ..

تنهدت زينب وهي تجلس بصعوبة على السرير تعيقها طبقات وطبقات من فستانها المطرز ثم اخذت تطلق سراح شعرها المأسور في تسريحة ترفعها للاعلى وترمي المشابك ارضا وتبدا بتدليك فروة رأسها وهي تتذمر بالقول

" تلك المصففة كانت تحاربني طوال الوقت ولم تستمع لي عندما اخبرتها اني سأصاب بصداع من ثقل شعري فوق قمة راسي .."

ابتسمت فاطمة بحنان وهي مستلقية على جانب جسدها تضع يدها تحت خدها وتنتظر زينب حتى تجد طريقها لتستلقي هي الاخرى ..

بشعرها الغزير الذي بات مضحكا الآن وهو مسترسل بجنون عشوائي على كتفيها تمكنت زينب اخيرا من الاستلقاء الى جانبها كأختها ...

تشابكت اذرعهما معا كما تفعلان دوما عندما تتشاركان النوم بسرير واحد ..

حدقت احداهما في وجه الاخرى بسكينة وصمت حتى سألت زينب بنبرة تفيض قلقا وحمائية في نفس الوقت

" قولي انك خائفة وسأنام جوارك الليلة ولن يزحزحني حتى ثور هائج .."

ضحكت فاطمة بانتعاش فخانها الارتعاش وهي ترد بهمس

" لاتقلقي .. انا اثق بمحمد ..."

سألتها زينب بتشكك

" اذن لماذا طلبتني ؟ صحيح اني كنت قادمة لك في كل الاحوال لكن .. ان تتصلي انت فهذا يعني انك ..."

قاطعتها فاطمة بالقول

" يعني اني احتجت رؤيتك هنا .. ان تنشري ألفة في مكان غريب علي .. احتجت ان اضيف بعض التاريخ لجدران باردة لم تشهدني من قبل ... "

شددت زينب من احتضان ذراعي اختها المطويتين وهي تقول بولاء تام

" ساظل معك حتى تكتفين من (ألفتي).."

تضحك فاطمة بخفة ثم تسبل اهدابها تخفي عن اختها شعورها بانها لن تكتفي ابدا هذه الليلة ..

فتح باب الجناح فاطلت زينب تلقي نظرة لليمين ثم اليسار وبكل تجاهل مستفز لم تنطق بكلمة وهي تتجه لليمين باتجاه الجناح العرائسي الاخر ...

التمعت عينا محمود بوعد الثأر فتحرك وهو يمد يده لتوأمه يسلمه السيجارة قائلا

" خذ السيجارة .. تخلص منها بنفسك.."

يضحك محمد وهو يهز رأسه بينما يكاد محمود يهرول ليلحق بخطوات عروسه المتسارعة وهي تحمل تحت ابطها طرحتها الملفوفة حول حذائها بينما شعرها المجنون متناثر باستفزاز حارق لاصابعه المتحفزة..

عند الباب انتظرته دون ان تلتفت اليه حتى فتحه لها بنفسه بالمفتاح الالكتروني الخاص وحالما دخلت الجناح اتجهت ناحية غرفة النوم .. انفاسه تنطلق كثور هائج وهو يواصل الهرولة اللاهثة خلفها ..

وسط الغرفة وقريبا نسبيا من السرير وقفت زينب عابسة بجمالها الذي ظهر الليلة في قمة التوحش والبدائية لتضيف مزيدا من النيران لنيرانه ..

هتفت بنفس العبوس وهي ترمي ارضا لفافتها الخاصة من الطرحة وفردتيّ الحذاء

" اخرج من الغرفة اريد تبديل ملابسي .. لدي صداع واريد ان .. انام ! "

طفح الكيل في اقل من لحظة كان جوارها يرفعها بكلتي يديه حتى اصبح خصرها بمستوى كتفيه وقبل ان تستوعب ما يحصل وعيناها تتوسعان رماها بعنف على ظهرها فوق السرير ..

كانت غارقة وسط صدمتها وطيات فستانها وهي تردد بوقاحة

" ايها المجنون .. ايها .. المغرور .."

خلع سترته ورماها بعيدا قبل ان يقفز ليجلس فوق امواج فستانها فيقيد حركاتها المقاومة التي انقلبت خلال ثوان الى لكمات بقبضتيها الاثنتين وفي كل اتجاه تصلان اليه ..

تارة يشتم وتارة يضحك متوعدا اياها .. اخيرا أحكم امساك قبضتيها اللاكمتين فيضمهما معا قبل ان يقبلهما بعنف ثم يرفعهما من المعصمين فوق رأسها داحرا مقاومتها الطفولية خلال ثوان ..

الاثنان يلهثان وهما يحدقان ببعض بعدائية و شقاوة تشع بالطاقة العاطفية ..



قال محمود وهو لازال يمسك بمعصميها في قبضته فوق راسها " استطيع ان اشد معصميك بربطة عنقي .."

فترد بتحد

" هل تنوي اغتصابي مثلا ؟! هذا في احلامك .."

يضحك عاليا لسبب يجهله لكن في قمة الاثارة .. قمة الاشتياق .. قمة الجنون فيميل نحوها بوجهه هامسا قرب اذنها

" سيكون امرا مشوقا ان احلم بهذا .. لكني عندها لن اشد معصميك بربطة عنقي بل سأستخدم بدلا منها خصلات شعرك الساحرة المجنونة هذه .."

قلبها الخائن ..! الخائن الخائن .. لماذا يثبط عزيمة جسدها ويجعلها ترتعش باستسلام سخيف لهمساته بالعشق المجنون والشوق الحارق ثم تنهار من الاستسلام وهي تشعر بيديه تنفذان فكرته المجنونة فتلفان بضعا من خصل شعرها حول معصميها المأسورين المرتعشين ...

عندها علمت انها الخاسرة في معركتها مع قلبها الخائن الذي تآمر مع النحيف ..!

وفي ذروة الاستسلام الغبي همست بما هو اشد غباء وجزعا ..." احبــ....ك ...." ...

وأخر فكرة مجنونة راودتها

(يا الهي ... تبعثرت كرامتي ....!)

جناح محمد وفاطمة ..

دخل محمد للجناح وتعابيره الهادئة لاتعكس دواخله المترقبة ..

تحرك عبر الصالة الانيقة ليدخل غرفة النوم ...

التقط وجودها مباشرة باستشعار فوري ...

كانت تستلقي على السرير وهي ملفوفة بالحرير الابيض ..

ابتسم وهو يقترب حتى جلس بعفوية على حافة السرير متجاهلا شعوره بذبذبات التوتر التي انطلقت منها ..

رأسها مستند بشكل مائل للوسائد خلفها وقد تظلل وجهها في ظلمة خافته بعيدا عن اضاءة الغرفة المنيرة ، لذلك لم يتبين تماما تعابيرها لكنه تبين اغلاقها لجفنيها في استسلام مبهم المعاني ..

ذراعاها مستريحان الى جانبي جسدها عن تعمد ملحوظ وكأنها تحارب نفسها لتفرض استرخاء اجباريا على جسدها ..

انسابت عيناه على قميص نومها الحريري الطويل فيرفع نهايته عند كاحليها يتحسس نعومته ثم يقول بخفة

" خسارة كنت اريد مساعدتك بنفسي مع فستان العرس الابيض .. "

ترك القماش الناعم الرقيق ينساب من بين اصابعه ليتزحزح قليلا بجلسته مقتربا منها..

عندما اقترب توضح وجهها اكثر وتجلى له ارتعاش شفتيها بينما تصر على اغلاق عينيها ..

داعبها بالقول بصوت أجش

" اميرتي النائمة .. هل تحتاج لقبلة حتى تستيقظ وتكلمني ؟"

لم يكن لديه خطة خاصة للتعامل معها هذه الليلة .. قرر ان يترك الامر لحدسه .. وحدسه يخبره ان لايفاجئها بأي حركة مباغته ..

منحها لحظتين لتستوعب ما قال ثم انحنى بجذعه نحوها لتفتح عينيها بقوة ووجهه يخيم فوق وجهها ...

الذعر ... الذعر الخالص .. وتوسل .. توسل يمسك بتلابيب رجولته ...

ابتلع محمد ريقه وهو يحدق عن قرب في نظراتها تلك بينما يتوضح له شحوب بشرتها حتى في قلة الاضاءة ...

همس بحنان " سكرتي ..."

فتهتف وكفاها يتشنجان الى جانبيها وكأنها في صراع ومقاومة لتمنعها التحرك من موضعها ..



اخذت تحرك رأسها يمينا وشمالا وبنبرة مخنوقة هامسة قالت

" ارجوك لا .. لا .."

ثم تضاعف الهلع في لحظة وعيناها تدوارن بشكل عجيب في كل جهة فينتفض جسدها وتغور عيناها وهي تهمس بشبه هستيرية وفي جزع مرتعب

" لا .. ليس على سرير .. ظننت الامر .. ظننت شعوري سيكون .. مختلفا .. لا .. لااريد .. سرير ..."

اتسعت عينا محمد في صدمة !

ثم تمالك نفسه خلال ثوان واخذ يدور بعينيه مثلها في زوايا السرير الملوكي ...

عاد لينظر اليها ... انها تقاوم بشراسة ..

تقاوم هستيريتها .. تقاوم ابعاده بعنف عنها..

شفتاه انفرجتا بابتسامة حلوة وعيناه تألقتا بوهج محبب دافئ فيهمس متجاهلا تماما التعليق او اظهار تأثر بما قالته

" سأعود اليك خلال عشر دقائق سكرتي.. لاتتحركي من مكانك .. الليلة ستكونين اميرتي ولا دلال خُلق الا لاجلك "

رغم انها بدت حائرة تائهة الا انها تراخت تلقائيا حالما وقف على قدميه وتحرك مبتعدا ..

لعشر دقائق او تزيد هي تستلقي على ظهرها بنفس الوضعية و ... ترتعش ..

لاهية عن اي اصوات تصلها وهي تستذكر توصيات حوراء لها فأخذت تقرأ ما تحفظ من ايات قرآنية وتتوسل باللّه من كل قلبها ان يعينها ...

تصيبها للحظات هستيريا وهي تحدق في السرير والشراشف الانيقة المبهرة المنشاة ولا تعلم كيف تراها فجأة مصفرة شاحبة فتهاجمها رائحة عفن !

تغمض عينيها بقوة وهي تستعيذ باللّه من الشيطان الريجيم تتمتم

" ربي .. انا احتاجك .. احتاجك .."

شعرت بحركته يقترب فأخذ جسدها يختض وقلبها يدوي رعبا في صدرها ..

رائحته العبقة هدأتها قليلا وشتتت افكارها فتطلعت اليه وهو يقف جوار السرير ..

كان يبتسم في رجولة فياضة .. عيناه دافئتان عابثتان برقة في دعوة لتنضم الى ذاك الدفء والعبث ..

خيط رفيع من ذاك الدفء تسلل اليها ..

تنهيدة ندت عن فمها ثم تراخت فجأة لتسأل ببلاهة " لقد غيرت ملابسك .."

ارتد رأسه للخلف في ضحكة رنانة منعشة قبل ان تهدأ ضحكاته وهو يميل قليلا مادّا كلتيّ ذراعيه نحوها قائلا

" ارجو ان تعجبك منامتي وان كانت لاتصل لبهاء قميص نومك الملوكي ..."

قبل ان تدرك ما يفعل كان يحشر ذراعيه اسفل جسدها وبحركة واحدة كان يرفعها ضاما اليها لصدره ..

اختلط عليها الامر فرمشت وهي تحدق في وجهه وتهمس بتخبط غير واضح حتى لها

" محمد .."

فتحرك بها صامتا مبتعدا عن السرير بغموض تعابيره رغم الابتسامة العابثة على شفتيه..

لم تكن تعلم ما يعانيه هو ...

لم تكن تعلم انه يستعيد معها الذكرى ..

عندما وجدها فوق ذاك السرير منتهكة !

لم تكن تعلم .. انها همست اسمه كما همسته ذاك اليوم عندما حملها بين ذراعيه فتتشبث بقميصه كما تتشبث الان غير واعية بمنامته ...

غمرت وجهها في صدره وهي تتنهد بارتياح..

تشنجت عضلات وجهه وغامت عيناه وهو يتذكر الاحساس كيف يكون بـ..خسارتها ...

بعزم لايلين غادر غرفة النوم متوجها للصالة حيث الارائك الجلدية الفخمة ..

كان قد حضر المكان قبل عودته اليها ..

سحب احدى الارائك ليجعلها قريبة من الشباك وفتح الستائر ليتسلل ضوء البدر ..

ثم اكتشف ان الاريكة يمكن فتحها بشكل مستعرض اقرب لسرير مزدوج فأعد الجلسة ووضع الوسائد المربعة المطرزة بشكل مكثف في الزاوية ..

خلع خفيه قبل ان يتسلق الاريكة التي باتت اقرب لجلسة عربية بهية فجلس في زاويتها مستندا بظهره للوسائد فاردا ساقيه للامام بينما فاطمة مستكينة على صدره وبين ذراعيه يتحرك جسدها بطواعية مع كل حركة من جسده فيلتصق به...

تنفس الصعداء انها استعادت بعض الاحساس بالأمن ...

شعرها الاشقر تناثر على ذراعه بينما يمد يده الحرة لذقنها يرفع وجهها اليه هامسا بنبرة مداعبة ..

" وصلنا لبر الامان يا قطعة السكر .."

رمشت قبل ان تفتح عينيها وتحدق مباشرة في عينيه ...

اتسعت ابتسامته المشرقة فيقول بصوت مبحوح " قولي ان جهودي لتحضير هذه الجلسة أتت بنتائجها .. هل تعجبك ؟"

رفعت فاطمة رأسها قليلا تطلعت حولها ليقفز الاعجاب والراحة في خضرة عينيها ثم تكتفي بابتسامة وهي تهز رأسها بـ(نعم) ...

حرك يده من ذقنها لشعرها يرفع خصلة ناعمة فيلثمها متنهدا بهيام هامسا

" دااااال ... يا روح محمد الذائبة فيك..."

ضحكت بخفة وهي تخفي وجهها باستحياء في صدره ..

يلثم جبينها ثم يقرص خدها قائلا

" هل تضحكين مني ؟ "

فترد وهي ما زالت تتخفى من مواجهته

" ربما .. اضحك من خجلي معك .."

يلامس شعرها وجانب وجهها وهو يشعر باسترخاء جسدها الملحوظ ..

اغمض عينيه وهو يضمها اكثر لصدره ..

يهمس في سره يدعو والقلب يرتجف بين اضلعه

" يا الله .. انا اعشقها منذ الصغر واتوق اليها منذ عرفت العشق .. غضضت بصري وصنت نفسي لاجلها .. لاتحرمني قربها الليلة.. "

رفعت وجهها فجأة فتناديه " محمد .. "

فتح عينيه يخفي نيرانه التي تعذبه فيبتسم قائلا " نعم .."

يدها على صدره فتهمس بعينيها الجميلتين

" هل أكلمك عن ابي ؟ "

يعترف تملكته الدهشة لكنه قال بحبور

" كلميني .. اظنك كنتِ طفلته المحببة.."

ضحكت فاطمة بارتعاش متأثر ثم قالت وهي تحرك يدها فوق صدره بعفوية

" كان رجلا بسيطا .. لكن دافئ وطيب القلب .. الحي بأكمله كان يحبه .."

عيناه لاتفارقان شفتيها فيحرك اصابعه قريبا منهما وهو يحثها لتكمل

" كيف كان يتعامل معكم في البيت ؟"

ردت وهي تحرك وجهها فيلامس ابهامه شفتها السفلى لكنها لاهية تثرثر

" دوما علاقته بأمي بسيطة .. كأي ثنائي تزوجا باسلوب تقليدي كل واحد منهما يدرك بالفطرة دوره في حياة الاخر .. امي اكثر بساطة منه وهو عاملها دوما بحنان

كأنها ابنته ... اما صفية فهي مفخرته وسنده وينظر اليها كمنحة الهية فيعاملها بشكل خاص مميز مما كان يثير غيرتي انا وزينب .. "

ذراعه الملتفه حول جسدها تضمها اكثر اليه بينما تواصل فاطمة هذرها

" زينب كانت تثير غضبه النادر بافعالها المتهورة وانا كنت .. كنت .."

لم يحتمل وهو يقطع جملتها بقبلة حارة على شفتيها ثم يبتعد قليلا هامسا بانفاس لاهثة " كنت التي تسندين الجميع دون ان يتنبه لدورك احد .. حبة صغيرة تسند هيكل البيت الكبير .. "

انفاسها تلهث كانفاسه وعيناها ذائبتان بالمشاعر فتهمس له بتحشرج وهي تحدق في شفتيه " غريب ان تصفني بـ(حبة) ! لان ابي كان يداعبني بمثل شعبي يقول (نواة تسند الزير) .. هل تعلم ما هو الزير ؟ "

اخذ يطبع قبلات متلهفة حول فمها هامسا باشتعال " ما هو الزير .. اخبريني .."

جسدها يستجيب ويتفاعل مع حرارة عاطفة محمد بشكل منفلت ليتراخى جفناها وتتعثر انفاسها وهي تهمس بضياع

" انها جرة من الفخـار .. مخروطية .. يحفظ فيها .. المـــاء ...البااااارد ... آآآ ... محمد..."





حركاته اصبحت اكثر جرأة وانفلاتا
لتتعلق به فاطمة بكل قوتها تتشبث به
تهمس اسمه في توسل من نوع آخر ...

توسل عاطفي ان يحبها دون حدود ...

اطلق العنان لكل براكينه المكبوته
فهدر صوته الرجولي باسمها ليمتلكها
بالروح قبل الجسد ...

الخاتمة

بعد اشهر... نهاية الخريف ...

عيد ميلاد التوأمتين جلنار واسرار

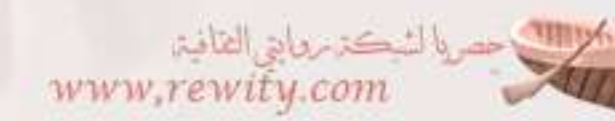
صباحا في الحي الشرقي القديم

تسايره في خطواته النشيطة وهي تلقي التحية هنا وهناك ثم تهمس له ببعض الحيرة والحنق

" لما اصريت ان نأتي اليوم تحديدا لحينا ؟ انه عيد ميلاد التوأمتين ويجب ان نلحق بالعائلة على البحر .. لو كنت اعلم انك ستحضرني لارتديت .. ملابس اكثر احتشاما ؟"

ناظرها ماهر من فوق لتحت فيشيع في عينيه الدفء ويشدها من مرفقها اكثر اليه ليبتسم في وجهها الحانق المحمر هامسا بمناغشة " هل تسمين بنطال جينز للحمل مع قميص ابيض فضفاض وبكمين طويلين انه .. (غير محتشم) ؟! فكرتك عن عدم الاحتشام تثير توجسي واحباطي في نفس الوقت .."

تعبس في وجهه فبدت له للحظة كوجه العبوس فينفجر ضاحكا بينما تزم صفية شفتيها بحنق متزايد ..





تراخت ملامحها طواعية ومزيدا من التحيات المرحبة بها والابتسامات من وجوه كادحة مرهقة تحاوطها..

الحاج عبد المنعم البقال

" مرحبا سيدة صفية .. نورتِ الحي .."

ام حسن بملابسها الشعبية وهي تحمل حفيدها الرضيع على كتفها

" مرحبا صفية .. بطنك ما زالت مرتفعة لم يحن وقت الوضع بعد ؟ كيف حال اختيك بعد الزواج ؟ هل حملتا ؟ وكيف هو الفتى طه ؟ رحم الله أم طه الغالية "

علا صوت العم حاتم صاحب عربة بيع مأكولات شعبية

" صباح الخير يا ست البنات .."

ام غدير تفترش الارض تبيع بعض الخضار

" رحم الله والديك يا بنت حينا الاصيلة.. من أنجب لم يمت .. يا اصيلة يا بنت الاصلاء .."

وغيرهم وغيرهم ..

تعرفهم ويعرفونها منذ الصغر ..

الغالبية رحبوا بها .. بعضهم محبة خالصة وبعضهم سعيا املا في استفادة هي لاتلومهم عليها ...

الحياة هنا تريك وجهها الاصعب .. الاقسى.. بل الاشد قسوة.. ومهما ساعدتهم صفية عبر هذه السنوات فمساعدتها اقرب لقطرة رميت في ارض شاسعة جرداء ..

سنوات عشر مضت منذ غادرتهم والحال من سيء لاسوأ لكنهم ماضون ..

يعيشون يوما بيوم ..

يتزوجون رغم كفاف العيش وينجبون الكثير من الاطفال ليعوضون قهر نقص المال بفرحة كثرة الذرية ..

انها تتفهمهم مهما لامهم دعاة تحديد النسل للتقليل من الانجاب مع قلة الموارد والدخل..

كم تشعر نحوهم بالتقصير خاصة وقد مضت اشهر طويلة لم تخطو قدماها داخل الحي ...

منذ حادث اختطاف فاطمة وما حصل بعدها ثم حملها الذي كانت بدايته صعبة كل هذا منعها .. صحيح لم توقف المساعدات التي ترسلها من حُرِّ مالها وعرق جبينها الا انها دوما كانت تحتاج القدوم هنا .. تحتاج رؤيتهم وتحن لروائحهم التي قد يحتقرها ويشمئز منها اناس من اوساط وبيئات اخرى ..

التفتت بوجهها لماهر الذي طال صمته دون ان تهدأ خطواته فتسأله بحيرة

" اخبرني فقط الى اين تأخذني ؟"

بطارف عينه نظر اليها ثم ابتسامة غامضة مرت على شفتيه وهو يقول

" اريد ان اخذ رأيك ببعض التصاميم قبل ان يتمموها ..."

عقدت صفية حاجبيها وهي تتساءل بحيرة اكبر " ماذا تقصد تصاميم ؟! واين تريدها؟ انا لا افـــ...ـهم !! "

تراخت اخر كلمة وعيناها تلتقطان عن بعد ما كان سابقا مبنى مهدما متروكا من سنوات .. منذ اوقعه الزلزال تحديدا .. وقد اصبح الان هيكلا قائما بل اقرب لمبنى جديد ومن نفس الطراز القديم ...

تسمرت قدماها وتوقفت خطواتها بينما عيناها تتسعان وكأن رؤية ضبابية غشيتهما ..

سمعت همس زوجها المبحوح

" لماذا توقفتِ .. تعالي غزالتي .. "

تركته هذه المرة على هواه يقود خطواتها المتراخية ...

وكلما اقتربت خطوة تجمعت الدموع في عينيها اكثر واكثر لينهار السد ويفيض الدمع وهي تقف امام مبنى وكأنه قفز من احلامها ...

يا الهي ... سنوات منذ افتتحت مكتبها الهندسي وسعت لتحاول اعادة تعمير هذا المكان والبلدية ترفض بتعنت سخيف وتمسكا بلوائح وقوانين بالية ..

سنوات وهي تحاول اقناعهم انها لن تأخذ مالا مقابل اعادة البناء والترميم فقط تحتاج لتكلفة مواد البناء فيشهقون في وجهها وكأنها تطالبهم بثروة طائلة ..

حتى انها حاولت التقديم على قرض لشراء الارض بخرائبها لكنهم اعادوها للمربع الاول.. انها ارض حكومية و (اللوائح والقوانين) لاتسمح ...

اذن كيف ؟! كيف ؟

التفتت لماهر لتراه هو الاخر يحدق في المبنى بملامح مرتاحة سعيدة فخورة ..

همست له والدموع تغرق وجهها

" كيف .. كيف فعلت هذا ؟!"

التفت اليها اخيرا وابتسامته تتراقص بوهج محبب فوق شفتيه

" لو كنتِ طلبتِ مساعدتي منذ البداية لكنتِ انت من اشرفت عليه من أوله .."

خنقتها العبرة وهي تقول بشجن

" اردت ان افعلها بمفردي .. لم أكن سأطلب منك اكثر مما قدمته .. وانت قدمت الكثير الكثير ودون حساب .."



تنهد ماهر وهو يقترب قليلا منها قائلا بحنق رقيق " مللت تكرارك لهذه الجملة ..

احيانا استقلاليتك هذه تصبح مزعجة بشكل لايوصف .. "

احنت رأسها وهي تسبل اهدابها تحاول السيطرة على سيل الدموع بينما تهمس

" شكرا لانك .. ادخلتني حياتك .."

تبسم باشراق وهو يلوح بيده متجاهلا بكاءها الصامت

" اخبريني الآن .. ما الذي ينقص برأيك مبنى (الزهراء) ؟ انا حاولت شرح شكل المبنى القديم للمعماري كما احضرنا الخرائط القديمة للمنطقة .. لكني ما زلت اشعر بوجود النقص .."

ما ان نطق باسم (الزهراء) حتى رفعت رأسها وحدقت به في دهشة وانفاسها تلهث ...

همست اخيرا " (الزهراء) ؟! هل اسميته على اسم امي زهرة ؟ ابي .. ابي كان يحب مناداتها ...."

اكمل لها ماهر وهو يبتسم بخفة

" (الزهراء) ... اعلم .. لقد اخبرتني بهذا سابقا .. "

لم تشعر الا بيدها على فمها من شدة التأثر وهي تهمس بعجب

" كيف تذكرت هذا ؟"

ردد وابتسامته تتسع

" انا لاانس شيئا صفصف .."

عضت شفتيها ويدها تعود لتتراخى الى جانب جذعها ثم تقول بحشرجة عاطفية

" كيف يمكنني تقبيلك هنا ؟!"

فيضحك ماهر عاليا ثم يرد عليها هامسا بشقاوة " احب مزاجك العاطفي منذ بداية حملك هذا .. تعالي .. يجب ان نتعجل حتى لا نتأخر على عيد ميلاد الشقيتين .. وسنتحدث فيما بعد عن اساليب التقبيل.."

سحبها من يدها ليدخل معها المبنى بحذر وبينما هو يشرح كانت هي تتذكر من رحلوا وتقرأ لهم الفاتحة ..

ابتداء من والدها ثم عمها مصطفى والخالة سليمة واخيرا .. والدتها .. الزهراء ..

بيت (سلسبيل) على البحر

الكل ملهي عنه بينما يتسلل لركن مشمس حيث وضعت خالته حوراء السرير القفصي ذو القضبان الخشبية العالية على الرمال ..

يسمع اصوات لعبهم ما بين قريب وبعيد وبعض الاصوات الضاحكة او الصرخات الحماسية فيطمئن اكثر ان لا احد سيزعجه ..

ينفض باحباط قميصه المتسخ بالرمال واثار بعض طعام الافطار عليه ثم اخذ ينفض بنطاله الخفيف الذي يصل لركبتيه ..

لايريد ان ينقل اليها اوساخه ..!

جلس على ركبتيه مستندا براحتيّ كفيه على حافة القفص فالتمعت عيناه بشدة وهو يحدق من بين القضبان بنظرات طفولية مفتونة في هذا الكائن الصغير الانثوي الابيض النائم والالعاب متناثرة حوله..

خداها دائما متوردان لكن الان اصبحا بلون احمر قان .. عبس وهو يفكر بقلق .. هل احمرار خديها بسبب الشمس التي تحرق بشرته احيانا في الصيف ؟!

بلهفة خاصة وقف على قدميه واخذ يخلع قميصه غير مبال بالنسمات الباردة لهواء الشتاء القادم ثم يبتعد قليلا لينفض القميص بشكل جيد قبل ان يعود اليها فيقفز بحذر حتى لا يوقظها ليصبح معها داخل القفص ثم يفرد القميص بكفيه وفوق رأسه ليظلل فوقها حاميا اياها من اشعة الشمس ..

اخذ نفسا واطلقه وهو يتربع في جلسته ويحدق فيها .. انها جميلة جدا كدمية اسرار الجديدة .. كلما نظر لدمية اسرار تذكر لولة الصغيرة البيضاء ذو الخدين الاحمرين ...

فجأة اخذت هديل ترمش بعينيها فانحشرت انفاس اسر وهو يراقب بشغف طفولي كيف تفتح عينيها ببطء ..

حالما رأته ابتسمت وهي تغمغم " سر .. سر"

يبتسم لها بفرح وهي ما زالت منبطحة على ظهرها وتحرك ذراعيها وساقيها بفرح مماثل فيقول لها

" انا لا العب معك .. وجهك محمر للغاية.. لذلك صنعت لك مظلة بقميصي .."

وكأنها ابتهجت اكثر بالفكرة فتهب لتقف بصعوبة على قدميها فيجزع قلبه خوفا عليها وهي تترنح فيترك قميصه

ليقع بينما يتلقفها في حضنه وهي تضحك مكركرة ..

تفتح فمها على مصراعيه لتتحضر لمنحه قبلتها الخاصة على خده وحالما تفعل يضحك اسر وهو يبعدها قليلا ويمسح لعابها عن خده ..

يمسكها من تحت ابطيها ويحركها بمرح وهو يقول بقلبه الصغير المتأثر

" انت جميلة جدا لولة .. وجهك ابيض وخداك دوما محمرين .. عندما تكبرين اكثر سآخذك معي اينما ذهبت .. "

صوت الاسر الكبير اجفله وهو يطرق مسامعه بنبرة مهددة مفتعلة

" ابتعد عن حمامتي ايها الآسر الصغير .."

وقف اسر الصغير على قدميه وهو يحمل هديل بين ذراعيه تمنحه المزيد من (لعابها) عبر قبلاتها الخاصة فيرد على جده بعبوس

" كنت احاول حمايتها من الشمس بقميصي يا جدي.."

ارتفع حاجب واحد لاسر الغازي بينما يبتسم ابتسامة جانبية قائلا بغموض

" وماذا تفعل هي ؟! تعطيك اجرتك نقدا بـ(لعابها) السائل ؟!"

يهز اسر الصغير كتفيه العاريين ويقول بنبرة لامبالية

" لايهمني ان ملأت وجهي لعاباً .."

اخذت هديل ترفس بقدميها وذراعيها فأوشك ان يفقد اسر الصغير توازنه فينهرها ببعض الحدة

" توقفي هديل .. ستوقعينا معا وتؤذين نفسك ..."

توقفت هديل في لحظة واخذت تحدق في ابن عمتها للحظات وشفتاها ترتجفان وعيناها تلمعان بدموع وشيكة قادمة ..

ذاب الصغير فيهمس لها يراضيها

" لاتبكي ارجوك .. انا غبي .. انا ثور ..

انا .. ذاك الحمار الذي يجر العربة .. بل انا

العربة الغبية نفسها .."

وحالما قالها انفجرت هديل بالبكاء

فيضمها اسر الصغير لصدره وهو يعتذر مرارا

وتكرارا بينما الجد يراقب وهو يميل

برأسه جانبا ويعض شفته السفلى باستمتاع..

اسرار وجلنار تتراقصان عند البحر

بملابسهما الملونة المبهرجة والطوق المورد

فوق الشعر المحلول .. انه الزي الخاص

المشاع عن فتيات جزر الهاواي ...

والفتيان بملابسهم المتسخة يجمعون اكبر

كمية من الرمال المبللة ..

قريبا منهم تجلس فاطمة يجاورها محمد

فتضحك وهي تميل لكتف زوجها قائلة

" الا تشعران هاتان الشقيّتان بلسعات

الهواء؟! انظر اليهما وهما تتراقصان وكأننا

في منتصف الصيف بينما انا هنا ارقص من

قرصات البرد!"

يلف ذراعه حولها يشدد من احتضانها هامسا

وشعرها يتطاير ليغطي وجهه

" هل تشعرين بالبرد سكرتي ؟ "



فترفع وجهها اليه لتجد خضرة عينيه المتقدتين بانتظارها .. ترتعش بتاثر رومانسي عاطفي هامسة له

"اجل ... ضمني اكثر لو استطعت ؟"

يده تمتد لتداعب بروز بطنها الواضح حيث حملت منذ ليلة زفافهما ببذرة طفله .. منحها ابتسامة عابثة تتلاعب على فمه وهو يقول لها " خداك يتوردان يا ام بلال .. ما هذا الخجل الذي لاينتهي فيكِ !.. هل تخجلين من افكارك نحو زوجك ..؟ "

رمشت باهدابها هامسة بتوسل رقيق

" محمد .. اريدك ان تبني لي شيئا خاصا على هذا الشاطئ .. ابي قال لنا يوما ان رمال البحر لاتنسى من يكتبون عليها .. وانا .. انا اريد ان تكتبني بيدك على هذه الرمال .."

تألقت عيناه وهو يحدق في عينيها الجميلتين ..

انها تعشق باخلاص فريد من نوعه .. تسعى لتوحد اصيل مع المعشوق يمس وجدان رجولته ..

تبحث دوما عن وسائل مختلفة لتعبر فتمد الوصال بينهما بطرقها الخفية المتملكة..

تخجل ولا تخجل في نفس الوقت !

تخجل بفطرتها ولا تخجل بشخصها المتحرر الشجاع ...



كل يوم يكتشف في فاطمة شيئا جديدا..

هل ظن حقا انه عرفها كليا عبر مراقبته لها لسنوات مذ عرفها وهي في الثالثة عشرة؟!

همس لها بصوت أجش وهو يتحرك مبتعدا عنها " لن ابني قصرا او برجا عاليا اخبؤك فيه .. بل سأصنع لك عروس البحر كما يليق بك ان تكوني ..."

لو كان اهداها قصرا حقيقيا لما اسعدها كما اسعدها الان باختياره وهو يجمع الرمل قرب الاطفال ليكتب ... (عروسه) ...

فارس وشاهر الصغير يبنيان بيتا رمليا بحماس غير عادي بينما تجلس اسرار القرفصاء بـ(ثوب الهاواي) الذي ترتديه وغازي فضل الجلوس قربها ويده تتلاعب بالحواف المشرشرة للثوب ..

اما جلنار فكانت تساعد بحمل مزيد من الرمال في سطلها البلاستيكي الاحمر ..

سأل فارس وعيناه تحومان يمينا وشمالا

" اين آسر ؟"

فيرد شاهر الصغير " قال انه نعسان .."

يعبس فارس وعيناه تحومان كالصقر بحثا عن اي اثر لابن عمته ...

بعد دقائق...

من مسافة ليست بالبعيدة كان طه ببنطال جينز وقميص يتلاعب به الهواء ..

يتمشى على شاطئ البحر يحدق فيه في ابتسامة حنين ..

كان ينتظر الاجازة القصيرة بفارغ الصبر ليعود للوطن ويرى اهله.. نانا واخواته ..

يرى مدينته وجدران مبانيها ..

يرى البحر .. امواجه الغامضة الهادئة ...

اه من هذا البحر الذي يخلب لبه ...

وصل منذ ليلة الامس وتأبى عيناه النوم يريد ان يشبع من رائحة الوطن بكل ما فيه..

توقفت خطواته ليواجه البحر فاردا ذراعيه مرخيا اهدابه ...

لم يشعر الا بمن يشد حافة القميص ليخرجه من خلوته وهو يسمع صوت الصغيرة جلنار تقول

" تعال طه .. تعال .. اريدك ان تبني لي بيتا كبيييييييييييرا .."

ضحك طه وهو ينظر للصغيرة الحلوة في ثوبها المحبب الذي يعكس شقاوتها ..

لامس خدها وهو يقول بمناغشة

" الا تشعرين بالبرد بهذا الثوب ؟"

تنظر اليه بانبهار وهي تهز رأسها بـ(لا) ..

ثم احتضنت كفه بكفيها الصغيرين

لتسحبه سحبا معها وهي تقول باصرار

" اريد بيتا .. اريدك ان تبني بيتا .."

جلسا قرب الشاطئ وبهمة اخذ طه يشكل

من الرمال ما يفترض انه بيت رملي ..

شعور غريب انتابه ان الصغيرة تحدق في

وجهه وليس في البيت الذي يصنعه لها ..

رفع نظراته ليجدها تجلس على ركبتيها

وعيناها تحدقان في عينيه ..

عبس قليلا وهو يبتسم ليسألها

" هل هناك شيء ما في وجهي ؟"

سألت بفضول وهي ترفع حاجبيها عاليا

" انت لاترتدي النظارات ؟"

فيضحك بخفة وهو يعاود اتمام البيت

البسيط قائلا

" لاني ارتدي عدسات صغيرة مخفية .. ها

قد أتممت لك البيت .. هل يعجبك ؟ "

عيناها حادتا نحو البيت فضيّقتهما وهي

تعبس بجدية وتتمتم بغير رضا

" هل هذا بيتنا ؟!! "



فيبرر مماشيا طفوليتها

" احم .. اعلم انه صغير ليكفي العائلة كلها .."

فصدمته وهي ترفع عينيها اليه وتقول بهدوء وثبات

" لكني اريده ان يكفيني انا وانت فقط .."

الصدمة لم تدم الا لحظتين لينفجر طه ضاحكا وهو يقول بعينين ناعستين من التعب " ايتها الصغيرة الجميلة كيف يعمل عقلك الصغير ..؟"

وقفت على قدميها لتتخصر وهي تقول بنارية وعنفوان صغير يليق بها

" اريد بيتا كبيرا لايتهدم بضربة كرة من غازي الشرير .."

عاوده الضحك مرة اخرى وهو يتطلع لملامحها الصغيرة كيف تتعكر ثم تقترب منه لتقف قبالته وهو جالس على الرمال لتقول بجدية

" ماما قالت يجب ان اكبر ويصبح عمري ... امممم .. لحظة واحدة لو سمحت .."

اغمضت عينيها بشدة ثم رفعت يدها وطه يراقب ما بين دهشة وفضول لما ستقول لتعاود فتح عينيها قائلة بنفس الجدية وتحرك كفها ثلاث مرات فاردة اصابعها الخمسة والمرة الرابعة بثلاثة اصابع فقط

" بهذا القدر .. حتى يحق لي الزواج .. فهل سيكون كافيا لتبني لنا البيت ونتزوج ؟"

هذه المرة حقا تورد وجهه وهو يضحك بخفة مداريا خجله من الحاح هذه الطفلة الممتعة معه ..

اخيرا تنحنح لينظر في وجهها المترقب الخطير التعابير ليقول بحلو النبرات

" بعد وقت طويل كهذا ستجدين كثيرا من البيوت تنتظرك فاختاري ما يعجبك "

منحته اجمل ابتسامة يراها على وجه طفلة على الاطلاق فحمد اللّه من قلبه انه ارضاها اخيرا ....

تمدد ظافر على ظهره مستسلما فوق الرمال لاهثا ضاحكا بينما يغمض عينيه يستمع لحوار ناري جديد بين زوجيّ المجانين زينب ومحمود ..

" قلت لك لاتلعبي بحماسة زائدة.. هذا ليس جيدا على الجنين انت في شهورك الاولى .."

فترد عليه بشراسة وعند

" الجنين في بطني انا لا انت .. وانا من يشعر به واعلم متى يكون بخير او يعاني من ضيق .."

يهدر بها ووجه قبالة وجهها مباشرة

" زينب لاتتحديني والا حملتك فوق كتفي وحبستك في الغرفة العلوية .."

التمعت الافكار في رأس ظافر بينما يسمع المجنونة ترد على زوجها الاكثر جنونا منها

" لاتتحجج بخوفك عليّ انت لم تتحمل اني سجلت هدفا في مرماك انت وظافر .."

ينفجر ظافر ضاحكا يشاركه الضحك كلا من مهدي وسلسبيل اللذين يقفان منهكين هما الاخرين من لعب كرة القدم والذي تحول لساحة اثبات القوى بين محمود وزينب ...

واصلت زينب جنون كلماتها وهي تتخصر

" ثم لماذا نلعب ثلاثة ضد اثنين ؟! ألأننا فتيات انا وسلسبيل تحشروننا مع مهدي لتلعب انت وابن خالك الضخم ضدنا ؟!"

التمعت عينا سلسبيل خبثا ممتعا وهي تؤيدها بالقول

" اصبتِ .. كلامكِ صحيح .. ثم اعتقد ان محمود وظافر يغشان .."

يقرصها مهدي في ذراعها وهو يكاد يغص في ضحكته بينما يقف ظافر بحركة متباطئة على قدميه قائلا بصوت عابث شقي " انا اعتزل .. لن اهتم باسترداد شرفي الكروي ..! لن انسى لك هذا يا اختي .."

تحرك ظافر مغادرا بينما يناديه مهدي وهو يكاد يغمى عليه من الضحك

" توقف ظافر .. باللّه عليك لا تتركني مع حلبة الجنون هذه .."

زمجر محمود وهو يتهم زينب ظلما وبهتانا وامعانا في اغاظتها

" هل رأيت ما فعلت الآن ؟! افسدت علاقة اخ باخته ..! "

فتشهق زينب وتشتعل عيناها حنقا فتضربه في كتفه وتقول من بين اسنانها

" ما دخلي انا ..؟! كله بسببك .. كله بسببك ... انت .. انت لاتطاق .."

اكتست ملامح محمود بالعفرته وفي لحظة انحنى ليحمل زينب على كتفه غير مبال بأي شيء ثم سار بها ناحية البحر وهي تصرخ وسلسبيل تصفر لهما وخلال ثوان كانت زينب وسط القصر الرملي الذي كانوا يبنونه ليتهدم بمجمله ويتناثر الرمل والاطفال التفوا من حولها يرقصون ويهرجون كالهنود الحمر عدا فارس الذي وقف متخصرا عابسا غاضبا في صمت...

انهار كلا من سلسبيل ومهدي جالسين ارضا من شدة الضحك بينما يتحرك ظافر رائق المزاج وعيناه تحومان للطابق العلوي من البيت يناظر شباك الغرفة وهو يبتسم قائلا لاخته وزوجها

" احتاج حماما دافئا لاغسل جسدي من اثار الرمال قبل ان نبدأ شيّ اللحم .. يبدو ان ماهر وصفية سيتأخران اكثر .."

ضرب مهدي كفا بكف ينفض الرمال من يده وهو يقول ضاحكا

" حقا انهما مجنونان ! كيف سيكملان حياتهما معا بهذه الطريقة المتفجرة على الدوام ؟"

حركت سلسبيل حاجبيها بعبث وهي ترد على زوجها بمشاغبة " على العكس انا ارى علاقتهما طافحة بمشاعر محتدمة تجذبهما لبعض يوما عن يوم .. هذه الفتاة خزين من الانفجارات النارية اللذيذة .."

ثم اخذت سلسبيل تفتح رباط شعرها فتحرره باسترخاء وعينا مهدي تراقبانها بجذل بينما تضيف هي بدهاء

" انها ذكية وتم تلقينها دروسا على يد الافضل.. وبدلا من سنين قضتها في الهروب لتخفي ضعفها اصبحت تواجه وتفجر ذاك الضعف ببراعة في وجه من تحب فتزيد من جاذبيتها الانثوية النارية دون ان تتعمدها.."

نظرت في عيني زوجها فتراه كيف يحدق فيها وقبل ان تناغشه سألها بصوت عاطفي

" هل ابني لك قصرا ؟ "

فترد وعيناها تلمعان بجموح نساء امازونيات مخلدات بذكراهن عبر الاساطير

" انا لاتهمني القصور .. يهمني الاستحواذ على الامير فقط .."

رفعت زينب عينيها نحو زوجها وهي غارقة بالرمال والاطفال يهللون من حولها وكأنها غدت طريدتهم المأسورة ..

يضحك لعينيها بشقاوة التحدي وهي تبادله نفس النظرة واصابعها تغرق في الرمال ... فجأة شعرت بالسكينة ويبادلها هو نفس السكينة ... انها فقط لحظات من استرخاء عابر قبل ان يعودا لجنونهما معا ..

لحظات طالت وهي تتطلع لقامته التي تشرف عليها واقفا امامها يحاول اثارة غيظها بتعابيره المتشفية ..

لم تكن تتخيل ولا حتى في احلامها ان علاقتها بمحمود ستكون هكذا !

منذ ليلة الزفاف التي لاتوصف ..

تبخرت احاديث الكرامة ..

تطايرت نغمات الغضب والتمرد ..

الاحاديث كلها مع محمود باتت تلقائية عفوية مجنونة عاطفية سواء كانت سلبية او ايجابية ..

الاثنان سواء ...



النغمات الداخلية التي كانت تستنزفها سابقا وهي تقاومها باتت تعزفها بفخر للخارج كنغمات انطلاق وتعبير عن الذات بثقة ولا مبالاة باراء الغير ...

حدقت في عيني زوجها الضاحكتين ثم انتقلت نظراتها لغمازتيه الجذابتين فتحمر تلقائيا متذكرة عاطفيتها في اوقاتهما الحميمة وهي تقبل موضعهما على خديه بشغف ناري..

لم تكن تعلم انه التقط افكارها فتتسع ابتسامته وتقفز تلك الغمازات من خديه تناغشانها بغرور محبب ..

فما كان منها الا ان حركت اصابعها بخفة لتجمع بعض الرمال وفي ثوان اخذت ترميها نحوه وهو يتراجع للخلف ويشتم بخفوت ..

اخذ الاطفال يضحكون ويلعبون بالمثل بينما محمد وفاطمة غارقان بالضحك ..

تحركت فاطمة من موضعها قرب زوجها وهو يصنع لها حورية البحر لتزحف على كفيها وركبتيها ناحية اختها ..

تطلعت اليها ضاحكة فتغمزها وهي تقول

" هل نتسابق على الرمل ؟"

فترد زينب وعيناها تنظران بقلق ناحية بطن اختها المتدلية الاكثر امتلاء من بطنها بوضوح " لكني اخاف عليك ؟"



فتعتدل فاطمة بجسدها لتستقيم بجذعها وركبتاها غائرتان في الرمال ثم تقول مبتسمة وهي تشير بيدها

" وماذا عنك انت ؟! الست حاملا مثلي ؟"

تحركت فاطمة زحفا على الركبتين هذه المرة وهي تحفز اختها بالقول

" يجب ان تمنحيني مسافة قبلك لان طفلي اكبر من طفلك .."

تعبس زينب وهي تستقيم بجذعها كأختها متذمرة بالقول " هذا ليس عدلا .. انهما شهران فقط بين الطفلين .."

تلاحق زينب اختها زحفا والاطفال يقلدونهم بينما ينادي محمد وهو ما زال على جلسته على الرمال

" لا تبالغا كثيرا في حماستكما .."

يتحرك محمود ليجلس جوار اخيه وهو يراقب زوجته المجنونة تناقر الشقية جلنار التي تتفاخر انها اسرع منها !

سأل محمود توأمه وهو يراقب مضمار السباق الرملي امامه " هل تظنهما ستكونان بخير؟"

رد محمد وعيناه تراقبان الشمس على شقرة شعرها المتطاير بينما اختها تلاحقها لتكون قربها على الدوام " انهما تجيدان الاعتناء ببعض فلا تقلق ..."

نظر محمود بفضول لكومة الرمال التي

يعمل عليها اخوه مستخدما قطعة خشب

فيسأله " ماذا تصنع بالرمال ؟! انه ليس بيتا

ولا حتى كوخا ! "

فيسبل محمد اهدابه وهو يعاود العمل

لتشكيل الرمل قائلا

" لاتتدخل فيما لايعنيك.. "

ازداد عبوس محمود وغيظه من اخيه

ويكاد يقتله الفضول ليعرف ..

هتف محمود فجأة وكأنه اكتشف كنزا

" انها سمكة .. انت تصنع سمكة ! "

ثم يعود لعبوسه وهو يضيف

" لكن ما معنى السمكة ؟!! "

انفجر محمد ضاحكا وهو يهز رأسه ويقول

" لن تفهمها ولو بعد مئة عام .."

فيكز محمود على اسنانه ويشد شعره بينما

محمد يضحك بخفة ..

دخلت نهى للمطبخ لترى نجلاء منشغلة

بتنسيق صحون السلطات وحوراء تساعدها

فتقول لحوراء

" سمعت ظافر يناديك من الغرفة العلوية

اظنه قال انه يبحث عن ملابسه النظيفة

ولا يجدها .."

تمتمت حوراء وهي تتحرك لتغادر المطبخ الصغير

" لا بد انه اخذ حماما .. سأذهب اليه .."

ترتقي حوراء درجات السلم اللولبي وهي تنادي زوجها " ظافر .. هل ناديتني .. هل وجدت الملابس ...؟"

كانت قد وصلت الغرفة وبابها مغلق ولم تسمع ردا منه ..

مدت يدها لمقبض الباب عندما انفتح الباب فجأة واطل زوجها عاري الصدر ببنطال قطني قصير فسألت ببراءة

" ألم تجد ملابسك ؟! انها في الحقيبة السوداء ..."

ابتسامة عريضة عابثة بنوايا مشتعلة سبقت ذراعه الايمن الذي مده نحوها ليسحبها من ذراعها ويدخلها الغرفة ويغلق الباب بالمفتاح ...

شهقت من المفاجأة وهو يخلع عنها حجابها ويفك ازرار قميصها الاخضر على عجل ..

تهمس بخجل فظيع

" توقف ظافر .. الجميع في الاسفل .. يا الهي البيت صغير وربما الصوت مسموووو..."

شفتاه ابتلعت باقي الكلام من فمها وشعرها الكستنائي ينتثر بجنون بين اصابعه ..

يقبل وجهها وعنقها وهي تسأله بهمس منخفض خشية ان تصل اصواتهما للاسفل

" ظافر تعقل .. قد يصعد ايا منهم .. ماذا جرى لك ؟"

رد بغيظ عاطفي " ما جرى اني قضيت ليلتي محشورا في سرير لولة التي التصقت بي وأبت ان تفارقني حتى الصباح بينما انت تنامين بمفردك بقميص النوم الاحمر .."

اخفت حوراء ضحكتها في كتفه وهي تغيظه اكثر

" انت من يدللها هكذا وتلتصق بها اكثر من التصاقها بك ... فلماذا تعترض على السرير الصغير الذي قضيت به ليلتك ..؟"

يتنهد بحمى العاطفة الهوجاء فيحملها من خصرها ويتلقاهما السرير معا وهو يهمس لها بصوت مرتعش بالعاطفة

" التصقي بي اكثر يا ام الغوازي ..."

خرجت نادية لتلوح وهي تنادي طه من عند البحر حتى يأتي ويساعدها بتحضير فحم الشواء وحالما اخبرها انه سيأتي بعد عشر دقائق استدارت لتدخل البيت ولم تمض لحظتين حين سمعت خطوات من خلفها ثم يد تكمم فمها وذراع تلتف حول خصرها لتسحبها للخلف ...!



على الرمال وفي كرسيين متجاورين يجلس كلا من شاهر وبلال .. بلال يسبح بحمد اللّه وهو يتطلع للبحر وشاهر يسترخي برأسه للخلف وعيناه نصف مغمضتين يراقب احفاده واحفاد أخيه وهم يلعبون بنفوس صافية نقية تعبر عن طفولتهم البريئة

أتاه فجأة صوت بلال وهو يقول بنبرة خاصة

" اشعر اني عشت اكثر من حياة على هذه الارض .. اشعر ان ربي خلقني لاجل حيوات من يمرون بي ويدخلون في عهدتي امام اللّه.. بتُّ ارى حياتي طويلة .. طويلة جدا ومليئة بالكثير الذي يحتاج مني للتمعن فيه وما انجزته ..."

فتح شاهر عينيه فيبتسم ابتسامة واسعة وهو يرى محمود يحمل زوجته على كتفه ثم يرميها فوق الرمال وسط الاطفال ليقول لبلال " لقد انجزت الكثير يا بلال .. يكفي ان انظر لتوأميك .. بارك اللّه فيهما .."

تطلع بلال في نفس الاتجاه فيتبسم وهو يرى سباق الفتاتين زينب وفاطمة على الرمال والاطفال يقلدونهما بينما توأميه محمد ومحمود يتكلمان بابتسامات وتعابير مألوفة لديه وهما يلعبان بالرمال ..

وكأنهما بالامس فقط كانا بعمر السادسة ويأخذهما للبحر يعلمهما السباحة ..

قال بلال بنظرة شاردة

" اخبرني يا شاهر .. ألا تشعر بالحاجة للتوقف ؟ ان توقف عجلة العمل لتقفز منها ثم تدعها لتدور دونك وتكتفي انت بالتفرج فقط ؟ "

استقطب بلال اهتمام شاهر بالكامل فيسأله بدهشة " هل تفكر بالتقاعد يا بلال ؟ انت ما زلت في حيويتك ؟"

ما زال بلال في شروده المفكر وهو يرد على شاهر بالقول " انها ليست الحيوية يا شاهر .. انه الشعور بأنك بحاجة لتسليم الادوار الى جيل جديد يأخذونها على عاتقهم ويقودون العجلة بطريقتهم .."

بدى شاهر وكأنه يعود للماضي ليعبر بالقول " كنت في عمر مهدي عندما سلمني والدي رسميا الصلاحيات تامة في مؤسسة الغازي وهو رحمه الله كان يقاربني بعمري الحالي فاكتفى بالمراقبة والمتابعة معي من بعيد .."

اخذ بلال يحرك خرزات مسبحته وهو يسبل اهدابه ويقول

" رحم الله امواتنا جميعا .. انا مطمئن للتوأمين .. ومع وجود ابناء الاخوال في ظهريهما سيشكلون اتحادا مدعوما بالاسس الصحيحة ..."

عندها سأل شاهر بجدية وكأنه مقدم على امر شديد الاهمية

" هل تظن ان الوقت قد حان ؟"

رد بلال بسؤال وهو يبتسم بطمأنينة

" هل انت متخوف يا شاهر ؟"

فصارحه شاهر بالقول " ليس تخوفا ولكن.. الامر اشبه بأني اركن نفسي على الرف .."

فرفع بلال وجهه لشاهر ليقول بنبرة ثابتة

" من قال ستركن نفسك .. ؟! نحن سنبقى استشاريين للمؤسسة الى ان يشاء اللّه .. لكن صلاحيات اتخاذ القرارات ستكون بايديهم هم .. يتحملون مسؤوليتها .."

سمعا صوت نادية وهي تنادي طه ليساعدها فيرد طه بالاجابة ..

تبسم شاهر وهو يقول " غريب ان تتكلم اليوم بهذا الموضوع .. قبل اسبوع فقط فاتحني آسر برغبته في .. الانطلاق !"

عقد بلال حاجبيه قليلا في تساؤل قائلا

" الانطلاق ؟!! الى اين ؟"

رد شاهر وهو يسترخي في كرسيه

" الانطلاق ليعيش لنفسه اكثر متحررا من قيود العمل ... هذه طريقته واسلوبه في التعبير بل وفي الحياة عموما .. احيانا احسده حقا على اتخاذه قرارات حاسمة تصب جميعها لمصلحته هو اولا ..."

ضحك بلال قبل ان يقول بدهشة

" آسر شخصية عجيبة .. لولا بياض شعره لقلت انه ما زال في الاربعين ..."

شعور بغيرة قديمة بدت باهتة اليوم وهي تراود شاهر .. كم مضت من السنين لتعلمنا الكثير وتروض الكثير لكن بعض الاثار تبقى وبدلا من ان تؤلمنا نجدها تثير فينا حنينا لماضي طفولتنا ...

قال شاهر بنبرة الحنين ذاك

" انه تأثير جدنا عليه .. دوما كان المفضل لديه واطلقه دون حدود ... ذكاء آسر الحاد وطبيعة شخصيته جعله يخترق اصلب الجدران ويحطمها ولايندم ابدا على شيء بعدها مهما كانت النتائج .. انه يتقبل اخطاءه ونواقصه بطريقة تغيظني شخصيا.. "

عاود بلال التطلع للبحر وهو يقول

" اذن فآسر يفكر مثلي بالتخفيف من العمل وتسليمه للجيل الجديد ؟"

رد شاهر وهو يبتسم ابتسامة مشاغبة وكأنه استعاد روح طفولته مع اخيه الاكبر

" نعم .. حتى انه عرض خطة لتوزيع صلاحيات الادارة.. وحدسي يخبرني انه اليوم تحديدا يحضر لتنفيذ اولى خطواته في (انطلاقه) العتيد .."

اخذ بلال يضحك من قلبه وهو غير قادر على تخمين كيف ستكون اولى خطوات (انطلاقة آسر الغازي)...

فيشاركه شاهر استمتاعه وهو يقول بخفة وفكاهة

" اضحك يا بلال .. اضحك .. ولكني غير مطمئن .. اشعر انه سيثير نساءنا علينا ... من اكبرهن لاصغرهن ..!"

بعد نصف ساعة ...

بينما نهى تتجول بعينيها بحثا عن نادية سمعت صوت نجلاء يقول من عند المطبخ

" لقد حضر ماهر وصفية اخيرا .. ماهر يركن سيارته ... هيا يا نهى .. نادي شاهر وبلال كفاهما جلوسا كسولا على شاطئ البحر .."

كانت نجلاء تخرج من باب المطبخ وهي تتمم جملتها فتضيف متسائلة في عبوس

" لكن اين اسر ؟ لم أره مذ كان يكلم آسر الصغير في الخارج !! "

كانت نهى بملابسها الانيقة المترفه رغم بساطة تصميمها تقف قريبا من باب البيت تفتحه لابنها وزوجته وهي ترد بحيرة

" لااعلم ..."

دخل ماهر وصفية التي كانت مبتسمة بانشراح وتربت على بطنها المرتفعة بشرود عفوي فينزل ظافر الدرج الملتوي تتبعه حوراء محمرة الخدين ثم تدخل سلسبيل في نفس الوقت من الباب الخلفي الذي يؤدي لشاطئ البحر وهي تتساءل

" اين امي .. انا لاجدها وطه يتساءل عن كمية الفحم المطلوب للشواء .. "

فتقول نهى بحيرة شابها القلق

" نحن لانجدها .. لا هي ولا حتى آسر ..؟"

وسط تساؤلات الجميع كان ماهر حاسما وهو يقول لابن عمه

" هل ستتصل انت ام اتصل انا ؟"

تحرك ظافر عابسا يخفي قلقه ليبحث عن هاتفه النقال بينما فعلت سلسبيل المثل لتخرج هاتفها من حقيبتها الملقاة على الاريكة ..

تفاجأت سلسلبيل برسالة نصية من والدها ثم التمعت عيناها وهي تفتح الرسالة لتقرأها لينشق فمها عن ابتسامة ماكرة مستمتعة وهي تردد قائلة للجميع

" انه آسري المحتال... لقد اختطفها ..."

حرك ظافر راسه وهو يضحك بينما يبتسم ماهر وهو يسبل اهدابه والنسوة يحدقن في سلسبيل ينتظرن بفضول ان يعرفن فحوى الرسالة ..!

ارتقى آسر درجات السلم الابيض ثم التفت اليها باسطا كفه نحوها يبتسم ابتسامته المستفزة التي كانت اول ما عرفته فيه ....

شعره الذي يميل للبياض يتشعث بالهواء وملامحه تخادع من ينظر له للوهلة الاولى فيتصوره لم يتعدَ منتصف الستينات خاصة عندما يرى رشاقة جسده من ممارسته الرياضة على الدوام ...

اما تعابيره الشبابية المشاكسة وملابسه المتحررة في بنطال كتاني ابيض يعلوه قميص من نفس البياض يتلاعب باطرافه الهواء كل هذا يمنحه روح رجل لايشيخ ابدا ...

تخصرت نادية بمواجهته وهي تقف بمستوى اخفض منه على اسفلت الممشى الخاص بمرسى القوارب فتسأله

" ما هذا يا اسر ؟!"

فيرد بملامح تدعي البراءة وعيناه البنيتان تلمعان بالشقاوة " هذا قارب .."

عبست نادية وهي لاتستجيب لدعاباته فتقول بحنق

" استطيع ان ارى انه قارب .. سؤالي لما اصريت ان تحضرني هنا ؟ "

في رشاقة انحني اليها ليسحبها من ذراعها وهو يقول باغاظة " سأختطفك .."

وبينما ترتقي عنوة درجات السلم هتفت به تكاد تكتم بشق الانفس ابتسامتها من شقاوته التي لاتذبل

" ايها المجنون الن تتعقل ابدا ؟ انه عيد ميلاد حفيدتيك .. كما اني لم اشبع من رؤية طه .."

يغمز لها وهو يجرها معه ناحية سلم جانبي قائلا " لاتقلقي نانا ... سنعود بعد ساعتين و قبل مغيب الشمس .. الشموع ستكون اجمل والطعام ما زال دافئا لنأكله .. ونسرك الذهبي ينتظرك عند حافة الشاطئ "

تمتمت في تردد اخير

" لكن لماذا اليوم والكل ينتظرنا ؟ دعنا نذهب في الغد ليكون اليوم كله لنا .."

يلتفت اليها وهو يرد ببعض الحزم

" لماذا اليوم ؟ لاني اردت هذا .. اما في الغد فسيكون لنا يومان وليس يوم واحد نبحر فيهما معا دون ازعاج من احد ..."

القارب الابيض كان مذهلا بمعنى الكلمة.. يتكون من طابقين ..

طابقه العلوي حيث يأخذها آسر كان مكشوف السقف تغمره اشعة شمس العصر..

اقتربت معه من حافة السور الى حيث مقدمة القارب تستنشق الهواء ملء رئتيها..

ارادت أن تسأله متى اشتراه عندما تسمرت نظراتها على الاسم المنقوش بالقلم الازرق

(امرأتي والبحر)

همست بتأثر وهي تستند على صدره

" آسر ! هل هذا اسم القارب ؟!"

صوته جاء قريبا من اذنها وشعرها يتطاير في عشوائية مألوفة لديه

" نعم يا امرأتي و شريكة رحلتي .. وكم كانت رحلة شقية عامرة بمزاج البحر المتقلب .."

التفت ذراعه حولها بينما تشعر بالقارب يتحرك .. كانت نادية تلتزم الصمت وعيناها تلمعان بدموع التأثر ..

سالته تغيظه " لم تسألني يوما ان كنت سعيدة معك بالرحلة يا آسري .."

رد بخيلاء ممتعة

" لااحتاج أن اسأل .. الامر واضح وبديهي .."

تضحك وهي تضع رأسها على كتفه وتهمس له " مغرور ..."

فيرد بنفس النبرة والقارب يتجه لعرض البحر " وانت تحبينني بغروري حتى وانا رجل سبعيني .."

رفعت وجهها اليه فتراه ينتظر نظراتها فتسأله وحاجباها يرتفعان في تساؤل مرح

" وانا ؟..."

سمعت صوت موسيقة قادمة من مكان ما

بينما يسحبها آسر لوسط المكان وهي

تسأله بعجب ودهشة

" ماذا تفعل ..؟"

اذناها التقطتا الموسيقى بوضوح الان بينما

هو يقول بنبرة رجولية متملكة

" ارقصي لي ..."

تضحك وهي تهز رأسها وشعرها يتناثر

اكثر بينما تقول له

" انها نفس الموسيقى .."

فيرد وهو يقترب منها بنظرة خاصة جدا ..

نظرة تحكي اعواما واعواما مرت بهما معا ..

" نعم .. هي نفسها .. ارقصي لي .."

ابتسمت له ابتسامة دافئة حملت معان

كثيرة ثم قالت

" لكننا كبرنا يا آسر .. وقد لايعجبك

رقصي الآن .."

يمد يده يحاول أسر خصلات شعرها

المتطايرة وهو يقول بنبرة جذابة

" لم ألتق امرأة في حياتي مثلك .. على

الاطلاق .. قد يشبهنك من قريب او بعيد

لكنهن ابدا لن يكُنَّ انت .. وانا اريد هذه

(المرأة) ان ترقص لي .. امرأتي انا .."

ابتسمت له باغراء فطري جزء من تكوينها

ثم رفعت كفيها لرأسها .. تسبل اهدابها

ويبدأ جسدها في التمايل والتراقص مع

الانغام بينما تتحرك اصابعها برشاقة

لترفع شعرها وتحركه فوق رأسها بحركات

اشد اغراء

اما كفاه هو فتحركتا لخصرها من

الجانبين يتمايل معها وعيناه تلمعان

بالتملك ..

شعرت نادية خلال لحظات من الزمن انها

عادت شابة في الثلاثين تراقص آسرها

الغازي ..

من علمها التحرر وهي تعيش العاطفة بدلا

من تستسلم لأسر قيودها الخفية ..

ان تتقبل لعبة الحياة الكبرى ...

فلا تنحني منهارة للارض بعد كل مأساة بل

تعاند وتسعى لايجاد بل ..

خلق فرح جديد ...

لها اولا .. ولغيرها ثانيا ..

تمت

انتهى الجزء االرابع والاخير

من سلسلة الياذة العاشقين

انتهت هذه السلسلة بهذا الجزء

قد نلتقي مستقبلا في يوميات الغوازي والنواجي

وقد نلتقي في سلسلة جديدة بروح جديدة لاحفاد الغوازي والنواجي

كل شيء جائز باذن الله

سلسلة الياذة العاشقين كانت بالنسبة لي كرحلة سندباد الخيالية ...

لكن في كل قصة كان هناك واقع حياة وانسانية عشتها بتفاصيلها ونقلتها اليكم..

اتمنى ان تضيف لكل قارئ وقارئة مزيدا من الفرح والبهجة والخيالية و ...

الانسانية

تحياتي .. كاردينيا73